

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى البحث

يقول رسول الله ﷺ :

« لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « إنما ستنتقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، إن أخطر الأخطار التي تواجه المسلمين اليوم : خطر التغريب . والتغريب هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد (وليس من داخل عقلية الغرب نفسه) ودائرة الفكر الوافد تختلف في أنها تمسك الشيء وضده ، وتسوق المذاهب المتعارضة كلها في خضم جارف (وجودية وماركسية وليبرالية وهييية ولا معقولية) حتى تسقط النفس الإسلامية ويبسط العقل الإسلامي صريع الخلاف والاضطراب ويتشكل إحساس بالسلبية المتلفة والعدمية . والهدف من حملة التغريب هو إخراج المسلمين من دائرة فكركم بما يخلق شعوراً بالقص في نفوسهم وذلك بالتأثير في النفس والمزاج والروح الإسلامي لإخراجها جميعاً من مفاهيمها وموارثها وفرض أعراف جديدة عليها مخالفة لها في الأصل مباينة لها في الجذور . وفي مواجهة هذا علينا أن نعرف بأن هناك عالَمين منفصلين : قد يؤثر أحدهما في الآخر ولكنهما لا يترجان أبداً ولا يخضع أحدهما للآخر ، ولا يستوعب أحدهما الآخر ولا يحتويه ، هما عالم الإسلام المتميز بطوابعه ومفاهيمه وقيمه وعالم الغرب .

والفكر الإسلامي له من جذوره العميقة وأصوله العريقة ما يجعله قادراً درماً على التماس التجدد دون أن يفقد الأصالة . والخطر كله يتمثل في بعض المفكرين من العرب الذين يفكرون من داخل دائرة الفكر الغربي ويتحركون خارج إطار الفكر الإسلامي ومن هنا تأتي أخطاؤهم ويأتي عجز نظرهم عن

أن نرى الأفق الواسع الممتد . أن هناك منهجاً : لا هو غربي ولا هو إسلامي ، وإنما هو منهج ذاتي صنعته اليهودية التلمودية الصهيونية وكشفت عنه بروتوكولات صهيون قد أعد خصيصاً لإدخال العرب والمسلمين فيه ، فإذا دخلوا أحكم عليهم كالسجن فلا يصلون إلى شيء ، لا إلى معطيات الفكر الغربي ولا إلى أصولهم الأصلية وإنما يذوبون هكذا في غير ما أفق ويدرون في غير ما سماء . إن مناهج العلوم والنفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد التي يقدمها لنا الغرب تنقصها إضافات ، الأولى : طابع التكامل و'الجمع بين العقل والقلب والمادة والروح والدنيا والآخرة . والثانية : الدور الطبيعي الذي قام به المسلمون في بناء هذه المناهج يوم أن كانت موجهة إلى الحق وإلى الحق وحده وقبل أن يلتهمها الاتحاد ثم تستقطبها الصهيونية العالمية إن هناك محاولات جادة لتقديم ثلاثة مناهج للفكر الإسلامي تحتاج إلى يقظة ومواجهة :

١ - ما يسمى علم مقارنات الأديان الذي يقوم بأحكام مسبقة إلى تفضيل الأسبق والأول وهذا يستهدف الانتعاص من الدين الجامع الخاتم وهو الإسلام

٢ - ما يسمى علم الأنثروبولوجيا : وهو خاص بدراسة الشعوب البدائية وهدفه استخراج مفاهيم وقيم تعارض الكتب السماوية وإعلاء شأن الأساطير والسحر والتنجيم القديم وإعلاء شأن العنصرية والدماء :

٣ - ما يسمى العلوم الاجتماعية بالإضافة إلى نظرية فرويد وتستهدف إلغاء طابع الفطرة الأصلية في الأسرة ورد دوافع الإنسان إلى الجنس وإلى الطعام . وتسيطر الصهيونية اليوم على هذه العلوم والدراسات فيه تحقيق أهدافها التي أوردتها بروتوكولات صهيون .

وتستهدف محاولات التغريب اليوم أهدافاً متعددة :

أولاً : محاولات إسقاط أسس وقيم وفرائض أساسية كالجهاد مثلاً .

ثانياً : محاولات تحريف التاريخ والنصوص الإسلامية كإسقاط رحلة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى الجزيرة العربية .

ثالثاً : محاولة لإضافة أشياء ليست أصيلة كالإسرائيليات .

رابعاً : محاولة الفصل بين الأدب والفكر ، والفصحى والمجتمعة
والدين والمجتمع .

خامساً : محاولة تمويه اقيم بأغلاء اقانون الوضعي على الجريمة .

سادساً : إثارة النزعات الاقليمية والعنصرية بالدعوة إلى
والنجرنة .

سابعاً : محاولة التعميه بخلاط الاخلاق الإسلامية المصدر بالمعادات
والتقاليد التي هي من صنع المجتمع .

ثامناً : محاولة تأليه العقل أو تقديس العلم أو الدعوة إلى عبادة البطولة .

(٢)

إن الهدف هو الحيلولة دون استئناف المسلمين - ياتهم الاجتماعية على
أساس الإسلام وذلك عن طريق تركيز المفاهيم الواهدة والتشكيك في العقيدة
الإسلامية وتشويه التاريخ والتراث الإسلامي في سبيل تأكيد التبعية وفقدان
الذاتية وقد آن للعرب والمسلمين أن يتحرروا من هذا المخطط الرهيب
بالهم والعمل . إن الطريقة المثلى للتحرر من الزيف والخطأ من النفسيرات
المدخولة : ومن التحريفات والاساطير وأخطاء التهاويل هو شيء واحد :
هو التماس المصدر الأصيل . وهو القرآن .

هذا المصدر الثابت الموثق الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ، فهو السور المتين والحائط الصامد الذي يعتصم به المسلمون في
كل أزمة وكل جولة ومن كل غزو فكري أو تحدى سياسى أو استهداف
اجتماعى ومنهج الإسلام في القرآن هو أعلى نموذج للمنهج العلمى الأصيل ،
فهو يدعو إلى إنكار الظن وتحقيق الغرض ونفى الاسطورة والخرافة وأبعاد
الوهم والهوى والمطالبة بالبرهان والدليل .

(٣)

إن قواعد الفكر الإسلامى الأساسية قد بدأت ونمت في حياة لرسول

صلى الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وإن هذه القواعد لم تتغير من بعد ولم تجر إضافة شئ إليها فظالت قيمها الأساسية كما جاء بها وحى السماء (القرآن) وسنن النبي في تفسيرها وتطبيقها وإنما جرت حركة العمل من داخل الاطوار الذى رسمه القرآن ، ولقد كان إتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الإسلام وهزيمة محاولات سيطرة الفكر الوافدة أو الغزو الفكرى كما نسميه بلغة العصر .

وبقيت الحقائق الأساسية قائمة :

أولاً : إن الإسلام ليس ديناً كسائر الأديان ولسكنه حركة إجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق وأن ميزة الإسلام : أن نظريته كلية شاملة وأنه لم يجزئ الحياة بل نظر إليها نظرة جامعة متكاملة كما نظر إلى الإنسان نفسه كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل .

ثانياً : القرآن كتاب الله ومصدر المنهج الإسلامى ، يرسم صورة شاملة للقيم الأساسية وأصول مناهج المعرفة والعلوم وسنن الحياة والكون والحضارات والمجتمعات حيث يربط البشرية والكون جميعاً بخالقهما وبمهما وجزأهما .

ثالثاً : الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (كان ولا يزال وسيظل) النموذج الاسمى والمثل السكالى والقائم أمام كل المجاهدين والمسلمين والنوابغ قدوة حسنة وأسوة صادقة ، من نقطة سب الرسول إلى المتابعة له على طريق الحق .

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم إنارة تستهدف تحرير البحث العلمى من كل الزيوف :

• ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان :

- ١ - من إذا رضى لم يذخره رضا في الباطل ، ٢ - ومن إذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق ، ٣ - ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له .

(٤)

إن الطريقة المثلى للتححرر من الزيت والخطأ ومن التفسيرات المدخولة : من التحريفات والأساطير وأخطاء التأويل هي شيء واحد ، هي : التماس المصدر الاصيل موثقاً ثابتاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو بحق : السور المتين والحائط العالى الذى يعتصم به المسلمون فى كل أزمة وكل جولة غزو فكرى أو سياسى أو إجتماعى وقد رسم الإسلام فى القرآن قاعدة المنهج العلمى فهو يدعو إلى إنكار الظن وتحقيق الغرض ونفى الأسطورة والحرافة وأبعاد الوهم والهوى والمطالبة بالبرهان والدليل وبهذا المنهج الاصيل نقول : أنه قد آن للعرب والمسلمين أن يتحرروا من التبعية للنظريات الغربية أو المفاهيم الوافدة وعليهم أن يفكروا بلغتهم وأن يتحركوا من داخل فكرهم وأن يتجاوزوا سارتر وفرويد وماركس ودوركايم .

وعلى المسلمين أن ينتقلوا من الإسلام إلى الإيمان ولا بد أن ينكسر قيد التبعية ويتحطم قيد التقليد ويتحرر الفكر الإسلامى من الدائرة المغلقة التى فرضها عليه نفوذ المنهج الغربى الوافد ولا بد أن يرتبط مفهوم التقدم ، بمفهوم الأصالة ويتحرك من داخله ، التقدم بمفهومه الجامع : تقدماً مادياً ومعنوياً استمداً من المنبع الاصيل ، وأن من أخطر الاخطار أن يدخل العرب والمسلمون فى مواجهة مع عدوهم بمفاهيم وافدة وقيم مضللة وإعتقادات وثنية ولا بد أن تفتح اللغة العربية أبوابها لاستقبال العلوم والتكنولوجيا بمختلف فروعها وأنواعها وهذا شرط أساسى لقيام نهضة حقيقية ، فلا بد أن تنصهر هذه العلوم فى بوتقة اللغة التى هى فكر الأمة ووعاء ذوقها وثقافتها ، ولن تستطيع أمة أن تخطو فى مجال العلوم خطوة واحدة إلا إذا كانت مفاهيم العلوم داخل إطار لغتها .

(٥)

ولقد دعا الاسلام معتقيه إلى معارضة التقليد الاجنبى ، وحذر من

التشبه بالآخرين وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره وحضارته
ومجتمعه متميزة ، وأعلن لذلك حرباً لاهوادة فيها على التقليد وعلى التبعية
وحكم على من تشبه بقوم بأنه قد انفصل عن أهله وأصبح من أهل القوم
الآخرين . ودعا إلى إعلان التمييز بين الأمم من حيث العادات والأخلاق .
وكشف الاسلام عن مدى أثر التقليد في فقدان الشخصية وأثر التبعية في
هبودية الفكر والعقل . وقد أكد المؤرخون بأن التقليد في مراحل الضعف
إنما يكون في جوانب الهدم والاحلال ويتركز دائماً على الانهك في
اللذات فضلاً عن أن القوى الكبرى لا تعطى للضعفاء أسرار عوامها ،
وإنما تلهمهم بفتات الأهواء وبريق الرغبات التي من شأنها أن تحطم
المقومات وتدمر النفس البشرية وتجعلها غير قادرة دائماً على معارضة هذه
القوى الكبرى .

لذلك فإن الطريق الوحيد للأمم التي تحوطها الأخطار أن تظل دائماً
على تعبئة ومرابطة ومن هنا فإن الذين قالوا لنا : أن نسير سيرة الأوروبيين
ونسلك طريقهم لم يكونوا صادقين في النصيح والتوجيه .
وحين عمل الإسلام على تحوير أتباعه من التأثير الاجنبي بكل أنواعه ،
دعا إلى الحذر من الحرب النفسية التي يشنها أعداء الاسلام والتي تهدف
إلى تغيير المعالم الاصلية لمعتقدتنا وفكرنا وثقافتنا ومزاجنا النفسي .

ومن مفاهيم التبعية : إيجاد البديل في مواجهة الاصل ، والأمم
العريقة التي تكامل فكرها لانكون عادة في حاجة إلى مفاهيم وافدة ،
فاذا نظرت فيها فمن أجل أن تعرف أسلوبها وأهدافها ، مع تقدير الفارق
البعيد بين منهج جزقي إنشطارى ومنهج متكامل جامع ، بين منهج رباني
يستقطب النفس الانسانية من جميع أبعادها ومنهج بشري عاجز عن
الاستمرار والدوام . ولقد رأينا كيف أن النظريات التي قدمها الغرب
سرعان ما تصدعت وبان فسادها بمرور الزمن واحتاجت إلى إجراء تعديلات
بعد تعديلات وهي في أغلبها تعديلات جوهرية ، ذلك أن تحول الزمن
واختلاف البيئات يفسد النظريات ويعصفها بالعطب والاضطراب ويكشف

عن الفارق البعيد بينها وبين المناهج الربانية الثابتة بثبوت الفطرة وقد رأينا ذلك في الماركسية والفرويدية والوجودية . ومن أخطر الأخطار أن تتخذ أمة الأسلوب الوافد أسواً أساسياً لها مع اختلاف المفاهيم والمضامين التي شكلت هذا المنهج في أساسه . ولقد احتاجت بعض المجتمعات إلى وضع مناهج للحياة (أيدلوجيات) لأنها لم تجد مناهج في عقائدها ، أما المسلمون فانهم ليسوا في حاجة إلى بناء مناهج بشرية وعندهم منهج محكم من صنع العلي الخبير ، الخبير بالنفس الإنسانية ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، ولقد كان من أثر انطلاقه الإنسان ليضع لنفسه منهجاً أن فسر الحياة تفسيراً مادياً ، وفسر علاقات الإنسان تفسيراً جنسياً ، وفسر علاقات الإنسان تفسيراً حيوانياً وأباح الربا وأطلق الغريزة وفلسف ذلك كله وأرضى به النفوس الصغيرة حين خالف به فطرة البشرية وحكم الله .

(٦)

أن أخطر المحاولات التي تحتاج إلى الانتباه الوافر : هي محاولة وضع الإنسان في موضع تبرير القيم الغربية باسم سماحة الإسلام وانفتاحه وقابليته للجديد ومسايرته لظروف الأمم والحضارات ، ولا ريب أن للإسلام قواعد كلية لا سبيل إلى النزول عنها وخاصة في مسائل الربا والحدود وعلاقة الرجل والمرأة وعلاقة الأسرة بالمجتمع ، كذلك فللإسلام أصول ثابتة في المعاملات . كل ذلك ليس موضع التبرير أو التأويل ، لأنه هو الدعامة الصحيحة للمجتمع الإسلامي ، أما فيما عدا ذلك فإن هناك محاولات الاجتهاد ، هذا فضلاً عن سعة الأطر ومرونتها التي تجعلها كفيلة بالصلاحية لكل البيئات والعصور .

والمعروف أن النظرية الغربية أياً كانت في مجال الاقتصاد أو الاجتماع أو النفس أو الأخلاق هي استجابة لتحديات مجتمعات بعينها ، له مشاكله وأزماته وقيمه وعقائده ، وقد قامت على مقياس ذلك المجتمع وحجمه ، ومن خلال واقعها ، فكيف تصلح لمجتمع غيره ، فضلاً عن أنها قامت في مرحلة أزمة وضعف

والانحلال في ذلك المجتمع ولم تكن من معطيات عصور القوة والبناء، فعلى المسلمين أن يتنبهوا إلى هذه المحاذير .

(٧)

هناك محاذير خطيرة تتضمنها دعوة التغريب وعالينا أن نكون واعين لأهدافها :

— هناك دعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ والتراث ، ووصفه بكلمة « قديم » ، وهم من خلال هذه العبارة الغامضة يحاولون هدم الإسلام ، وفي نفس الوقت الذي يدعون فيه إلى نبذ القديم المتصل بالإسلام ، يدعون إلى أحياء الماضي الوثني والجاهلي والسابق للإسلام والذي تلاشى تماماً ، ولم يعد له في ضوء الإسلام بقاء بعد أن سحق الإسلام فلول بابل والمجوسية والغنوصية والهلينية وتآليه البشر وعبادة الاجساد والبطولة البشرية .

وهناك دعوة إلى مهاجمة الفصاحة العربية والخطابة والشعر العربي وهي محاولة واضحة المهدف لأنها حين تقصد أحياء العاميات إنما تستهدف البيان القرآني وخلق لغة أقل من مستواه حتى ينفصل المسلمون عنه ويعجزوا عن فهمه .

أن مفهوم البطولة الإسلامية لا يستمد أصوله من نظرية لمبروزو أو فرويد أو أمل لدوفيج ولكنه يستمد وجوده الحقيقي من أثر العقيدة والتربية الإسلامية فهي التي أعادت بناء الأفراد من جديد بناء مستأنفاً كما حدث لعمر وسعد ونخلة والحنساء وتقدير البطولة في الإسلام يرتبط بالعمل وليس بالفرد وليس في الإسلام بطولة تسوق صاحبها للحرب من أجل امرأة كما فعل (أخيل) في إلياذة هوميروس .

والبطولة في الإسلام تقوم على تخليد الأعمال لا تقديس الأبطال ، والامر ما قال أبو بكر يوم أن اختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى : من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

. أن أى حديث عن الصراع بين العلم والدين فهو عن دين غير ديننا وعن أفق غير أفق فكرنا أو مجرى تاريخنا وعن محيط غير محيطنا وهى تحديات لم يعرفها الإسلام فى تاريخه ولا محتممه .

. ليس فى الإسلام ما يقال من أن نشر العلوم والثقافات هو بديل عن التربية والتهذيب الخلقي ، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ، لا بد لىكى يتحقق استعماله استعمالاً صحيحاً ، من أن يتم ذلك فى إطار الأخلاق وخير الناس وعمارة الأرض وتقوى الله .

. وإذا قبل لنا أن على للفكر العربى المعاصر أو الأدب العربى المعاصر أن يكون مستقلاً فلنسأل ؛ عما إذا يستقل ؟ هل يستقل عن أصوله وجذوره ؟ هل استقل الغربى المعاصر عن جذوره اليونانية والهلينية والمسيحية الغربية ؟ وإذا كان الفكر الغربى يعلن أنه ل يفهم فهما صحيحاً إلا إذا فهمت الاغريقية واللاتينية فهل من عجب أن يستمد الفكر العربى من الإسلام ويستند إلى العربية .

. القول بأن كل دين قابل للتطور وملاءمة العصور لا ينطبق على الإسلام لأن الفكر البشرى هو وحده الذى يتطور ويطورة أهلة ليوافق العصور والازمان ، أما الدين الإلهى فان الخالق تبارك وتعالى قد أقامة فى أحكام وتقدير وجملة قاذرا على مواجهه أبعاد المجتمعات والعصور ، لقد وضعه الحق تبارك فى أطر واسعة مرنة قابلة للحركة والتجدد وأما القول بالتطور فى مجال الأخلاق والشرائع فانه يجعل من الدين مجموعه من المبادئ النسبية التى ليست حقائق مطلقة ، تتطور وتتطور إلى ما لانهاية وهذا ما لا ينطبق على الإسلام .

. لقد فرق الإسلام بين الأخلاق من ناحية وبين التقاليد والعادات من ناحية أخرى ، فالأخلاق هى القيم التى رسمها الدين الحق وهى التى لا تتعرض للتحويل أو التغيير (مفاهيم الخير والشر والحق والباطل) الابدية الثابتة ، أما العادات فهى من إنتاج المجتمع ولذلك يخطئ رجال العلوم الاجتماعية حينما يحكمون على الأخلاق حكمهم على العادات والتقاليد . ومن هنا نلاحظ محاولة الاستعمار والغزو الفكرى فى أهلاء شأن العادات والتقاليد الموروثة ليرتفع إلى مكان قداسة القيم أو لىكى تغطي على القيم الأخلاقية الاصلية .

• أن ترتيب البعث على الحياة والموت ليس أمرا مستحيلا ولا متناقضا عقليا بل أن شبهة افتراض أن الموت هو نهاية الحياة هي التي تبعث الريبة والشك في النفس فكيف ينتهي العالم دون أن يفصل في أمرة أو تكشف حتماته، أو يجاب عن أسئلته ودرن أن يحجز العاملون فيه ثوابا وعقابا، كيف يمكن أن تنتهي الحياة الدنيا دون حياة أخرى تقدم للناس تفسيراً كاملا وجزاء صادقا . وتقضى الأمور في عشرات القضايا التي أثارها أصحاب المنهج البشري في معارضة المنهج الرباني ولا ريب أن مفهوم المسؤولية الفردية مما يترتب عليه الحساب والجزاء فإقرار البعث مطابق للفطرة ولا يشكل تناقضا عقليا وإنما القول بالصدقة هو العجز عن فهم أبعاد الحياة والموت ، ألحسبتهم إنما خلقناكم عبثا وإنكم إلينا لا ترجعون .

وليس فهم الحياة بوصفها معبرا إلى الآخرة بمنقضى من هدف بنائها وتحسينها ولكنه حامل هام في جعلها أكثر أصالة وعمقا لانه يقوم على أساس الاتجاه إلى الله وتقدير المسؤولية الفردية والجزاء الاخرى ولقد دعا الإسلام إلى العمل والتعمير والافتحام ثم دعا إلى الرضا بقضاء الله في النتائج .

• ليس الوحى للطباها في نفس محمد صلى الله عليه وسلم : فهناك فارق عميق وواضح بين نظم القرآن وكلام سيدنا محمد ، فلنحذر خطأ القول بأن القرآن فيض من العقل الباطن وليس وحيا الهيا حتى ليقول بعضهم : ليس الأفضل الإشادة بعبقرية محمد والمعيته وصفاء نفسه بنسبة القرآن إليه ، كلا ، لادعى لهذه الإشادة الزائفة فإن الله تبارك وتعالى قد أشاد به بما لا نستطيع البشرية كلها أن نقوله حين أعلن أنه عبده وخاتم رسله ، وأنه بشر يوحي اليه ، والحق أن الهدف من هذه المفاهيم الزائفة هو قطع الصلة بين المسلمين والقرآن فانه أن كان القرآن كلام محمد فهو من عمل البشر ومن هنا يفقد معناه الإسمى وينتهي أمر الإجماع عليه ، لقد كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب فن الذى أطلعه على أن ما في القرآن مصدق لما في التوراة حتى تحدى به اليهود ، لقد كان علما بشئون قومه لا يزيد على علم غيره فن أطلعه على قصص الأولين وصدق الله العظيم : « قل نزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » .

• خطر القول بأن كل إنسان حر ، بمعنى أن يرفض التجربة أو وجهة النظر الأخرى أو النصيحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقد استشرى هذا الخطر فقال دعاة الهزيمة بأن هلى الأبناء أن يشقوا طريقهم دون توجيه ويستعوا على تجربة الأجيال السابقة ، وهذا مغرر خطير براد به تحطيم الرابطة الأصيلة بين الأجيال ، وإيجاد الصراع بينها ودفع الأجيال الجديدة إلى التمرد على القيم الأساسية للمجتمعات . ذلك أن الدعوة لانكون إلى متابعة الناس بقدر ماتكون إلى التماس مفاهيم الدين والأخلاق الثابتة ، التي ربما تختلف عنها الأجيال السابقة فأخطأت هى أيضاً ، أن الشباب وهو الذى يحمل الأمانة فى الغد لابد أن يبنى على الأساس وأن يتحرر من أخطاء السابقين وأن يستمد التجربة والمثل الأعلى والاسوة من النموذج الأكبر : محمد صلى الله عليه وسلم قدوة الأجيال والأمم .

• أن الجاهدة بمعنى معارضة الأهواء والمطامع والكظم بمعنى تأجيل الرغبة ، هوقه الدين وهو لا يقع تحت تأثير المخاطرة الوهمية التى أذاعها فرويد عن المكبت ذلك أن المكبت إنما يستمد معناه من إنكار الرغبات أساساً واحتقارها وعدم الاعتراف بها ، وهذا مالا يدخل مطلقاً فى إطار المجتمعات الإسلامية التى يقوم الإسلام فيها على أساس الاعتراف بالرغبات النفسية والحسية والجسدية إعترافاً كاملاً دون إنكار لها ، وأن كان يؤخر الممارسة لها إلى أن تتحقق القدرة المادية ، أن خطر المكبت الذى تفرض الفرويدية أنه يؤدى إلى العصاب لايتحقق إلا نتيجة الإنكار والاحتقار ، أما الاعتراف مع التأجيل فذلك مما تقبله الطبيعة البشرية وترضاه ولقد هلك طويلاً دعوات التربية الحديثة بأن توجيه الأطفال وعقابهم يؤدى إلى كذا وكذا من الأمراض ثم أثبتت التجارب التى أجريت بالإحصاء إلى أن ذلك محض وهم وأن النفس الإنسانية قابلة للتوجيه والتحذير والعقوبة دون أن يحدث ذلك عندها ما يسمى بمركبات النقص أو غيره .

ونحن نؤمن بأن صانع النفس الإنسانية هو أقدر على فهمها وهو الحامى لها وأن ما رسمه لها من مناهج وأساليب تحذير وترغيب وترهيب إنما هو دواؤها وأنه متقبل منها وليس بشاق ولاهسير وليس له خطر ولا ضرر على النحو الذى

تهول به الفلسفات . وأن كنا نريد أن نعرف الخلفيات فلنعرف أن الهدف هو تفكيك عروة الشباب منذ الطفولة وبناء أجيال متحللة مدمرة ورفع يد الآباء عن التوجيه وخلق جو من الكراهية حتى يفقد الشباب ثمرة التجربة والعبرة التي خاضها الآباء وذلك عن طريق هدف بروتوكولات صهيون الصريح : وهو تدمير المجتمعات الإنسانية قبل السيطرة عليها .

* أن خطر دعوات الصهيونية العالمية هي دعوتهم إلى « المجلس » دعوة إلى أن يصبح الناس لا يخرجون من أعضائهم التناسلية ، ولقد هاجمت اليهودية التلمودية الآداب الدينية المسيحية حين وجدتها عائقاً أخلاقياً دون نجاح هذه الدعوة ومن ثم أخرجت المدرسة الغربية من رعاية الدين وفرضت عليها منهج العلمانية حتى يعلم الشباب في طفولتهم أسس دعوات الجنس والإنحلال ويهدف هذا حين يطرح في بنجمتنا الإسلامي إلى هدم صلابة الشباب الذي يحمل أمانة الغد وإسقاط الأسرة التي هي الركيزة الأساسية للمجتمع .

(٨)

إن هناك علما جديداً يولد في أفق الفكر الإسلامي الحديث هو : علم المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم .

يقول هذا العلم : قولوا لنا أولاً من الذي كتب : نحن لانعرف الحق بالرجال ولكن نعرف الحق فنعرف أهله - قبل أن نقرأ لابد أن نعرف من الذي نقرأ له ، ونضعه على منصة التشريح ، كما نضع عقله على مائدة التحليل . لقد عرف المسلمون قديماً علم الجرح والتعديل فدرسوا الرجال الذين يأخذ عنهم العلم وصنفهم ، وعلينا أن نطبق هذا العلم على المعاصرين الذين تصدرون حياتنا الأدبية والفكرية فلا تبهتنا الأسماء اللامعة ولا الأضواء المسلطة ولا تأخذ بالبائنا الأوراق الناعمة والأغلفة البراقة والصور الملونة فإن الزيف يغلف دائماً ويبرر أما الحق فإن أصحابه فقراء ، كـ ذلك فإن فصل العلم عن صاحب العلم نظرية لاقرها الإسلام : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الحافظ أبو ليلى عن حماد عن الشعبي عن جابر : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وأنكم أما أن تصدقوا بباطل وأما أن تكذبوا بحق ، . »

ونحن نأخذ العلم الطبيعي والتجربي عن أى مصدر ، ولسكننا لا نأخذ عن أحد مفاهيم العقائد ونظرة الانسان إلى الوجود ، فالمسلم لا يتلقى أصول فكره إلا من القرآن والسنة .

والقاعدة العامة أن هناك أموراً عالمية مشتركة بين الأمم البشرية جميعها وأن هناك أموراً خاصة بكل أمة . الأمور العامة هي العلم والمعرفة والأمور الخاصة هي الاخلاق والقيم التي تشكل نضوق كل أمة وروحها ومزاجها أما المعارف العالمية فإنها تنقل لأنها ملك للجميع ، أما الأمور الخاصة فهي لا تنقل ولا تقتبس لأنها مرتبطة بكل خصائص الإنسان وجذوره التي بناها ففكره وكونها عقيدته منذ القرون البعيدة .

ولقد نقل الغرب علومنا دون أن يعتنق ديننا أو ثقافتنا واحتفظ بقيمته ومفاهيمه . كذلك فعل العرب والمسلمون عندما نقلوا العلوم وترجموا الفاسفات . أن تخلى أية أمة عن قيمها من شأنه أن يهدم شخصيتها ويذيبها في السكيان الاممى . أن هناك محاولة واسعة لحل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والخروج من ذهنية الإسلام وهدف المحاولة هي إزالتهم بإزالة ذاتيتهم .

* أن هناك أربع شخصيات تبرز الآن ليست هي شخصيتنا الإسلامية الاصيلة : اليونانية الاغريقية ، الفرعونية الوثنية ، الجاهلية العربية ، النورية الاوربية والامريكية .

* إن الاسلام يرفض تأليه العلم وتقديس العقل أو عبادة البطولة .

(٩)

أولاً : يقوم منهج المعرفة الإسلامى على أساس التحرر من الهوى والعبدية والحقد ويستمد مفاهيمه من الفطرة وجماع القلب والعقل ، وعلى العقل أن يتخذ من الوحي هادياً ومرشداً وألا فإنه يعجز عن الوصول إلى المعرفة الحقة لعالم الغيب وما وراء المادة .

ثانياً : ليس الإسلام فى شريعته وفكره وبطولاته تصوراً فلسفياً

ولا تصوراً مادياً ولا تصوراً روحياً ولكنه تصور إنسانى الطابع ربانى المصدر، يقوم على التوحيد والأخلاق والإيمان بالله واليوم الآخر. ولذلك فإن الفكر الإسلامى لا يوصف بأنه فكر دينى ولا توصف اللغة العربية بأنها لغة دينية .

ثالثاً : الفكر الإسلامى لا يقر رأى القائل بأن المعرفة الإنسانية تقتصر على معطيات الحواس أو إنتاج الفكر، إنما هو أوسع أفقاً من ذلك : أنه يضم وحى السماء الصادق المنزل الذى قدم أصول الشريعة ومفهوم عالم الغيب والذى قدم للإنسان طمأنينة النفس وسكينة القلب وحفظاً من التمزق والضياح والغربة .

رابعاً : كان الإسلام قادراً دائماً على تجديد نفسه ودلى إعادة صياغة فكره بما احرف هذا الفكر وأصابته دخائل تحوله عن جوهره .

خامساً : قد تعالج أى قضية بأحد منهجين : المنهج البشرى المستمد من مفاهيم الفلسفات والوثنيات والمادية وتفسيرات السجل . أو المنهج الربانى المستمد من الدين الحق . أما المنهج الإسلامى فهو منهج متكامل : مادة وروحاً ، جامع دنيا وآخره ، أما المنهج البشرى فهو أحد منهجين : مادى خالص أو روحى خالص وكلاهما يزق للنفس الإنسانية .

سادساً : يفرق الاسلام بين المعارف الجوهرية ، والمعارف غير الجوهرية التى ليست لها قيمة صحيحة ، والى تستشرى أبان ضعف الامم وتخلفها ونجاحت السوق كالمعلمة الزائفة .

سابعاً : إن أبرز مفاهيم الإسلام : النظر إلى ما وراء الظواهر : ظواهر الـكون والحياة وما وراء نصوص الكلمات ، دون أن يخذعنا بريق الشهرة ، أو العبارة الخداعة .

ثامناً : تقوم دعوة الإسلام على أساس : التنوع فى إطار الثبات والتنوير فى إطار الوحدة .

تاسماً : ينطلق المفهوم العلمى الإسلامى من قاعدتين ثابتتين : هما الوحى والعقل ، بينما ينطلق المفهوم الغربى من الفروض التى تبدأ بالظن وتوضع

موضع التجربة والفايدة الصحيحة أن العلم الذى يبنى على الحقائق أشد ثباتا وقوة من العلم الذى يبنى على القرائن .

عاشراً : قرر الإسلام مفهوم الوحدة فى ثلاثة أصول عامة :

. قرر وحدة النفس البشرية فلا انفصال بين الدين والحياة أو الدنيا والآخرة أو الروح والجسم أو الواقع والمثال .

. قرر وحدة الجنس البشرى فلا فرق بين أبيض وأسود أو عربى وأعجمى إلا بالتقوى .

. قرر وحدة الدين منذ نوح إلى محمد : توحيد الله وثبات الأسلاك والمسئولية الفردية والبعث والجزاء .

سجده عشر : يقرر الإسلام أن الإيمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل وتحول دون اليأس وتبعث الثقة المتجددة وتحرض على المعاودة فى حالة الاخفاق وليس الإيمان مضادا للمعرفة، والإسلام لا يقف عند مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة بل يضيف إليه علما آخر جاء به الوحي وسجله القرآن وفيه تفصيل عالم الغيب وعالم الآخرة فقد جعل الاسلام الإيمان بالغيب شرطا أساسيا من شروط المعرفة الحقة .

ثاني عشر : يدعو الاسلام إلى التفكير والتأمل فى خلق الله :

« قل إنما أعظم ببوادة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

ويقرر القرآن أن عدم التفكير ذنب وأن البلادة الذهنية معصية :

« وقلوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم »

ثالث عشر : التقدم فى الاسلام ليس تقدما ماديا واسكنه تقدم جامع بين المادة والفكر . ليست العبرة بالتفوق التكنولوجى بل العبرة بإقامة الفكرة وللمعقيدة إطارا يتحرك فيه العلم ويتجه إلى البناء والتعمير وإثراء النفس البشرية

رابع عشر : يقيم الاسلام منهجه الاجتماعى والفكرى على الحركة فى إطار الثبات ، والإسلام دعائم ثابتة لا يجوز تجاوزها : ثبات الاسلام أزاء الآلة البشرية والعدل الاجتماعى . ثبات الاسلام أزاء الجهاد . ثبات الاسلام أزاء

تحريم الزنا . ثبات الاسلام أزاء الانزام الأخلاقى والمسؤولية الفردية وثبات الأخلاق . ثبات الاسلام أزاء الحدود (الخمر والقتل والميسر والزنا) .

خامس عشر : هناك مغالطات نقول بأنه : لا علاقة بين اللباس والأخلاق وأن الشهوات لا تستثار بالتبرج وتلك مفاهيم نلبودية تذيبها دوائر الفسك والوجودى والأباحى وهى لا تتفق مع مفهوم الإسلام الجامع الذى يرى أن زينة المرء جزء من كيانه الأخلاقى والذى يفرق تفرقة واضحة بين رجولة الرجل وأنوثة المرأة ولا يقبل الخلط بينهما .

سادس عشر : لاسبيل إلى تعريخ كيان الانسان من مضمونه الاجتماعى والنفسى والروحى ، أو النظر إليه على أنه ذلك الهيكل البشرى خالياً من الروح والوجدان ولا يقر الإسلام أن هناك صراعاً بين الجسم والروح ، وأعلن أن الروح والجسم متكاملان وبذلك أسقط مفهوم الرهبانية القائمة على الرياضة العنيفة وتدمير الجسد من أجل تحقيق الصفاء الروحى . آمن الإسلام بالروح والخسء معا ونظر إلى الإنسان نظرة متكاملة وكرمهما . ما ودعا إلى الاهتمام بهما . طهاره باطنة ونظافة ظاهره وزينة طيبة من غير سرف ولا خيلاء .

(١٠)

أن أى منهج وافد سيلبى فى أفق الفكر الإسلامى خيبة وفشلا وأن الماركسية والديمقراطية الغربية والصهيونية قد دجرت جميعها أن تقدم المسلمين وللعرب ما يملأ أفئدتهم باليقين أو قلوبهم بالثقة وقد لقيت مذاهبهم صعباً باجمة فى مواجهة الفكر الإسلامى الاصيل الذى استمد مضمونه من منهج محكم ربانى تعجز أى المناهج البشرية أن تقتحمه أو تستوعبه أو تسيطر عليه وأن هذه المواجه حين تطرح نفسها فى أفق الفكر الإسلامى فإنها سرعان ما ينكشف نقصها ويتبين دجزها عن العطاء الذى تتطلع إليه النفس الإسلامية من خلال مفهومها الجامع المحكم الذى أمدها به الإسلام منذ أربعة عشر قرناً والذى مهما نحى عنها وزيف لها فإنه قائم فى أعماقها متجدد على أيدي المصلحين والقادة ومن هنا كانت يقظتها الواضحة اليوم أزاء ابتعاث الأصالة وتطبيق الشريعة الإسلامية .

الباب الأول
مخاطر في وجه الإسلام

أولاً : التبغريب

أصبح العالم الإسلامي اليوم غطاءً بثلاث غاطر جسيمة ، تهدف إلى توهين قوته ، وتفكيك عراه وتمزيق صفوفه ، كما أصبح مجالاً خصباً لدعاة الباطل ، والمزيفين والشعوية وفي مقدمة ذلك (١) خطر الشيوعية الذي أخذ يكتسح البلاد الإسلامية بشكل مروع ، والذي أدى إلى أن يعرض الصين في سبيل مساعدة باكستان في حربها مع الهند عام ١٩٦٥ أن تتخلل عن هويتها الإسلامية (٢) خطر التبشير المسيحي الغربي الذي يجري في إطار مخططات صهيونية حيث تستكمل المسيحية واليهودية اليوم لتشكيل خطراً مزدوجاً ضد الإسلام والمسلمين فالبعثات المسيحية لا تترك وسيلة من وسائل الإغراء والمكر والأطماع للمسلمين إلا اصططعته عن طريق المستشفيات والمدارس والمكتبات والصحف (٣) خطر الرأسمالية والماركسية ، وكلاهما من منبع واحد ، فالاقتصاد معبود اليوم وعجله الذهبي ، والبنوك مساجده وأجهزة الوعظ والإرشاد هي ما يسمى بالإشهار ، لأن اسم « تروتسكي » يعني أقصى اليسار واسم « روتشيلد » يعني الرأسمالية المتطرفة ، يمثلان ثموجات العقلية اليهودية ، فالتيار الرأسمالي والتيار الشيوعي أبوهما التيار الصهيوني ، والمعروف الآن أن أرقى الناس بأديا أشقاهم معنوياً بكثرة الاستعمار وتعاطى المخدرات لإطفاء طيب الحق المنادى في قلوب البشر واستعلاء الفسق والفجور ، حيث لم يعبد العجل الذهبي في عصر من العصور مثل ما يعبد اليوم ، فأصبح الاقتصاد أو العجل الذهبي هو آله العصر . والمخطط السياسية والاقتصادية من ماركسية وصهيونية ورأسمالية أو التيارات الفلسفية ليست عقائد بالمعنى الصحيح أي هي تصميات وتدابير مؤقتة بعيدة كل البعد عن إرضاء النفس البشرية والاستجابة لداعي الحق في الميادين الجسدية والنفسانية والروحية .

وقد استهدف الغزو الثقافي أمرين أساسيين :

(الاول) تشكيك المسلمين والعرب في تراثهم وخاصة في «الدين»
الذى اكتشف رجال الاستعمار أنه أكر عقية في سبيل ضمان سيطرتهم
على البلاد ، وزعزعة أسس الذاتية الخاصة وفي هذا السبيل قام الغرب
بحملة كبيرة لغسل الدماغ الإسلامى وكسب المريدين والاتباع من أهل
البلاد واستخدامهم أبواباً لحملاته .

(الثانى) إيهام العرب والمسلمين أن الحضارة الغربية هي « حضارة
عالمية » ، وأنها ثمرة تجارب الإنسانية ، وطيه فلا مناص لمن أراد التقدم
أن يتبنى مفاهيمها ويقتبس نظمها ومؤسساتها وأن يربط مصيره بمصيرها .

ومن هنا كان عمل التغريب ، فالتغريب هو حمل المسلمين العرب على
قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الواحد
وليس (عقلية الغرب) وذلك بإخراج المسلمين من دائرة قيمهم بما يخلق شعوراً
بالنقص في نفوس المسلمين ، وذلك بتحريف القيم الإسلامية والتاريخ
وتشويه مبادئ الإسلام ، وانقاص الدور الذى قام به في تاريخ البشرية
وبعنى [التغريب] خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر العربى ومقاييسه
ثم يحاكم الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى من خلالها بهدف سيادة الحضارة
الغربية وتسيدها على كل حضارات الأمم ، ولاسيما الحضارة الإسلامية
وهدفهم خلق أجيال جديدة من المسلمين تحقر كل مقومات الحياة الإسلامية
والشرقية وإبعاد العناصر التى تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه .
وتقديم الشخصيات العربية الإسلامية والتشكيك في عظمتها وفي مقدماتها
الرسول الكريم ، ومحابته ، وإبطال الإسلام وتفكيره وأخطر محاولات
التغريب وضع البديل في مواجهة الأصل والعمل على تقديم بدائل زائفة
ذات مظهر لامع ، تحوّلها حالة من الضجيج لكل فكرة أصيلة في محاولة
لحقنها ولتحويل الرأى عنها في ظل طوايع من الاغراء والتزييف وتحت اسم
للبحث العلمى والمعارات البراقة الخادعة .

وقد بدأت حملة تغيير أصول الإسلام بالدعويين التي حمل لواءها غلام أحمد القادياني متابعاً لفكر أحمد خان ، والباب ، والبهاء ، وهي محاولة لتغيير مفاهيم الإسلام بالقضاء على فريضة الجهاد الماضية إلى يوم القيامة وتوهين الكفاح ضد النفوذ الأجنبي ، وتقريب الإسلام من المسيحية وتمسيح الإسلام بإعطائه طابع التجزئة (تولستوى وغاندى) وقد ساعد على هذا النهج كل دعاة التغريب ..

وقد كانت محاولات على عبدالرازق ، وطه حسين ، ومحمود عزمى ، ترمى إلى تغيير مفاهيم الإسلام من ناحية فاعليته في المجتمع . وقد حملت صيحة التجديد والتقدم والتحديث بمآلة الشعوبية والاستشراق والتبشير في تغريب الإسلام وتمسيحه بينما حملت دعاوى الإصلاح والسلطة واليقظة معادلة هذا التغريب والاحتفاظ بمفهومه الاصيل القائم على القرآن والسنة وإلى الاحتفاظ بالذاتية المسلمة من الانصهار في غيرها .

(٢) وهناك في هذا الإطار محاولة احتواء أبناء العرب والمسلمين النازحين إلى الغرب في البعثات الخارجية ، وقد حدث هذا في إطار ما يسمى خبراء الغرب القادمين إلى الشرق ، والذين يحملون أجهزة الرصد والمراقبة الدقيقة فنحن نستقدمهم إلى بلادنا فيعرفون جوانب ضعفنا فإذا ذهب أبنائنا فنسكروهم على النحو الذي يجعلهم أعداء لأوطانهم محتقرين لتراثهم وأخطر ما في ذلك كله أن يدرس طلاب العرب في بلاد الغرب النحو واللغة والدراسات القرآنية والشرعية . حتى قال بعض المستشرقين إن العرب في حاجة إلينا لتعليمهم لغتهم ، وهكذا أصبحنا عراة مكشوفين أمام الأعداء ، يعرفون منا ما نجهل ، وبذلك يستطيعون أن يتحكموا في مسارنا وهكذا أصبحوا قادرين على أحداث فعل معين فينا من أجل وجود رد فعل محدد منا ، لفت نظرنا إلى هذا المعنى مسلمة غربية هي (مريم جميلة) التي تقول : يختار الغرب أكثرهم شغفاً وافتاناً بالمجتمع الغربي وأكثرهم كراهية لمجتمعه الاصيل فيصطاد مثل هؤلاء الطلبة فيدججون إليها سريعاً ويختارون ثقافة العدو ويطبّقونها في حياتهم الشخصية ، ويهتم العدو

بتربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم فيهم لهم كتبنا وجرائد ومناهج الدراسة في
التكليات والجامعات بما يزيدهم كراهية واشمئزازا من ثقافتهم الاصيلية ،
وتكون سائر المواد الدراسية محرمة وموجهة إلى إحداث تطور في الطلبة
فكروا وتطورا معاكسا لمجتمعهم السابق ووطنهم لكي ينظروا إليه بروية
العدو ويقبلوا مقاييسه للخير والشر ، وتخلق مناهج الدراسة فيهم مركب
النقص والشعور بالتفوق فيما يتصل بالغرب والهدف هو إخراج رجال
تتغير أذهانهم وتنقطع صلتهم عن تراثهم وحضارتهم وبلادهم كليا وبالتالي
يصبحون عملاء العدو .

(٢)

ثانياً: التبشير

بعد فشل الحملات الصليبية على بلاد المشرق الإسلامي ، فكر الصليبيون في الغزو التبشيري عن طريق العلم والطب . واتخذوا من بيروت مركزاً لهم فافقدوا نيران الطائفية بين الدروز والنصارى في لبنان عام ١٨٦٠ ليكون مفتاحاً للتدخل الأجنبي ، وأصبحت لبنان مركزاً للدول الأجنبية يتغذون منه إلى قلب العالم الإسلامي وكانت مؤسسات التبشير سهاما مسمومة إلى السكان الإسلامي .

يقول فيلب حتى في كتابه : الإسلام والغرب : بعدما فشلت الجهود الصليبية للسيطرة على الإسلام والقضاء عليه في الحروب للصليبية قامت نزعة جديدة في الدوائر المسيحية وهي أن تنال الهدف عن طريق التبليغ ، ونشر التعاليم المسيحية وجاء الغزو العقدي مكان الغزو الحربي وهناك ظهرت الحركة التبشيرية إلى الوجود ويقول (زويمر) شيخ المبشرين : إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله ، وبالتالي لاصلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ..

وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طلائع الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ماقيم به خير قيام :

وقد مرت حركة التبشير بثلاث مراحل :

(١) القيام بالخدمات الإنسانية كالتطبيب والعناية بالأطفال المرضى ، حيث يلجأ المبشر المسيحي إلى الجانب الإسلامي لمخاطبة المسلمين ، لأنه يعلم أنه لا يستطيع مخاطبة العقل السليم .

(٢) لإنشاء المدارس التي تفتح أبوابها لتعليم أبناء المسلمين وغرسه
التعاليم النصرانية في نفوسهم .

(٣) استغلال أحوال المسلمين أنفسهم التي تستخدم غرضه في أحيائه
كثيرة .

ولقد واجه التبشير أكبر عقبة حالت دون تحقيق غايته ، وهي
تصور المسلم للنصرانية المعاصرة على أنها صورة محرفة من الوثنية الاغريقية
التي لا يمكن بها إقناع العقل الإسلامي الذي لديه أرقى تصور للحقيقة على هذه
الأرض ، لهذا فهم يعمدون إلى طريق غير طريق المنطق والجدل والتفكير ،
ويتخذون من المصالح والمنافع وتقديم الخدمات سبيلا إلى إغراء فرائسهم
وأخطر ما في التبشير : معاهدته وإرسالياته التي تقوم الدراسات فيها للمسلمين
على أساس من العلمانية والنظر إلى الأديان جميعاً نظرة واحدة وإلى الثقافات
والأمم جميعها نظرة واحدة ، والقضاء على روح الدين والوطنية ومقومات
الامة وفكرها واحتمار الثقافة الوطنية وتراثها ويتسع عمل الإرساليات
التبشيرية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في أندونيسيا وشرق الهند
وفي بلدان إفريقيا وفي مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وقد غير التبشير مخططه
في قطاعين :

أولاً : (قطاع الطول) : اختفى الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت
إلى القاع وحل محله عمل مشترك يواجه الإسلام .

ثانياً : (قطاع العرض) فقد أصبح التبشير مخفياً إلى القاع وارتفع
إلى السطح (التغريب) باسم العصرية والحضارة والتقدمية .

ثالثاً : وهو الالم : حلت محل كتب المبشرين المتعصبين دراسات
المستشرقين التي أعطيت طابع العلم في مظهرها ، واختفت تلك الكلمات
البعيضة وبدأت بالتقدير والثناء للإسلام والرسول بدلاً من الهجوم عليه ثم
انطوت على الدس الخفي وتقديم السموم القليلة المشعرة .

قال صمويل زويمر : إن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية إما صغير لم يمكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، وإما رجل مستخف بالاديان لا ينبغي غير الحصول على قوته ، وقد اشتد به الفقر ، وعزت عليه لقمة العيش وإما رجل آخر يهدف إلى غاية من الغايات الشخصية .

(٢)

ولقد اتسعت ظاهرة التبشير في العقود الأخيرة في القرن الرابع عشر الهجرى في محاولة الضغط الشديد الذى تقوم به القوى الثلاث لإزاء نقطة العالم الإسلامى وصحوته فأصبحت دعوة صريحة إلى التنصير :

وصيحة التنصير التى تتعالى اليوم في مطالع القرن الخامس عشر وتنكشف بوضوح في مناطق كثيرة تطلق على نفسها اسم :

« أنجلة العالم الإسلامى » ، أى لغرافه في سيل من الاناجيل بشتى اللغات فقد ترجم الإنجيل إلى ثلاثين ومائة لغة ، وطبعت مؤسسة فورد حوالى عشرة ملايين نسخة ، فضلا عن الطبوعات الصينية واليابانية والروسية

وقد تبين مع الأسف أن بعض أثرياء العرب يدعمون مجالات التبشير المسيحى بأموالهم من خلال الإعلانات التى تذيعها الإذاعات المشبوهة (أمثال إذاعة مونت كارلو) التى هى في حقيقتها مركز للتبشير المسيحى بكل ماتعنيه الكلمة من معنى ، ومن أجهزتها تنطلق صوت الإرساليات المسيحية غازية آفاق العالم الإسلامى بأساليب تغرى الشباب وتجذبه للاستماع ، هذا فضلا عما توفره الإرساليات التبشيرية من رجوه النشاط بواسطة أموال المسلمين المودعة في بنوك الغرب ، فضلا عما يقدم أمثال فورد أو روكفلر وغيرهم من الشخصيات المسيحية من جهود خارقة ، من خلال المؤسسات التى تم إنشاؤها في سبيل نشر التنصير عن طريق ما يقدمه من خدمات صحية واجتماعية واقتصادية ، وقد تبين بوضوح اليوم أن الإرساليات التنصيرية تنشط في أعقاب المحن الإسلامية وأنها تركز في

المناطق المضطربة والتي يلاقى أهلها المسلمون اضطهاداً وضيقاً في الرزق أمثال بنجلاديش ، وتايلاند ، والصومال ، والكاميرون ، وكنيا ، ويقدر عدد المسلمين من ضحايا الحروب بسبعة ملايين نسمة ويبدو في هذا الصدد تعاون مركب : تعاون بين الصهيونية والشيوعية والرأسمالية الغربية من جهة ، وتعاون بين أجهزة الاستشراق والتبشير ومنظمة الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمية ، ومنظمة الإسلام والغرب ، وأداة ذلك مؤلفات ونشرات يحاول من خلالها كاتبها إثبات مواكبة التعاليم النصرانية للعصر الحديث ، والنيل من الإسلام والهجوم على قيمه وتحريف الآيات القرآنية لخدمة مفاهيم مسيحية ، وقد قام المستشرقون والمتعصبون بدور كبير في تشويه تعاليم الإسلام وتحريفها ، والتقليل من قيمة الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها على البشرية وتقديمها والنيل من القرآن الكريم والحديث النبوي في شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، وقادة الدعوة الإسلامية من الصحابة والتابعين ، وتوسع دائرة هذا العمل وتمتد من فرنسا إلى إيطاليا ، إلى لبنان ، إلى استراليا إلى الهند إلى أندونيسيا .

ويقول تقرير رابطة العالم الإسلامي إن خطة الحوار الإسلامي المسيحي تعتبر من الخطط التصيرية لنشر العقيدة المسيحية وتيسير سبلها ، حيث تتجمع البروتستانتية والكاثوليكية وتوحدان جهودهما لتنفيذ خططهما المشتركة تحت شعار الحوار مع غير المسيحيين ، وأنه بدراسة نتائج المؤتمرات والندوات المشتركة منذ عام ١٩٧٠ حتى الآن يتبين أن الجانب المسيحي هو الراجح والمستفيد الوحيد من ندوات الحوار التي عقدت في كل من الرياض والفاتيكان ، وجنيف وإن حركات التصير هي التي اختارت من يمثلون الإسلام في الندوات المشتركة ؛ وهيأت في سبيل إعداد ذلك عدداً من الخبراء المتخصصين في مجال الحوار مع المسلمين وتزويدهم بمختلف أصناف الحيل والخداع لزعزعة عقيدة المشتركين فيها من المسلمين ، كذلك فإن هناك محاولة ماكرة خبيثة ترمي إلى استصدار وثيقة وإعلان دولي عن الحرية الدينية تحت سنار حماية النصارى وغيرهم من اتباع الديانات السماوية

القائمين تحت الاحتلال الشيوعي ، ومكمن الخطورة في هذا المشروع هو في مفهوم حرية ، تبديل الأديان ، أو حرية الارتداد عن الإسلام وحرية نكاح المرأة المسلمة من غير مسلم وستكون هذه الوثيقة لدى إقرارها لاسمح الله سلاحاً بأيدي القائمين على حركات التنصير لتحقيق أهدافها الصليبية في أوساط المسلمين في غفلة من انتباه ممثلي الدول الإسلامية .

كذلك فإن مخطط التنصير العالمي يرمى في مجال التعليم والثقافة إلى إنشاء رياضة الأطفال ، والمدارس العامة والفنية المتخصصة ؛ وإنشاء الجامعات

والكليات وإنشاء كوادرات مؤهلة علمياً لتولي أهم المناصب وأخطرها في البلاد امتداداً للامتيازات التي حظيت بها من قبل الاستعمار وقد نجحت العناصر غير الإسلامية والعلمانية في استغلال مناصبها في أجهزة الدول الرسمية لفرض دس مفاهيم غير إسلامية ووجهات نظر معادية للإسلام في المواد الأخرى أو إلغاء مادة الدين الإسلامي حتى في المدارس والجامعات الرسمية في البلاد الإسلامية .

كذلك يجري استخدام الفتيات الأجنبية لإغراء الشباب المسلم وتوزيع نشرات تدعو إلى الجنس الجماعي تروجها في لندن جماعة الأب ديفيد الذي يسمى نفسه رسول الحب الجديد .

هذا فضلاً عن السيطرة على وسائل الإعلام العالمية ، حيث يجري التعمق العالمي في قضايا المسلمين وتشويهها وإبراز أنها تمثل ، خطراً داهماً على البشرية علاوة على الهجوم المباشر على ديار الإسلام بإدخال فلسفات وأفكار هدامة ودعوات إلى الإباحية والانحلال خلقياً وعقائدياً ولهذه المؤسسات مجلات ونشرات دورية في معظم لغات العالم وخاصة المجلات الخاصة بالنساء والأطفال والمجلات الترفيهية وغيرها فضلاً عن الإذاعات المباشرة في غرب إفريقيا وجنوب شرق آسيا .

ثالثاً: الاستشراق

إن هدف الاستشراق الحقيقي هو تعريف الغرب بنقاط القوة في العالم الإسلامي لهدمها ، ونقاط الضعف للتوسع فيها والغاية هي توهين العلاقات بين المسلمين والسعي لكسر شوكتهم ويرى الاستشراق وصولاً إلى التغريب المبالغ في تصوير الأثر العربي أو الأوربي في الفكر الإسلامي وجعله أساساً هاماً على الرغم من أنه غير ذلك ، وخاصة الترجمة اليونانية ومحاولة الوصول إلى تصور كاذب لأثر الفكر اليوناني في الفكر الإسلامي عن طريق الفلسفات والاعتزال والنصوص وغيرها وإنكار ذاتية الفكر الإسلامي وأصالته .

وقد حاول الاستشراق خلق مذاهب داخل دائرة الإسلام توصف بالتحديد كالأحمدية والقاديانية ، تستهدف « تأويل » فريضة الجهاد وتزييف طبيعتها القائمة إلى يوم القيامة ، والقول بأنها فكرة قومية إلى أن يستقر الإسلام ، والدعوة إلى سلوك الطرق السليمة في التعامل مع المحتلين وعدم مقاومة الأجني ، وقد تبع ميرزا غلام أحمد ، أكثر من نصف مليون في الهند فضلاً عن اتباعه في إفريقيا والهدف هو إخضاع المسلمين عن طريق الاعتقاد والقضاء على أقوى دعامة على مدى تاريخ المسلمين للدفاع والمواجهة والمقاومة في وجه الغزاة .

يحاول الاستشراق وضع مفهوم للإسلام عن طريق جامعات السريون وهارفارد ، وبريستون يعتقد أن أثباتنا الذين يسافرون إلى هناك ويأخذون الدكتوراه ، وقد ساهم الدكتور طه حسين في تنمية هذا المنهج ، وفي مقدمة كراسي في هذه الجامعات لتدريس اللغة العربية والإسلام للعرب والمسلمين القادمين من الشرق ومن ذلك المؤتمرات التي تعقد سواء في الغرب أو في الشرق ، ومن ذلك مؤتمر باكرو الذي عقدته روسيا والذي أعد له واختار موضوعاته أقطاب اليهود وعلى رأسهم (راديك اليهودي الصهيوني) وقد

كتبت المجلة العسكرية التي تصدر في موسكو تعليقا على المؤتمر واصفة البيان الذي أصدره بأنه قرآن جديد للمسلمين (راجع كتاب موسكو وإسرائيل : للدكتور عمر حليق) .

* * *

من أكاذيب الاستشراق ما يرويه القس فون كسريم في كتابة تاريخ الثقافة في الشرق من أن اثنين من الفقهاء المسلمين الأوائل : الأوزاعي والشافعي قد ولدا في سوريا ولا ريب أنهما كانا على علم بكثير من قواعد القانون الروماني البيزنطي التي استمرت في صورة عادات قانونية وقد أثبت (فيتز جرال د) أن هذا القول مجرد أسطورة وتاريخيا أن مدرسة بيروت لم تكن موجودة عند الفتح الإسلامي للشام وأن الشافعي والأوزاعي لم يعرفا القانون البيزنطي .

* * *

يشهد الباحثون الذين اتصلوا بالدوائر الغربية بأن المفكر الغربي من طريق الاستشراق أو خارجه قد عجز على إصدار أحكام سليمة أو علمية أو بعيدة عن الأهواء على الإسلام وتاريخه وعقيدته ، يقول فيليب حق : لقد أقبل الأوروبي كفاعدة على دراسة الإسلام إما لتعصب المسلمين أو لخدمة المصالح الاستعمارية وكان لتعصب الغربيين القومي وحاسنهم الدينية وجهلهم بالطبق أثره الفعال أيضا وكان استمرار تداول الأساطير الغربية عن النبي وعداء النصارى لهداية توسعية منافسة وخلفية الحروب الصليبية من ذكريات مريرة للذ جانب ما يعنيه من قوة الإمبراطورية العثمانية من مخاوف مانا حال دون قيام دراسة موضوعية متحررة للإسلام .

ولقد مرت كتب الاستشراق في السنوات الأخيرة بمرحلة جديدة من حيث الأساليب لا من حيث الخطأ ، وهو اتخاذ طابع العلم ، واختفاء كلمات التعصب العنيفة والتحول إلى عبارات التقدير والثناء على الإسلام

والرسول بدلا من الهجوم ، ولكن ذلك لم يكن إلا غلطا برفا يطوى نحو الدس الخفى وتقديم السموم المنقرقة على فقرات متباعدة خلال صفحات البحث ، وبذلك تميزت كتب الاستشراق عن كتب التبشير في أنها تحاول كسب القارئ العربى والمسلم عن طريق الخداع ، ذلك أن من أبرز أهداف الاستشراق دراسة الفكر الإسلامى بروح مسبقة قائمة على أحكام قوامها سوء النية والتعصب . وقد قيل بحق : الاستشراق هو استخدام العلم فى خدمة السياسة .

(٢)

يقول هشام بوقره : إن أخطر أنواع الاستشراق : الاستشراق الجامع ، الذى تسلط على أبناء العرب المسلمين الذين يدرسون فى الغرب ، ويتصلون بالمؤسسات وخاصة من يتصلون بالمدارس التى أنشئت فى أوروبا للدراسة اللغات والثقافات الشرقية وهم يدرسون مواد محددة واضحة الدلالة :

(أولا) نظرية أرنست رينان عن العروق والأجناس مفرقة بين جنسين أحدهما آرى والثانى سامى ، الأول ضائع الحضارة ، والثانى لم يقدم شيئا فى زعمهم ويوضع فى صفه المظلومون العرب .

(ثانياً) : مما أول أن بصورة هامبتون جيب ، من تناقض بين نوعين فى الأدب العربى هم الطاقة التحليلية والسطحية والتقصير .

(ثالثاً) : ما أضاه الاستشراق اليهودى من دذارى بأن طبيعة العرب طبيعة عدوانية فىعتقد الثار من الفضائل وتحمل فكرة الاستشراق اليهودى المراكزات التى روجتها يهود دخول العرب والإسلام حيث يصدر الاستشراق الغربى من الاستعمار ويصدر الاستشراق الصهيونى من إفساد علاقة العرب والمسلمين بفلسطين .

(رابعاً) : الهجوم على اللغة العربية ، ومحاولة استئراج مقولات كاذبة عن الفكر الإسلامى جعلوا مصدراً طبيعة اللغة العربية ، ومن ذلك

القول بأن العرب عاجزون عن التقدم من خلال لغتهم ، ولذلك فإن عليهم أن يتركوها إلى العامية التي هي مصدر التقدم ، وقد روجت دعوات الاستشراق للهجات العامية وإحلال اللغتين الفرنسية ، والانجليزية محل العربية .

وفي مصر حمل لواء هذه الدعوة القس ويلسكوكس ، وفي مؤتمر قرطاج ١٩٠٧ بتونس صدر بيان « موت اللغة العربية » الذي يعلن أن الشعوب المغربية لا يمكن لها أن تحقق التقدم إلا من خلال تخليها عن اللغة العربية واعتناقها اللغة الفرنسية كوسيلة للعلم والثقافة والحضارة ، بينما يمكن للغة العربية في أفضل الحالات أن تبقى لغة العبادات والفلكلور وقد دحض دعواهم الشيخ « الخضر حسين » .

ومن ذلك دعواهم بأن اللغة العربية يختلط فيها الماضي بالمستقبل ولا توجد فيها صيغة للحاضر وهكذا انعكس البناء الذهني السامي الذي يؤكد على فكره الخلود ، وقد اطلقت دوائر الاستشراق ما سمته (الحضارة اللفظية العربية) ومن ذلك دعواهم بأن الفكر العربي فكر بياني وليس برهانياً والعربي يستهويه اللفظة أكثر مما تستهويه المعنى وهو يهتز للايقاع البياني أكثر مما يتأثر بالمحتوى الدلالي .

ولذلك لا يستطيع الغربي بشكل عام الاقتصاد في العبارة ، وهذا يؤدي إلى القول بالمعجز الفطري (ونقول أن كل هذا الدعاوى المباشرة ضد اللغة العربية باطلة ويراد بها التأثير في الفصحى لغة القرآن وعزلها عن الحياة العامة وإلا فإن لكل أمة لغتها وإن ما تقدمه علوم اللغات في الغرب يختلف مع اللغة العربية من عدة وجوه وإن هذه الدعاوى المصاغة بصورة علمية ما هي إلا أحقاد وأهواء) .

خامساً : يعتبر الإستشراق الإسلام تهديداً مباشراً لأوروبا في جميع الواجهات لذلك كان موقفه خلال القرون الثلاثة الماضية موقفاً عدائياً ولذلك

فهو يحاول إبراز عدم جدوى الحركات الإصلاحية الإسلامية أو يرى الإسلام مجرد تشويه لليهودية والمسيحية فالمستشرق ما سنيون لا يستهويه من الإسلام غير شخصية الحلاج لأنه يسمح له بإبراز فكره التجسد والتجسيم في الإسلام وإعادة به بذلك إلى المسيحية الكاثوليكية .

سادساً : ومن الموضوعات التي طرحها الاستشراق : هل الحضارة عربية إسلامية أم إسلامية أم عربية ، فالذين يقولون بالحضارة الإسلامية وهم الكثرة يريدون نزع أى فضيلة منها في العنصر العربي الذي تصبح مساهمته ناقصة على تقديم الوسيلة اللغوية أى التي كتبت بها الحضارة . أما الذين يقولون بالحضارة العربية الإسلامية فهم يريدون أن يبرروا توسع الاستعمار إلى كافة المجموعة الآسيوية التي يصبح تخلفها ليس نتيجة وضع عرقى لأن في هذه المجموعة من ليسوا الساميين إنما نتيجة وضع معرفى ناجم عن تخلف الإسلام ذاته ، أما الذين يقولون بالحضارة العربية فهم يسمون أساساً إلى إبراز التراث العربي على أنه استعمار مسلط من جنس العرب على غيرهم ماضياً وبذلك يرمون إلى قطع الطرق على أى تضامن بين الشعب العربي والشعوب الإسلامية الأخرى في أفريقيا وآسيا حاضراً .

سابعاً : يقوم على المؤسسات التبشيرية التي توزعت في البلاد العربية من عهد محمد على رجال تفرسوا بالإسلام وعرفوا جوانبه وحذقوا العلم فيه ، وقد انتشرت مهمتهم على تثبيت ولاء الإقلييات المسيحية للغرب والذين على الإسلام لإغارة الحيرة والتساؤل بين المسلمين .

ثامناً : لعبت الإرساليات العربية التي تسافر للتثقيف في الغرب دوراً كبيراً من خلال نقل المفاهيم الغربية حول القومية والحضارة والعلم إلى أنظارها ، إلا أنها كانت تمتاز بشكل عام بحسبها الوطنى وشعورها بالغيرة بالرغم من موقف الانبهار السائد لديها ، ثم بوزن المؤسسات الجامعة في العواصم العربية والمعاهد التعليمية داخل الوطن العربى .

(٣)

لا يمكن فصل الاستشراق عن التغريب [المؤسسة الأم] ولا يمكن فصل التغريب عن النفوذ الاجنبي الذي يحكم كل هذه المخططات : فإن الهدف واضح ويتمثل في ثلاث عناصر :

السيطرة الاقتصادية : سيطرة رأس المال الاجنبي والربا .

السيطرة الفكرية : عن طريق التغريب وتحويل المفاهيم والقيم .

السيطرة الاجتماعية : من خلال تدمير مقومات المجتمع المسلم عن طريق وسائل الإعلام والسينما والمسرح والغناء والمسلسلات) .

وهناك تيارات صهيونية وشيوعية ورأسمالية من وراء المخططات :

والحقيقة الواضحة أن كل المخططات (تبشيراً واستشراقاً وغزواً ثقافياً وتغريباً في جميع الجهات - غربية وشيوعية وصهيونية) تتضافر في سبيل تحقيق غاية واحدة ، وإن اختلفت المخطط والوسائل ، وأن أية دراسة دقيقة تكشف كيف تتقارب الوجودية ، والماركسية ، والفرويدية عن طريق حجاب جديدة لتتلاق على خطة ضرب الفكر الإسلامي في إصالته ووحدانيته ليضل المسلمون ويدورون في فلك ذلك الفكر البشري الذي صاغته أهواء الطامعين والطامعين وعباد الذهب والمادة ودعاة الجنس والإباحة وليعجز المسلمون عن تبليغ رسالة الله تبارك وتعالى التي أنزلها رحمة للعالمين ، عن أن يعبدوا الإسلام إلى إصالته الإسلامية التي تعصم النفس والعقل لأنها حضارة نفسية وفكرية قادرة على الثبات أمام الأعداء .

« إن المستشرقين نفر من الناس جندهم الاستعمار في ميدان العلم أداة لطمس الإسلام وتشويه حقائقه واصطناع الفتوق فيه ، وأسلوبهم الاثير أن يلبسوا الحق بالباطل وأن يمزجوا بشئ الحبل بين بعض المعارف الصحيحة والاكاذيب المقتراه في سياق يبدو لقليل الدراية أنه محايد لا ريب فيه . »

ولقد كانت فكرة الحروب الصليبية يتخلص بيت المقدس من المسلمين في حقيقة سبيل للسيطرة على الشرق الاسلامي بما فيه من خبرات اقتصادية

ومراكوز حرية ، ولقد خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية عن طريق
السيف فأرادت أن تثير على المسلمين حربا صليبية جديدة عن طريق التبشير
فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات .

وهكذا تبنت الدول الغربية حركة التبشير لمآربها السياسية ومطامعها
الاقتصادية فالباعث الحقيقي للتبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية
وكذلك هو الباعث على الاستشراق .

الخطوة : هي إثارة الشبهات .

الهدف : هو تذيب الشخصية الاسلامية .

وللمستشرقين دوافع دينية ، لأن الاستشراق بدأ بالرهبان وانبعث من
الكنيسة وفي الدول الاستعمارية يسير معها ، (بلاشير وما سنيون يعملان
في وزارة الخارجية الفرنسية) ومؤلفات المستشرقين أول ما يوضع بين
يدى طلاب الدكتوراه من العرب المسلمين ، وإن كل رسالة عن عدالة الاسلام
وتسامحه واتصافه وكشف دسائسه تمنع .

وقد أسقط اندرسون (رئيس قسم الأحوال الشخصية) أحد خريجي
الأزهر في مناقشة الدكتوراه لأن الطالب المسلم برهن على أن الاسلام أعطى
المرأة حقوقها كاملة ، وكل الذين يمررونهم هم الذين يتقلون بضاعة التغريب .

وأهم ما يهدفون إليه :

- (١) التشكيك في صحة رسالة سيدنا محمد .
- (٢) التشكيك في أن القرآن وحى من الله .
- (٣) التشكيك في الحديث النبوى .
- (٤) التشكيك في الفقه والتشريع .
- (٥) التشكيك في قدرة لغة القرآن على مسايرة التطور .
- (٦) التشكيك في التراث الإسلامى .

(•)

وإذا استعرضنا كتابات المستشرقين نجد : الغرض والمغالطة والتمصّب والتعمّل واضحاً في كل المؤلفات وخاصة كتب التاريخ الإسلامى والعربى وفى مقدمة ذلك ما كتبه (فيليب حقى) من الزعم بأن العثمانيين ليسوا من المسلمين وأن القرآن الكريم من عند محمد وهذه الكتب تدرس فى الجامعات الأمريكية واليسوعية تحت إشراف عملاء الاستشراق والتبشير وتظهر فى مجلاتهم ومؤلفاتهم ، وذلك هدف من أكبر أهدافهم : تمزيق وحدة المسلمين وبث الخلاف بينهم ومعرفة أحوال بلادهم وميولهم لضربهم من مقاتلهم .

وفى كتابات (بندلى جوزى) عن الحركات الفكرية فى الإسلام : حقد دفين وشيوعية مأكرة : تهدف إلى التشكيك فى العقيدة وإذابة الشخصية وتشويه التاريخ والتراث وكتابات (صادق العظم) ترديد لمزاعم أعداء الإسلام حول الملائكة والجن والادعاء بأنها كانت أسطورية وإن الإسلام نقيض العلم ، وإن قصة خلق آدم وحواء فى القرآن أسطورة وفى مجال الترجمة من كتابات المستشرقين إلى اللغة العربية الأصرار على ترجمة ما يشير الشبهات : التشكيك فى مصادر العربية الأولى ، الادعاء ببشرية القرآن ، الشك قمية الحديث العلمية وإنكار مكانة السنة فى الإسلام ، الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل والقضاء على قوامة الرجل ، الادعاء بأن الفقه الإسلامى مقتبس من القانون الرومانى ، الدعوة إلى أحياء الحضارات السابقة على الاسلام ، وتمجيد العصر الفرعونى والتغنى بحضارته ، الدعوة إلى العامية والتأليف فيها ، واقتباس الحروف اللاتينية ، كتابة التراث بصورة محرفة ، وتفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً مادياً وماركسياً ، ومن نماذج كتابات السيرة كتاب (حياة الرسول) لمؤلفه (ر . ف . بودلى) ترجمة السحار ومحمد فرج يرمى إلى التشكيك فى أن القرآن من عند الله ، وأن معظم ما عرفه الرسول كان من التوراة والإنجيل فى محاوراته مع ورقة بن نوفل والزعم بأن الراهب بحيرا أثر فيه فى طفولته وأن العقائد والأديان تشابك فى سوق عكاظ وهذا كله زيف ونهاى ودعوى باطلة وبذهب بودلى أن هناك رحلات للرسول إلى

الشام ، مع أنه لا توجد إلا رحلة واحدة وهو ابن لعاشره ورحلته وهو بعد العشرين ولكنها محاولات التشكيك وإثارة الشبهات .

وفي مجال التفسير : هناك محاولات جولدزير المتهافته في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامى) وتعسفه في إثبات المذهبية للمجدين ، وقد رد على هذا الأستاذ محمد إبراهيم الشريف في رسالة عن اتجاهات التمدن في تفسير القرآن فقال بأن المستشرق يرون أن مفهوم التجديد التفسيري عندهم هو التحصير والتطوير بإبعاده عن أصله أو بهدمه من أساسه وعليه فلم تستحق عندهم لقب التجديد إلا محاولات الهدم والانحراف عن الحق ، أما ما سوى هذا من أصيل التجديد المرتبط بالكتاب والسنة فهو في نظرهم رجعية وسبب تختلف المسلمين لارتباطه بالماضى .

وهناك أخطاء كثيرة لجومية الفرنسى في دراسته لتفسيرى المنار والجواهر وجون بالجون الانجليزى في دراسة من التفسير القرآنى في العصر الحديث .

ومن كتابات المستشرق الموهلة في الخطأ ما كتبه هارمن ، في كتابه عقائد الإسلام فهو يحاول الادعاء بالباطل بأن لغة القرآن ليست إلا شيئاً عادياً فلغة القرآن -- كما يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق -- لها خصوصية التفرد وقد عجزت العرب عن محاكاة لغة القرآن كما هجروا عن قبول التحدى الذى مازل قائماً وسيظل قائماً إلى أن تقوم الساعة ، وتميز لغة القرآن الى أعجزهم تحديها بنظمها وخصائصها لأنها تبين كل ما نظمته العرب .

(٥)

أهم مصادر التبشير والاستشراق :

(أولاً) : لإسرائيليات ابن سبأ .

(ثانياً) : كتابات الزنادقة فى الادب .

(ثالثاً) : مفاهيم دعاة الحلول ووحدية الوجود .

- (رابعاً) الإقليمية والدعوة إلى عالم عربي وعالم الإسلامى .
- (خامساً) : دعوات القاديانية والبهائية فى إسقاط الجهاد ودين واحد .
- (سادساً) : تحريف النصوص بإسقاط رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز .
- (سابعاً) : التأويل فى التفسير بما يبرر الواقع أو يتخذ من أصل دينى سلاحاً لتأييد مذهب أو إيدولوجية حديثة .
- (ثامناً) : محاولة إسقاط الفرائض بالدعوة إلى الفكر الباطنى .
- (تاسعاً) : إشاعة الأسلوب التوراتى واللبنانى الغربى .
- (عاشرأ) : معاونة الشعر الحر والدعوة إلى اللغة الوسطى فى النشر والعامية والحروف اللاتينية .
- (حادى عشر) : هدم التراث بإبراز السىء منه أو إعادة كتابته على نحو خبيث .
- (ثانى عشر) : إعلاء بطولات زائفة كالخللاج وابن عربى وبشار وأبو نواس وتنكيس المتنئى والغزالى وابن خلدون .
- (ثالث عشر) : إذاعة المفاهيم المادية والعلمانية والإباحية .
- (رابع عشر) : تشويه التاريخ الإسلامى وفرض التفسير المادى عليه .
- (خامس عشر) : التشكيك فى العقيدة الإسلامية ومحاولة الادعاء بأن الأديان كلها موحدة . وإنكار تميز الإسلام بالتوحيد الخالص .

(٦)

تتمثل مؤامرات الاستشراق فى غخططات ما كرهة تستهدف جميعها هدم المفاهيم الإسلامية الصحيحة وتقديم مفاهيم باطلة وضالة وليست من الإسلام أساساً .

(أولاً) في مجال الشريعة الإسلامية : يتابع جوزيف شاخت (أستاذه جولدزهر) في انتقاص الشريعة الإسلامية ويقول إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يبحث في إبدال القانون العرفي للعرب بل بحث في كشف يجعل للرجال يسلكون فيما يختارون حساب اليوم الآخر ، ويرى شاخت أن الرسول هو الذي يقرر ما يبق وما يلقى أو يعدل من الأعراف والتقاليد والعادات التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي ويعتبر الإسلام من وضع محمد وقد غفل شاخت كما يقول دكتور أحمد على المجذوب ومن نقل منه (مورد يدجر) عن الطبيعة الخاصة للقاعدة الشرعية الإسلامية فاعتقدوا أنهم قد وقعوا على ثغرة في البناء التشريعي الإسلامي أو أنهم اكتشفوا عورة فيه فبادروا إلى فضحها وإشهارها ولم يفتن هؤلاء إلى الاختلاف بين القوانين الوضعية والتشريع الإلهي فبينما ينتهي الأمر بالنسبة للمذنب يتوقع العقاب طبقاً للقوانين الوضعية فإن الأمر لا يعتبر منتهاً بالنسبة لمن يرتكب معصية نهى عنها الله ورسوله والاختلاف بين طبيعة المعصية في التشريع الإلهي وفي القوانين الوضعية هو السمة المميزة للقواعد الشرعية الإلهية وفي الإسلام صورة الله تبارك وتعالى تختلف عن صورته عند اليهود ، جاء الإسلام لتصحيح الصورة ويعرف الإنسان بالصفات الحقيقية لله الواحد الأحد (التواب الرحمن الغفور الشكور) الذي لا يتحاز لفريق من خلقه دون فريق والذي ليس معاقباً دائماً أو منتقماً أبداً وتتميز شريعة الله عن قانون البشر بالعدالة المطلقة والرحمة الشاملة وتنسم بالتوازن التسام بين الحقوق والواجبات وبين النتائج في حالتي الطاعة والمعصية .

(ثانياً) خطأ ما ادعاه مورد بيرجر نقلاً عن د شاخت ، من أن الإسلام الأول اعتمد على القانون العرفي للعرب في اهتمامه الأساسي بقواعد الأخلاق ، وهذا كذب محض لأن القانون العرفي للعرب نفخته تماماً القواعد الأخلاقية الإسلامية ولم تقر منه إلا ما وجدته سليماً غير متعارض مع الفضائل والأخلاق الإسلامية ، فما اتفق من أعراف العرب مع غاية

الإسلام) أمام مجتمع متسق في نظمته وأحواله وأخلاقه وسلوكه (أبقى عليه وما يتأخر معه منها استبعده وألغاه واستبدله بغيره . وهكذا فعل بواد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل لحم الخنزير والزنا والبغاء والربا وزواج الابن من زوجة أبيه والعصبية الجاهلية عموماً والظلم والبغى والامم وألغى ما كان من شأنه الإساءة إلى المرأة بما كان سائداً في الجاهلية وأزال كل صور التمييز بين الإنسان وأخيه فجعل الناس سواسية .

(ثالثاً) خطأ ما إدعاه من أن القانون الإسلامى تطور نتيجة ارتباطه بالتجربة بل لمثل أعلى دينى مضاد للتجربة وهذا كلام غريب فالقانون الإسلامى هو تعبير لمثل أعلى دينى إلا أنه ليس مضاداً للتجربة كما زعم شاخت بل العكس هو الصحيح فهو نتاج التجربة ، فالقانون الإلهى يتناول أموراً أثبتت كل التجارب التى مرت بها البشرية في مختلف عصورها ضرورة التصدى لها بالقاعدة القانونية ، وقد أشار القانون إلى أن القواعد القانونية لم تفرض لمجرد دفع الإنسان إلى الاقتراب من المثل الأعلى الدينى . ومن عوامل اضمحلال الأمم فى الماضى والحاضر عدم التزامها بالقواعد القانونية الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بحفظ العرض والحياة والمال والعقل بما أدى إلى شيوع الفساد وتفشى الرزيلة واضطراب الأحوال .

أما فيما يقول من وجود ثغرة بين الوصايا الأخلاقية والقاعدة الشرعية فإنه قول مغلوط ، فليس فى الإسلام وصايا أخلاقية وإنما فيه التزامات تقع على عاتق المسلم ، فالإسلام لم يقتصر على الإيضاء : لأذن ، لا تقتل ، لا تسرق ، ولكنه قرر أحكاماً للزنى والسارق :

ثانياً : كانت الضربة القاصمة التى وجهت للمسلمين هى دعوى العلمانية التى أراد بها أن يعزل الإسلام عن كل ما يدور داخل المجتمعات الإسلامية ، أن جعلها أكثر استعداداً لتقبل الاستغلال الاقتصادى وأكثر طواعية للتبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية للقوى الاستعمارية ، وبعد التحرر من السيطرة الاستعمارية وقعت دول العالم الإسلامى فى فخ التبعية الثقافية

والفكرية نتيجة للنظريات الوافدة وما أحدثته من مظاهر القلق والاضطراب بين الشباب وقد كان الجيل الذي تلقى ثقافته في الدول الأجنبية يرى أن الأسلوب الوحيد للتقدم هو اتباع الطريق الذي سلكته تلك الدول سواء أكان رأسمالياً غريباً أم شيوعياً شرقياً ، أما المناهج الإسلامية التي تدرس بالمعاهد والكتليات فقد كانت طاجرة عن أن تقدم عقيدة الإسلام بمفهومه الجامع كمنهج حياة ونظام مجتمعي ، وبذلك قصرت عن توجيه الداعية الإسلامي العصري القادر على إقناع جماهير المنتفعين الذين جذبتهم أضواء الغرب .

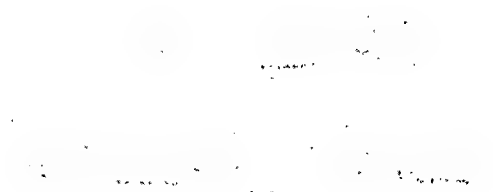
ثالثاً : افتراءات المستشرقين ضد الوحي المحمدي وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم واجه : الفكر الإسلامي هذه الشبهات وكشف زيفها في رسائل عديدة كتبها الباحثون المسلمون لإيماننا منهم بأن التصدي للمستشرقين وكشف مقاصدهم فريضة أساسية في هذا العصر لأنها معركة بين الحق والباطل ومن سنة الله في هذه المعارك أن الحق هو الذي ينتصر .

تقول الدكتوروة ليلي زكي قطب : لم يكن الوحي المحمدي خروجاً على المألوف الذي تعرض له الأنبياء السابقون في هذا المجال فلا محل إذن للتعجب والادعاء بأن الوحي المحمدي ليس وحياً من السماء وإن ما جاء في القرآن الكريم من تشريعات وثروة علمية قد استمدها الرسول من الأديان السابقة ولم يدر هؤلاء أن الرسول قد وضع جميع ماسبق من الأديان في قصص الاتهام بسبب ما طرق لها من تحريف فإن لم يكن مؤيداً من الله بالوحي لما استطاع أن يغير المفاهيم وإن يقوض هرش الجبابرة وإن يأتي بما لم تأتي بمثله الأنبياء المرسلون ، ولقد كان الوحي المحمدي أكمل دعوة قام بها رسول ، أنه يحمل آخر كلمة من الله إلى الناس ، فالوحي المحمدي رحمة عامة للناس كلهم ، وهو بذلك يختلف عن الوحي في اليهودية أو الوحي في المسيحية ، فالوحي في كل منها مقصور على بني إسرائيل فلم يكن هذا الوحي متوجهاً لتغير اليهودي ولم يكن لهدى النبين الذين نزل عليهم

الوحي شأن بهداية أحد من الناس غير شعبيهما الذي بعثا إليه فالتوراة كلها خاصة ببنى إسرائيل ليس فيها شيء لأحد من الناس ، إنه تشريع مفصل عليهم ، وهو دواء لا يصلح لغيرهم من البشر ، فإذا رجعنا إلى الإنجيل فجميع وصاياه لبنى إسرائيل ومعجزات عيسى كلها لبنى إسرائيل ولكن بنى إسرائيل حرفوا التوراة ، أما المسيحية فهي دين القلب الإنساني ولهذا تجد دعوة المسيح خالية من المراسم والطقوس .

فالمسلمون لا يطلبون من أهل الكتاب إلا أن يتحدوا معهم في عبادة الله وحده فلا يشركون معه أحداً من خلقه وينزهونه عن الزوجة والولد وعن التركيب والتبعض والحلول والاتحاد ، وكان من حكم الشريعة الإسلامية أن عبرت عن الله بكلمة الذات التي لا تعطى مدلولاً تجسدياً ولا تجريدياً وإن كانت تدل على وجود معنى لا تدركه العقول ولا تحيط به الأفهام ووحداية الذات وأحديتها من الأمور التي جاءت دعوة الإسلام لتقريبها وترسيخ أسسها في العقول والقلوب بالأدلة القاطعة والحجج الدامعة ، ونزه الإسلام رب العالمين عن الشركاء والانداد وأثبت له صفات الجلال والجلال والسكال بما يجعله واحداً في ذاته وصفاته .

الباب الثاني
أصول الإسلام



الاسلام : المنهج الرباني الجامع

تختلف الإسلام عن الأديان ، وعن المناهج والإيدولوجيات في أنه المنهج الرباني الجامع القادر على الشبكات في وجه متغيرات البيئات والأزمنة ، مع الالتقاء معها ، هذا التميز يرجع إلى الفارق العميق بين الإيدولوجيات التي هي من صنع العقل البشري ، لزمن معين وعصر معين وبين المنهج الرباني القادر على معاشته مختلف العصور والبيئات دون أن ينال منه التغيير ، لأنه يقوم على الفطرة الإنسانية ويكمل في أطرها واسعة مرنة تترك للناس الحرية في تشكيل تطبيقاتها في الصورة العصرية دون الخروج على حدود الله وضوابط المجتمع التي قررتها الشريعة لحماية الإنسان وحماية المجتمعات من الانهيار والتحلل . إن هدف الإسلام الأساسي هو إيجاد العلاقة الصحيحة بين الله تعالى والإله المالك الحاكم ، وبين الإنسان بصفته إنساناً ، والإيمان إنما يمثل التزام الإنسان بنجاء الله تبارك وتعالى : الالتزام بالتفكير والمثابرة والحياة على طريق الله والالتزام بأن تحرك إرادة الإنسان داخل الإرادة الإلهية والعمل على جعل كلمة الله هي العليا . وفي الإسلام يلتقي الوحي والعقل لأول مرة والدين من شأنه أن يحرك التاريخ ويحل تناقضات الشعوب وهو المنبع الوحيد للقيم والحضارات والإنسانية : من شأنه أن يرسى التوازن بين النفس والجسم يقدر حامى طاقة البشر وطبيعة الحياة .

الإسلام هو المنهج الرباني الجامع بين العقل ، والقلب ، والدين والدنيا ، والروح والمادة ، فقد تكامل الإسلام في أحكام الاعتقاد والعمل والأخلاق . والإسلام يشمل في معناه مآلتيه في الغرب كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحي مجتمعين ، وتعاليم الإسلام تضم بالإضافة إلى المعتقدات والعبادات تشريعاً يمكن أن يسمى بلغة العرب : الحقوق المدنية والحقوق الجنائية وحتى الحقوق الدستورية (كما يقول برنارولويس ، فكلهم مسلم مؤمن يعتقد أن هذه التشريعات الإسلامية جاءت من النبع نفسه ولها سلطة وقوة التشريعات الاعتقادية والعبادية نفسها .

وقد جاء الإسلام خلاصة ميراث الأنبياء وما أعطيت للبشرية عن طريق الوحي والرسول والنبوات من فكر وهدى وعلم ونور ، وهو الميراث الحقيقي الذي يعترف به الإنسان المؤمن وقد تبلور جميعه في رسالة محمد بن عبد الله ، في القرآن الكريم والحديث النبوي (وآتيناك الكتاب والحكمة) وقد جاءت رسالة الاسلام للعالمين ليظهره على الدين كله وجاء القرآن مهيئاً على كل الكتب السابقة له بعد أن جاء مصداقاً لما بين يديه منها والاسلام عن طريق القرآن يقدم للبشرية الرؤية الشاملة للتاريخ وموازن القوى - على حد تعبير الدكتور بنت الشاطي . عنه فهو يستقطب العوامل المختلفة في تفاعل مؤثر ، كل لها مكانة دون تفرقة ، ومن مجموعها تتكون الصورة : عوامل سياسية واقتصادية وثقافية .

وقد صهر الاسلام في وحدته للشاملة أما مختلفة في أصولها وسلالاتها ، مختلفة العقائد والملل ، متفاوتة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، متباينة الثقافات والعقليات والالسنه ، من بلاد فارس وما وراء النهر إلى أقصى المغرب على حافة بحر الظلمات ، جمع الفارسي والعراقي والبدوي والبيئي والشامي والمصري والمغربي أمة واحدة وانصهر ميراث الحضارات العريقة لشعوب المنطقة في البوتقة الواحدة والتقى المجوس والصابئة والوثنيون وطوائف الملل الدينية على دين واحد ، وتعربت الشعوب من العجم والفينيقيين وأبناء الفراعنة والبربر لأنها أسلمت والعربية لغة القرآن ، كتاب عقيدتها الواحدة ولواء وجودها المشترك فالحضارة الاسلامية عربية اللسان والقيم ، اسلامية الجوهر والروح والنهج ، شاركت فيها شعوب الامة من أقصى المشرق الآسيوي إلى المغرب الافريقي ، والقرآن دليل هذه الحضارة الاسلامية للرائدة ومنارها ولوائها ، وعلى نور هداه صدت غزوات الصليبين وهجمات التتار ، وظل القرآن يتلى في الدور والأكواخ والمساجد والزوايا وينفذ إلى أعماق القرى ونأتى النجوع متفرداً بالسيطرة الكاملة على ضمير الجماهير من أبناء الامة ، وظل القرآن ينسخ إيمانهم بمدد سخي من الوعي ويمزق عن بصيرتهم حجب الجهل وعشاوة العمى وغطاء الغفلة وبلع على عقولهم

وقلوبهم بكلمات الله في أمة الإنسان وكرامة الأدميين ، فكيف يمكن أن نفهم تاريخنا أو نفسره بمغزل عن هذا القرآن ، بسلطانه الفذ على ضمير الجماهير ووعيمهم وهم يتمردون على أغلال الاستعباد ويرجمون صروح الطغيان وهذا ما لم يخطئه أعدائنا ، لم يعرف التاريخ هدفا شدت إليه أبصار أعدائنا مثل هذا القرآن ، تسقط كل الأهداف ما لم يبق القرآن حارساً لضمير الأمة ساهراً على أمنها بالحق والخير ولواء يجمع شعوبها من مشرق ومغرب .

عرف الاسلام بالوسطية ، فقد انحرفت اليهودية إلى الفردية الطاغية والمادية المسرفة ثم جاءت المسيحية فانحرفت إلى الروحية الظالمة وإلى النفرة من هذه الدنيا لجاء الاسلام وسطاً جعل الفرد متكاملًا مع المجتمع وجعل المجتمع متفاعلاً مع الفرد وأقام التوازن بين الروح والجسد والعقل والقلب وأقام التكامل بين الدنيا والآخرة وفي الإسلام (الله تبارك وتعالى) هو رب العالمين ورب الناس كافة . (اليهود والمسيحيين والمشركيين والكفار والوثنيين وآكلى لحوم البشر) يشملهم جميعاً برعايته ويفتح لهم أبواب الهداية (أى التقدم والتحرر) ويقرر الاسلام إن الانسانية كلها أمة واحدة وإن الناس جميعاً أسرة واحدة يدعون إلى دين واحد ، وإن مصير الانسان بين يديه لا تقيدته إلا سنن السكون وقوانينه التي أن اهتدى إليها أدار السكون وانتفع به . وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإن الغاية من الشريعة الإسلامية تحقيق مصالح الناس ودرء المفسدات حيث توجد مصلحة الناس فثم شرع الله والمسلمون مأمورون رجالاً ونساء بطلب العلم من المهد إلى اللحد ، ومعاملات الناس ومعيارها العدل والإحسان ، وليس الاسلام حركة اجتماعية سياسية فحسب ، قاصرة على مسألة الفقر والعقر ، وإنما جاء الاسلام منهجاً كاملاً للفكر والحياة والمجتمع ، والتفسير المادى لا يصلح في فهم الإسلام .

وهناك مناهج ثلاث لا تمثل الإسلام : منهج العلم المادى ومنهج الفلسفة ومنهج التصوف ، أنها روافد للنهر الكبير الذى هو الفكر الاسلامى

الجامع وإن هذه الروايات لا تستطيع أن تصبح مناهج مستقلة وتنفصل عن النهر الكبير لأنها إذا انفصلت تموت ومن قبل استقلت المعتزلة واستعلى التصوف ولكن أحدهما لم يستطيع أن يمثل الاسلام .

وإن إيمان المسلم يقوم على أساس أن ارتفاع الانسان وهبوطه ، منوطان بالتكليف وقوامه حرية الارادة والتبعية والالتزام الاخلاقي فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليفة . والاسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ولا يحاسب أحدا بذنب أبه أو أبيه (ولا تزرى وازرة وزر أخرى) والاسلام لا يناقض العقل ، وإن العقل يحتم الايمان .

١ - التوحيد

تتردد على ألسنة وأقلام الكتاب عبارة غامضة هي قولهم إن التوحيد يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات والديانات القديمة قال به المصريون القدماء وقال به الآشوريون والبابليون ، والفرس والهنود والصين واليونان على اختلاف في عدد الإله ومكانها ، واختلاف في تصور الإله بعضهم عن بعض أو صلتهم بالشر (عبارة إبراهيم بيوى مذكور) ونقول ، ولكن التوحيد الخالص لم يعرفه إلا الاسلام الذي أنكر جميع أنواع الشرك والتعدد ولم يجعل بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان حائلاً أو وسيطاً :

« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ،

يقول برناردشوفى قصة (الزنجية تبحث عن الله) : إن محمداً خطا خطوة كبيرة إلى الامام عندما أدخل ديانة التوحيد محل عبادة الاصنام ودعا إلى إعادة النظر فيما أحاط الأديان السابقة من الشوائب وإلى التعرف على الجوهر الصحيح فيها ، إن الوصية الثانية من وصايا الله المذكورة في التوراة تقول :

لا تصنع تمثيلاً منحوتاً ولا صورة من الصور ، ولا تسجد لها
ولا تعبدوها :

هذه الوصية تجد احتراماً من المسلمين أكثر مما تجد من المسيحيين ، .

ولاريب أن مفهوم التوحيد الذى يقدمه الإسلام والتى مانزال نتطلع
إليه فى العصر الحديث ، وهو المفهوم القرآنى الخالص على نحو ما يعرف
فى الصدر الاول من المؤمنين بالإسلام بعيداً عن الخوض فى النظريات
الفلسفية والأساليب المنطقية التى درج عليها المتكلمون وبعيداً عن المصطلحات
الفلسفية المعقدة والكلمات الفنية الجامدة التى تسكد الذهن وتتعبد العقل
واستقاء الحقيقة من النبع الصافى الذى لا لبس فيه ولا غموض .

(٢) جاء الإسلام بالتوحيد الخالص : توحيد الألوهية وكان توحيد
الربوبية معروفاً عند العرب قبل الإسلام فى الجاهلية كالايمان بالله تبارك
وتعالى سخالفاً ورازقاً وكان مفرق الطريق بين الشرك والتوحيد هو توحيد
الألوهية الذى لم يقر به المشركون فى الجاهلية حين أخذوا يوجهون عبادتهم
إلى الأصنام فلم يفهمهم إيمانهم بتوحيد الربوبية وبقي كثير منهم على الشرك
ومات عليه .

فالتوحيد الخالص ينفى أولاً أن يكون لله تبارك وتعالى شركاء ينازعونه
الألوهية أو يستحقون معه العبادة أو الحب أو الولام أو الدعاء ولقد رفض الإسلام
الوسائل الخشبية والحجرية ففى لا يرجى بها الخير أو يدفع بها الشر، ودعا الناس إلى
إسلام الوجه لله ، بأن يقصد الناس ربهم مباشرة وإن كل ما عدا الله فهو فقير إلى
الله وكل ما عدا الله فهو ناقص مقهور ، وما عدا الله فهو عبد وإن الله تبارك وتعالى
واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ومن هنا فإن على المسلم
أن يتحرر من عبادة ماسوى الله ولقد كانت فكرة التوحيد الخالص هى أقصى
ما واجه المشركون الذين ما كانوا يريدون أن يعرفوا بمقتضى الوحدانية وهو
أن يكون الحكيم الله وحده فى حياتهم وشؤونهم وأن يتلقوا عنه وحده الخلاص

والحرام وأن يكون إليه وحده مرد أمرهم كله في الدنيا والآخرة وأنه يتحاكموا في كل شيء إلى شريعته وحده .

(٣) تختلف التوحيد الذي جاء به الاسلام عن التوحيد الذي عرفته الثقافات القديمة سواء من المصريين القدماء أو الاشوريين أو البابليين أو العرب أو الهنود واليونان ، وأبرز وجوه الاختلاف : الاختلاف في تصور الفارق بين الالهة التي يعبدونها وبين الله تبارك وتعالى فالخلق تبارك وتعالى في الاسلام وحده ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فهو لا يلبس البشرية ولا شيئاً من الخلائق ، وكذلك فإن البشرية لا تلبسه لا في وحدة ولا حول ولا اتحاد ولا فيض ولا انبثاق ولا بأي صورة من الصور لا في الواقع ولا في التصور فهو سبحانه وتعالى لا يقاس بصورة إنسانية ولا يؤله بشرأ يرفعه إلى مقامه ، ولا باسم تعدد في الطبيعة (لا هوية وناسوتية) ولا بأي صورة أو صفة . إن الله تبارك وتعالى هو أول الأمر ونهايته ، وهو مطلق الحركة في عالم الالكون والحياة وكل شيء يتصل به اتصال العبودية فالله هو الرب والانسان هو العبد والصلة بينهما صلة وجود فالله هو الخالق والانسان هو المخوق وهي صلة ارتباط دائم : من الانسان الدعاء ومن الله الاستجابة ومن الانسان التقوى والشكر ومن الله الرحمة والعدل . إن سبيلنا الحق للتعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته ليس علم (أصول الكلام) في نزوعه إلى الفلسفة والاصطلاحات العلمية المعقدة التي تشتت للذهن وتفرق القلب ، ولا ذوق أصحاب الوجد في انقطاعه عن منهج العلم ، وإنما سبيلنا هو العلم الصحيح الثابت عن الكتاب والسنة والموصل إلى العمل الذي تتحرك به الجوارح منفعة يوجدان قد علم عن ذات وبه وصفاته ما حركه بالحسبة والرغبة والحب وكمال الخضوع والذل . والتوحيد أن يكون العبد يريد الله بحركاته كلها وأعماله كلها لا يريد بها إلا الله وأن يكون بعقله وقلبه ونفسه قاصداً إلى الله بجميع أمره ، لا يحب مدح إنسان ولا تنانه ولا يفرح بعمله ، إذا اطلع عليه المظلمون وإذا اتى عليه أحد حمد الله على ستره عليه (حسن البناء) .

(٤) أن من أبرز الحقائق أن التوحيد ليس وليد التطور العقلي ، فقد دأب الباحثون على تصور نشأة العقيدة بأن التوحيد هو آخر مراحل تطور الألوهية . وهم يظنون أن العقل البشرى ظل يترقى حتى وصل من تعدد الاله وعبادة قوى الطبيعة إلى مرحلة التوحيد ويرى البعض أن (اختانون) هو أول داعية للتوحيد ومن خطأ الاعتقاد أن العقيدة بدأت بعبادة قوى الطبيعة بالرمز عليها في صورة تماثيل أو انصاب وانتهت إلى وحدة استانون البشرية والحقيقة إن البشرية بدأت موحدة ثم انحرفت عن الطريق السوى ، وإن الذين يقولون (ثم جاءت الأديان بالتوحيد) يقصدون اليهودية والمسيحية ، هم غير عالمين بحقيقته الأمر في رسالات السماء . ومنهم من يقول هذا من الدارسين للإسلام والتوحيد جاء مع آدم وجاء مع نوح .

(٥) يؤكد القرآن الكريم على أن زمام أمور الكون بجميع أجزائه بيد وب واحد يسير هذا الكون طبقاً لقوانين وتواميس معينة وهذا ما تدعو إليه الفطرة أيضاً والوجود المستقل الوحيد في هذا الكون هو وجود رب العالمين الذي لا يحتاج في وجوده إلى شيء خارج ذاته وكل الأشياء محتاجة إليه وهو المصدر الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه والركون عنده بكل مافي الكلمة من معنى ، وإن الحق تبارك وتعالى هو الذي تفرد بعلم الغيب وقد وهب الله الانسان قدرة محدودة تمسكه من أن يكتشف جزء يسيراً من قوانين هذا الكون ، ومن الخطأ أن يلجأ الانسان إلى القوانين المحدودة التي أعانته على اكتشافها فيركن إليها ويعتبرها أساساً مستقلاً لمسيرة هذا الكون ، وأن يعرف أو يغفل من المصدر الاساسي الذي يتحكم في هذا الكون وعلى الانسان أن يفهم وجوده كجزء من هذا الكون تتحكم فيه القوانين والعلل التي تسير هذا الوجود فعليه أن يركن ويلجأ إلى من بيده زمام هذه القوانين ، هذا الايمان من شأنه أن يهب الانسان الثقة والعبر والعزيمة والاحساس بالارتباط بقوة جباره لا تقف ولا تقهر .

٢ - الوثنية

لقد بدأت البشرية موحدة لله تبارك وتعالى ثم جاءت وساوس للفكر البشرى فجالت الناس عن التوحيد إلى الوثنية ، ومازالت البشرية في صراع مع الوثنية خلال رسالات الأديان لم يتوقف . وتتلخص الوثنية في عبادة المحسوس المشخص - كما يقول الدكتور محمد البهي - وعبادته تنطوي على تعدد المعبود ، وقد عبدت الجماعات الوثنية ما في الطبيعة من أنهار وجبال وأفلال وكواكب ، وقد حطم الإسلام الوثنية ، وهاجم تعدد الآلهة ودعا إلى عبادة الله جل جلاله الواحد ، بل إن الإسلام هاجم الشرك الذي وقع فيه أهل الجزيرة العربية حين قالوا أزياء الأصنام [. ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى] ، وبذلك دعا الإسلام إلى التوحيد الخالص ، المبرأ من كل شرك أو شبهة ، وهذا هو الفارق العميق بين وثنية العرب وبين وثنية اليونان التي تعددت منها الآلهة فلاحصاد إله ولتربيع إله وللحرب إله ، وقد عنى الإسلام بتقديس تصور كامل للحق تبارك وتعالى ولعالم الغيب والآخرة ، ورسم حقيقة الصلة بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان ، وهي صلة مفتوحة تلقائية لا تحتاج إلى واسطة أو وسيط ، جاء الإسلام بما يعد تصحيحا لجميع أنواع الاختلاف والاضطراب الذي وقعت في الديانات المحرفة والفلسفات المضطربة ، وما يعد رداً على جميع الأخطاء التي وقعت فيها تلك الديانات والفلسفات وبذلك قطع الإسلام الامتداد الفكري والثقافي والعقائدي بين ما قبل الإسلام وما بعده عن العرب وعن المسلمين في كل مكان وقطع امتداد الوثنية في العالم كله ، وفي هذا يقول أحد الباحثين الأجانب لقد أحدث الإسلام رقياً عظيماً في تدرج العاطفة الدينية فأطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد وبين أيدي الكهنة من ذوى الأديان المختلفة فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة وهكذا خلص الإسلام الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى .

ولقد أثبتت وثائق التاريخ أن أول من غير دين اسماعيل (عمرو بن لحي) الذي كان أول من بحر البحيرة وسبب السائبة وحى الحامى ، [وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمر بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار وكان أول من سبب السوائب .

٣ - وحدة الدين

د تعنى وحدة الدين أن دين الله واحد فى مصدره ، وأن الأديان السماوية حلقات متصلة تسلم كلها إلى الدين الخاتم : [الاسلام] وقد أوصى الله تبارك وتعالى كل نبي أن يؤمن بالدين الخاتم وقد جاء الإسلام متمماً لدين إبراهيم ومرتبطاً به ، وجاء الإسلام ليظهره الله على الدين كله ، كما جاء القرآن مهيئاً على كل من سبقه من كتب السماء ، التى كانت كلها فى الأصل على طريق واحد إلى الغاية وإن الكمال الهائى فى التشريع قد تم فى القرآن وقد جاءت الرسالات للأمم أما الاسلام فجاء للإنسانية كلها وثبتت عالميته منذ اليوم الأول والقرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

ولقد جاء الإنجيل بتعديل بعض احكام التوراة إذ أعلن عيسى عليه السلام إنه جاء ليحل لى إسرائيل بعض الذى حرم عليهم ، وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة ، إذ أعلن أن محمداً صلى الله عليه وسلم جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، ولم يكن ذلك من المتأخر تفضاً للمتقدم ، وإنما كان وقوفاً عند الوقت المناسب ، مثل ذلك مثل ثلاثة من الاطباء جاء أحدهم إلى الطفل فى الطور الأول من حياته وقرر غذائه على اللبن وجاء الثانى مقرر له طعاماً نشويماً خفيفاً وجاء الطبيب الثالث فى المرحلة التى بعدها فإذا ن له بغذاء قوى ، وعلاقة الاسلام بالديانات السماوية فى صورتها الأولى علاقة تصديق وتأيد كلى وإن علاقته بها فى صورتها المتطورة علاقة

تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والاضافات . ومن الخطأ القول بأن البشرية قد انتقلت من إله إلى إله حتى اهتدت التي التوحيد بعد وقت تجاوز آلاف السنين . لقد نسي هؤلاء إن آدم عليه السلام هو والد البشرية الأولى كان موحداً ثم مضت الأعوام فانكست الطبائع لدى من خلفه فألهوا المخلوقات من أصنام وحيوان وإنسان . وجاء الأنبياء ليردوا البشرية إلى دين الفطرة كل رسول جاء بعد جاهلية قاسية لينخرج الناس من الظلمات إلى النور ، إن جوهر الدعوة الربانية على السنة الرسل متفق غير مختلف متوحد الهدف ، ما جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد يصدر من مشكاة واحد [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أنزلنا إليك] والتقدم الاجتماعى يقتضى تغييراً فى بعض الأحكام الفرعية للعبادات والمعاملات . أما أصول العقيدة من لدن آدم إلى محمد فثابتة على سنن الفطرة قائمة على منطق العقل لا تغيير ولا تبديل ، وكان القرآن آخر الرسائل ينهض بحاجات البشرية جميعاً ، إذ ورث الإسلام خبرات الأجيال . أن النصرانية قد قطعت بها كتب السماء دون لبس وجاء الأنبياء كلهم برسالة الإسلام ، والإنجيل مصدق لما بين يديه من التوراة والقرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

و محمد عبد الله دراز ،

٤ — النبوة

هناك شهادت تطرح فى هذا المجال تقول إن النبوة : تجربة ذهنية فكرية وأن النبى قد أدرك ما أدرك من النبوة نتيجة قدرته على التركيز واستدماسته على مستوى تجرىدى لا يطيقه غيره ، والحقيقة أن هذا مفهوم الفكر المادى ، الذى لا يعترف بتكامل الروح والمادة ، وأنه من العسير على أى إنسان مهما بلغ به التركيز أن يكون نبياً لأن النبوة ليست تجربة ، إن أبرز ظواهر النبوة هو الوحي ، وهذا الوحي يهبط فجأة فى لحظة مجهولة للنبى كأنه ومضة خاطفة لم يسع إليها ولم يتوقعها . إن أبرز صفات الوحي أنه من خارج الذات

فهو ليس نتيجة فيضان نفسى أو كبت لمجموعه من التأمّلات احتشدت
وتفجرت فى نفس النبى كما يقال والقائلون بهذا هم المكذّبين بالنبوّة الخائضين
بالباطل فى وصفها .

إن النبوة هى اصطفاء ربانى علوى مسبوق ببعض الارهاصات لا يعرف
التدرج المؤدى إلى ما يسمى النضج فى النهاية ، وهى تكليف لجأتى ينق
الإرادة فلا خيار لنبي فى أن يقبل أو يرفض ما يأتى به الوحي (ما ينطق
عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .

٢ - الوحي ركن أساسى للنبوة يعرفه كل أصحاب الديانات ولذلك فقد
قال ورقة ابن نوفل عندما سمع بخبر محمد : هذا هو الناموس الذى أنزل الله
على موسى ، ذلك أن أهل الديانات السماوية يعلمون أن الوحي وصل أنبيائهم
عن طريق الملك جبريل عليه السلام (لنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد
خصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً) .

لقد ذكر الله تبارك وتعالى لأهل الكتاب الأنبياء الذين لا يرتابون
لأعلامهم إن الوحي إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كشأن الوحي إليهم
فظاهر هذه الآية أنه لا غرابة فى الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإنه
وقع اسكثير من الأنبياء قبله والخصم يؤمن بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام .

٣ - ويقول الأستاذ قحطان عبد الرحمن الدورى : إن الوحي أمر
خارج عن النفس وهو الأساس الذى يبنى عليه الاعتقاد بالنبوات وهو
الطريق الذى جاءت به العقائد والاحكام الشرعية وغيرها ولذلك أهتم
كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي قال المستشرقون :
إن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها (بروكلمان : تاريخ الأدب العربى) أما
نحن المسلمون فنعتقد أن الوحي ليس من قبيل الحدس والشعور الباطنى ودلالات
النفس والقراءة الشرعية التى غالباً ما تتأثر بالرياضيات الروحية والتفكير

المستديم الطويل ، أى أنه ليس من قبيل الوحي النفسى الذى هو الإلهام الفاض عن استعداد النفس العالية والسريرة الطاهرة لأن هذه لا تنشأ المعرفة التامة واليقين الكامل الذى لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلى درجة النبوة ، بل إن الوحي هو أمر طارئ زائد على الطباع البشرية خارج عن النفس والباطن لا يخضع لأى تأثير يطرأ عليها يتلقاه النبي من الذات الإلهية بواسطة الملك الموكل بذلك والذى يدق النظر فى كيفية الوحي ومعامله وما يطرأ على النبي من ظواهر يدرك أن الوحي لا يتصل بهوي النفس والظواهر التى تصاحب النبي حين يوحى إليه تشهد بأن الوحي لم يكن قبل حديث النفس ، تقول السيدة عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليترقق عرقاً ، وهذا مصداق قول الله تعالى (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) ولا يتحمل هذا الثقل إلا نبي ليرتاض من جسده على تحمل عبء النبوة .

٥ - الفطرة

« كل مولود يولد على الفطرة ثم أبواه يمجسانه أو يمجسانه » .
تقوم الفطرة على الإيمان بالله وعدم الإشراك به ، فالفطرة هى التوحيد وعدم الشرك والمقصود بالتنصير والتهويد والتجيس : محاولة طمس التوحيد الفطرى الذى ولد عليه كل مولود ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى :
« إني خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجالتهن عن دينهم » .
ويقول العلماء بأصول ثلاثة للفطرة : (١) أصل استقلال الفطرة
(٢) أصل اضطراد الفطرة (٣) أصل إنسجام الفطرة أو استحالة الخلاف بين جزئياتها .

(١) فأصل استقلال الفطرة يعلن استقلال الفطرة عن الإنسان فلا يستطيع ساحر ولا كاهن أن يغير مجراها أو يعدل من قوانينها ولا تتغير هى تأثراً بما يجرى لأى إنسان (٢) وأصل اضطراد الفطرة يعلن استقلال الفطرة عن الزمان فما ثبت فى سنتها فى وقت فلا بد أن يكون موجوداً

من قبل وسيظل موجودا في المستقبل فلا يلحقه تغيير ولا تبديل
(٣) وأصل انسجام الفطرة بمعنى استحالة التناقض بين الحقائق فلا يمكن
أن يقض حق حقا ، أينما كان وكيفما ظهر ، في الأرض أو في السماء ،
وما يتناقض حقا إذن فهو باطل يجب أن ينبذ ولا ينظر إليه . وقد قرر
الحق تبارك وتعالى (١) إن العالم قائم على الحق (وما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق) (٢) أنه لا تبديل
لسنة الله في الخلق ولا تحويل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) (٣) ارتفاع
التفاوت يستلزم ارتفاع التناقض بمعنى إستقلال الفطرة (ولو اتبع الحق
أهواءهم لفسدت السماوات والأرض) .

وأصالة الفطرة تعني أن الفطرة شيء ثابت وأصيل لدى البشر ، وهي
عميقة الخور في النفس الإنسانية شديدة الالتصاق بها ، ولا شك تلعب
البيئة المحرفة دوراً كبيراً في إخفاء الفطرة وطمسها وتستغل جانب
الضعف عند الطفل بحجب التقليد الأعمى للآباء . والغفلة بعدم استعمال
الحواس هي عقوبة آلهية للذين ينحرفون عن طريق الإيمان .

٦ — سنن الله

سنة الله هي حكمته وطريقة طاعته (وإن تجد لسنة الله تحويلاً)
مشبهة على أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها — كما يقول الراغب
الأصفهاني — فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل ، وهو يطهر النفس
ويرشحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره . وإذا نسبت السنة إلى
الرب كان المعنى : إنها طريقة عامة يجرى بها أمر الله في عبادته (كما قال)
[سنة الله التي قد خلت في عبادته] ، يقول الدكتور أحمد حسن فرحات :
أول ما يلاحظه الباحث في مصطلح سنة الله القرآني ، أنه خاص بسنن التاريخ ،
والمقصود بذلك أنه لم يستعمل في القرآن إلا في هذا المجال ، وهذا لا يعني
أنه ليس هناك سنن إلا سنن التاريخ وإنما يعني أن القرآن استعمل هذا
المصطلح مقصوراً على مجال التاريخ وحده لهذا نرى القرآن يقرن دائماً
(سنة الله) بالإشارة إلى الأمم السابقة : [
(سنة الله في الذين خلوا من قبل)]

وهذا يعنى أن القرآن يقيم للتاريخ اعتباراً كبيراً فهو حصيلة التجارب الإنسانية الطويلة التى ينبغى أن تتوجه إليها العناية الإنسانية لاستعادة الدروس والعبر واكتشاف السنن التى تحكم تصرفات الناس وسير التاريخ خلال الزمن الطويل . وأبرزها سنة الله فى إهلاك المكذبين الذين وقفوا فى وجه الأنبياء والرسل وسنة الله فى نصر الرسل والأنبياء ومن تبعهم واعتبار سلوكهم وجهادهم ودعوتهم قدوة للمؤمنين (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) قال الطبرى وليسددكم سنن الذين من قبلكم من أهل الأيمان بالله وأنبيائه ومناهجهم ومن سنن الله فى الرسل أن يبلغوا رسالات الله ولا يخشون أحداً إلا الله وأن على النبى أن يسير على طريقهم وسنتهم ، وكذلك الكشف عن سنة الله فى تعرض الرسل للاستفزاز من قبل أعدائهم (وإن كادوا ليستفروك من الأرض ليخرجوك منها) .

وسنة الله فى محاولة قتل الأهم لرسلاً (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى يقتلوه أو يحبسوه ويعذبوه ، كذلك نجد فى القرآن دعوة واضحة إلى السير فى الأرض والظر فى آثار الأمم السابقة التى تشهد بصحة هذه السنن وثباتها (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ومن ذلك سنة الله فى عدم قبول الأيمان عند معاينة العذاب (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك المبطلون .)

وهناك سنة الله فى نصر أوليائه على أعدائه : (لو قاتلكم الذين كفروا طولوا الأمدبار ثم لا يجيدون ولياً ولا نصيراً : سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وغاية القول . هو ثبات السنن الإلهية وحتميتها وعدم تخلفها . وبعض طلباحثين يتوسعون فى مدلول كلمة السنن حتى تشمل القوانين الطبيعية والكونية فى حين يستعملها القرآن خاصة بسنن التاريخ .

٧ - الغيب

كان الطعن في الإيمان بالغيب من أهداف التغريب هدماً للمعقيدة الدينية في إيمانها وذلك من خلال المفاهيم المادية التي تحاول أن تخرج عن دائرة الإيمان كل ما ليس محسوساً باسم العلم والعلمانية وباسم حرية الفكر والتحرر من عبودية التقليد والعلمانية Soeularienr والتحررية Loralienr مذهباً غريباً مناهضاً للعقائد الدينية برزا في القرن الميلادي الماضي وسرت عدواهما فيما سرى إلى العرب والمسلمين على وجه العموم وملتقى المذهبين عند الدعوة إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس وبذلك مالا تؤيده التجربة والتحرر من العقائد الغيبية .

ولما كان القرآن الكريم يبدأ في أولى سوره يعقيدة الإيمان بالغيب فقد كان لابد من الكشف عن زيف هذه الانشطارية التي أصابت الفكر الغربي في مرحلة انتقاله من المثالية إلى المادية والوثنية الإغريقية مرة أخرى في تلك المفاهيم الزائفة التي تحاول أن تصور الانبياء بالمباقرة والمصلحين وتزعم أنهم رجال أفذاذ ثاروا على معتقدات عصرهم وحرروا أفكارهم .

كذلك فقد ذهبت الماركسية إلى مثل هذا التفسير المادي للحياة فنظرت إلى الإيمان بالغيب وما وراء المحسوس نظرة الرفض ، جرياً وراء نظريات جالية تقول أن الإيمان بالغيب كان حلاً مؤقتاً لمعالجة الظواهر التي لم يسيطر عليها الإنسان بالعلم ، ولقد تراجع العلم بعد ذلك عن غروره وتبين للعلماء أن هناك عالماً غيبياً كاملاً كائن وراء عالم الشهادة والمحسوس ، ولكن الفلسفة المادية مازالت تسبح ضد التيار والواقع أن الإيمان بالغيب لا يتعارض مع منهج العلم التجريبي ومفهوم العلم لا يصادم هذا الإيمان وإن كل دلائل الوجود الآن من علم وتجربة وفطرة تؤيد مفهوم الدين الحق في أن وراء هذا الكون قوة قادرة تديره يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ، إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ،

ولقد فشلت كل الأبحاث التي حاولت أن تدعى « خرافة المتنافذين » ، وسقطت إزاء ما كشف العلم نفسه عن جانب الغيب وبعد أن ظهرت معالم كثيرة للتلقى من عالم الغيب كسماع الأصوات الصادرة من بعد ورؤية الصور التي تحجبها المسافات الطويلة وقد أدرك العلم أن الاعتماد على الحواس باطل فإن لها مداها المحدود في إدراك حقائق الوجود وإن المادة التي تتكون منها جميع المحسوسات ليست إلا طاقة تتشكل وفقاً لقوانين معينة في التركيب والسرعة وقد كشف العلم قاعدة تحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة ، وتبين أن المعرفة عقلية وروحية يقول كريس موريسون (رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك) أن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم تؤكد وجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة وقد يقودنا هذا الضوء إلى الاعتراف بوجود الخالق الأعظم ، وإن الإيمان بالغيب هو مصدر الرغبة في الكشف عن كل مجهول .

كذلك فقد تبين للعلماء التجريبيين أن وجود عالم آخر خلف هذا العالم المحسوس هي فكرة طبيعية بل وضرورية في التصور يحكم طبيعة الحياة التي نحيهاها نفسها ومن المستحيل القول بأن الأمر ينتهي بنهاية هذه الحياة فإن الوجود الإنساني لا يكون قد حقق الغاية والهدف من الحياة فالحياة لها رسالة ومسئولية وجزاء ولا بد من الجزاء في حياة أخرى والموت ليس نهاية الإنسان ، والحياة في هذا الوجود مرحلة ، ينتهي بالبعث والجزاء والخلود وتقوم فكره البعث في الإسلام على أساس الاعتقاد بأن كل إنسان سيكون ملزماً بأن يقدم حساباً لعمله وإن سعادة وشقاء الأفراد تعتمد على الطريقة التي قاموا بها بأداء فرائض خالقهم ، ولقد تأكد للباحثين والتربويين في العالم الإسلامي إن فكرة إنسكار المشيولوجيا والغميبات هي وسيلة لتحطيم القيم الأخلاقية أساساً ، وليس هناك فضيلة تجب لذاتها دون ارتباطها بالجزاء ، الثواب والعقاب وإن الجبرية والقدرية تحول بين إقرار مسؤولية الفرد لقاء أعماله في المستقبل ، ولا ريب أن الإيمان بالغيب إيمان بعالم كامل وراء هذا العالم المرقى المحسوس .

وإن حياة الانسان فى الحقيقة مادة وروح ، وإن العالم مادة وروح ،
لا مادة خالصة ولا روح خالص .

وعندما طرح الإسلام مفهوم الغيب الكامل الواضح ، كان ذلك علامة
على توقف المسلمين عن الخوص فى الفلسفات ، ومن هنا فقد نفى المسلمون
أيديهم عن الجانب الإلهى فى الفلسفة اليونانية المسمى عالم الأصنام عملاً بالحكمة
المنزلة واشتغلوا بالمحياة الأخرى وهى الطبيعيات والرياضيات ، كذلك فقد تبين
على هذا المدى الطويل عجز العلم عن دخول مجال الغيبيات بوسائله التجريبية ،
فهو قد قصر عهده على دراسة الظواهر وكشف الخصائص ، وقد حاول العلم
ثم عجز عن كشف الروح واخضاعها لسلطانها وتوقف عن محاولة نفخ الروح
فى جسد ميت ليردده إلى الحياة أو يصنع تمثالاً على هيئة آدمى ثم ينفخ
فيه الروح ، ولقد أعطانا الإسلام نظرة كاملة للغيبيات وأمرنا بأن لا نخوض فيها .

ولقد كشفت أبحاث العلم الأخيرة علامات واضحة للغيب فقد ولد العلم
الكهرباء ولكن ما الكهرباء : إنها شئ مجهول لم يدرك العلم كونه ، وولد
العلم المغناطيسى وما هو المغناطيس : لا جواب : واكتشف العلم الحديث إن الضوء
يتكون من موجات تتمقل مع الاثير وتعرف الاثير بأنه ذلك الذى يتمقل فيه
تموجات الضوء ولكن ما هو الاثير : لا جواب ، كذلك الذرة فهى أصغر
وحدة فى الوجود ، ولقد تحطمت الذرة وأصبحت اليكترونات وانفتح المعمل
أزواج اليكترونات ، وعرفنا أنها تيارات فى جسيمات ذات طاقة عالية تأيننا من
الفضاء البعيد ، ووصل العلم بعد تحطيم الذرة إلى وحدات أولية تتكون منها
الذرة هى النويات واليكترونات والنويات على أى أساس أن تفرض
أن هذه الوحدات غير قابلة للتجزئة إلى أجزاء أصغر ، قبل نصف قرن كان
الفرض أن الذرة غير قابلة للتجربة (غيب) . وقد ركز المعمل جهوده لاكتشاف
سر الخلية وما تزال الخلية الحية لغز الحياة فقد فرض العلماء أن الخلية تتكون من
فيروسات وهذه مواد كيميائية معقدة ، الجسنيات والفيروسات تعتبر كجزيئات
كيميائية عادية ، وفى نفس الوقت كانت حية وهى تمثل الحلقة المفقودة بين

المادة الحية والمادة غير الحية وقد تبين من ذلك كله أن [الغيب] هو الحقيقة العلمية الوحيدة الثابتة . وتأكد إيمان البشرية بعد الأديان بأن الله تبارك وتعالى وحده عنده مفاتيح الغيب :

(والله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله .)

ونأكد أن المبدأ الأول للعقيدة هي الإيمان بالغيب . وإن الغيب ضرورة ملحة لحياة الإنسان لا يقوم بدونها فهم صحيح لأي أمر من أمور الحياة لأن العلم (إنتاج بشري يتجدد ويتحول ، أما الغيب فهو الراسخ الثابت) والدعوة الإسلامية من الأساس دعوة متكاملة : للدنيا والآخرة وللحياة المادية الروحية لذلك فلا تجدد في القرآن تركيزاً على الدنيا وحدها ولا على الآخرة وحدها ، والآخرة في المفهوم الإسلامي هي النتيجة الحتمية لعمل الإنسان وهي التي يصب فيها سعيه وكفاحه في الحياة الدنيا وإن مبدأ الإيمان بالغيب مقترن اقتراناً عميقاً بالحياة ومن هنا يتضح لنا إنكار الإسلام لمبدأ الرهينة ، ذلك أن الإيمان بالغيب هو دعوة إلى الاستشهاد في سبيل الحق ، ومن شأنه أن يلغى الهزيمة في المجتمع الإسلامي ويضع أمام المسلمين هدف النصر الدائم والتحرر من كل عوامل الضعف والخير والاستسلام والفشل .

وبالإيمان بالغيب تتكامل المعرفة بين الروح والمادة وتحقق الصلة بين الإنسان والحالق ، أمناً وإيماناً بالرباط القوي الذي يشد كل إنسان إلى الله .

ولقد يحاول بعض التغريدين الحديث عن ما حدث في أوروبا من موقف إزاء السكّهانة والسحر والرهبانية ويطبقه في الإسلام مع أن الأمر مختلف وأن ما حدث في الغرب بعد دخول المسيحية إليها لا يوجد مثاله في الإسلام فقد أفر الإسلام مفهوم الغيب وفتح به طريقاً إلى التجريب وهذا يختلف عما يسمونه النظر الغيبي في الغرب .

كذلك فقد خلط كثيرون بين مفهوم الغيب ، وبين الأسطورة والمعروف أن الأديان السماوية حاربت الأسطورة وإن العقلية العربية الخيفية التي صنعها إبراهيم عليه السلام عقلية خالية من الأسطورة معارضة للوثنية فقد

كانت الأسطورة محاولة عقلية لملأ الفراغ فيما لا يوجد نص حقيقي عنه
أما الأديان عامة والإسلام بالذات قد ملأت الفراغ فيما يتعلق بهذه الجوانب
فقد أغنت عن الأسطورة .

وقد كانت حقائق الغيب التي أمرنا الله تبارك وتعالى بالإيمان بها هي
المصدر الأساسي للحقائق التي تملأ الفراغات الموجودة في الرؤية الشاملة
للكون وللحياة ولما بعد الحياة ولعلاقة الإنسان بالخالق عز وجل والإيمان
باليوم الآخر على صورة لم يستطيع العلم معها أن يثبت أو ينفي وجود يوم
المعاد . ذلك أن الإيمان بهذا اليوم يعطى الوجود مبرراً ويرفع من حياة
الإنسان عبثاً ويزيد الإيمان بالله بعداً يقينياً لا غنى عنه . فالإيمان بالغيب
ضرورة تتكامل بهارؤيتنا الإسلامية لأن هذا الغيب يكفي لسد حاجة الإنسان
إزاء بعض المنعطفات التي يقف أمامها الفكر عاجزاً والتي لا يستطيع العقل
أن يرتفع إليها بوسائل المعرفة العلمية التي تتوفر له . والتفرقة بين الغيب
والأسطورة يسهم في تحرير العقل المسلم من تيارات الفكر الوافدة ومن
الرجم بالأهراء .

قال القرطبي في الغيب ، في كلام العرب كل ما غاب عنك وقال آخرون :
الغيب كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا تهتدى إليه العقول
من أشرطة الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة
والنار .

وأورد ابن جرير الطبري عن ابن عباس أنه قال : الغيب كل ما جاء
من الله تعالى (في القرآن) وجاء في تفسير المنار : إن الإيمان بالغيب هو
الاعتقاد بوجود وراء المحسوس ، يقول الأستاذ فتحى رضوان . في أصول
العقيدة الإسلامية : إذا كان القرآن قد دعانا للإيمان بالغيب فإنه قد أقام
سدوداً من نصوصه وآياته لتحجى العقل الإنساني من أن تهب عليه رياح
المدجل والشعوذة ولنصونه من التسلط عليه بالأكاذيب والتمهات التي
يستمد ما أهل الخيلة من أن (الغيب) لا يعرفه أحد ، وإنه لا حدود له
ليخوض فيه كل من منحه الله لساناً لشيطن . وقد قررت آيات القرآن أن

الغيب لله وحده لا يعلمه سواه وإن الله لا يطلع على غيبه أحد حتى
ولا الملائكة والجن وأن الأنبياء والرسل الذين هم أقرب الناس إلى الله
لا يعلمون كذلك الغيب وإن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كسلك
من سبقه من الرسل لا يعلم كذلك الغيب وإن الغيب ملك لله تبارك وتعالى
يستأثر به دون جميع مخلوقاته وعباده ، والملائكة والجن محجوبون عن علم
الغيب مثلهم مثل سائر البشر ، وإذا كان الإسلام يدعونا إلى الإيمان
بالغيب ويعد هذا الإيمان علامة من علامات المتقين ، فذلك لأن الاسلام
هو دين العلم جاء ليدعو البشر إلى التأمل في أنفسهم وفي الآفاق وإن
يعملوا ليهتدوا إلى سنن الله في السكون التي لا تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً
وهذه السنن هي بالضبط القوانين الحاكمة للسكون والمسيرة لأكوابه
وعوالمه ونجومه ثم هي القوانين التي تحكم الإنسان الذي لا يزال استقصاء
دوافعه وجوافزه وكشف عوالمه وبجاءله مستعصياً على العلماء بحيرا لعقولهم
فالاسلام جنب الانسانية خطأ الوقوع في الإحصار في دراسة المادة وحدها
واعتبارها محل الدرس والسبيل إلى كامل العلم وتصور أن ماتراه وحده هو
دنيانا وإن هذا العالم ليس له قوانين خلقية تحكمه وليس له هدف درجي
يسمى إليه . يقول الطبيب كاريل . يجب أن نحطم الحواجز التي أنشئت بين
أجزاء المواد الصلبة وبين الجوانب المختلفة لأنفسنا فإن السلطة المسؤولة
عما نعانيه إنما جاءت من فكرة لطيفة (الجاليلو) فقد فصل جاليلو كما هو
معروف جيداً الصفات الأولية للأشياء وهي الأبعاد والوزن التي يمكن
قيامها بسهولة عن صفاتها القانونية وهي اللون والرائحة التي لا يمكن قياسها
ثم قال : الأشياء غير القابلة للقياس في الإنسان أكثر أهمية من تلك التي
يمكن قياسها فهذا السكون عند الاسلام كل لا يتجزأ بمادياته ومعنوياته ،
بالظاهر منه والحق وصدق الله تعالى إذ يقول : وما خلقنا السموات والأرض
وما بينهما إلا بالحق ، . وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا لعبين . .

٨ - الروح

يجمع الاسلام بين الروح والمادة وحين تلتقي الروح بالمادة تنشأ الحياة الارضية أو تنشأ النفس الانسانية والروح هو ما به حياة المادة ، والروح من أمر الله بمعنى أن علمكم أن يصل إليها ونستطيع أن ننتفع بالروح وإن لم نعرف حقيقتها ، إنها في داخل كل جسد حتى تهيه الحياة والقدرة والحركة فإذا خرجت أصبح الانسان جثثاً هامداً وانتهت مهمته في الحياة ومسئوليته وعمله ، والحياة إرادة الله تبارك وتعالى وليست شيئاً يدخل ويلتصم مع المادة ليعطيها الحياة . والروح هي إرادة الحياة لمن يهبه الله الحياة ، وكون أن الروح لها كياناتاً تاماً لا يبطل أنها من أمر الله ، وقد جعل الله النفس روحاً (ونفخت فيه من روحي) نفخ الله سبحانه من روحه فدخل شيء في جسد الانسان وهبه الحياة فإذا توقف النفس خرجت الروح والروح وطبيعة علاقتها بالجسد والنفس والعقل ، كلها حقائق ذات أبعاد وماهيات معينة والعلم الحديث يعترف مرغماً بوجود علاقة حتمية بين الطاقات النفسية وبين وظائف الأعضاء ولكنه يجد نفسه عاجزاً عن إدراك هذه العلاقة فهي حقيقة بعيدة عن المحسوس الذي يعرفه ولكن وجود هذه العلاقة ضرورة منطقية ويقول العلماء أن الروح جسم لطيف يتولد من القلب وينتشر بواسطة العروق في سائر أجزاء البدن ، والروح هي الجوهر العاقل المدرك لذاته من حيث مبدأ التصورات وهي ما يقابل المادة تارة وما يقابل الطبيعة وما يقابل البدن لأن الروح تمثل القوة العاقلة والبدن يمثل الغرائز الحيوانية وإذا أطلق لفظ الروح تمثل منه القوة المفكرة وروح الشيء نفسه والروح في القرآن معان (١) ما به حياة البدن (٢) بمعنى الأمر (٣) بمعنى الوحي ، بمعنى القرآن ، بمعنى الرحمة ، بمعنى جبريل - وقد اختلف العلماء في النفس والروح فقال فريق هما يتغايران لأن النفس بعض الروح وقال فريق هما شيء واحد ، لأننا نعبّر عن النفس بالروح وبالعكس والروحية هي إيمان المسلم بالمعنويات ولذا كانت المادة ضرورية للحياة فهي واسطة لاغاية وقد انحرفت الحضارة الغربية عن الروحية وانجرفت في تيار المادية .

الدين : تجديدية

المراد من التجديد : الرجوع بالدين إلى سهولته كما كان في الصدر الأول
وجمع كلمة المسلمين على ما اجتمعوا عليه قبل التفرقة والاختلاف ، وجعل
ماعدا القطعي منه عما يعذر فيه كل فرد باجتهاده وكل مقلد باتباع المذهب
أو العالم الذي وثق بعلمه من غير تعصب يفرق الأمة الواحدة إلى
شيع وفرق .

* * *

يقول الدكتور جلال أحد أمين : إن المحاولات التي بذلها كتاب لاشك
في إخلاصهم في سبيل ما يسمونه بتجديد الفكر الديني تحت شعار الاجتهاد
أو الإصلاح أو الجديد أو تطوير الدين للملائمة ظروف العصر ، ذلك أن
هذا الطريق مخوف بأخطار لا حد لها يخشى منها أن ينتهي في غمار محاولتنا
للتصحيح والإصلاح إلى فقدان أئمن مالدينا وهو الثقة بكال ديننا وفضله
المتميز على غيره . إن قول اللورد كرومر المشهور (إن إسلاما جرت عليه
محاولات الإصلاح لا يعود بعد ذلك إسلاما)

Islam reformed is lain on longer

هذا القول يعكس إدراكا مذهلا للحقيقة . وهي أنك متى بدأت تشكك
في الإسلام وصلاحيته كنظام كلي متماسك فإنك بذلك تسدد أكبر طعنة
للإسلام . الصينيون لم يسمحوا لأى مذهب غريب عليهم أن يثير لديهم الشك
في تفوق نظرهم الخاصة إلى الأسور . الدرس الأساسى الذى نتعلمه من
الصينيين هو ألا نشك لحظة واحدة في سلامة نظرتنا الخاصة وكل عجز فكرى
يحاول تشكيكنا في ذلك يتعين مقاومته وكل محاولة للتسخيرية في خصائص
أدبنا ومعاييرنا الاخلاقية أو لتسخيف مبادئنا الدينية الراسخة أو إنارة
الشك حول ملامتها للعصر ليست إلا مساهمة في قتل نفسية هذه الأمة مهما
كان حسن نية أصحابها أن من يتأمل التاريخ الاقتصادى للدول التي تفوقت

علينا اقتصاديا وبنيت حضارة صناعية متقدمة لن يصادف مثالا واحداً لم يفرق فيه النهضة الاقتصادية وبالذات فيما يسمى بمرحلة الإنطلاق لشعوب وقوى علوم وبالاعتقاد بالتفوق على الغير أو على الأقل برغبة قوية في إثبات الذات وبأنها ليست أقل قدراً من الأمم الأخرى ، فإذا كان هذا هو حقاً مفتاح النهضة الذي تفتح كل الأبواب المغلقة فإنه لا يكون هناك مفر لآية أمة ترغب في تحقيق نهضتها منذ اكتشاف المفتاح الخاص بها (وهو لا يمكن إلا أن يكون مفتاحاً خاصاً) .

ومن الغريب ألا ترى أن هذه الطاقة النفسية الكامنة لدى العرب والمسلمين لا يمكن تفجيرها إلا عن طريق الدين . قد يقال نعم ولكن لا بد من المادة تفسيره ونحن نقول حذار كل الحذر أن تؤدي محاولتنا لإعادة المعان إلى الذهب إذا حدث أى خدش فيه .

1. The first part of the paper discusses the importance of the study of the history of the United States. It is argued that a knowledge of the past is essential for a full understanding of the present and for the development of a sound policy for the future.

2. The second part of the paper discusses the importance of the study of the history of the United States. It is argued that a knowledge of the past is essential for a full understanding of the present and for the development of a sound policy for the future.

3. The third part of the paper discusses the importance of the study of the history of the United States. It is argued that a knowledge of the past is essential for a full understanding of the present and for the development of a sound policy for the future.

البَابُ الثَّالِثُ
الْمُتْرَانُ الْكَرِيمُ

(١)

لقد نزلت الشبهات التي يطرحها أعداء الإسلام ولم تتوقف ، وتركت هذه الشبهات تركيزاً شديداً حول القرآن الكريم . من تلك الدعاوى شبهة ترتيب القرآن حسب نزوله ، وقد جهلوا أن ذلك لو كان أمراً مطلوباً لمساكات النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن آيات القرآن وإن كانت قد نزلت منجمة آيات آيات وسوراً سوراً بحسب الوقائع والحوادث وعلى مقتضى الحكمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى وهو الشارع لديه قد نزلت بمكة والمدينة واستمر نزولها ثلاثة وعشرين سنة ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه حين نزل ويقرأها عليهم أن يحفظوها عن ظهر قلب وأن يضعوها بعد آية كذا من سورة كذا ، ولذلك فقد خابت مفترياتهم في هذه الوجهة ولم يجد من يستمع إليها . ولقد نزل القرآن الكريم على الرسول حسب الحاجة والوقائع لحكمة سامية ، فكان ترتيب الآيات في سورها ترتيباً نوفيقياً من جبريل وقد جمع للصحابة القرآن بعد الرسول مرتباً هذا الترتيب لم يقدم فيه مؤخر ولم يؤخر فيه مقدم ، وقد دلت الأحاديث على أن القرآن في اللوح المحفوظ ثابت على هذا الترتيب وهو ترتيب إلهي لا يجوز مخالفته إجماعاً .

ولقد كان من إعجاز القرآن كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة أنه خاطب الناس جميعاً في أجيال مختلفة وأفوام تباينت مشاربهم ، فهو يعطى المثقف والفيلسوف والعامّة من الناس ، كل على قدره ، فمن الناس من يصدق بالبرهان والقياس التام ، وهم أصحاب النزعة الفلسفية ومن الناس من غلب عليه جذع ديني ، أو غير ديني استأثر بلبه وسد مسام الإدراك إذ استولت عليه محلة مذهبية فتعصب لها واقناع هؤلاء لا يكون إلا بالطب لإدواء النفوس .
(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) .

أما الجمهور الأعظم من الناس فهم أقرب إلى الغفلة ، منهم سلامتها وحرصهم إخلاصاً برائتها ، وهذه هي مخاطبة الوجدان .
ولا تقتصر دعوة القرآن على قبيل ولا على جيل بل لكل الأجيال

والقبائل والأقوام والألوان ، ولذلك وجب أن يكون القرآن هو الحياة الكبرى ، فيه من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس جميعاً على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم وتفاوت مداركهم .

ووجب أن يكون أسلوبه الفكري والبياني بحيث لا يعجز على مدارك طائفة ما ، يجد فيه العلماء غذاء نفسياً واعتقادياً وخلقياً وصلاًحاً إنسانياً ويجد فيه المثقف بغيته والفيلسوف طلبته والغامة من الشعوب دواء نفوسهم وشفاء قلوبهم ، ويرى فيه العادي البسيط علماً بما لم يكن يعلم أدركه بأسهل بيان ويرى فيه العالم الفيلسوف الباحث في نشأة الكون دقة العلم وأحكامه وموافقه لما وصل إليه العقل البشري كما جاء ذلك بالنص الكريم من سمو البيان وعلو الدليل فتبارك الذي أنزل القرآن ، وقد أبان الباشون أن القرآن لا يخاطب العقل وحده ولكنه يخاطب كلا من العقل والخيال والشعور .

(٢)

ماقدمة القرآن للبشرية ، من معطيات ومناهج :

أولاً : قدم القرآن نظرية التكامل بين النفس والجسم والروح والمادة ، في دراسة الإنسان ودراسة الأدب ودراسة علوم الاجتماع .

ثانياً : قدم القرآن نظرية قانون ، سنن الله في الحضارات والأمم وسنن الله في الخلق والطبيعة .

ثالثاً : قدم القرآن أصول الفطرة في الزواج والأسرة ، والحلال والحرام وجعل شريعة الله فوق شرائع البشر لأنه لا يشرع أحد من البشر للبشر ، ولا بد من قوة عليا تشرع للبشر ، وقد تبين للناس فساد مناهج القوانين التي صنعوها في مجال : الربا (الاقتصاد) الحلال والحرام في علاقات الرجل والمرأة (الجنس) وفي مجال التكامل في بناء النفس والحياة على المادة والروح (الاجتماع) .

رابعاً : قرو القرآن قبل ثلاثة عشر قرناً قصود العلم البشرى ولقد فسرت النظريات المبينة على التجربة كثيراً من الحقائق ولكن لم تكشف حتى الآن حلا عاماً يتفق مع جميع الأدلة المعروفة وفي كثير من الأحيان يتضح فشل ما كان يظن أنها نظرية كاملة كافية ، ذلك لظهور حقائق جديدة تناقض النظرية .

خامساً : ثبات النص القرآني فقد تحدث الباحثون عن التبديل والتغيير الذي حدث في الكتب المنزلة وأثبت علم تاريخ الأديان في أوروبا وأمريكا هذا التغيير والتبديل أما القرآن فإن علماء الغرب أنفسهم وكثير من المستشرقين يقرون ماقرنا من أن القرآن الذي نقرؤه الآن هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ .

(٣)

من عطاء القرآن : تلك المجموعة من الحقائق التي تخالف فكر الغرب :

لا يعتقد القرآن بالخطيئة الأولى ولا الخطيئة الأصلية ، وإذا انحط الإنسان فليس بسبب خطيئة آدم بل بسبب أعماله السيئة ، والقرآن لا يعتبر الأرض ، مكاناً للسجن أو العذاب (على نحو ما يقول اللاهوت المسيحي وسجن فيه البشر الآثمون في أصل تكوينهم بسبب خطيئة أصلية) إن التوراة تلعن الأرض بسبب معصية آدم فبينما يبين القرآن أن الأرض دار سكن للإنسان ومصدر ربح له وعليه أن يشكر الله الذي أنعم عليه بها ، وأن خطيئة آدم يقع مسئوليتها عليه وحده وقد غفرها الله له ، وكل مولود يولد على الفطهر والحق وكل زريع يزبعه عن طريق الحق يرجع إلى خطأ في تربيته أو إلى أعماله السيئة .

والإنسان مكرم وليس خاطئاً (كرامة إنسانية وحرية اختيار) وليس الإنسان مجبوراً وليس كائناً آلياً لا إرادة له وليس نتاجاً انتجته وسائل الإنتاج وليس الجنس البشرى حشد من مخلوقات آلية لا إرادة لها ، وليس هناك فناء للفرد في المجموع ، والإنسان هو الذي يغير التاريخ وليس دمية تحركها روح العالم (كما قال هيجل) والإنسان ليس حراً يفعل ما يشاء بل إن

تتمه حدوداً وضوابط قلبية أن يختار سبلاً ويترك أخرى . وعليه أن يبرهن
ببصره الواعي التي هي المشيئة برهاناً واضحاً على أنه على طريق الله .
وقد أعطى الإنسان حرية الإرادة ضمن حدود معينة .

(٤)

أعجز القرآن البشرية منذ أنزل إلى اليوم ولا يزال متحدياً أباهما إلى أن
تقوم الساعة وهو تحد منوع ، ليس لغويًا لحجب ولكنه في كل المجالات
والمبادئ ، فقد وضع الله تبارك وتعالى في هذا الكتاب ما يتحدى به
المكذبين ويقول : إني أعطيت لهم في هذا القرآن علماً من كل شيء ، أعطيت
لهم حقائق علمية لن يصلوا إليها ولا بعد ألفي السنين وحتى تقوم الساعة ،
وضعتها في هذا الكتاب - حتى قلتم انتهى عقد القرآن وبدأ عهد العلم تكذبكم هذه
الحقائق ، فالقرآن سبق العلم وأنبأ بما سيحدث وكشف الحجب عن حقائق
لن يصلوا إليها ، بعضها مادي : وهناك الإعجاز اللغوي والبلاغي ونصحيح
حافى الكتب الأخرى والنبوءة بإحداث ستقع خلال بضع سنين كحرب
الروم والفرس ، ثم أعجز البشرية كلها في ذلك التحدي لكيف أسرار هذا
الكون المادي ، هذه الحقائق التي كشفها للعلم اليوم وهي مذكورة في القرآن
منذ أربعة عشر قرناً ، وقد احتفظ الحق تبارك وتعالى لنفسه بأمور ثلاث
لن يستطيع العلم أن يقول فيها الكلمة النهائية :

بداية الخلق ، واستمرار الحياة ونهاية الحياة ، ومهما تقدم العلم
وتقدمت الحياة فلا بد للإنسان أن يموت ولا تستطيع الدنيا كلها بما فيها من
علم ومعرفة وتقدم أن تمنح إنساناً نعمة الخلود في الدنيا وما زال
للتحدي قائماً .

(٥)

حاول المستشرق جولده سبير التلغاط آيات من القرآن لتطويع الإسلام
بصوره عقيدة الجبرية المطلقة . وكان عرضة مشوهاً بالكوك والاضطراب
لأنارة النجبات أكثر منه الوصول إلى الحقائق - على عادة المستشرقين

وخاصة اليهود منهم — كما حاول إيجاد التناقض بالإشارة إلى الحكم والمقاسم ،
أو إلى المذنب والمسيح ، [وخطأه إن المقاسم ليس هو التناقض كما استخدم
المستشرقون آراء الجريون الذين كان في مقدمتهم جهم بن صفوان في محاولة
للإدعاء بأن المسلمين تخلفوا وتأخروا لسيطرة هذه الفكرة عليهم وحاولوا
أن يربطوا بين هذا المذهب وبين ما آل إليه أمر المسلمين من ضعف وتخلف
وقد قصدى لذلك الفيلسوف المسلم محمد إقبال :

« إن الذات الإنسانية في صراعها مع العلم الطبيعي يمكنها أن تبلغ منزلة
الاختيار إذا هي قهرت كل الصعاب وإن الذات نفسها فيها لإختيار وجبر ولكنها
إذا قاربت الذات المطلقة وهي الله وتبارك وتعالى ، نالت الحرية كاملة ،
والحياة جهاد لتحقيق الاختيار ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها . »

(٦)

هناك دعوى مثارة عما يقال من أن هناك لقاء بين التوراة والقرآن تقول
(مريم جميلة : اليهودية التي أسلمت) عندما تصفحت العهد القديم ، والقرآن
الكريم . اتضح التضاد فالعهد القديم تاريخ لشعب خاص ، أما القرآن فرسالة
عالمية موجهة للجنس البشري . وأسوأ هذه الأخطاء ، نظرية الحق الإلهي
للإهود في فلسطين . فالصهيونية وضعت أردأ المظاهر للفلسفة المادية الغربية
والإهود يرفضون المقومات الأخلاقية والقيم الروحية والأخلاق ذات أصل
إلهي ، أما إذا كانت الأخلاقيات من صنع الإنسان تماماً فإنه يمكن تغييرها
بالإرادة ، إنى اعتقد بالآخرة والقيم الأخلاقية ولأننا مسئولون أمام الله ،
وحيثما درست المعتقدات وجدت أن الأديان كلها من أصل واحد ، وبمرور
الزمن فسدت وتعددت العبادات فكانت عبادة الأوثان والتجسد . والبوذية ،
ومبدأ الخطيئة والتثليث والوهمية يسوع حيث أدت إلى نظرية هيئة الله
والتكلم بمبالغة الموت على الصليب إلى فكرة شعب الله المختار . هذه الأفكار
لا تجد شيئاً منها في القرآن والاسلام .

٧)

أنار القس البروتستانتي المبشر نلسن الدنمركي في كتابه :
(أصدق الأقاويل على صحة التوراة والإنجيل)

عدداً من الشبهات حول القرآن الكريم ، وقد رد عليه الشيخ سعدى ياسين بكتابه ، مختصر البرهان في سلامة القرآن من الزيادة والنقصان (ومنذ قوله من أن الشيعة يزعمون أن لعلي بن أبي طالب مصحفاً جمعه على حسب النزول على غير ترتيب مصحف عثمان سماه مصحف فاطمة قال الطبرسي : أما الزيادة في القرآن فجمع على بطلانها أما النقصان فهو أشد استحالة .

لقد بدأ نزول القرآن عام ٦١١ ميلادية وانتهى في ٩ ذى الحجة للسنة العاشرة للهجرة وكان نزوله منجماً بقصد التيسير على الرسول صلى الله عليه وسلم والتدرج في تربية الصحابة ومنها أن الله تبارك وتعالى يتمد رسوله عند اشتداد الخصام وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحمل آيات القرآن من الملك حفظاً ثم يبلغها للناس ، ويكتبها كتابه الذين كان عددهم يتراوح بين ٦ ، ٤٢ كاتباً وبعد موقعة الحامة أمر أبو بكر : زيد بن ثابت في جمع القرآن فقام بمنهجه خير قيام ، وبقيت الصحف عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصه ثم جاء عثمان رضي الله عنهم فأمر عدداً من الصحابة بنسخ الصحف في المصاحف ثم أرسل إلى كل مصر بمصحف عما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وبعد انتهائه من جمع القرآن الكريم ثم توحيد عثمان القرآن اشتهد الباحث بأقوال عدد من العلماء ورد على فريه نلسن وجولد زهر في ادعائهما أن القرآن من كلام محمد في أنفي عشر دليلاً منها الفرق الواسع في الإعجاز ما بين القرآن والسنة واختبار القرآن في أمور عينية وقعت كما أخبر .

ثم قال : فلتعمل الصهيونية العالمية والصليبية العالمية ماشاءنا أن تعمل ، فإن القرآن سيبقى الشمس المشرقة والآية الخارقة يدعو إلى الحق والعدل والخير والرحمة والوحدة العالمية وسيأتي اليوم الذي تبصر فيه أوروبا الرشيد

فتعمد بيدهما برفق إلى هذا الكتاب فتقلده ملتزمة بما فيه من الحكمة
والفطرة السليمة كما قال برناردشو ولا يمضي مائة عام حتى تكون أوربا،
ولاسيما إنجلترا ، قد أيقنت بملاءمة الإسلام للحضارة الصحيحة . والله
تعالى قال : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق
أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) .

(٨)

قال الدكتور هاشم أمير على فيما يتصل بشبهات القرآن : أن فواتح
السور الغامضة جاءت متوة بسياق المخاطب في كل الصور بلا إستثناء ومن
ثم يمكن فهمها على أنها نداء للنبي بحيث لو وضعنا (يا محمد) مكان كل هذه
الفواتح لانجلي الموقف وحلت المشكلة واستشهد بمفاتيح سورة البقرة وقال
أن الفواتح تشترك في ظواهر منها أن جميعا للاستثناء في سياق المخاطب وأنها
جميعا لا تؤثر على معنى النص فيما يليها وقال أنها نزلت في العهد المسكي المتأخر
حين كان النبي منبوذا من قومه وفي حاجة شديدة إلى التأييد فأحلال (يا محمد)
مكانها هو التفسير الوحيد ولا تعطى أى مغزى آخر وراء ذلك .

وتقول الدكتور بنت الشاطىء : إنه باسترجاع الآيات الأولى من سور
العنكبوت والروم ولقمان وصورة غافر والزخرف والجمانية والاحقاف وق
وبونس ينهار الدليل لأن سياق الآيات التالية للفواتح من هذه السور ليس
خطابا للنبي ﷺ .

وما قاله من نزول خمس من ذات الفواتح في أواخر العهد المسكى
والأربع الباقيات مدنية منقوض من أساسه إذا ذكرنا أن السور المسكية
كلها في المصحف سبع وثمانون سورة فإذا اعتبرنا المتأخر منها ما يقرب
من السبعين لم نجد في السور ذات الفواتح غير أربعة فقط مما يمكن عدّه من
السور المسكية (هي إبراهيم والسجدة والروم والعنكبوت) .

والدكتور هاشم أمير على في ترجمته لقرآن القى راجت في الشرق

الاسيوى لايعرف العربية وهو يتجاوز الترجمة إلى التفسير ، وقد وضع أمامه زاث الإسرائيليات فكانت مصدر مادته في تفسير القرآن .

ماذا قال عن كلمة الوحى الاولى (اقرأ) .

ترجمها (كول) أدع اوناد ولم يجعلها (ريد) وهو أول لفظ يخطر على البال من ترجمة (اقرأ) .

قال عن اقرأ : هذا الأمر بالصياح موجود في العهد القديم خجاءاً للنبي اشعيا قبل القرآن بنحو ثلاثة عشر قرناً كما في سفر اشعيا . (ناد بصوت عال) ارفع صوتك كبوق ، فهل هناك أى شبه بين عبارة سفر اشعيا والقرآن (اقرأ باسم ربك الذى خلق) . وقال : كان شغل محمد سنوات قبل المبعث من يفكر فى -ال قومه وما كان يخطر فى ذهنه دائماً من قصص قدامى الرسل ، للعرب واليهود والمسيحين وكيف جذبوا اتباعهم من الضلال ، ومعنى هذا الكلام أن النبي (محمد) ﷺ تطلع إلى النبوة قبل المبعث ، وتأثر بما أبلغ من رسالته .

وهذا القول دخیل على الإسلام وتاريخه ينفيه القرآن نفياً صريحاً .

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) .

(قالوا أساطير الاولين اكتبها فى تملى عليه بكرة وأصيلا ، بل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) .

هذا ما يقدمه مسلم عصرى إلى الشعوب الإسلامية غير العربية من فهم للقرآن بالإسرائيليات وشد نصوص القرآن إلى العهد القديم .

(٩)

وتقول الد كتورة بنت الشاطىء : إن التفسير العصرى للقرآن لمصطفى محمود قد أعاد عرض الإسرائيليات .

(١) : إن كل ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو إلا ألوان من ضرب المثال من الرموز وفي العهد القديم يضيف اشعياء يوم الرضوان قائلا : يضع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجيل ولحمة سمائية وولمة خمر وفي تراتيل القديس افرام : ورأيت مساكن الصالحين تقطر منهم العطور وتزينهم ضفائر الفمكة والريحان .

(٢) : « فارقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، الآية يفسرها برؤيا يوحنا اللاهوتي دخان خرج من البحر الهاوية ، لايتل الناس ولما يعذبهم خمسة أشهر .

(٣) : تفسر خبر « يأجوج ومأجوج » في سورة الكهف . يقول لوفتحنا الإصحاح العشرين من سفر الرؤيا وقرأنا ما يقوله يوحنا اللاهوتي عن يأجوج ومأجوج فإننا نراه يقول نفس المعاني ونفس الإشارات .

(٤) : ويفسر آيات القيامة في القرآن بما في رؤيا يوحنا اللاهوتي . وتأتي الإسرائيليات في كتب السلف إضافات ، أما في التفسير العصري فهي مشدودة شدا إلى أقوال يعنها ، في كتب بني إسرائيل على القول بالتنظير والمائلة ومقطع الرأي في ذلك :

(أولا) : إن القرآن في تصديقه للكتب القديمة قبله استصفي منها ما رأى للبشرية أن تتلقاه من ختام رسالات الدين بما هو جوهر العقيدة ومناط الاعتبار والذي استبقاه منها موجود في القرآن والذي نسخ عنه ما فيها لايحل أن نقحمه على تفسير القرآن .

(وفي أكبر الخطأ أن يقال أن من آيات الجنة في القرآن ما قاله القديس افرام في تراتيمه أو في القيامة والجحيم ما في رؤيا يوحنا اللاهوتي) .

(ثانياً) : ومع ذلك فإن التوراة التي بين أيدينا ليست توراة موسى .
(ثالثاً) : ضابط القرآن البشرية في ختام رسالاته بأسلوب غير الذي كان يلائمها في عصور خلت .

وما يجوز أن تحمل على كتاب الإسلام ما ليس فيه وكأننا بذلك نفرط في حرمة نعمة الموثق ونهدر الجهود التي بذلت وتهدل لتحرر العقليّة الإسلامية من شوائب دخيله بأبواب كتاب الإسلام نصاً ومنهاجاً وعقيدة وشريعة .

(١٠)

إن الموقف بالنسبة لترجمات القرآن التي قدمها المستشرقون معروف وأخطائهم مجسورة ، أما بالنسبة لترجمات القرآن التي قام بها أتباع القاديانية فإن الموقف يتطلب الكشف عن أخطائها .

وأبرز هذه الترجمات .

- ١ — ترجمة مولى محمد علي وهو من أتباع مرزا غلام أحمد القادياني وانشق على جماعة القاديانيين وأثنا جماعة الاحمدية بلاهور .
- ٢ — ترجمة غلام فريد وهو قادياني متطرف .
- ٣ — ترجمة محمد خضر الله خان وهو قادياني متطرف أيضاً .

يقول الدكتور أحمد إبراهيم مهنا : إن هذه الكتب الثلاثة لها اتجاه مشترك فاصحابها جميعاً من أتباع مرزا غلام أحمد القادياني ويسمونهم جميعاً (المسيح الموعود) وهم لا يخفون انتسابهم إليه بل يفخرون به وتبدورنة الاعتزاز في حديثهم عنه وجماعة القاديانيين نشاط واسع في أوروبا وآسيا وإفريقيا ومطبوعاتهم كثيرة ومتنوعة ويبدو أن مصادر تمويلهم غنية وسخية ، وهم يركزون في دعايتهم لأنفسهم ومعتقداتهم على إيهام الناس أنهم أشد اهتماماً من غيرهم بخدمة الإسلام وخطورة هؤلاء على الإسلام تتمثل في أنهم يعطون صورة براقة عن حبيبهم لكتاب الله وأنهم يقدسونه في الوقت ذاته يستخدمون آياته في ترويح مفترياتهم وفي نشر معتقداتهم بتفسيرها بما لا يتفق مع مقتضيات اللغة .

حاشية : استغل اليهود الترجمات المحرقة قصداً وقاموا بطبعها ونشرها وتوزيعها في بلاد المغرب وغانا واتحاد

القضاء على حقائق الإسلام لما فشلوا في هدم بنيان المعلمين وكتابتهم من طريق السياسة .

(١٠)

القرآن وأهل الكتاب :

١ - ناقش القرآن الكريم أهل الكتاب فيما انحرفوا فيه حول العقيدة وما أناروه من خلاقات وأساطير ومن أباطيل وترهات .

٢ - رد على افتراءات اليهود التي حاولوا أن يلمصقوها بعيسى بن مريم وأمه الطاهرة .

٣ - حسم القضية في مسألة الصلب وأعلن أنها لم تحدث .

٤ - صحح العقيدة السليمة في كل ميار حولها .

٥ - رد على افتراءات الفرق وفي غلوهم في شان المسيح وأمه ومحاولة التأليه لهما فقرر الحقيقة الواحدة : حقيقة التوحيد الخالص الذي يدن به المسلمون .

٦ - تربية الحق تبارك وتعالى عن الولد والشريك .

الباب الرابع
الشرعية الإسلامية

(١)

منذ أن ارتفع أول صوت كريم بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي ، وقد حشد النفوذ الأجنبي ، والاستشراق والتبشير أسلحته وأدواته في حرب عنيفة تحاول أن توجه لنقاء الشريعة وطهرها وبهاثها الشبهات والسموم في محاولة شرسة لدفع هذا التيار والقضاء عليه .

وأعداء الشريعة الإسلامية (١) يدخلون إلى البحث وكأنهم أوياء للفكرة ليستطعوا أن يكسبوا الناس إلى صفهم يخدعون ويقدمون السموم جرعة بعد جرعة (٢) يعرضون دائماً لما يسمونه صور الخلاف والفتن في تاريخ الإسلام بين السنة والشيعة والمعتزلة ، وماذا يمكن أن تحول الخلافات بين المسلمين وبين الأساس ، خلافات كلها في داخل إطار الإسلام وهو أمر طبيعي لا غبار عليه ، والعبرة بأصول الإسلام لا بتطبيق المسلمين (٣) محاولة معاملة الإسلام والشريعة الإسلامية معاملة المناهج من حيث الكلام عن تطورها ، وعن تغيرها ، وإخضاعها للمجتمعات نفسها وهو ما لا يتفق مع ربانية الشريعة وبشرية المناهج الوضعية ، إلى مناقشة لا تكون في الغايات وإنما تكون في الوسائل ، الإسلام ليس منهجاً قابلاً للتغيير ، ولكن على الحاكم أن يطبق المنهج الرباني فهو ملتزم بالأساس لا بمرضاة الناس ولا بالخضوع لتيارات الانحراف والفساد ، وليس للعقل أى دخل في تطبيق الشريعة أو تفسيرها ، وإنما يقبلها المسلم كما أنزات ، والعقل بحاله شيء آخر ، ومعداته العمل في العمران والسعى ، وابن العقل البشرى القادر على إبداء رأى في الشريعة وإنما العقل جهاز يهتدى بنور الوحي . أن أغلب الأزمات التي عانت منها التجارب التي قامت لإقامة الحكم الإسلامي لم تكن إلا من القوى الخارجية التي لا تريد تطبيق الشريعة والتي تسلط أعوانها في الداخل للإفساد والتآمر ووضع العراقيل ، ومن الطبيعي أن النفوذ الغربي المتسلط من خلال أنظمة الحضارة والمصارف والمعاملات التجارية والنهاب لثروات الأمم الإسلامية ، يعارض بشدة ويبذل كل

ما في وسعه للحيولة دون مقام نظام الحكم الإسلامى الذى سوف يقطع يده لمن ينهب ثروات الأمم هو ومن تبعه .

(٢)

وهكذا تجرى محاولات المثبطين ، فى دعوى خادعة تحت اسم الاجتهاد لمواجهة التخلف وهذا ما يسمى بأنه التنازل عن حدود الله لدفع المجتمع الإسلامى فى إطار التبعية للغرب وللربا ، ومؤسساته والإباحيات والتحلل وهذه دعوى مضللة لا يقبلها أحد ، ولقد عاش المسلمون حياتهم يدافعون عن الهوية والذات ويعتصمون بحدود الله لا يخشون أن يوصفوا بالتأخر أو الرجعية ولن تستطيع التبعية للحضارة الغربية فى انحرافاتها وفسادها أن تحقق للمسلمين إقامة مجتمع صحيح ، إنما هى محاولة لصهرهم فى أنون حضارة منهاره بقبول أوضاعها فى السرقة والزنا والربا تحت أسماء أخرى ومن هنا كانت تلك الصيحة التى تدعو إلى ما يسمى الاجتهاد للخروج من الاطار الضيق التى عرفه تراننا الفقهي ، ولقد كان مجال الفقه الحقيقى هو أمور الدنيا ونظم معيشتها . وما توقف رجال الفقه عن الاستعانة بأهل الخبرة من علماء الاقتصاد والقانون والسياسة ولكن هل يستطيع علماء الخبرة أن يحلوا حراما أو يحرموا حلالا .

(٣)

• وجوه ماركسية تحت أفئدة علمانية . .

إن الذين يرفضون شعارات التقدم هم غالباً يساريون ماركسيون ، وهم أعداء الشريعة الإسلامية ، وهم الرأسماليون على نفس الكراهية والعداوة لمنهج الإسلام فى الاقتصاد ، ونحن نعلم أن الرأسمالية الغربية والاشراكية للشرقية كلاهما نتاج ما خرج آدم سميت ونظرياته فى حرية المال والتجارة ورد الفعل الذى جاء به كارل ماركس ونظريته والتناقض بين الرأسمالية والشيوعية تقوم داخل حضارة واحدة وفى إطارها ، وإن المجتمع الإسلامى بعد أن جرب كلا

النظامين أحس بأنهما لا يستطيعان العطاء الحقيقي وأن للإسلام منهجاً اقتصادياً واضحاً ومختلفاً عن كلا المنهجين ، ومفهوم الإسلام ليس هو مفهوم الدين الغربي كما يراه العلمانيون .

ولكن الإسلام نظام جامع متكامل ، الدين بمعنى العقيدة أو اللاهوت هو جزء منه ولكنه يعنى بإقامة منهج حياة . ولن يستطيع الفكر الإسلامى أن يأخذ قاعدة الحضارة الغربية بفكرها المسادى ، بعد أن تعززت هذه النتائج الواضحة الآن من فساد المجتمعات وانهارها أخلاقياً ، أن المسلمين يعرفون مدى الفوارق العميقة بين استعمال أدوات الحضارة وبين قبول أسلوب العيش الغربى وأن تمسكهم بتعاليمهم وقيمهم سيحول دون أنصهارهم فى أتون الحضارة الغربية أو النظام السياسى والاجتماعى للغرب بشقيه ، أن مفهوم الإسلام لكلمات التقدم والتجديد والاصلاح والتمدن هو مفهوم مختلف ، ليس كنسياً وليس مقتبساً من واقع الخلاف بين الكنيسة والعلم ، وليس بالضرورة أن يكون أخذ المسلمين بأحدث مبتكرات العلم وثمرات التكنولوجيا مصدر مشاكل اقتصادية واجتماعية كذلك الذى يواجهها المجتمع الغربى .

ومن هنا كان لا بد من مواجهة هذه الطاقة التى تحاول أن تختنق تحت اسم الاسلام ، ربما كان بعضهم له عرق نسب ، يحاولون خلق جو من التويه والتعطيل والنفث فى العقد لاثارة لروح التشاؤم والانتقاص لمحاولات العودة إلى طريق الله ، وإلى تطبيق الشريعة بإثارة شبهات وعقبات على نحو لا يقل خطراً عما يواجهه رجال الاستشراق والتغريب وأعداء الاسلام يصدر هؤلاء عن هدف واضح هو تبرير الأوضاع القائمة ومحاولة تثبيت الواقع المضطرب البعيد عن حقيقة الاسلام ، هذه الظاهرة جديرة بأن تدرس جيداً وأن يكشف زيفها ، وأن ترى أهدافها الخفية التى تختنق وراء ظاهرات من الادعاء بالخبرة على المد الإسلامى والصحة الإسلامية ، وأغلب هؤلاء الذين يتصدون لهذه الأعمال ، يعملون فى مواكب الحكم ، ويدافعون عن وجود الأمراء ، ويقولون من شأن البناء الإسلامى الذى يملأ قلوب المسلمين آملاً بالخطوة القادمة نحو تطبيق الشريعة الإسلامية وقيام المجتمع الإسلامى .

(٤)

من المشبطات والمعوقات ما يردده بعض خصوم الشريعة الاسلامية :

يقول الأستاذ جمال صادق المرصفاوى :

(أولاً) : أن الادعاء بضرورة التدرج فى العودة إلى الشريعة الاسلامية ادعاء خاطيء لأن من يزعمون يستندون إلى التدرج فى تحريم الخمر ، ويعقلون عن أحكام الاسلام قد اكتملت جميعها فإله تبارك تعالى يقول فى كتابه (اليوم اكملت لكم دينكم) فالتدرج إنما كان لنقل المجتمع من الوثنية إلى التوحيد أما الآن وقد اكتمل الدين فعلينا أن نعود إلى تطبيق شريعة الله كما أنزلها الله .

(ثانياً) : إن هناك من يزعمون أن الدين الاسلامى تشريع متكامل وأنه يتعين قبل العمل به أعداد المجتمع الاسلامى لى تطبيق فيه التشريعات الاسلامية وهذا قول داحض لأن المجتمع الانسانى منذ بدء الخليقة وسيظل إلى يوم الدين تقع فيه الآثام وقد شرع العقاب لحماية الجماعة من الشواذ الخارجين عليها لأن الله تبارك وتعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ومن ثم يجب أن يسير الاصلاح فى طريقين متوازيين : الدعوة إلى الفضيلة بالحكمة والموعظة الحسنة والعقاب لمن لم يمتثل .

(ثالثاً) : إن تطبيق الحدود سيؤدى إلى توفير الأمن والاستقرار للمجتمع ، هذا واضح فى الدول التى أخذت بأحكام الشريعة مقارنة بالدول الأكثر مدنية وحضارة فى العصر الحديث وفشلت فى كبح جماح الجريمة رغم استخدامها وسائل العلم الحديث .

(٥)

يقول المستشار عبد الجليم الجندى فى الرد على الشبهات الموجهة ضد الشريعة الاسلامية :

(أولاً) : ليست العبادات هى التى تصنع المجتمع الاسلامى ، وإنما

الذى صنع المجتمع الإسلامى والشريعة هو القانون الإسلامى ، وليس الخلق الإسلامى لأن الذى صنع الخلق الإسلامى هو الحدود ، التى تحمى القاضى الذى يطبق القانون الذى يعمل وتسرى من أجله هذه الاخلاق فى الناس .

(ثانياً) القانون المدنى الحالى لم يدع من نقحه عام ١٩٤٨ على مدى بضعة عشر عاماً أنه استفاد من الشريعة وإنما منصوص فى كتاب السنهورى أنه أخذ من (٢٢ قانوناً) منها القانون البرازيلى والتنقيحات التى أدخلها مأخوذة من المشروع الإيطالى الفرنسى للقانون المدنى ، فقانوننا المدنى الحالى هو القانون الأصل الذى كان محتفظاً وترجم ثم نقح ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ويعمل به منذ ١٩٤٩ .

ولا يقال أن قانوننا الحالى متفق مع الشريعة لأنه يخالفها فى ساقية الذين يقوم عليهما فى نظرية العقد وفى المسؤولية . فالقانون المدنى هو حرية الارادة والمسؤولية عند التعرض ، هذا هو القانون المدنى فهذان الاثنان يخالف بهما مبادئ الفقه الإسلامى ، الفقه الإسلامى باختصار لا يقبل الضرر أو المغامرة أو إطلاق حرية الارادة على التفقد ، هذا هو المعنى ، حرية الارادة مع أنها مضمونة لكنها مقيدة ، بأنه لا غرر ولا مخاطرة فى التراضى وفى الأحاديث وفى جميع كتب الفقه من ١٤٠٠ سنة ، لا غرر ولا خطر يسكون فى التعاقد لأنه إذا كان فى التعاقد غرر وخطر يبطله .

هذه القاعدة الاولى من قواعد التطبيق المدنى وهى حرية التصرف ، حرية التعاقد مقيدة بعدم الضرر وبعدم الغبن . القانون الحالى ليس فيه أى ذكر للغبن وليس فيه أى قيد على المغامرة فى التعاقد ، فالقانون المدنى فى هذه الناحية وهى النصف يخالف الفقه الإسلامى ، الساق الأخرى التى عليها القانون المدنى هى ، المسؤولية ، المسؤولية فى الفقه الإسلامى مختلفة تماماً وهى مختلفة لاعتن القانون المدنى الحالى بحسب ، بل هى تسبقها وتقدم فتقرر مثلاً أن كل مصاب له تعويض ولا تشترط الخطأ . أن شرط المسؤولية الخطأ فالركن الأساسى هو الخطأ إذا أحدث ضرراً وشرط التعويض هو الضرر .

الشريعة تقول شيئاً مختلفاً : إن أضرت بي بعير خطأ أنت تعوضني أن
تضمن الضرر ، هذا شيء تسعى له الآن أوروبا من مائة وعشرين عاماً
المسوفيت لم يبلغوه الآن ، بل المسوفيت يمتشطون بالخطأ للتعويض .

الثانية : إن كان الإنسان ككل إنسان في الضرر وفي تعويض الضرر فتعرض
حده واحدة الملك والراعيه وللراعى ولاى فرد فى الرعية ، هى فى هذا تساوى
بين الناس فى إقدارهم ، وتسوى بين الناس فى التعويض الذى يأخذونه .

(ثانياً) مشكلة تقنين جديد عن الحدود . إنها مشكلة ولكن الشريعة تكفلت
بحملها وإن لم تكفل الشريعة بحملها تشككنا فى قدرتها على أن تحل شيئاً ، نحن
نعلم ما يشوب عالمنا من منكرات ، إنه ليس عالمنا كما يظنون إنه عالم صنعه
قانون جىء به منذ مائة عام ، صنع الرداء الذى نلبسه فى المعاملات الاجتماعية ،
سيطرة الغنى على الفقير ، سيطره ذى الجأة على الذى لا جأه له ، طريقه البيع
والشراء ، طريقه الاجارة ، نحن نبيع ونشتري بالقانون الفرنسى ، شئ مختلف
غواجر ونزرع بالقانون الفرنسى ، نحن فى عائلتنا نتعامل بالخلق الفرنسى
ليس هذا هو المجتمع المصرى الحقيقى ، هذا المجتمع قد صاغه قانون
حديد ، عمل به من مائة عام فى بيوعه وشرائه وسائر معاملاته ، الشريعة
الإسلامية تكفل بإصلاح هذا بيد سحرية ، استغفر الله بل بصفة إلهية ،
وهذه الحدود وما فيها من بشاعة وشناعة هى لم تشرع ليأخذ بها الناس
فوراً وإنما شرعت ليعلم الناس إنها ستطبق عليهم ، وكذلك قالوا .
الحدود زواجر ، حدود ، ستسرق ، ستقطع هذه اليد بنظرة الناس ،
علاج ربانى خالص ، اليد التى تسرق ستقطع ، إذن اليد مباشرة لا تحرك
هذه هى الشرقة ، الزانى الذى يصنع فى غيبة الناس يرحم علنا وليشهد عليه
طائفة من الناس ، فضيحة الزانى الذى فى السر هو المفضوح فى العلن
وفى ميدان عام ، إذن الحدود هذه عندما شرعها الله شرعها لنا نحن
البشر .

(٢) دعوى نبدأ ببعض الحدود : لا ، التشريع نزل متكاملًا ولم يزل

على تدرج ، القرآن نزل على تدرج لأن الله سبحانه وتعالى يريد له الحفظ ليحفظه الناس ، ونزل مع تدرج الآيات تدرج الأحكام ، وفي هذا التدرج كان بعض القول بالنسخ لتغير الأحوال وكان المجتمع يتطور ويتقدم ولم يمت الرسول إلا وقد أكمل الله الدين وأنتم نعمته على المسلمين ووجب من يوم أتم الله هذا الدين أن يطبق كاملا ، أما التدرج الذي نريده وننادى به وقد نادينا بهذا في كتب منذ عشرين عاما ، التدرج هو أن نقول هكذا : القانون المدني سنعمله ، نعمل فترة انتقالية ، يصدر القانون اليوم ، ولا بد أن يخرج اليوم وإلا فقدت مصري عامتها ونقول أمامنا فترة ثلاث سنوات لكي يطبق ويكون قد قرىء كفايه .

وضعنا تحت كل مادة ما يقابلها من المجلة أو من قانون قدرى باشا ، قانون قدرى باشا لو طبق من سنة أن طبق لفاق قانون نابليون وما صلحناه وما كنا عدلناه ألب تعديل طبقا للمجتمعات التي يطبق عليها مجتمع ١٩١٤ مجتمع ١٩٤٠ ، مجتمع الثورة .

إذا قطعت يد واحدة في الجيزة تعطلت السرقات في الصعيد وفي الاسكندرية حتى ليبيا بمجرد أن تقطع يد واحدة ، أمريكا فيها ستة ملايين سرقة سنة ١٩٧٥ لو قطع يد أمريكي واحد لن يكون ستة أو خمسة مليون سرقة في العالم .

هذه هي مقدرة الشريعة على العلاج : إن الحدود زواجر .

(٤) ما يقال من أن القانون المدني أغلبه موافق للشريعة !

هذه مقوله دراجة الآن على السنة الجميع .

الجواب : إن قانون العقوبات الحالي ليس قانونا إسلاميا لأن التعزير في الإسلام ، وإن نظام السجون اختراع أوربي ، فأصبح في السجون ملايين من أمريكا ملايين من أوروبا وبقيت مؤسسة السجون تنمى نفسها فتزداد تكاليف وتنمى في المسجون أخلاق السجن فيخرج مجرما على أعلى درجة فيزداد العدد ويرتفع على هذا وعلى ازدياد العدد وعلى نمو السجون عندنا : إن الجرائم أصبحت

لا يبلغ بها مئات الجنايات لا يبلغ بها لأننا من أين سنحضر لهم السجون ،
والحدود ، في علاجها الإنسانى إنما لا تطبيق إلا إذا حدث التبليغ كالسرقة ،
الجرائم قبل قانون نابليون كانت عشر معشارها ١٨٨٩ خمس سنين كانت كافية
حتى ترتفع الجرائم وتزداد الجنايات .

والشريعة نظام كامل وهو يحدث الأخلاق الطيبة و الأخلاق الطيبة تحدثه ،
لأن الأخلاق الطيبة لم تحدث القانون الإسلامى بل القانون الإسلامى هو الذى
معان دفاق .

(٥) القانون المدنى .

لقد نادينا منذ ١٩٦٤ بالدعوة إلى تجلية مبادئ الشريعة وكان لهذه اللجنة فى
فى المجلس الأعلى فضل السبق فى تقنين الشريعة ، القانون الحالى صيغت موارده
بطريقة يتفق مع مآدرج عليه القضاة ، ١٠٤٠ مادة صنعت على طريقة قانون
نابليون وصيغت بتبويب قانون نابليون واكتفينا من العصريه أن يكون
التبويب والتقسيم والترتيب .

رجال الجامعة جاءوا يقولون : القانون المدنى جميل والناس ألقوه ولا بد أن
تستقر المعاملات ، استقر كما تريد فى معاملتك ، ولكن مجتمعك لن يستقر ،
مجتمعك لن يستقر إلا بالشريعة .

(٦)

دكتور مصطفى أبو زيد فهمى (ك) فن الحكم فى الإسلام :

يقول : إنه أحس بزلال هزيمة ١٩٦٧ فسأل نفسه ذلك السؤال الذى لا بد
أنه أفلقنا جميعا ، أما من علاج لكل ما حل ثبا ، أما من طريق إلى إعادة بناء
الفرد وإعادة بناء المجتمع ويقول إن تفكيره العميق انتهى به إلى ضرورة العودة
إلى الإسلام وإلى كتاب الله ، ليطبق تعاليم الإسلام فى كل حياتنا العامة والخاصة
وقال إن الشورى هى أساس فن الحكم فى الإسلام .

ثانيا : إنه يطالب بإعلان الحكم الإسلامى وقيام المجتمع الإسلامى فوراً
ويلح فى أن تعود الأمة كلها إلى رحاب الله فوراً وهو يقدم حافزاً

هائلا فهو يرى أن تحقيق ما نطالب به يجعلنا قادرين على إنزال الهزيمة الساحقة بالدولتين العظميتين في عالم اليوم .

ويقول أنه بعد ثلاثة عشر عاما من إنتقال الرسول إلى جوار ربه نزلت الهزيمة الساحقة بالدولتين العظميتين معا في عالم ذلك الوقت وهما دولة الفرس ودولة الروم .

ويرفض الدكتور أبو زيد فهمي : « الموامة » بين أفكار أو مبادئ جاهزة في أنظمة الحكم وبين الإسلام يقول : « إننا لا نستطيع أن نكون مسلمين جزئيا على الإطلاق . »

(٧)

يقول الاستاذ عبد القادر عوده في مقدمة كتابه (التشريع الجنائي الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى) :

أن الشريعة على قدمها أجل من أن تقارن بالقوانين الوضعية الحديثة وأن القوانين الوضعية بالرغم مما انطوت عليه من الآراء واستحدث لها من المبادئ والنظريات لاتزال في مستوى أدنى من مستوى الشريعة والقوانين الوضعية : عقيدة رجال القانون وهى عقيدة خاطئة مضللة من المؤلم للنفس أن تروج هذه العقيدة الخاطئة أو الا كذوبة الكبرى وأن يلقنها الطلبة على أنها عقيدة مسلم بها أولى العلم والقائمين على أمر التشريع بالرغم من أنها قائمة على مخالفة الواقع وإنكار الحقائق والجمل الفاضح بأحكام الشريعة ، أن الشريعة تتفوق على القوانين الوضعية تفوقا عظيما في المسائل الجنائية عامة ، وأن القسم الجنائى من الشريعة صالح كل الصلاحية للتطبيق في عصرنا الحالى في المستقبل كما كان صالحا كل الصلاحية في الماضى .

تبين لى من دراسة الشريعة أن القائلين بأن الشريعة لا تصلح للعصر ، لا يبنون آرائهم على دراسة أو حجج منطقية لأن الدراسة العلمية والمنطق لا يقضيان القول بتفوق الشريعة على القوانين الوضعية ولصلاحية الشريعة

لهذا العصر ولما سيتلوه من عصور وفوق هذا فالقائلون بعدم صلاحية الشريعة للعصر الحاضر ، فريقان : فريق لم يدرس الشريعة ولا القانون وفريق درس القانون دون الشريعة وكلا الفريقين ليس أهلا للحكم على الشريعة لأنه يجمل أحكامها جهلا مطبقا ومن جهل شيئا لا يصلح للحكم عليه .

أنهم يقيسون الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية فيقولون : ما دامت القوانين التي كانت سائدة حتى أواخر القرن الثامن عشر لا تصلح لعصرنا الحاضر فكذلك القوانين التي كانت سائدة في العصور الوسطى والتي ظل الكثير من أحكامها معمولا به ، ووجه الخطأ في القياس أنهم سوا بين القوانين الوضعية التي وضعها البشر وبين الشريعة الإسلامية التي تكفل بوضعها خالق البشر فهم حين يقيسون إنما يقيسون الأرض بالسما والناس برب الناس ، فكيف يستوى في عقل عاقل أن يقيسون نفسه بربه وأرضه بسماه . وجه الخطأ في هذا القياس أنهم سوا بين الشريعة والقانون وهما مختلفان في طبيعتهما كل الاختلاف ونستطيع أن نبين مدى هذا الخلاف إذا استعرضنا تشابه كل منهما وميزاته الجوهرية التي تميزه على غيره ، لاقياس بين مختلفين : وإذا صح أن الشريعة تختلف عن القوانين اختلافات أساسية وتتميز بميزات جوهرية فقد اقتنع الناس بأن القاعدة أن القياس يقتضي مساواة المقيس بالمقيس عليه فإذا انعدمت المساواة فلا قياس أو كان القياس باطلا .

تختلف الشريعة عن القانون اختلافا أساسيا في عدة وجوه :

الوجه الأول : أن القانون من صنع البشر أما الشريعة فن عند الله ومن ثم كان القانون عرضة للتبديل والتغيير أو ما يسميه التطور كما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة .

الوجه الثاني : أن القانون عبارة عن قواعد مومن يصنعها الجماعة لتنظيم شئونها وسد حاجاتها فهي قواعد متأخرة من الجماعة أو في مستوى الجماعة اليوم ومتخلفة عن الجماعة غدا لأن القوانين لا تتغير بسرعة تطور الجماعة ، أما الشريعة فهي قواعد وضعها الله تعالى على سبيل الدوام لتنظيم الجماعة

قواعدها دائمة لا تقبل التغير والتبديل وتميز لهذا الشريعة بما يملأ
نصوصها من المرونة والعموم بحيث تنسج لحاجات الجماعة مهما طالت
الآزمات .

وتطورت الجماعة وأن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من السمو
والارتفاع بحيث لا يمكن أن تتأخر في وقت أو عصر ما عن مستوى الجماعة .

(٣) أن الجماعة هي التي تضع القانون وتلونه فعاذاتها وتاريخها
وتقاليدها أما الشريعة فهي ليست من صنع الجماعة وأنها لم تكن نتيجة
لتطور الجماعة وتفاعلها كما هو الحال في القانون الوضعي وإنما هي من صنع
الله الذي أنقذ كل شيء .

(٤) المميزات الجوهرية التي تميز الشريعة عن القانون .

١ - « الكمال » ، تمتاز الشريعة بالكمال وأنها استكمالات كل ما تحتاجه
الشريعة الكاملة من قواعد .

٢ - « السمو » ، قواعدها ومبادئها اسمي من اسمي من مستوى الجماعة .

٣ - « الدوام » : تمتاز الشريعة على القوانين الوضعية بالدوام أي
بالثبات والاستقرار بنصوصها لا يقبل التعديل ولا التبديل مهما مرت
الأعوام .

٤ - « الشورى » ، سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في تقرير
مبدأ الشورى بأحد عشر قرناً حيث لم تعرف هذه القوانين مبدأ الشورى
إلا بعد الثورة الفرنسية .

٥ - « الشريعة تقرر الشورى قاعدة للحكم : لا ضرر ولا ضرار في
الإسلام ، هذان نصان بلغا من العموم والمرونة واليسر ما لا يمكن أن يتصور
بعده عموم أو مرونة أو يسر .

(٨)

تم تعديل المادة الثانية من الدستور المصرى الصادر ١٩٧١ الذى تم بعد استفتاء شعبى ١٩٨٠ وهو تعديل له أهميته البالغة فى توحيد اتجاه التشريع المصرى فى كل مجالاته . كانت المادة قبل تعديلها تنص على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع وعبارة النص على هذا النحو كانت تسمح بأن يقوم إلى جانب الشريعة نظم قانونية أخرى مستمدة يصفه رئيسية من مصدر أجنبى عن الشريعة .

وكان الواقع القانونى لمصر متمثل فى تعدد مصادر التشريع ، وانفردت للشريعة الإسلامية بحكم مسائل الأحوال الشخصية وقام إلى جانبها القانون المدنى ١٨٨٣ وقانون العقوبات ١٩٠٤ وفى القانونى المدنى المعدل ١٩٤٩ جعلت الشريعة مصدراً من مصادره الرئيسية إلى جانب التقنيات العالمية الأخرى أما فى قانون العقوبات فالوضع يختلف لأنه لم يظهر أى اتجاه لمراعاة أحكام الشريعة عند وضعه أو حتى فى تعديلاته المتتالية الرئيسية إلا ما جاء فى المادة السابقة من أن تطبيقه لا يخل بحق مقرر فى الشريعة ولم يعتبر هذا النص مطلقاً قيدا عاما على أحكام القانون إنما كان يجرى تطبيقه فى حالات قليلة جزئية متعلقة ببعض أحوال الإباحة (مثل حق التأديب المقرر للأب على أبيه والمعلم على تلميذه) .

أن تعديل المادة الثانية من الدستور الذى ينص على أن الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع تعنى أن تكون الشريعة هى المصدر الرئيسى وحدها بحيث يمنع أن يساويها أو يشاركها فى الأولوية التى أعطائها لها الدستور مصدر آخر ويعنى كذلك أن التشريع المصرى لا بد أن يكون متفقاً مع نصوص الشريعة اللفظية أو قواعدها العامة الشكلية .

وقد وضعت الشريعة نصوصاً معينة لعدد محدود من الجرائم العادية

هى : -

الحدود (من السرقة والحراقة والزنى والقذف وشرب الخمر) .

كما وضحت القاعدة في النسبة بين الجريمة وعقوبتها في مبدأ التصالح في جرائم الاعتداء على النفس ومادونها .
وفيما عدا ذلك فإن سياسة التجريم والعقاب بالنسبة لباقى الجرائم وعقوباتها تخضع لما يرضه لها المجتمع من ضوابط ومعايير تحقق المصلحة والعدل وهما من أصول الشريعة ومقاصدها .

والرافعة الجنائية لا بد وأن يحكمها نص شرعي قطعي الدلالة وأن تتوفر فيها الشروط الشرعية لإمكان تطبيق الحد الشرعي سواء من ناحية الركن المادى للجريمة أو قسام الدليل الشرعي بشروط مما يقتضى العلم بكافة الشروط اللازمة لتطبيق الحد في جرائم السرقة والزنى والقتل وغيرها من الحدود .

(دكتور جمال الدين محمود)

وقد كان من آثار مدور هذا التعديل أن أخذت المحاكم وبعض رجال القانون يوجهون أحكامهم وجهة إسلامية .
فطالبت محكمة جنح بني سويف بقطع يد أحد المصوص كما قررت محكمة غاادين أن الفوائد ليست إلزاماً بحرمه الإسلام وأصدرت محاكم أخرى أحكاماً بمنع شرب وبيع الخمر .

(٢)

تاريخ العلاقات الدولية في الإسلام
جرت محاولات كثيرة خلال سنوات المد التغريب والإنكار لمفاهيم الدولة الحديثة في الإسلام حتى جاء من الباحثين المسلمين من يكشف هذه الحقائق ، من هؤلاء تلك الدراسة المبكرة التي كتبها الدكتور محمد الجبلي في كتابه " العلاقات الدولية في الإسلام " التي قدمها الدكتور ضياء الدين الريس في الأخير ترى أطروحة الدكتور محمد الشافعي " الدولة الإسلامية في الإسلام " وهي دراسة تؤكد عظمة الحضارة العربية الإسلامية في مجال العلاقات الدولية للأمم العربية الإسلام . وقد كشفت كيف أن الإسلام عرف نظام السفارة قبل أن تعرفه الدول الحديثة (م ٧ تصحيح)

وقبل أن تكتبه معاهدة فينا عام ١٩٦١ كاهن النظام الإسلامي أسلوب كتابة المعاهدات وكان علي بن أبي طالب ، هو الكاتب المخصص في كتابتها على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنذ أربعة عشر قرناً سبقت الشريعة الإسلامية تقدمت أحكاماً عربية بشأن حابة ضحايا وأسرى الحرب قبل أن ينتهي إليها اتفاقات جنيف الأربع المعقودة عام ١٩٤٩ .

أولاً : أحكام أسرى الحرب وحظر أعمال النار والانتقام ضد الجرحى والمرضى والغرقى في ميدان القتال وقتل المحصن أو إصابته أو أسرهم بالجوء إلى وسائل العنف التي نظمها البروتوكولات الملحقه باتفاقيات جنيف سنة ١٩٧٧ .

ثانياً . كثير من المشاكل الدولية التي مازالت محل نقاش في المؤتمرات الدولية تناولتها الشريعة الإسلامية بالضبط والتنظيم لأن مهمتها حضارية وتنظيمية تستهدف تنظيم العلاقات الدولية في مجتمع مفتوح لضم شعوب العالم المعروفة في ذلك الوقت .

ثالثاً : تنظيم المجاعة الإنسانية على أسس ثابتة واضحة المعالم .

رابعاً : القانون الدبلوماسي جزء من القانون الدولي .

خامساً : الشريعة الإسلامية بمبادئها الخلافة وماحوتها من تنظيمات وأسلوب التعامل بين الدول مسلمة كانت أو غير مسلمة في السلم والحرب هي في الحقيقة اثنين لدبلوماسية سبق عهد .

سادساً : القانون الدولي الحديث لم يصل في بعض أحكامه إلى ما وصلت إليه الشريعة الفراء فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ اعترف به للشريعة الإسلامية حظها من احتراماً صريحاً مطلقاً وقد جاء الاعتراف في وقت لم يكن للإنسانية خارج ديار الإسلام حق تجاه

سابقاً : أملت المصادر الدبلوماسية المختلفة أن عمداً أو سهواً دراسة النظرية الدبلوماسية عند العرب وخاصة في عهد الخلافة الإسلامية وسبب عدم الاهتمام يرجع إلى أن معظم المراجع عربية لم يتيسر لطلالة الغرب يتبع تطورات الدبلوماسية الإسلامية .

(٢) ما نقل مكتوباً باللغة العربية ليس موحداً للمباحث أو المنهج ولا هو ميسور للباحثين ولكنه مبعثر من شق المخطوطات وبطون الكتب .

ثامناً : لم يقدم رجال القانون العرب ، للدبلوماسية الإسلامية الاهتمام الذي تستحقه وردد بعضهم دون قصد دعوى المفكرين الأجانب الذين اعتبروا أن الدبلوماسية البيزنطية هي مصدر التشريع الإسلامي والتنظيم الدبلوماسية الحديثة وهو أمر غير صحيح على إطلاقه .

تاسعاً : الدبلوماسية البيزنطية كانت تهتم بالنواحي الخاصة بالمراسم وفرق بين الدبلوماسية والمراسم بينما أعطى المسلمون الاهتمام الأكبر للنواحي الدبلوماسية ولم يغفلوا المراسم والنواحي المظهيرية (لخصه أحمد يوسف الفرعي)

(١٠)

الإسلام أب القانون الدول .

يقول العلامة مارسيل بواشا : إذا كان المسلمون هم الذين ابتدعوا (علم الجبر) وكانوا هداة الدنيا بأسرها في المجال التطبيقي للعلوم ، مما نشأ عنه تفوقهم المائل في الكيمياء والصيدلة والأبحاث الطبية وعلوم الأحياء والنبات والبصريات والميكانيكا فإنهم هم الرواد في مجال آخر له أبعاده الإنسانية العظيمة ألا وهو (القانون الدول) وشرائع الحرب والسلام وسائر العلاقات الدولية في المجال الدبلوماسي التجاري .

لقد ظل الإسلام سبعة قرون بكاملها مهيمناً على الحياة الفكرية والثقافية لمحوض البحر الأبيض المتوسط ، وقلبت سميت أنواره إلى صميم الحياة الأوروبية وهم حالة العناء المتبادل طوال تلك الفترة وما تزال الأبحاث التي تعادل استقصاء التأثير الإسلامي في العالم العربي دائرة من دائرة تفرد من الزمن .

ولاشك أنه التعصب الجاهل والحقد المذهبي قد ساهما كثيراً في تعمية الحقائق وطمسها من جانب الثوريين حيث يهملون نسبة الفضل إلى أهلها ويعتمدون إغفال ذكر المصادر التي أخذوها منها فضلاً عن أعمال السطو الفكري وانتحال أسماء المؤلفات وضعها غيرهم .

لقد سرى أثر الإسلام وشريعته المتساحة إلى أوروبا في عهدها الإقطاعي المتخلف فكان لذلك أثره العظيم في مجال القانون بخاصة والتقدم الذهني بهامه ، أن الشريعة الإسلامية المثل في سماحتها قد سهلت عبور الأجانب ورحلاتهم التجارية عبر العالم الإسلامي ، لقد بدأت نهضة الغرب في إيطاليا منذ القرن الحادى عشر وواكب ذلك ارتفاع الطلب على سلع الشرق وكانت معابر إيطاليا للعالم الإسلامى هى صقلية وسالرمو فضلاً عن البندقية وجنوه وبترا لقد كان الكثيرون من تجار إيطاليا يمشون عدة أشهر من العام فى بلدان البحر المتوسط الإسلامى ، وكانوا على رأس الناقلين لأوروبا مستوى رفيعاً من العادات والأعراف والطبائع الإسلامية .

وأهم من ذلك جميعاً ، الشريعة الإسلامية ، للمتاجرة الدولية فالإسلام هو الذى أفر وشجع انتشار مبدأ الحركة البحرية والحق العام فى الملاحة البحرية لساير الناس وبتأثير روح الإسلام ومبادئه الإيمية السامية أضحى أوروبا اعتباراً من القرن الثانى عشر للميلاد تؤمن بحرية المرور للجميع فى الممرات النهرية كما تفهم الأوروبيون قيمة المعاهدات التجارية ومزاياها ، الحفاظ عليها من النقص والعيب واقترن بمثل ذلك ظاهرة مستجدة فى أوروبا هى ظاهرة احترام الأجنبي الوافد للتجاوزة من غير إبلاجه كل بدأ يظهر إدراك واضح للضمانات المكفولة بالحصانة الدبلوماسية .

ومن المعروف أن حماية المسافرين الأجانب والتجار هى التزام قديم على الجماعة الإسلامية مكتمل بنصوص الشريعة منذ قامت للإسلام دولة ، وقد قامت على ذلك شروط الاتفاقات التجارية ، ومن ذلك معاهدة معبوجة ١٤٨٩ من سلطان المماليك قايتباي وجمهورية فيورنسا ، أمر السلطان لرحلته بكفالة أشخاص وأمواله ساير المياطين فى جمهورية فيورنسا فى أبراضى مصر وسوريا

وفي عام ١٣٤٠ م وضع أول قانون للبحر ينظم الأحكام التي إقتبسها الغرب من المسلمين عن العمل البحري التجارى وضماناته ومن أهمها الضمان الإسلامى المعروف ، وهو أن الالتزامات الواقعة على شحن السفينة لا تؤثر على التزامات السفينة ولا ترتبط بها وهو حكم لم يتقرر فى أوروبا إلا بعد حرب القرم فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ويمكن اعتبار القانون الإسلامى المنظم لأعمال التجارة البحرية الذى إقتبسه الغرب فى القرن الرابع عشر أول القوانين الدولية التى طبقها أوروبا فهو ينظم أحكام الملاحة البحرية والجوارك وواجبات وحقوق أصحاب السفن والتجار وقباطنة البواخر ووسائل حل الخلافات الناشئة بين التجارى بصرف النظر عن قوتهم الأصيلة أو عن دينهم . وإن ظهور هذا القانون فى دائرة منطقة المتاجرة مع المسلمين فى حوض البحر المتوسط هو الدليل القاطع على أن الإسلام كان الهادى لأوروبا والباعث المحرك لنهضتها ومن أكبر ما أفاده الغرب من الحروب الصليبية هو اقتباسهم من المسلمين المهارات البحرية وعلوم البحار وأدوات الملاحة وقد ترجم لليهود علوم المسلمين وتطبيقاتهم التقنية وقوانينهم وتقافتهم العامة إلى اللغات الغربية ولاسيما اللاتينية

وقد ظهرت مجموعة (البارتيذا) الصادرة فى سلامنكا فى أعقاب انتشار كتاب (الولاية) وهو مجلد لخص كل شرائع واحراف المسلمين بشأن الحروب ورعاية أيتامها وكفالة المتضررين من جرائها وكذلك كفة الإسلام للمساكين وإيلاء السبيل والمقعدين والشيوخ كما حوى فصلا عن حضانات الممثلين السياسية وسلامة العبور عبر أراضى العدو فى الحالات الإنسانية والاستثنائية والتجارية والعقوبات المسلوثة لأعمال الخيانة لهذه المبادئ .

وإن كان قد كتب على مجموعة (البارتيذا) إنها عبارة عن أقوال حكماء قدسين فإن مادة الكتابة وأسلوبه على السواء تبيان بكل بساطة عن وجه الإسلام وإن هناك محاولة للتنميه على الأصل الإسلامى للقوانين . والحقائق الواردة فى المجموعة . إن المراد التى تتعلق بتوزيع الأفعال فى الغرب إنما هى بالكامل وبالحرف الواحد الشرائع التى وضعها القرآن الكريم

وتمس عليها المجتهدون المسلمون ، كما يجد الحقوق والمصانك الخاصة بالمفارض
الذى يفارض لإطلاق سراح الأسرى في بلاد العدو وقد أخذت بالحرف
الواحد من المسلمين وثمة فصل آخر عن حقوق وسلامة الرسل في أثناء
الحروب . وينبغي أن تؤكد أن كامل هيكل الفكر الغربي في مجال التشريع
الدبلوماسى الدولى والقوانين الدولية في الحرب والسلام إنما قام على مجموعة
(البارتيرا) وهى المقتبسة عن الشريعة الاسلاميه والفكر الإسلامى وعمل المجتهدين
والفقهاء والمسلمين ومع كل الاجتهاد الذى حدث منذ سقوط غرناطة ١٤٩٢
لنحو آثار الإسلام والتستر على فضل المسلمين لم يكن ذلك ممكنا على الإطلاق
بعد أن أقام المسلمون حوالى ثمانية قرون هناك وبالرغم من الروح الرهبة
التي واكبت فظائع محاكم التفتيش وكل ماجر من براكين الحق على المسلمين لم
تحل دون استمرار وضوح للتأثير الحضارى الإسلامى إلى مدى بضعة قرون
قلت خروج المسلمين وأنه من الانانية المأكرة واللوم الرخيص أن يظن
أن النهضة الأوروبية كانت ستكون ممكنة لولا فضل المسلمين دورهم التاريخى
القد . لقد كانت مقتبسات فردريك الثانى فى صقلية تشمل أولا تجهيزات
الجيش ووسائل تعبئته وتنظيمه وتدريبه وتجهيزه وتموينه ، وثانيا : النظم
الضريبية ونظم الجمارك واحتكار الدولة للمناجم وثمان المساحات من الارض
المشاع لكل قرية وغير ذلك كثير ، وفيه جميعا كانت سرية الإسلام هى
النموذج الذى احتذاه الغرب دون اعتراف بذلك أو إقرار به ، أن الافكار
التي اضطرت فى الغرب عن الحربة وأدت إلى قيام الثورة الدينية ، وكثير
من الثورات السياسية فى أوروبا إنما كانت حصاد اتصال النصرانى بمسلمى
الشرق أيام الحروب الصليبية ونتيجة لتأثير الفساح الإسلامى على نصرانى
الغرب المقيمين بالممالك اللاتينية وقد أصبح هناك شق واسع بين النصرانى
للمقيمين فى الشرق والآخوين الوافدين لتجدتهم فى الحملات الصليبية المتأخرة
فى الغرب .

الشريعة الإسلامية :

يقول المستشار هل على منصور : شريعتنا غنية بكل شيء وحرام أن نقول ونحن أغنياء ، إعترف علماء القانون في الغرب بأن الشريعة الإسلامية هي أهم مصادر التشريع ، ما أخرجنا نحن المسلمين إلى قننين الشريعة الإسلامية وخاصة بعد أن أخذنا القوانين الوضعية نحو المزالق المستهلكة والقوضى والصياغ ، ونتباهى بأننا أخذنا من أحدث القوانين الوضعية في الغرب يشدنا سراب خارح اسمه الحرية الشخصية لدرجة أن الزنا وهو أبشع الجرائم اعتبرته بعض القوانين الوضعية من قبيل هذه التجربة الشخصية وكذلك الحال مع شرب الخمر والاتجار فيها .

القوانين الوضعية ترى أن معاقبة الزوج على ارتكاب جريمة الزنا وهي جريمة في حق الدين والمجتمع كله ، أمر متروك للزوج وحده يقرره أو يمنعه فهو أن تنازل امتنع على القضاء أن يوقع أية عقوبة على الزوجة الزانية حتى إذا عوقبت بالسجن كان من حقه أيضاً بعد ذلك أن يتنازل ويخرجها من السجن والزوج الذى زنت زوجته من حقه أن يزق خلال مدة خمس سنوات من تايخ ارتكابها هذه الجريمة دون أن تطوله يد القانون .

هذا كله قبلناه لأننا بعدنا من الدين وانحرفنا نحو الغرب ولذلك كانت حاجة المسلمين إلى قننين الشريعة ضرورية .

إن المسلمين فى حاجة ملحة إلى ذلك حاجة البدن إلى الروح ، فهذا الأمر لازم لهم ليكمل لهم إسلامهم فالشريعة الإسلامية أعمل أمرها فى بلاد المسلمين فالعبادة بالصلاة والصوم فقط هي عبادة العجائز . والشريعة الإسلامية قادرة على مواجهة جميع الأحداث فى كل زمان ومكان وفيها الكفاية كل الكفاية لحل مشاكل البشرية جمعاء إلى يوم الدين .

جاءت الشريعة الإسلامية بأحكام فاطمة عليها الحاجات الناس فى كل مكان

وزمان وجاءت قاطعة فيما يتعلق بالمعاملات والمعاقد وترك الباقي الاجتهاد لتكون مرنة مع اختلاف البيئات والازمنة وأعطت الحرية لاحكام العقل البشري احتراماً له ، فانه يعبد بما شرع ولكن الفروع التي لا يعبر الخلاف حولها لا يصير الأمر على توحيدها حتى لا تصطدم بالزمان والمكان وهذه هي التي فتحت فيها باب النظر والاجتهاد كمثل الفتاوى التي صدرت من الأئمة وهي التي تكونت منها المذاهب والفقه الإسلامي .

لماذا التقين ما دامت الشريعة موجودة فعلا من خلال كتاب الله والأحاديث النبوية وسنة رسول الله .

(ج) حتى تصبح في شكل مواد مرتبة وعبوبة وفي شكل مجموعة من التشريعات ليسهل على الإنسان معرفتها والرجوع إليها ويسهل على القضاة والمحامين الاهتمام إلى ما يريدونه منها في أقصر طريق وفي النهاية لتصبح الآداة الرسمية التي تحكم كافة معاملات الناس في الحياة من خلالها .

إن حاجتنا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية هي حاجتنا إلى طاعة الله فيما لم يحكم فيه بما أنزل الله فنحن كافرون طاغون .

عاش الفقه الإسلامي أربعة عشر قرناً وما زال صالحاً لكل زمان ومكان والتشريعات في أوروبا وليدة قرن واحد والتشريعات الشيوعية وليدة نصف قرن . وقضاء المظالم هو الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وهو ما يسمى (مجلس الدولة) .

فعلت السعودية في عهد الملك بن عبد العزيز سنة عشر بدا كانت ثمناً لتحقيق الأمان الكامل في هذه البلاد التاسعة وللبلائين البلائين من البشر القادمين من المحتاج في مدى نعمة وخير عام .

(١٢)

القانون الدولي العام

أول من طبق من قبله المصلحون أربعة ما يسمى الآن : القانون

الدولى العام، في كتاب مستقل هو الإمام محمد بن حسين الشيباني الذي أخرج كتاب السير الكبير، في القرن الثامن الميلادى . كما أخرج الماوردى كتابه (الاحكام السلطانية) وهو دراسة للقانونين العام والخاص (كالاقتصادى والنسورى) والعام الخارجى الدولى وذلك في القرن الحادى عشر الميلادى (أخرجه صلاح المنجد أخيراً) أما القانون الدولى الاجنبى فإن لحركته لم تبدأ إلا في القرن السادس عشر الميلادى عند فيتوريا وسوازى ، وأول كتاب ظهر مستقلاً في ذلك ويمكن أن يقارن بكتاب الشيباني هو كتاب جروسىوس الهولندى واسمه (قانون الحرب والسلم) وذلك في القرن السابع عشر الميلادى أى بعد ظهور كتاب الشيباني بتسعة قرون وقد أسس في ألمانيا في السنوات الأخيرة جمعية الشيباني لحقوق الدولة وضمت عدداً كبيراً من علماء القانون الدولى والمشتغلين به في مختلف أنحاء العالم بهدف التعرف إلى الشيباني وإظهار آثاره العلمية في هذا الباب وقد أثبتت الدراسة تفوق الفقه الإسلامى في مجال القانون الدولى العام في مجالات متعددة :

- (١) في مجال السلم والعلاقات الدولية (٢) مبدأ حرية البحار وحرية التجارة وتلاحة فيها (٣) الحرب المشروعة وغير المشروعة (٤) نظرية إعلان الحرب (٥) معاملة المدنيين غير المحاربين أثناء الحرب (٦) معاملة أسرى الحرب (٧) العهود والمواثيق بين الدول .

(ثانياً) مكانة الفقه الإسلامى في القانون الدولى العام :

القانون الدولى العام الذى ينظم علاقات الدول فيما بينها في حالى السلم والحرب ، أثبت ميشيل دى توب أستاذ القانون الدولى العام (لاهى) ١٩٢٦ أن فيتوريا وسوازى (القرن الثالث عشر الميلادى) هما أول من فكر في قواعد القانون الدولى العام الوضعى وأنها كان بمنزلة وينغلان في ذلك القواعد المقبولة الدولية في الشرع الإسلامى وكلاهما من أسبانيا غشتا بين ١٥٤٦ - ١٦١٧ ثم نقل منهما جروسىوس المسمى أبو القانون الدولى (القانون ١٧) ومنه نقل جميع فقهاء القانون الدولى الحديث .

وقد عرّض دى توب ما سبق الإسلام به كل للقوانين الدولية وعلى الأخص
عظم الحرب وقد أورد وصية الخليفة أن بكر لاسامة كما أورد أوامر الخليفة
الحكم بن عبد الرحمن ٩٦٢ فى قرطبة بالأندلس ، وقال فى الختام : هذه هى
مختلف القواعد الشرعية الإسلامية التى عمل بها لتخفيف وطأة الحرب فى القرن
السابع الميلادى أى منذ بعثة النبى (ص) إلى القرن ١٣ الميلادى فى إذن سابقة بأمد
طويل على الأقطار والمبادئ القانونية المعاملة التى بدأت تشق طريقها فى عصر
للنهضة خلال النهضة التى استولت على الحياة الأوروبية خلال القرن ١٣ مما يدل
على أثر القواعد الإسلامية فى القانون الدولى الأوروبى .

يقول الدكتور محمد رشيد قباقى : هناك فترة زمنية تفصل بين ظهور الفقه
الإسلامى وبين نشوء القانون الدولى العام واستقرار قواعده تقدر بنحو عشرة
قرون تقريباً . ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى وظهر القانون الدولى العام
فى القرن السابع عشر على يد فيتوريا وسوازم على يد خروسيوس ، فالفاصل
الزمنى بين النظامين إذن يزيد على ألف وأربعمائة سنة تقريباً ومع ذلك فإن
القانون الدولى العام لا يبدو الآن رغم التقدم السياسى والاقتصادى والعلمى
والاجتماعى فى الصورة المتكاملة التى بدأ بها الفقه الإسلامى وقت ظهوره
ولم يصل القانون الدولى العام كقانون اتفاق بين الدول إلى بعض ما يقرره
فى الفقه الإسلامى من قواعد دولية إلا حديثاً وفى النصف الثانى من القرن
العشرين ظهر :

— الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ١٩٤٨

— قواعد حرية البحار ١٩٥٨

— قواعد قانون المعاهدات ١٩٦٨

— معاهدات جنيف ١٩٤٩

وقد ألفت فى القانون الدولى العام عدد من الباحثين المسلمين المعاصرين

(١) مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام : على على منصور

(٢) القانون والعلاقات الدولية فى الإسلام : مصطفى المحمصان

(٣) آثام الحرب في الفقه الإسلامي : دكتور وهبه الزحيلي

(٤) أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية : حامد سلطان

(٥) العلاقات الدولية في الإسلام : محمد أبو زهرة

ملاحظات عامة .

أولاً : عبارة (تحريث الشريعة) هي عبارة زائفة ، لأن الشريعة هي نصوص القرآن والسنة النبوية الصحيحة ولا يجوز عليها هذه الدعوى بحال . وهذه النصوص بلغت كمالها واكتمالها منذ وفاة النبي ﷺ والتطور معناه الانتقال من طور إلى طور ولا محل للقول بذلك مطلقاً بالنسبة لهذه النصوص ومصدرها الإلهي .

أما القول بتطوير الفقه الإسلامي فهو وارد ، إذا صح القصد إليه لأنه عمل إنشائي وهو مجهود علماء المسلمين لفهم نصوص الشريعة واستنباط الأحكام منها سواء أكانت تتعلق بالجزئيات أو القواعد الكلية التي تتفق مع أهداف هذه النصوص العامة في القرآن والسنة .

والمعروف أن الشريعة غير الفقه ، فالشريعة هي مجموع أحكام الله تعالى للناية عن نبيه ﷺ والتي تنظم أفعال الناس ومصدرها كتاب الله وسنة نبيه أما الفقه فهو عمل الرجال في التشريع استخلاصاً لأحكامها وتفسيراً لنصوصها وقياساً على تلك النصوص فيما لم يرد منه نص وطلباً للمصلحة فيما يعرض من أمور السياسة .

ثانياً : الحرص على ذاتية الإسلام في عقيدته وشريعته بتطبيقه كاملاً غير مطعّم بمكونات مستمدة من حضارة غير حضارته وغير متصرف فيه زيادة أو نقصاً أو استدراكاً أو تحفظاً على ما يسميه دعاة التطعيم : مراعاة ظروف العصر ومقتضيات التطور . ومن الخطأ قبول الرأي الذي يقول أن الإسلام في جوهره دعوة العقيدة الخالصة والأخلاق الفاضلة صحبها توجهات عامة لتنظيم المجتمع : إذ أن الإسلام منهج حياة أساساً بجوار العقيدة وجميع أحكام

الشريعة الإسلامية واجبة التطبيق إذ لا يجوز التدرج في تطبيقها بعد أن أكمل الله تبارك وتعالى الدين وكشفت النصوص على حكم الله في كل مشكلة .

ثالثاً : إذا كان الإسلام يأخذ بمبدأ الشورى فإنه ليس معنى هذا أن هذا المبدأ ينطوى على الأخذ بمبدأ سيادة الأمة ، إذ أنها غريبة الأصل إذ لا يصح القول بأن التشريع في الإسلام هو التعبير عن إرادة الأمة فذلك أن التشريع في الإسلام إنما هو تعبير عن تطبيق أحكام القرآن ومن خطأ القول بأن الجماعة أو الأمة هي مصدر التشريع فالتشريع أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ والرسول فصل هذه الأحكام بحيث كان تفصيله بأمر الله ومن شأن السلطة التنفيذية ، فإن أبو بكر اختار عمر ووافق أهل الحل والعقد على هذا الاختيار وعمر ترك الأمر لمجموعة من أهل الحل والعقد وليس للخليفة ولا لأهل الحل والعقد أن يشرعوا أو يفسروا نصوصاً شرعية أو يسخروها وأساس الحكم هو الشورى بين مجموعة الأمة لا بين أفراد هيئة أو حزب ، والحكم في شريعة الإسلام إنما ينطق من الأمة في مجموعها وهم ليسوا إلا أفراد في هذا المجتمع يذوبون فيه كما يذوب غيرهم . أن قيام الحكم بتعاليم الإسلام فريضة ماضية إلى يوم القيامة . دعائم الإسلام الثلاث هي (الشورى — الصلاة — الجهاد) وإذا كانت عرى الإسلام تنقض عروة هروة فاؤها نقضاً للحكم وآخرها الصلاة ، ولا شك أن قوة الشريعة لاسلامية هي الطريق الوحيد للخروج من الأزمة التي تواجه المسلمين وهي درع لكل التخديكات ولا بد من قيام نظام المجتمع في إطار الشريعة : منع الربا وتطبيق حدود الاسلام ومواظبه .

رابعاً : أن نظرة واحدة إلى العقوبات الاسلامية توضح أنها شرعت زواجر وجوائز أما معنى كونها زواجر فلاها توجر الناس عن الجريمة وتمنعهم عن ارتكابها وقد ثبت كونها زواجر بهن القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ففي القصاص حياة للذين شاهدوا هذا القصاص لا للذين وقع عليهم القصاص ففي تشرع

القصاص إذن قمع للشر من النفس الانسانية التي تخالف ما شرع الله وما نظم
وما أمر وما حكم وكذلك فهي تمنع من لا تردعه التقوى عن عمل يخالف به
أمر الله تبارك وتعالى .

خامساً : تقوم أيولوجية التشريع الاسلامى على ثلاث مبادئ أو أصول
وتيسية : وهى التى تحدد موقف الاسلام أو حكمه بالنسبة لساثر المذاهب
والانظمة الاجتماعية السائدة :

(أولاً) الجمع بين المصالح الروحية والجاهات المادية ، إبراز الطابع الايماني
والروحي للنشاط البشرى ، ازدواج الرقابة وشمولها ، تسامى هدف النشاط
البشرى .

(ثانياً) الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة وخاصة التوفيق والموازنة
بين المصالح المتضاربة (١) المصلحة مناط الشرع (٢) التوفيق بين
مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة (٣) تقديم المصلحة العامة على مصلحة الفرد
لذا لم يمكن التوفيق .

(ثالثاً) الجمع بين الثبات والتطور .

(١) التشريع الاسلامى إلى اصول اجتهادى التطبيق .

(٢) الاصول الالهية الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

(٣) الاجتهادات التطبيقية الاسلامية تختلف باختلاف الزمان والمكان .

الباب الخامس
الفكر السياسي لأُسلاف

1914
1915

الاستعمار

بدأ الاستعمار في القرن السادس عشر بالاسبانين والبرتغاليين ثم تثقبهم الشعوب الأوروبية الأخرى ، وبلغت مساحة مستعمراتهم خمس مساحة اليابسة ، وعدد سكانها نحو ثلث البشر أهمها المملكة البريطانية ، وكان تحت يدها (٤٥٠ مليوناً) ثم فرنسا (٦٠ مليوناً) وهولندا (٣٥ مليوناً) البلجيكي (٣٠ مليوناً) .

وانتقلت الدول المستعمرة على اقتسام الغنائم ، وكلمة الامبريالية كلة أطلقها الشيوعيون على الاستعمار الغربى وهى مشتقة من الاصل الذى اشتقت منه كلمة امبراطور ، وامبراطورية ويراد بها التوسع الاستعماري ليكون مايشبه أن يكون الامبراطورية قديماً .

وقد عرف الاستعمار (الامبريالية) بأنه قيام دولة يفرض سيطرتها على دولة أخرى ويصعبه ذلك استغلال الدولة المستعمرة للاستعمار مع الاحتلال العسكري ، وإحلال رعايا الدولة المستعمرة محل السكان وطرد السكان الأصليين أو إبادةهم واستغلال الموارد ، كما عرف مصطلح الامبريالية بالاستعمار الجديد ، وهذا ينصب أساساً على الدول الاستعمارية الغربية ، التى عرفت تاريخياً بالاستعمار القديم ثم غيرت جلدتها أخيراً وعملت على السيطرة بطريق آخر هو طريق الاحتكارات والأحلاف ومراكز القوى والقواعد العسكرية وما إلى ذلك وذلك لبسط سيطرتها الاقتصادية والسياسية على الدول النامية عن طريق المنح والقروض وتصدير رؤوس الأموال الأجنبية مع خفض أسعار منتجاتها من الخامات وبالتالي إلى خفض مستوى المعيشة فيها وزيادة العجز المالى فى ميزانياتها .

الرأسمالية

النظام الاقتصادي للايدولوجية الغربية الديمقراطية ، الذى يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة ويطلق المجال لحرىات الافراد والمشروعات الخاصة ويعتبر الربح حافزاً أساسياً على التقدم الاقتصادي والاجتماعى وقد بدأت معالم الرأسمالية فى الظهور على أثر اضمحلال النظام الاقطاعى وتدهور النفوذ الاقتصادي وصعود الطبقة الوسطى إلى مجالات الصناعة والتجارة والرأسمالية وثيقة الصلة بالثورة الصناعية التى حدثت فى انجلترا وأوروبا الغربية منذ أواخر القرن ١٨ وقد بلغ هذا النظام أوجه حوالى منتصف القرن التاسع عشر :

وقد قام النظام الرأسمالى على أمرين (الاول) على نهب ثروات الامم المستعمرة (والثانى) على الربا ، ومن ثم فقد استطاع اليهود أن يطرحوا المشروعات التى تقوم على إثارة الغرائز الجنسية وإثارة الميل إلى الترف وإنتاج الكماليات ومن ثم انقشرت نظريات حيوانية الإنسان ومادية الكون والتفسير المادى للتاريخ وقد قامت المشروعات التجارية على أساس مؤسسات الربا والصيارفة مؤسسى البنوك وحملة السندات وأصحاب البورصات التى تتجر بالاوراق الوهمية واتصل ذلك بصناعة الافلام السينمائية الداعرة والصحف الاباحية وتجارة الرقيق والخمر والمخدرات وأدوات الترف والزينة وما وراهما من تقاليد المجتمع المستهتر إلى آخر مظاهر الانحلال والترف التى تقوم على مئآت الصناعات فى العالم والتى تعمل كلما فى خدمة الرأسمالية وتحتاج إلى فلسفات ونظريات وأساتذة وأدباء وفنانين تضع وتلقن وتشجع هذه الصناعات ويكون لرأس المال فى هذه الانظمة تلك القوة التوجيهية لآله هو وحده الذى يتحكم فى المجتمعات الاوربية ، هذا النظام الربوى الذى يفترض أن تكون جميع القيم الاخلاقية والاجتماعية والانسانية لا قيمة لها إذا شاءت أن تتدخل فى قوانين الاقتصاد ، هذا إلى تسخير الشعوب والحكومات واستنزاف ثرواتها التى هى المادة الخام للصناعات ثم تكون هذه البلاد أسواقاً للاستهلاك وبذلك ارتبطت الرأسمالية بطبقة المرابين التى تؤسس بنوك الافراض والتى أخضعت كثيراً من الامم الشرقية للاستسلام والسيطرة .

وقد حاول الاستعمار نقل هذا النظام إلى بلاد الإسلام ولكن التجربة فشلت، لأنها تتعارض مع مفهوم الإسلام .

وتقوم الرأسمالية على الاحتكار في الإنتاج الصناعي والربا واستغلال الطاقة البشرية واحتكار الحكم والتوجيه مع تجاهل القيم الروحية والأخلاقية .

الديمقراطية

معناها الحرفي (حكم الشعب) بما يمثل نظاما سياسيا يقوم على حكم الشعب نفسه باختياره الحر لحكامه . وهو مستمد من النظام اليوناني القديم وقد ارتبط الديمقراطية بمبدأ سياسى واقتصادى هو الليبرالية والرأسمالية .

وقد جاء فشل الديمقراطية في بلاد الإسلام نتيجة طبيعية لتعارض هذا المذهب السياسى مع طبيعة المجتمع الإسلامى وبالتالي مع مقومات الامة التى تقوم على الإسلام ؛ ويرجع التعارض أساساً إلى قيام النظام الليبرالى على العلمانية التى تفصل الدين عن الدولة وعلى حرية المرأة والتبرج والاختلاط وعلى زيف مفهوم الحياة اليومية والاقتصاد الرأسمالى والنزعة القومية العنصرية — والحرية التى تدعو إليها (الايدلوجية الرأسمالية) لم تسكن الجميع وإنما هى وقف على من يملكون ، ولذلك كانت حرية ناقصة نقلت السلطة السياسية من أمراء الإقطاع إلى الطبقة البرجوازية ومن خلال الأرض إلى أصحاب المتاجر والمصانع ورجال الأعمال . وقد قدمت فنا وأدبا وثقافة تخدم أغراضها بل حاولت أن تستخدم الدين في الدعوة لمصالحها بل وصلت إلى إضفاء جو من التقديس حول هذه الأفكار بحيث يصبح الهجوم عليها نوعا من البربرية وهجومها على أساس الحضارة الإنسانية وقد تحولت الرأسمالية إلى إستعمار (إمبريالية) فقامت الاحتكارات الرأسمالية . والإمبريالية هى الرأسمالية عندما تبلغ من التطور درجة تتسكون فيها سيطرة الاحتكار .

الطائفية

ركز النفوذ الاجنبي في احكام قبضته على البلاد الإسلامية على عدة عناصر هامة انطلق منها واتخذ منها ركائزه . ومنها الاقليات ، وإثارة الطائفية وابتعاث الفرق القديمة والنحل التي قضى عليها الإسلام . . . تقول دكتورة سلوى أبو سعدة : لقد استخدم أسلوب الطائفية بنجاح بواسطة القوى الاجنبية في مراحل مختلفة من تاريخ المجتمع البشرى . فقد لعبت القوى الصهيونية والاستعمارية على هذا الوتر ، فأحسنست استخدامه أو تفننت في إذكائه تحت عنوان « فرق تسد » كما استخدمت فرقاً بعيدة عن الدين كلية إسماعا في الفرفة . وكان الخلاف بين الفرق والطوائف منذ أن بدأ بين المسلمين خلافاً سياسياً وليس دينياً فالاختلاف لم يكن في صلب العقيدة الإسلامية وإنما كان خلافاً في الرأي حول طريقة اختيار الحاكم ، التي بدأت بعد مقتل عثمان ولم تكن هذه الانقسامات وحدها بل استغل الاستعمار تعدد الأديان ، بضرب عنصرى الأمة في بعض البلاد فاستقلال الاقليات هى إحدى الوسائل التي كثيرا ما لجأت إليها القوى الخارجية لفرض سيطرتها على البلاد . وكانت عمليات التبشير أساسها بث الفرفة والتميز بين الأديان وقد كان التنافس بين المبشرين دائماً على أشده لنشر فكر سياسى معين ، وقد كانت الدول تعتقد أن المبشرين هم طلائع نفوذها ، كما استعملت فرق داخلية كالبهاية في إيران والقاديانية في الهند والصائبة في العراق .

ويقصد بالاقليات في العرف الدولى فئات من رعايا دولة من الدول تنتمى من حيث الجنس أو اللغة أو الدين إلى غير ما ينتمى إليه أغلبية رعاياها ، وقد اشتملت كثير من المعاهدات الدولية التي عقدت في القرن التاسع عشر على نصوص بشأن حماية الاقليات وبرز هذا الاتجاه خاصة في معاهدات الصلح التي أبرمت بعد الحرب العالمية الأولى على أثر قيام دول جديدة مستقلة تضم أقليات من جنسيات مختلفة ، وكانت مسألة الاقليات من المشاكل التي واجهت عصبة الأمم وأثارت كثيراً من العواصف في

اجتماعاتها وتركز إسرائيل في المجتمع العربي على ثلاث نقاط : الطوائف الدينية ، الأقليات العرقية ، العشائر ، العائلات وهو نفس اتجاه الاستعمار الذي جاء بالدعوتين الإفليمية والقومية لايقاط القوميات حتى بين المسلمين أنفسهم ، فلو علمت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لاختضعت عمليات التحريض التي يقوم بها الاستعمار وإسرائيل .

وتقول دكتورة سلوى أبو سعدة : إن أسلوب الطائفية استخدم بنجاح بواسطة القوى الأجنبية في مراحل مختلفة من تاريخ المجتمع البشرى . وإن خطورة المذهبية الطائفية كافة إنما تنخر في جسمنا العربي والإسلامي على الدوام بالإضافة إلى جدية الدعوة للتقريب بين الطوائف المختلفة وإن القوى الصهيونية والاستعمار قد لعبت على هذا الوتر فأحسنست استخدامه أو تفننت في أذكائه واستخدمت فرقا بعيدة عن الدين كنية إمعانا في الفرقة . وكان الخلاف بين الفرق والطوائف منذ أن بدأ بين المسلمين خلافا سياسيا وليس دينيا فالاختلاف لم يكن في صلب العقيدة الإسلامية وإنما كان خلافا في الرأي حول طريقة اختيار الحاكم هذه الخلافات التي بدأت بعد مقتل عثمان ، وتركز الاخطار حول الشيعة في ثلاثة خطوط رئيسية .

• فريق يعتقد أن التشيع عقيدة دينية خالصة .

• فريق يرى أنه فكرة سياسية خالصة .

• فريق يرى أنه وجدان عاطفي خالص نتج عما حدث لآل البيت وبالطبع هناك القرائن والأدلة والبراهين لكل فريق .

وتقول أن الفرق الأخرى قد انتهت ولم يعد لها وجود وفي مقدمتها الخوارج ، بل أن الشيعة قد أعلنوا أكثر من مرة أن الفرق الغالية ليست منهم وأن الزيدية والاثنا عشرية قريبان من مفهوم أهل السنة وقد جرت في السنوات الأخيرة دراسات لتقارب بين السنة والشيعة ، وقد استغل النفوذ الأجنبي الخلاف بين السنة العثمانيين وبين الشيعة الإيرانيين ، وقد

انتهت هذه المحاولة ، وحدث اليوم تقارب بين الأتراك والإيرانيين والعرب في مواجهة أخطار النفوذ الأجنبي .

وتقول دكترة سلوى . أن الاستثمار يستعمل أيضاً تعدد الأديان لضرب عنصرى الأمة بهما البعض ، وإن عمليات التثوير التى يقوم بها النفوذ الأجنبي هى خطة لبث الفرقة والتميز بين الأديان وإنما تستخدم لتنفيذ سياسيات استثمارية .

كذلك فإن البهائية ، هى واحدة من هذه الخطط الرامية إلى زلزلة العقيدة الإسلامية وإشاعة الفرقة بين أبنائها ، وقد تكشف أنها كانت على صلة بالصهيونية العالمية .

وأشارت الباحثة إلى أن طائفة الصابئة ، الموجودة بالعراق وإيران كانت محط أنظار الانجليز والفرنسيين لاستخدامها لتحقيق أهدافهم ، وإن وكلاء بريطانيا في بغداد ١٨٣٣ عملوا على توجيههم واحتوائهم ، وكذلك سعى كثير من زعماء العرب على كسب ثقة الأقليات الدينية في العراق وربطها بمجلة الاستثمار البريطاني ، كذلك فقد جرت المحاولات مع طائفة العلويين في سوريا فقد أدخل الاستثمار في روعهم أنهم غير مسلمين حتى يتمكن من الاستعانة بهم في تثبيت أقدام الاستثمار كما جرى مثل ذلك من الدروز وهى فئة إسلامية حاول الاستثمار مرارا استغلالها . وقد ظهرت في السنوات الأخيرة رسائل متبادلة بين بن جويرين والمسؤولين الصهيونيون عن أهمية الاحتفاظ بورقة التقسيم واللعب على الأقليات والطوائف . مما يؤكّد أن المنطقة ستظل دائما مطعما للطامعين عطائها وثروتها وموقعها الاستراتيجى .

الشعوية

عندما ندرس المذاهب الوافدة التي طرحت في أفق الفكر الإسلامى نجد
أن الذين دعوا إليها لم يكونوا إلا شعوبيون وافدون ، وقد عرف أن دعاة
الطورانية (اشورا وأغاييف) لم يكونوا تركا ولا عثمانين وإنما كانوا من
مناطق القوقاز وقد عرف أن الذين أدخلوا الشيوعية في البلاد العربية
سواء في مصر والشام أو العراق كانوا يهودا غربيين وكذلك كان دعاة
القومية العربية ممن نشأوا في أحضان الاتحاديين الأتراك أو لم يكونوا
مسلمين ، أما المسلمين منهم فهم جغرافيون لا يعرفون إلا أن الإسلام دين
اللاهوتى كالمسيحية ، كذلك كان ساطع الحصرى الذى كان يعمل في الإدارة
التي أقامها الاتحاديون في تركيا في أحضان المحافل الماسونية وعندهم أخذ
مفهوم القومية الوافدة الذى نقله البعث فيما بعد ، كذلك كان نجيب عازورى
مارونيا يعمل في الإدارة التركية في القدس وهو الذى أسس عصبة الوطن
العربى في باريس وهو الذى دعا إلى تكوين دولة عربية (هى الهلال
الخصيب) دستورها على نسق العلمانية وقد ورثها دعاة الحزب القومى
السورى (انطون سعادته) وفي دخول الفرنسيين إلى الشام أو دخول الإنجليز
إلى مصر كان الأمر كذلك ، كان أعداء الإسلام هم خدام تلك الدول ،
ومصدرى الصحف ، وهم الذين أيدوا الصهيونية في غزوها لفلسطين والذين
حاربوا السلطان عبد الحميد وحملوا عليه واساءوا إلى صفحته النقية ويؤكد هذا
المعنى الكاتب اليهودى مورد بيرجر حين يقول : إن الطوائف المسيحية
واليهودية في العالم الإسلامى والعربى وهى الوسيط الرئيسى الذى بثت بواسطته
الأخطار الغربية والمنتجات والأذواق والأخطار إذ كان المسيحيون واليهود
هم التجار الأساسيون المصرفيون ، وأصحاب المصانع تمسكوا من بث
الأخطار الأوروبية لقومهم المسيحيين وهى أخطار علمانية تنقصها الصفة
الدينية التي للقومية العربية الإسلامية . ولقد كانت نظرية الشك ونظرية
«الفكر الحر وحرية الفكر» هى وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات

وهدم كل الأديان حتى يتمكنوا من السيطرة عليها جميعاً بعد القضاء على هويتها
قضاء مباشراً .

الحكومة الشيوقراطية

قامت الحكومة الشيوقراطية في أوروبا : لما سقطت الإمبراطورية
وشمرت الكنيسة بحاجتها إلى سلطة زمنية تستند إليها وبقي المثل الأعلى
للشعوب الغربية هو أن تتجمع في ظل الكنيسة وقد تحققت هذه الأمنية
إلى حد كبير آخر القرن الثامن وقام بتحقيقها شارلمان فقد وجد غرب
أوروبا بعد أن أخضعها لسلطانه وتوجه البابا ليو الثالث (٨٠٠ م) في
كنيسة القديس بطرس إمبراطوراً على العالم المسيحي . وسلاح الكنيسة
إذ ذاك هو الغفران والحرمان .

ويرجع انحلال الرابطة المسيحية إلى الحرب الطويلة التي نشبت بين السلطة
الزمنية والسلطة الروحية ، وقد بدأت رابطة الوطنية تحل محل رابطة الدين
(القومية — الثورة الصناعية — الاستعمار)

حيث تركز الديمقراطية السلطة في الأمة وتقيم الدولة على
سلطان الأمة .

الفاشية

الفاشية : تقول أن الدولة تنشئ الأمة والأمة ليس لها أي سلطان
الصراع بين الاشتراكية والوطنية في الفاشية الإيطالية والنازية والألمانية
أمام تيار الفلسفة الجارفي . الفاشية تنسك سلطة الأمة وتفيد الحرية
ولا تعترف بالمساواة بين الأفراد . الفاشية حزب من للدكتاتورية وقد أبعدها
عن الديمقراطية إن للفاشية دعاة روحانيين : إحداهما كارليل وهو داعية
الدين والأخلاق وحكم الفرد وكرهية العنف . والثاني هو نيشه داعية
الاحاد وهو المهتم لحركة التعليم الحاضرة في أوروبا .

القومية

قال زوير : إن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات وقد وضعت الأمم المستعمرة هذا المبدأ نصب أعينها تحاول تطبيقه فنجحت أكبر نجاح بل كان من المسلمين من نشروا هذه الأفكار ، وعملوا على إذاعتها ، وقد بدأت فكرة القومية في العالم الإسلامي بعد أن تعالت في الدولة العثمانية صيحة الطورانية وتترك الأجناس بما حدا بالعرب إلى رفع لواء العروبة ، غير أن سقوط الخلافة دفع العرب إلى التمسك بالعروبة على أنها وحدة أصغر ، ولما أحس النفوذ الأجنبي أن للعروبة مفهوماً إسلامياً وحلقة في عقد ومرحلة إلى الوحدة الإسلامية سلط عليها دعاة القومية الغربية يحملون نظرية تفريغها من مضمونها الإسلامي وجعلها مفهوماً علمانياً خالياً من الفكرة والعقيدة والاساس الإسلامى .

وقد حل لواء القومية العربية مسيحيو لبنان يهدف إسقاط كل تنظيم سياسى يجعل لنظام الإسلام وجوداً حقيقياً وتعالت دعوات الإقليمية والفينيقية والفرعونية لتفسد مفهوم العروبة الصحيح .

ولقد خطت القومية العربية خطوات واسعة وشغلت الناس في الخمسينيات مشغلة شديدة ولكنها لم تستطع أن تحقق شيئاً وعملت من جديد كلمة الوحدة الإسلامية حتى قالت جريدة لوموند الفرنسية : أمام الزحف الإسلامى لم تعد القومية العربية تتمتع بالتأثير الذى كانت عليه منذ عشرة أو عشرين عاماً عندما كانت أى محاولة من المحاولات تثير حماس الجماهير من الرباط حتى بغداد وحيث يتردد الآن القول فى الدوائر الإسلامية المتشددة بأن القومية العربية هى أمر إختلقه مسيحو الشرق منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الستينات عندما أرادوا التصدى الإسلام بإعطاء الجماهير مسكن الحساس الشعبى .

ويرى الكثيرون أن فكرة القومية العربية بمفهومها الليبرالى إنما طرحها الاستعمار الغربى فى أوائل هذا القرن رافعاً شعار العلمانية لتفريق الأمة

الإسلامية وتضيفتها بعد أن أعيتة الحبل في ذلك وقد نجح في ذلك إلى حد كبير
وما تراه اليوم من تفرق آراءهم وانهمزام دوله ما هو الاثمرة هذه الفكرة
الوافدة . (محمد رشوان)

وقد علق المستشرق هاملتون جب على حركة القومية فقال أن الذين
تصدروا حركة القومية نبذوا في نفس الوقت الجزء الأكبر من وجهة نظر
الإسلام الأولى وقبلوا بدلا منها آراء الغرب السياسية الحديثة واضطروا
فوق هذا إلى أن يقبلوا أصول هذه السياسة ولواحقها فيما يختص بتكوين
الدولة وماهية القانون ووظيفته وحقوق المشتركين في الوطن وواجباتهم .

وقد كان من أبرز معالم دعوة العلمانيين لتزييف مفهوم العروبة المترابط
مع الإسلام محاولة رفع فكرة القومية إلى نوع من العقيدة لنسقط العقيدة
الدينية الإسلامية في نفوس أصحابها وتحل هذه محلها .

ومن هنا كان خطأ الغلاة القائلون بتقديس الأمة العربية ووصفها بأنها تجربة
روحانية أو عقيدة ومحاولة إعطاء المعنى القومي طابعا فلسفيا (لا هو تيا صوفيا على
هيئة المزامير والتراويل الكنسية التي يراد بها أغراء الشباب العربي) هؤلاء الذين
قالوا أن ظهور الأمة على مسرح التاريخ كظهور الإلهام على مسرح الوجدان مع
الاهتمام بالجاهلية والتركيز عليها ووصف النبي محمد بالعيقوبة والإلهام والعظمه
والبطولة وتجاهل صفته الأولى الحقيقية وهي النبوة وحمل لواء الهجوم على الفرس
بوالترك رغبة في ضرب الامتداد الاسلامي للعروبة القائمة على وحدة الفكر
والعقيدة وكون اللغة العربية هي لغة الثقافة والعبادة في العالم الاسلامي كله وأثارة
الاحقاد والخضومات بدلا من ذلك ومن أكاذيبهم القول بالعربية قبل موسى
وعيسى ومحمد ، والحقيقة أن هذه هي الحنيفية الابراهيمية الموحدة التي انحرفت عنها
تفسيرات اليهودية والمسيحية وجاء الاسلام ليرد الناس إلى صحتها وهي بعيدة
عن رجس الوثنيات أو عبادة الامم أو تقديس الافراد أو التعدد .

وقد استهدفت محاولة تزييف العروبة تحت اسم القومية ومفهومها الوافد إلى
تفريغ المضمون العربي من المحتوى الاسلامي وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة

أخرى محل عقيدته واستبدال رابطة أخرى برابطة تستهدف في الأغلب حجب وحدة الإسلام وعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض وإلقاء العداوة والبغضاء بينهما وبذلك تنسف الجسور التي تصل بين الشعوب الإسلامية .

وفي مفهوم الإسلام وحدة الفكر أعلى من الاجناس والعناصر والدماء وليس هناك هذا التقديس الوثني للدولة أو الأمة على النحو الذي نراه في المفهوم الغربي ولكن هناك الاخوة الإسلامية والجنسية الإسلامية فأى بلد فيه مسلم واحد فهو بلد إسلامي ولقد كان من وراء إعلاء دعوة القوميات والاقليميات هدف كامن هو الحديث عن اليهودية المسيحية في تيار الطورانية والعربية ورد اعتبارهم لاقامة الوطن القومى .

ولقد كشف كانتول سميت حقيقة هذه المؤامرة حين قال : إن تاريخ الشرق العربي الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فلن يشمر الجهود .

ولما كان الفكر الإسلامى لا يتعارض مع دائرة الوطن ولا دائرة الأمة فإنه يعارض التحرك من خارج دائرة القيم الأساسية أو التشكل الزائف الخادع ، وفق نظرية واحدة لا تمثل الاصل مما يطرحه اتباع الثقافات الاحسن والارسابات البشرية .

رأى (توييمى) فى القومية الغربية

قال أرنولد توييمى : إن نظرية القومية الضيقة هي التي اعترضت سبيل (الديمقراطية) فأخرجتها عن طورها ومنعتها من بلوغ غايتها ، أعنى بث روح الاخاء بين الإنسانية جمعاء ، لانارة العصيات التي قد أدت ولا تزال تؤدي إلى حروب عالمية لا تبقى ولا تذر .

ويقول محمد إقبال : إن الإنسانية لن تستريح أبداً مادامت تسودها هذه النظرية المشؤمة التي تقطعها أرباً أرباً بحيث لا يكاد الصدع يلتئم لا في الامم المتحدة ولا في أى منطقة أخرى ، كذلك فيما يتعلق بالاقتصاد وازدهار

الصناعات لاشيء. يعوقها مثل نظرية القومية لأنها لا تلبث أن تقيم الحواجز ضد نقل المنتجات والأموال.

ويرى بعض الباحثين أن الفسكرة القومية هي عامل من عوامل مقاومة الاستعمار ولكنها تظل حاجزاً له عن الإندفاع إلى الطريق الطبيعي وإلى إكمال الدائرة والشعوب الملونة التي تطالب الاستقلال السياسي والاقتصادي أخذت الديمقراطية ولكنها أرادت أن تفهمها فهما جديداً. فبدأت من نقطة المفهوم الاقتصادي الغربي ولكنها تبنوا فشل الفلسفات السياسية الديمقراطية الغربية والماركسية وستصبح الشعوب الملونة أكبر عدداً من الشعوب البيضاء التي ضمرت الآن أمام الشعوب الملونة وإن تاريخ تشويه الشعوب البيضاء حافل بالعبر وأهمها عبرة سقوط الحضارة في الغرب أمام المسلمين.

العروبة

يختلف مفهوم العروبة في علاقتها بالإسلام عن نظرية القومية الغربية في علاقتها بالمسيحية الأوروبية، اختلافاً كبيراً، ذلك لأن الإسلام هو الذي أقام العروبة ولم تكن من قبل شيئاً مذكوراً، فجعل مفهومها إسلامياً خالصاً وذلك ما يورده حديث رسول الله:

«إلا أن العربية اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي».

إن الإسلام حين جاء قطع تلك الأصول القديمة كلها من فينيقية وفعرونية وأشورية وبابلية، وصهرها من جديد تحت لواء التوحيد في فكرة واحدة قائمة على الحق والعدل والرحمة والآخاء البشري.

ومن العجيب أن أغلب هذه الفروع قد جاءت من الجزيرة العربية أصلاً فهي لا تختلف من حيث مبدؤها، إن دعوة الإسلام كانت في صهر هذه الأجناس وإذابتها في توفقة واحدة أساسها التوحيد دون أن يقضى

عليها ، فالإسلام رابطة فسكر عميقة الجذور صهرت عصارات الفكر القديم الذي يعيش في أنحاء العالم الإسلامي واستضافة وردت منه الزيف والوثنية والإبادة والمادية وشكلته من جديد في دائرة التوحيد ونفت ماسوى ذلك ولا تزال رابطة الفكر أكبر من رابطة الأجناس والدماء ، بل أن رابطة الأجناس في ظل الدعاوات الجديدة قد أخذت تنمهر ويبدأ رويدا .

إن هناك التقاء بين العروبة والإسلام لاسيما إلى تمزيقه ، أنه ترابط جذري ضخم قد تشكل منذ وقت بعيد على مايمثل الإسلام من حيث هو عقيدة وما تمثل العروبة من حيث هي علاقة ممتدة إلى الحنيفية الإبراهيمية ، جردها الإسلام بعد أن أصابها الاضطراب ، والسفر في ذلك أن الإسلام ليس ديناً بمعنى الدين الذي عرفته أوروبا حين وضعت نظرية القوميات ، فهو دين ونظام مجتمع ومنهج حياة وهو عقيدة وشرعية وفكر وحضارة .

ولم تكن الدعوة إلى العروبة في العصر الحديث استجابة لمبدأ القوميات وإنما كانت بمثابة صيحة التجمع في وجه النفوذ الاستعماري بعد سقوط الخلافة ، ولذلك فهي لا يمكن أن يكون متحدية للاستعمار ثم تستسلم له ليشكلها على النحو الذي يراه ، متخذاً منها عاملاً على خلق الصراع حتى تفسد الوحدة الإسلامية من ناحية وحتى لا تستطيع أن تحقق وجودها وهدفها .

(٢) قاعدة الفصل بين الإسلام والعروبة : دعا ساطع الحصري إلى الفصل بين الإسلام والعروبة ، وكان مفهومه للإسلام أنه دين لاهوتي (يقتصر على العلاقة بين الإنسان والله تبارك وتعالى وفق مفهوم المسيحية) .

والحقيقة أن الإسلام دين ونظام مجتمع ، والعروبة هي من صنع الإسلام نفسه والعرب لم يكونوا شيئاً بدون الإسلام ، ولم تكن الحركة العربية منفصلة عن إطار الفكر الإسلامي وإنما كانت حلقة من حلقاته ، ذلك أن الرابطة بين العروبة وبين الإسلام لم تكن مقطوعة ، كانت العروبة

مرتبطة بالإسلام لا تنفك عنه وكان الإسلام قد قام بالعرب أولاً ، وقد حرص رجال الدعوة الإسلامية على الربط بين الوطنية والعروبة والإسلام جميعاً في إطار متكامل جامع وكشفت وقائع التاريخ أن الفرعونية والقينقية والبربرية فروع من العروبة وموجات من الجزيرة العربية وأنه لا تضارب بينها وبين الإسلام .

ويرى الأستاذ محمد رشاد خليل أن دعوى القومية العربية كانت حرباً على الأمة العربية المسلمة ومنها دعوة الناصرية والبعث . هنا الشك المنسوب لاصطياد السذج باسم حقائق التاريخ : حقيقة النوايا المستترة وراءها فالعروبة تعنى ما كانت تعنيه الشعوبية في القديم والشعوبية نبذت أطلقه المسلمون الداعون بحقائق دينهم وأمتهم وتاريخهم من حسن إسلامهم من العرب والفرس والترك على جميع الذين حاربوا الإسلام تحت ستار عصبية الجيش — والعروبية الحديثة لا تضرب الإسلام فقط ولكنها تضرب العرب .

وقد نشأت القومية العربية (العروبية الحديثة) نشأت مريبة في حجر المدارس الإسرائيلية (الفرنسية والأمريكية) ذات الأهداف التبشيرية الاستعمارية وعلى أيدي المسيحيين اللبنانيين والسوريين خاصة والمارونين اللبنانيين على الأخص ، وعملت على تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن وكان للكلية السورية الانجيلية دورها في بعث النعرة العروبية وهي التي أصبحت الآن الجامعة الأمريكية فمن هذه المدرسة خرجت كل رموس الثعابين التي نفثت سمومها في الشام ومصر تحت ستار القومية العربية وأول جمعية سرية كان أعضائها من المسيحيين اللبنانيين وكان هدفها الأساسي التفرقة بين العرب والترك ، وكانت تستهدف أحداث انقلاب داخلي ضد الاسلام والجماعة الإسلامية تحت ستار الخدمة التعليمية مجنفة في هذا العمل أبناء الطائفة المسيحية المارونية ، كان الموارنة يحكم انتابهم المشبوه وعلاقاتهم التاريخية المدموغة بالحياة مع الصليبيين قديمهم أصلح العناصر ولتنفيذ مخططات الصليبية الجديدة وبذلك كانت

أول جمعية عربية كانت غير عربية وكانت مكونة من أناس ليسوا عرباً
لأمن ناحية الانتماء ولا من ناحية الأهداف والغايات . وكان مقولتهم المضللة
أن الاسلام نفسه هو تراث عربي شأنه شأن الشعر الجاهلي واللغة العربية
وظهر البعث الذي يشيد برسول الله ﷺ باعتباره بطلا عربياً ويشيد برسالة
الاسلام باعتبارها رسالة عربية إسلامية ، وهذا هو خط التغريب ، وهي
محاولة وضع الأقلية في ظل وحدة عربية بدلا من وضعها في ظل الجامعة
الاسلامية وقد صلب البعث مفهومه اللبثاني المسيحي في قالب الامة : الدعوة
إلى أمة عربية تكون منفصلة في أساسها الديني الذي قامت عليه وحيث تسوى
تسوية كاملة ومطلقة بين المسلمين والمسيحيين في جميع النواحي على أن
يكون الضامن لاستمرار المساواة حماية أبدية من قبل أوروبا الليبرالية
وفرنسا الكاثوليكية وكان جرجي زيدان ونجيب العازوري كبير المزيفين
لمفهوم العروبة فقد نادى بأمة عربية واحدة للمسيحيين والمسلمين على السواء
وجعل حدود الامة العربية مقصورة على الناطقين بالضاد في آسيا فقط دون
مصر وشمال إفريقيا . وفي نطاق هذا الفكر العروبي : دعوة عزيز المصري
للجمعية القحطانية العربية الفتاة (فارس الحوزي وشكري القوتلي ١٩١٤ -
عزيز المصري جمعية العهد بعد بعد فشل القحطانية) .

يقول : (إن هذه الدولة المستبرة — تقصد الخلافة العثمانية — ليست
دولة إسلامية ويا أيها المسيحيون واليهود العرب انحدوا مع إخوانكم المسلمين)
نداءات عرقية تدعو إلى تشجيع المسيحيين في لبنان وسوريا على الدعوة إلى
أمة لبنانية أو سورية ، وبعد قيام الثورة العربية التي قادها الشريف حسين
عقد الزعماء السوريون والفلسطينيون مؤتمرا أعلنوا فيه فيصلا ملسكا على سوريا .
كانت العروبة حركة علمانية موجهة من المسيحيين اللبنانيين والسوريين ومن
الغربيين واليهود ضد الاسلام والجامعة الاسلامية وقد نشأ جميع الداعين إليها
إما في مدارس تبشيرية خالصة وإما في جامعات غربية وخاصة فرنسا ، أوفى
مدارس عربية ذات منهاج غربي مشبع إلى أقصى حد بالعداء ضد الدين ،

وبفكرة فصل الدين عن السياسة وبالاعتقاد بأن الروابط القومية هي التي توحد المجتمع سياسياً على عكس المعتقدات الدينية التي تفرق بينهم .

من أجل ذلك عملوا على أن يكون الحكم الوطنى مستقلاً عن الدين ، ودعم هذا المبدأ العلماني فوز كال أتاتورك ومؤيديه فتشجع العروبيون والقوميون والافليميون على السير في الطريق إلى نهايته وسقط عن مصر قناع القومية كما سقط قناع الفرعونية ، يقول محمد علي الزغبى في كتابه (حقيقة الماسونية) : الدعوة القومية المروج له نتاج ماسونى إذ هي سكين شق بها أتاتورك العرب عن الترك ونفذ لما دعاه فصل الدين عن الدولة وفرض العلمانية وجعل الخمسين ألف مسجد في تركيا عديمة الأثر في الواقع .

الإقليمية

كانت الدعوة إلى الإقليمية من بين الدعوات التي طرحت في أفق العالم الاسلامى للقضاء على الوحدة الاسلامية وقد استهدفت بعث التاريخ القديم السابق على استعراب البلاد بدخول الاسلام ففجرت الدعوة إلى الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والاشورية في العراق وتشكلت محاولات لاهياء آداب وتقاليد تحمل هذه الصورة القديمة البالية . قال هاملثرن جيب : لقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الاسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن ، وقد قرر أصحاب الدعوات الإقليمية أن يعملوا داخل إطار القومية وإن يندسوا فيه ويسايروا موكبهم ويعملون على الانحراف من داخله فألبسوا دعواتهم الانفضالية ثوباً جديداً هو الفنون الشعبية والفلسكور وإحياء الأزجال والأمثال والخرافات القديمة لحجب روح الاسلام التي ظهرت في مجال القرآن والحديث النبوى والأدب العربى الرفيع .

السلفية

يعنى مصطلح السلفية ، العودة إلى المنابع ، فالمسلمون حين ترتبطون بالماضى أو التاريخ أو القديم إنما يهدفون إلى استجلاء ذلك الميراث الاصيل الذى قدمه لهم الإسلام ممثلاً أساساً فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وما أنشأ ذلك الميراث من تاريخ ملء بالبطولات ومن تراث فياض بالبحث والنظر وخاصة فى مجال الفقه الإسلامى والعلوم التجريبية، ومعطيات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية . ولكن نظرة المسلمين إلى الماضى أو التراث ليست نظرة تقديسية ولكنها نظرة تقدير للنفع العام من حيث الاستفادة بالإيجابيات وتجنب الأخطاء والسلبيات . فليس الإعجاب بالماضى عند المسلمين يحمل طابع القداسة — لما يقول الدكتور عن السلام العجيبى - وإنما يحمل طابع التقدير للدور الذى جاءت به الرسالة السماوية الخاتمة والتعبير الخطير الذى أحدثته فى موازين المجتمعات الإنسانية ، وإن الإعجاب بالماضى ليس قائماً على مسكوكات أثرية أو أوان فخارية ، أو أهرام أو مبانى أو قصور كما يفهم البعض من الحضارة ولكن الإعجاب ينصب على القيم فنحن نحاكم هذا الماضى إلى العقيدة فكل ما جاء بها وسار على هديها فنحن نعجب به وكل ما خالفها فنحن ننظر فيه بحشاً وراء العبرة مقدرين أن الهزائم التى وقعت فيها الأمة الإسلامية إنما جاءت من تجاوزها أصول منهجها وحدود شريعته . هذا الارتباط بالأمة التى حملت لواء (لا إله إلا الله) ونزل فيها للقرآن وبعث فيها محمداً ، ووصفت بأنها (خير أمة أخرجت للناس) ومصدر الإيمان والإعجاب هو الأمل فى أن تكون الأجيال الجديدة سائرة على هذا الطريق الذى رسمه الله تبارك وتعالى لها (نأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر) فالتقدير والإعجاب يرجع إلى المضمون والقيم وليس إلى عدد السنين ولا إلى استعلاء بالعصر ، هذه الأمة التى حملت رسالة الله إلى البشرية وما تزال تحملها ، هذه الأمة لها ذاتية خاصة بين الأمم يريدون طحنها ويجب أن نحافظ عليها ، لنا مفهوم كامل فى كل مسائل السياسة والاجتماعية والاقتصاد والفربية لنا بطولات صنعها الإيمان بالله ، كل حركات التحرر من النير الاجنبى

كانت تحت لواء الجهاد في سبيل الله وإن اختلفت مظاهرها وطنية أو قومية .

إن هناك مؤامرة للقضاء على ذاتينا وهويتنا عن طريق سموم مطروحة منها :
الإفلامية والديمقراطية والاشتراكية وإتنا مطالبون بالمحافظة على أصالتنا
وطابعنا المميز ، حتى لا ننصهر في الأقوام ولا نكون هجاء أو أمعات .

ولقد حرص ديننا على دعوتنا إلى المحافظة على ذاتينا وإتنا سنواجه على
مدى العصور محاولة تدمير مقوماتنا من تلك القوى الطامعة في موقعنا الوسط
وثرواتنا ومقدراتنا . فالسلفية هي أداة استمرار وجودنا الأصيل لأنها سلفية
تعتمد على المنابع الأصلية الثابتة لا على الوقائع المتغيرة ، فهي لا تستعمل بالعنصر
أو الجنس أو اللون ، وهي مرتفعة عن التعصب الاعمي متسامحة مع الأجناس
والممل والاقليات ، عادلة مع القرباء والبعداء ، مفتوحة على الأمم التي تشترك
معنا في العقيدة والثقافة ونعترف أن خير ما في الجاهلية من قيم هي من ميراث
الابراهيمية الحنيفية السمحة .

وهناك الدعوة إلى التخلص عن التراث بالطعن فيه ، وهو تيار خاطيء
وظالم يحمل لواء العداء للسلفية ، ومن ذلك دعوة إبدال الحرف العربي بالحرف
اللاتيني في الكتابة بحجة أن الحرف أن نقل كلام العرب وأفكارهم مدى العصور
عسير في الالتقاط عاجز عن الأداء معقد في الاستعمال أو اتهام العربية نفسها
بأنها عقبة في سبيل تقدم العرب ومصدر تخلفهم في العلوم التقنية بصورة
حاسمة ، وأكثر الأدلة التي يقدمها السلفيون ليرهنوا على قدرة لغتنا على استيعاب
مطلوبات العلوم الحديثة . فالطب يدرس باللغة العربية في جامعة دمشق منذ
العقد الثاني من هذا القرن وأين التعتيد في العربية وأنتك إذا أردت أن تتعلم
اليابانية لا بد من معرفة ثلاثة آلاف حرف لكي تستطيع الكتابة بها ، أن
أنظر ما يواجهها من التحديات هو التحلل من ارتباطاتنا بماضيها بحجة أنه
يعوق انطلاق حافزنا : إن السلفية هي الاتصال ، وهي العودة إلى المنابع ،
والخطأ هو أن يدفع العرب المعاصرون تخليهم عن شخصيتهم ثمناً لما يأخذونه
ما يحتاجون إليه ، لأنهم بهذا يضعون أصالتهم . لا بد أن نحافظ على أصالتنا

ونعوض عليها بالتواجد (عبد السلام العجيلي) وقد وقف السلف خلال تاريخ الإسلام كله في وجه الفرق المنشقة كالحوارج والقدرية والجمهمية كما شجبوا الاتجاه العقلي المغالي كالمعتزلة ، والفلاسفة وشجب الاتجاه الروحي المغالي كالفلاسفة الصوفية ، وقف ابن تيمية وابن القيم في القرن السابع والثامن بثبات ضد كل الاتجاهات التي استفحل خطرهما في دوائر علم الكلام والفلسفة والتصوف والتشيع وجاء دور السلفية في العصر الحديث في المحافظة على نقاء التوحيد في العقيدة والعبادة ثم الجهاد للتخلص من نير الاستعمار الغربي الصليبي وقد قامت السلفية بدورها الواضح .

(أولاً) معارضة دعوى التحديد وتطوير المفاهيم الدينية خضوعاً للنظريات العلمية المعاصرة .

(ثانياً) نقد الفلسفة الحديثة العربية والمعاصرة وشجبها بمنطق القرآن الكريم وعدم الخضوع لتصوراتها التي أخذت في الزحف على العالم الإسلامي وأحدثت ثغرات في الجبهة الإسلامية مستهدفة النيل من أصالة العقيدة ووجدتها وشموها ومن ذلك الفضل بين الدين والدولة (العلمانية) والنيل من السنة وإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة وفي مجال الثقافة والتعليم : كان دأبهم تعظيم الفرق المنشقة كالحوارج والشيعة وإثارة الأفكار المخالفة للسلفية كالقدرية والجبرية والمعتزلة وفي المجال الاجتماعي : توسيع دائرة التصوف وتشجيع دائرة الفرق الصوفية أو تكوين فرق الانشاد الديني بصورة مشابهة للنصرانية كالموالد وبناء مساجد جديدة على الأضرحية وإلهاب مشاعر الجماهير العاطفية عن طريق التفسير الصوفي للدين وسياسياً بتشجيع الفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة ، وإبتداع أساليب جديدة كالبابيه والبهائية والقاديانية ومدها بالعون المادي وتمكين اتباعها من الوصول إلى مراكز التأثير إلى جانب إذاعة آرائها والترويج لها تحت ستار الإسلام مع الاعتماد على الفرق التي مازالت تتوارث عقائدها الباطلة المحرفة : كالباطنية والإسماعيلية والتضيرية والدروز .

ولقد حدث لبس شديد بالنسبة لمفهوم السلفية بين الفسکر الإسلامی وبين الفسکر الغربی ، فبینما هی فی الفسکر الإسلامی علامة الأصالة ومنطلق التقدم الحقیقی فی الغرب عودة المنهج الصوری الیونانی والرهبانية وجود الكنيسة وبيع صکوک الغفران ، وهذا المفهوم یفزع الغربی الیرم إذ یرى أنه یموقه عن التقدم المادی بعد تفجر الثورة الصناعية واستخدام المنهج التجريبي فی العلوم . وقد تحررت أوروبا من السلفية إلی العلمانية الی فصالت بین الدین والدولة سیاسیا واجتماعیا طبقا لشعار (دع ما لقیصر لقیصر وما لله لله) فنحزرت الشعوب من قیود الكنيسة الی ضیقت الخناق علی حركة التقدم للسیاسة والاجتماعية (. . .) .

السامية

مصطلح أطلقه العالم النمسی سلوتزر عام ١٨٧١ وهی تسمیه لا تستند إلی واقع تاریخی ولا إلی أسس علمية صحيحة أو وجهة نظر لغوية ولذلك یرى بعض الاختصاصین وجوب تسمیه هذه الاقوام بالاقوام العربية . ذلك أن الهجرة من الجزيرة العربية جاءت فی موجات إلی شمال الجزيرة وأطراف الهلال الخصيب فی موجات متتالية منها ما اتجه نحو بلاد الرافدين وخاصة نحو نهر الفرات ومنهم من استقر فی فلسطين وسوریه واینان ومن اتجه غرباً نحو طورسینا والنیل ولذلك فإن الحضارة الی سمیت بالسامية خطأ إنما هی حضارة عربية منبعها ومصدر طاقتها البشرية جزيرة العرب وقد ازدهرت فی وادی الرافدين فاستقوت فیہ أكثر من ألی ستة .

العلمانية

العلمانية مصطلح غربی علی سبیل التیوية ، حیث یظن أن مصدره العلم بینما هو یعنی اللادینیة Secularism بالإنجليزية LQuique بالفرنسية وجانب الخدیمة فی التعبير أنه یوحی أن له صلة بالعلم بینما حقیقته

عكس ذلك ، والدعوة إلى (اللا دينية) أو ما يسمى خداعاً بالعلمانية هناك في أوروبا نتيجة الصراع بين الحكام ورجال الكنيسة من ناحية وبين العلماء ورجال الكنيسة من ناحية ثانية ، وقد انتهى الصراع إلى ما عرف باسم نظرية (فصل السلطات) وعزل الدين عن التأثير في الحياة . وهذه النظرية التي واجهت تحدياً قائماً في الغرب مع تفسيرات المسيحية التي لم تكن شريحة مستقلة عندما نقلت إلى أوروبا لاعتلاها لها البتة بالإسلام الذي جاء ديناً ومنهج حياة في نفس الوقت ، والذي لا يفرق بين الدين والدولة أساساً ولا يجد بينهما أي تعارض أو تناقض بل يوجد بينهما تكامل طبيعي . وقد طرحت هذه الفكرة في أفق الفكر الإسلامي بعد سقوط العالم الإسلامي تحت نفوذ الغرب بهدف حجب الشريعة الإسلامية (سياسياً واقتصادياً وتعليمياً) عن التطبيق وتقديم القانون الوضعي ونظام الربا ونظام التعليم اللاتيني بديلاً عن نظام الإسلام الجامع ، ومن ذبول هذه الدعوة المسمومة بفكرة الدين لله والوطن للجميع ، بهدف إقصاء المفهوم الإسلامي عن المجتمع والسياسة .

وبمعنى أوضح فإن العلمانية هي إقصاء القيم الفكرية والروحية التي جاء بها الدين الحق عن الحياة الاجتماعية ، وتحرير الفرد والمجتمع عن الالتزام الديني والمسئولية الأخلاقية بهدف دفعه إلى التمحور الخارج عن حدود الله والعلمانية ركيزة أساسية لكل دعوات هدم الوحدة الإسلامية الجامعة كالأفليمية والقومية ودعوات الأجناس والعروق والدماء ، ذلك لأن هذه الدعوات إنما تقوم في سبيل كسر الروابط الروحية والفكرية التي جمعت بين الأجناس والأمم المختلفة تحت لواء واحد مع اختلاف الفروق اللونية والعرقية . والتي جاء الإسلام أساساً لقطع تلك الأصول القديمة وهدمها من فينيقية وفرعونية وأشورية وبابلية وصهرها في وحدة فكر أساسية لا إله إلا الله ، وكلكم لأدم وآدم من تراب ويقول الباسطون أن العلمانية تعتمد على مصدر واحد للمعرفة هو العقل وترفض المصادر الأخرى كالوحي والإيمان بالغيب وهي بذلك تقف في الطريق المماكس لكل دين من الأديان ، والعلم بمفهومه الصحيح يرى من هذا المصطلح المنسوب إليه

ولابد أن مفهوم السيادة للإنسان ، أو الجماعة أو الأمة أو للشعب في الحكم والتي تقول بأنها مصدر السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، هذا المفهوم يختلف تماماً بل ويتعارض مع مفهوم الإسلام .

ومن أخطاء دعاة العلمانية ما يقولون به من التخيير للمسلمين بين الإسلام والعلمانية أو القول بأن الإسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العرب والمسلمون . ولقد رفض المسلمون والعرب خلال أكثر من قرن من الزمان هذا الأسلوب من العمل سواء في مجال السياسة أو الاقتصاد أو التربية .

وفصل الدين عن الدولة نظرية صهيونية تلمودية عمل اليهود على تنفيذها في فرنسا بعد الثورة الفرنسية وفي مختلف أنحاء أوروبا لدحر النفوذ المسيحي الكنسي الذي كان يرسم حدوداً لليهود في أزقمتهم وحواريهم ويحول بينهم وبين الوصول إلى النفوذ السياسي أو الاجتماعي أو الأدبي وكانت الكنيسة يدها مقاليد التربية وشئون التعليم وفي سنة ١٩٠٥ بدأت عملية الفصل وخرجت التربية عن نطاق الكنيسة وفي الشرق أول من ابتدع فصل السياسة عن الدين ونقادها مصطفى كمال أتاتورك وكان وراء ذلك دفع من الاستعمار الذي غلبت هذه الأكذوبة وعمل على شيوعها وكانت الخلافة في نظره حجر عثرة يجب التخلص منها ولا يمكن التخلص منها إلا بالتخلص من العقيدة الإسلامية نفسها باقتلاعها من نفوس أصحابها وقد سلح أتاتورك تركيا الإسلامية عن العقيدة الإسلامية بقانون وبرناج وضعت خطواته في محافل أوروبا الماسونية ولم يكن عن إرادة الشعب التركي العميق الإسلام الذي لم يثبت أن عاد سريعاً إلى أحضان الإسلام .

ولما كانت (العلمانية) لفظ يحمل في طياتها اللادينية Secularism ونصها أيضاً باللغة الفرنسية L'laïque (لايلك) فإن هذان النصان يلتقيان عند معنى واحد هو اللادينية ومعناها عزل الدين عن الحياة ، والاحتكام على نظريات علمية ونظم وضعية . خداع العناوين في أنه يوحى بالعلم والبحث عن المعرفة ، استخدمت العلمانية لتقديم تفسيرات من صنع البشر لحركة

السكون والحياة وموقف الانسان منها وتأثيرها على قيام المجتمع وتوجيهها .
وخطأها فى أنها تعمل على إحلال الطبيعة محل القدرة الآلهية ، أو إحلال
الصدفة ، وقد استخدمت كل الانجازات المادية فى حضارة الغرب لتمكين النزعة
العلمانية . وبدأت آثار العلمانية فى المدارس والجامعات فى البلاد الاسلامية
واضحها وكان لها اثارها فى عقليّة الشباب المسلم وطرح شعارات تهدف إلى
عزل الدين عن الحياة وحبسه فى دائرة العبادات .

* * *

إن الثنائية التى مارسها الغربى بين العلم والفن أو بين العقل والوجدان
والتي عمقتها كلتا التجريبيين الأوربيين : الوضعية والنظرية ، هذه الثنائية
هى التى شملت فاعلية الأفكار والعقائد الغربية ، وحدت من قدرتها على تحريك
الانسان وتربيته ومن أجل أن يكون متوحداً متوازياً وهى التى ملأت بالتالى
حياته المعاصرة بالتفاهة والخواء حتى تضيق زرعاً بالعلماء وتمش للنجوم
السينائيين والمغنيين والراقصين .

والسؤال هو : هل العلمانية الغربية استطاعت أن تحقق أهداف
الإنسانية الشاملة والوصول به إلى غاياته الكبرى ، هل استطاعت المعرفة
العلمية أن ترفع البشر إلى مصاف عليا . إن العقل وحده لا يمنح الانسان
القدرة على فهم تكوين المعتقد أو السيطرة عليه والتعامل الايجابى الفعال
فى نسيجة الغد ومن ثم لابد من أسلوب أكثر شمولاً يضع إلى جانب العقل
طاقات الانسان الأخرى .

* * *

إن التمييز بين نوهين من العقلانية بمعرفتي أوباً وفرنسا خاصة . نوع
فكرى اعتقادي يفرض فكرته اللادينية على المجتمع ويتخذ منها موقفاً
عدائياً من الدين وتعتبر العلمانية دعوة اجتماعية فلسفية ذات مضمون
قابل للحلول محل المضمون الدينى حتى على الصعيد العقدي الخالص .

هذا النوع برفض المعايير مع الدين مبدئياً وينكر عليه إنفراده بمجاله الروحي أو يحصره في نطاق فردي ضيق . أما النوع الثاني وهو العلمانية بمعناها المحايد أو القانوني الشكلى فهو الذى يفصل بين الدين والحكومة (بين الدين والاجتماع) ولا بين الدين والفرد تاركاً للدين حريته الكاملة في مجاله الروحية والتعبدية والأخلاقية — الاجتماعية متجهاً فقط نحو تنظيم الجانب الرسمى بقوانين وأنظمة تعامل المواطنين سواسية في المجالات الحقوقية بعض النظر عن دياناتهم وقد يقبل دعاه البعث هذه العلمانية الثانية .

إن مصطلح العلمانية لم يوجد في التراث الفكرى العربى القديم ، إن معنى Secaler لا يعنى في قاموس السلفية غير معنى واحد هو (لا دينية) وقد جرى الناس على ترجمتها علماني أو مدنى وهى تسميات مبهمة للادينية تحاول أن تستر بشاعتها بأسماء سائغة مقبولة من الواضح أن كل ما ليس ديننا فهو لا ديني ولعل أوجز تعبير عربى عن هذه الحقيقة في الإسلام هو قول أحد الباحثين الغربيين : الإسلام ليس دولة دينية ولا هو دين للدولة إنما الإسلام دين وهو في نفس الوقت دولة (هو غارث) مؤلف كتاب الجزيرة العربية ويقرر بونارلويس إنه لا توجد في الإسلام مصطلحات تميز بين المقدس والدنيوى أو بين الروحى والزمنى لأنه لا يقبل حتى ولا يعرف الانفصام الذى تعبر عنه هذه السلسلة من المتضادات التى تؤدى إلى الانشقاق والصدام بين الكنيسة والدولة ، بين البابا والإمبراطور ، بين الله والقيصر .

وقد كان المستعمر الأجنبى الغربى الذى يحتل أقطارنا لا يخفى ارتياحه لهذه العلمانية بل كان يشجعها ولأن ذلك كان يؤدى إلى تفريغ مفهومنا الإسلامى من أصلاته وروحه .

الصهيونية

صدر كتاب ارثر توستلر (القبيلة الثالثة عشرة) : امبراطورية ،
الخزر وميراثها في لندن ١٩٧٦ وقد اثبت توستلر ان اليهود الحاليين :
ليسوا من بنى اسرائيل القدامى ، وليسوا ساميين بالمرة وإنما هم من أصل
آرى قوقازى أنهم حيث أحفاد أجداد شعب الخزر الذى عاش في ٧ - ١١ م
فيما بين البحر الاسود وبحر قزوين .

وفيما بين نهر الفولجا وجبال القوقاز ، والذى اعتنق اليهوديه لأسباب
سياسية محضة من منتصف القرن ١٨ م كما أثبت أن اليهود ليس لهم
تراث حضارى مشترك وكل ما يصدر عنهم ليس سوى جزء من ثقافات
وحضارات الشعوب التى عاشوا وما زالوا يعيشون فيها .

وقد كان نهوض الخزر فيما بين ٧ - ١١ م ثم كان هجوم الدولة
الروسية على دولة الخزر وتقويضها ، ثم كان السقوط الذى استمر بين
٩٦٥ / ١٢٤٢ والذى أحدثه تدمير العاصمة الخزرية والغزو البيزنطى
الروسى لدولة الخزر ثم كان الخروج أى هجرة الخزر وفرارهم إلى دول
أوربا الشرقية حيث انحدر منهم معظم اليهود وقد اثبت الباحث أن اليهود
الحاليين من أصل خزرى اعتماداً على مقارنة اللهجات الألمانية الفرنسية
بلغة (الايدش) التى بدأ ظهورها في شبه جزيرة القرم والتى كانت داخلة
ضمن الامبراطورية الخزرية قبل سقوطها ، وعدد الأدلة التاريخية والانثروبولوجية
التي تثبت أن اليهود ليسوا جنساً واحداً وإنما هيجنس أجناس بما ثبتت أن
خصائص اليهود ليست وراثية وإنما هى نبتة أحدثتها التأثيرات البيولوجية
والاجتماعية ، وقد جاء هذا في مواجهة الادعاءات الصهيونية التى تروج
للحق التاريخى لليهود الاوربيين في فلسطين باعتبارهم ساميين وباعتبارهم
بنو اسرائيل أو أنهم شعب الله المختار .

وهكذا اثبتت لآثر كوستلر ~~الادعاء~~ الاساسية التي تقوم عليها الصهيونية
العنصرية ، والتي تدعى أن كل من كدينون بدين موسى عليه السلام
يرحبون إلى أصل عنصري واحد ، فقد أثبت أن يهود الاشكنازيم وهم
أهل السيادة في المجتمع الصهيوني وزعمائه المسيطرون ليسوا ساميين أى
ليسوا من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام وإنما يرحبون إلى أصل أسوي
فهم أصلا من الخزر وإنما كانوا وثنيين ثم اعتنقوا الديانة اليهودية في
في القرون الوسطى ثم رحلوا إلى مناطق بولندا وليتوانيا في أوروبا الشرقية ،
وقد وجد المؤلف من قراءاته للتاريخ وتحقيقاته أن الخزر قد اختفوا فجأة
في منطقتهم تلك في نفس الوقت الذي ظهرت فيه كثرة من اليهود الاشكناز
في شرق أوروبا تحتفظين بزيهم الجزري (القفطان والطاقيّة) ويستغرب
المؤلف قصة تبنى الاشكناز رفع لواء الدفاع عن الساميين وهم ليسوا ساميين
بالمرة ويشكك في أن يكونوا هم أول من مارسوا عداة السامية واخترعوه
ويقول إن الادعاء بأن اليهود اليوم يمثلون عنصراً هو كلام باطل فها هم
الافوم لا تجمعهم حضارة أو ثقافة واحدة ولكن مجرد عادات وتقاليـ
تسكونت لديهم من تراث المجتمعات التي نشأ فيها ويقول إن الحقيقة التي
يبتغى عدم تجاهلها إن قليلا جداً من اليهود من يمارسون طقوس الديانة
اليهودية ، وأن اليهود في غالبيتهم غير متدينين ويقول إن حل مشكلة اليهود في
العالم ان تكون إلا بأن يدوبوا في المجتمعات التي نشأوا منها وأن ينسوا إلى الأبد
أفكارهم البالية القائلة بأن عليهم رسالة عنصرية وتاريخية يؤدونها . إنما
هم بشر عاديون لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ولن يستريح العالم من أفكار
اليهود السوداء النازعة إلى الشر والأذى وحب الذات والشعور بالامتياز
العنصري إلا إذا امتدى اليهود إلى النعتل والذوبان في المجتمع البشري بعد
أن تحقق أنهم لا ينتمون إطلاقاً إلى أصل واحد .

(٢)

ويقول أن اليهود قد بذلوا الكثير في سبيل تغليب باطلهم على حق الإنسانية حين حرقوا دوائر المعارف وفرضوا مفاهيم العهد القديم على المدارس المسيحية في أوروبا وأمريكا وحولوا الفكر التلويدي المدمر إلى نظريات وأيدولوجيات لها طابع علمي يدرس في الجامعات أمثال علم الاقتصاد السياسي والتحليل النفسي ومدرسة العلوم الاجتماعية والداروينية والماركسية والرأسمالية والقومية .

وكذلك تلك المحاولة الخطيرة غير المجدية التي تحاول بها إسرائيل تجميع تراث شعبي عربي قديم ونسبته إليها تستهدف القول أن أي شعب له تراث شعبي فإن هذا الشعب عريق أصيل ومن وراء هذا ادعاءات كاذبة يطرحونها عن طريق علم مقارنات الأديان لاضفاء هاله من التبرير للدعاة الموسوية بوصفها أول ما عرفت البشرية التوحيد أو القول بأن بعض الكلمات العربية تعود إلى أصول عربية ، وكذلك فكرة الوعد وخرافة شعب الله المختار ، وقد دفع اليهود هذا الفكر التلويدي في ظل النفوذ الاستعماري إلى البلاد الإسلامية تحت أسماء كثيرة منها اسم الفكر الحر وتحت اسم البهائية وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلمانية وأخطار من هذا احتواء اليهودية للمسيحية . ومحاولة فرض مفاهيمهم على البروتستانت الذين يؤمنون بالمعدين القديم والجديد ولهذا تنصب الدعاية اليهودية على مخاطبة العاطفة الدينية عند البروتستانت وتطالبهم ككافرين بالتوراة العمل على إعادة شعب الله المختار إلى أرض الميعاد وحتى يوجد اليهود المبرر والحافز عند المسيحيين لمساعدتهم والوقوف إلى جانبهم ابتكروا فكرة العدو المشترك للحضارة المسيحية واليهودية واقنعوا الغرب المسيحي بأن هذا العدو يتجسد في الإسلام ولهذا يجب على اليهود والنصارى أن يتعاونوا للتصدي للإسلام والمسلمين ، وقد استغل اليهود عقدة الكره التاريخية لدى الغربيين للمسلمين والتي ترسبت في نفوسهم منذ الحروب الصليبية بهدف استنزاف طاقات الطرفين في حروب يكون الراجح فيها اليهود ويؤكد دكتور الفريد لنيقال : اليهودي الأصل :

أن ليس لليهود أى علاقة بفلسطين والشرق الأوسط يقول : أن ما يسمى بالختين اليهودى إلى فلسطين هو أ كذوبة اخترعها الصهيونية فى القرن التاسع عشر لثكون مرتكزا لما يسمى بالقومية الاوربية التى سادت فى تلك الفترة فى أوربا ، أن معظم اليهود لا تربطهم أية جذور بفلسطين لانهم ليسوا منحدرين من منطقة الشرق الأوسط ، أن اليهود الغربيين (الاشكنازيم) الذين يحكمون إسرائيل الآن لاعلاقة لهم البتة بالشرق الأوسط أو فلسطين . أما السفادريم الشرقيون فربما كانت لهم علاقة لانهم عاشوا حياتهم فى الشرق الأوسط بشكل عام وليس فى فلسطين وهؤلاء لم يطالبوا بدولة يهودية ولم يعتنقوا الصهيونية بل الصهيونية هى التى انتحلت عليهم حياتهم واستقرارهم وهناك يهودى إسرائيلى استوطن فى فلسطين ويهودى صيوني لم يهاجر ، ويهودى لا صيوني ولكن غير معاد للصهيونية ويهودى معادى للصهيونية . أما اليهود الصهيونيون فقد استغلوا فرض نظام محكم عجيب لا يستطيع الاقله من اليهود الجهر بأرائهم بحرية حتى غير اليهود يتجنبون الجهر بأرائهم خوفا من أن يتهمهم الصهيونيون بنهضة العداء للسامية التى استطاعت أن تجعل منها الوجه الآخر للعداء للصهيونية .

والآن ماذا انتج التحدى الصهيونى بالزحف على ارض العربية .

أولا : إلقاء البلاد فى أحضان الشيوعية .

ثانياً : غلبة مفاهيم السياسة والعراك السياسى على مسائل القيم والمفاهيم

ثالثاً : من أجل سيطرة قيادة سياسية عسكرية تسمح بالإنتلاق الاجتماعى | والاخلاقى عن طريق الافلام والمسرحيات .

رابعاً : من أجل حرق أذهان وعقول وأذان الناس إلى الإذاعات الاجنبية تقدم الإذاعات الوطنية كل فاسد .

ويتحدث مؤلف كتاب (سفر تكوين الفسكرة الصهيونية) عن هرتزل و لينتال وبرجر وردونسون بوصفهم فلاسفة هذا المنهج الذي امتد لاكثر من قرن من الزمان ويتضمن سلسلة من الصراعات بين أوائل الصيونيون من الحاخامات الذين حرفوا المعنى الاينى الحقيقى لنبوؤة خلاص اليهود من البئؤة والشتات وبين رجال الدين اليهودى المتمسكين بمبادئ الشريعة الموسوية ثم بين الدعوة الصهيونية كحركة عنصرية وبين المنكرين اللبيرالين بما فيهم عدد كبير من المفكرين اليهود المقادين للصهيونية والذين يمثلهم فى عصرنا الحالى مكسيم درودنوف والحاخام المريبيرجر والفريد ليتال . ويقول ليست الصهيونية سوى محاولة لافتحام فكرة القومية على اليهود وهو أمر يتناقض أساسا مع مبادئ الديانة اليهودية ومع طبيعة الحياة اليهودية وأن الدعوة الصهيونية لم تكن دعوة قومية على أساس الضال فى سبيل السيادة السياسية على أرض قومية تقف عليها بالفعل وإستنادا إلى لغة قومية تتداولها بالفعل . أما الصهيونية فقد كانت بلا أرض وبلا لغة متداولة فالدعوة الصهيونية لم تنبثق من أرض فلسطين وإنما من شرق أوروبا رغم أنه فى ذلك الوقت كانت توجد مجموعات من اليهود المتدينين فى فلسطين لم تخطر لها قط فكرة القومية بل أنها قاومت بشدة الدعوات الأولى للصهيونية .

التقدم

غلب على الفكر الغربى الحديث مفهوم التقدم : بدعوى أن التقدم المادى يجب أن ينطلق ولا يتوقف ولا تحول أى عوامل أخرى دون استمراره وهذا المفهوم مغاير لمفهوم الإسلام الذى يجمع بين التقدم المادى والروحى معا ، والذى لا يرى صحة نظرية التقدم المرتبطة بدورة الزمن ، فإنه لا يشترط أن كل تقدم مادى يتبعه تقدم معنوى .

ويرى الباحثون أن نظرية التقدم المرتبطة بدورة الزمن قد تعرضت لامتحان شديد فى العصر الحديث ، وبعد توالى ظواهر تبئء عن الأزمات

في العالم الغربي المتقدم مثل انتشار الرذيلة واتساع نطاق المخدرات وضلال الشباب في مناهات التمرد على المجتمع واتخاذ الغريب من الملابس والأزياء واتساع نطاق الجريمة المنظمة والإرهاب . والتقدم في مفهوم الإسلام في تقدير الباحثين هو الترقى الأخلاقي والحث على التسامي والارتقاء والسمو لكسب الفضائل التي بدونها لا يصبح الإنسان إنساناً ، هذا وقد خطأ بعض الباحثين مفهوم التقدم الغربي بوصفه تقدماً مادياً خالصاً ، وقالوا أنه يجب أن يسمى التغير لأن التقدم يحمل معنى الارتفاع فوق جميع عوامل التخلف معنوياً ومادياً ، أما التغير فقد يكون تحللاً أو تهتماً من نموذج ومثل أعلى ، ذلك أنه بالرغم من التقدم المادي فإن الإنسان لم يخفف من أنانيته وأحقاده وظلمه وتعطشه لسفك الدماء ، ويقول هاري بارنز : أن غرائز الإنسان بالرغم من التقدم المادي قد زادت ضراروه وحده ولا زال الوحش راقداً في أعماق الإنسان المتحضر ، إن الإنسان اليوم مخلوق ضعيف العقل في يده قبلة يمكن أن يحطم بها نفسه وغيره ، ويرى البعض أيضاً مخالفاً لرأى أصحاب نظرية التقدم المطلق ، وهم الذين يقولون أن التاريخ في سيره يأخذ اتجاهها منحدراً مستندين في ذلك على أن العصر الذهبي للإنسان تحقق في عصر النبوة ثم انصحابة والتابعين وبعد القرون الثلاثة المتصلة أخذت مراحل الانحدار تزداد كلما افترق المسلمون شيعاً وأحزاباً متعددين عن تلقى الإسلام حسباً فهمه السلف .

ولكن هناك ما يبعث على النظر بأن الأمم قد تتخلف حيناً لأنها ركبت مقاليد التقدم الحقيقي كما حدث للأمة الإسلامية في هذه الفترة وأنه إذا عادت الأمة إلى التماس قيمها ومفاهيمها الأصيلة مستمدة إياها من المنابع الأولى فإنها تستطيع أن تعود مرة أخرى إلى امتلاك إرادتها وفوتها ، وهذا ما توحى به علامات التغير الحادثة الآن في المجتمعات الإسلامية بعد أن تكشف للمسلمين أن التماس مفاهيم الغرب في الحضارة والفكر لم يحقق لهم أى تقدم حقيقي ، وأن أسلوب التقدم الحقيقي يكمن في التماس الأصالة والتماس نفس الأسباب التي انتصر بها المسلمون الأوّلون ، اتّوا بها مجتمعاتهم وحققوا بها نهضتهم .

وبذلك يمكن القول بأن التقدم ليس نظرية قائمة على التقدم المادى المتصل ،
وليست نظرية قائمة على أن التقدم كان ثم توالت الهزائم ، ولكن المفهوم
الإسلامى الصحيح هو أن المسلمين إذا أصابتهم الهزائم عليهم أن يلتمسوا
من جديد منهجهم الاصيل ، عندئذ يعودوا إلى الصدارة .

الثورة

هذا مصطلح ارتبط بالتغيرات التى تتعلق بأنظمة الحكم والسياسة ،
ووقع الاختلاف بين مصطلح الثورة ومصطلح الانقلاب وقد ارتبطت
كلمة الثورة بالعنف واستخدام السلاح وسفك الدماء ، بينما ارتبط الانقلاب
بالتغيير الإصلاحي والتمرد والفتنة والعصيان واعتبرتها بعض المعاجم مجرد
تغيير فى شكل الدولة أو تعديل فى الحكم تصاحبه هبة شعبية وكل هذه
المعاني ترتبط بالثورات الفرنسية والإنجليزية ولا صلة لها بالإسلام فلم يكن
الإسلام ثورة ، وكذلك من الخطأ إطلاق كلمة الثورة على الإسلام ، وكذلك
فما يتعلق بمصالحات الديمقراطية أو الاشتراكية ، فالإسلام دين ربانى
منزل لم يرتبط بأى عامل من عوامل الثورات أو الانقلابات فقد جرت
هذه المحاولة كلها بلا تيار ، من هذه التيارات وليس الإسلام ثورة بالمعنى
اللغوى ولا هو ثورة بالمفهوم العصرى الحديث الذى يعتقه الشيوعيون .
فالثورة انقلاب كامل شامل سريع عنيف على الأوضاع القائمة وقضاء
حاسم على الرجال القائمين على تلك الأوضاع وعلى كل محافظ من القديم
مهما كان القديم ، وتغيير كامل لكل الأنظمة والتقاليد والأخلاق بالحديد
والنار والسجون والمشاق ولم يكن الإسلام كذلك . وإنما كانت ولا تزال دعوة
الإسلام إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والثورة الفرنسية ثورة
لادينية معادية للدين أثر الماسونية والصهيونية فيها واضح مشهور ومعنى الحرية
فيها واسع يشمل حماية القانون لكل الأعمال والأقوال التى تهز القيم الدينية
والخلقية والاجتماعية وهى ثورة تفرق الجماعة فى التشكيك فى عقائدهم وقيمهم

ونطلق لشهوات الناس العنان وتمددت في التصور والسلوك لأنها لا ترى على الدولة التزاما دينيا أو خلقيا تجاه الجماهير .

إن الذين يصفون الإسلام بالشورة لا يعرفون خصائص الإسلام ، إن الشورة تنتهى وتستنفذ أغراضها فإذا ما قيل أن الاسلام ثورة فإنه يمكن أن يقال من بعد أنه استنفذ أغراضه وليس في الاسلام ثورة اجتماعية إنما هو رسالة السماء إلى البشرية منذ كانت البشرية . والمعروف أنه عندما قامت الدعوة الاسلامية لم تشغل نفسها كثيرا بهدم الوضعيات الجاهلية تدر ما شغلت نفسها بالدعوة إلى إقامة البناء الجديد ولما صعب عليها ما جرت إلى الحبشة وإلى المدينة .

الباب السادس
المذاهبُ الموافقة

الايدولوجيات

١ - يحاول التغريب أن يقدم الأمة الإسلامية ذات المنهج القرآني المغيى بديلاً زائفاً تحت اسم الايدولوجيات : الاشتراكية والتقدمية والثورية وغيرها من أقراص التنويم الممثلة في غزو فكري منظم ومحكم . وهل استطاعت هذه الايدولوجيات في أوطانها التي نشأت فيها أن تحقق شيئاً ذا بال حتى يمكن نقلها إلى محيط عاش منذ أربعة عشر قرناً في إطار منهج رباني قرآني أقام به مجتمع وبني به حضارة تشهد الدنيا جميعاً بفضلها على الحضارات وعطاياها الذي لم يتوقف ؟

إن أول ما يهدف له هذا المخطط هو التشكيك في كل القيم والمبادئ السامية الإسلامية ، والتقليل من شأن الاخلاق ، وتصوير الدين كعائق في عملية التطور والنهضة على نحو ما تذهب إليه الايدولوجيات العلمية التي تعتبر الاقتصاد الآلة الحقيقي ، وقد أصيب المجتمع الإسلامي نتيجة لهذا الغزو بضرب من التفكك الاخلاقي والعقائدي ، ومن نتائجه ما نراه من أحقاد على الساحة العربية ، وما يضرر الاخ لآخيه من عداو ومن انهار خلقى وفساد ديني ، وقد أجهد المنظرون العرب هذا الوافد بعد أن أخذوه من الغرب ولفقوه باسم الدين عساهم يبررون اعتناقهم لهذه الايدولوجيات وقد منيت هذه الانظمة بالفشل الذريع في عقر دارها ، ذلك أن الفسك الإسلامي الاصيل لا يفصل بين الاقتصاد ، وبين ما عداه من نواحي الحياة الأخرى ، والعالم الإسلامي عاجز تمام العجز عن إيجاد العلاج الناجع ، لقد تجول المسلمون طويلاً في سوق الايدولوجيات ونسوا أن منهج الاسلام هو الدواء الوحيد الصالح لهم ، ويجب أن يكونوا على ثقة بأن مشكلات الأمة الإسلامية لن تحل إلا بالاسلام ، فلنحذر مقولات المادييين والعلمانيين التي يرددونها من أن الاخلاق مجرد مقولات زائفة ومبادئ عديمة الشأن .

٢ - وهكذا حاول الغرب أن يضع أهواءه ومطامعه في أسلوب له

طابع علمى براق ، أقامه على موازنات لها مداخل وأسس ونتائج ، وأطلق عليها اسم الايدولوجيات ، ليخفي ما وراءها من هدف ، ولما كان الغرب قد ورث المسيحية وهى مجموعة من الوصايا ، ولم تكن ديناً له شريعة بعد أن فصلت نفسها من أساسها اليهودية ، فقد كان عليها أن تضع منهجاً بشرياً للمجتمع يرسم لها أسلوب السياسة والاقتصاد ، فهى لم تلبث أن عادت إلى قوالب الأغريق القديمة وسأولت أن تبني على مفاهيمها الوثنية بالرغم من الطابع المسيحى الظاهر ، وقد كانت نظرية الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية مستمدة من الفكر اليونانى أساساً بعد أن وقع الخلاف بين الدين والعلم وانحسر سلطان الكنيسة واستعمل العلم بعلمانيته وانصرفه عن الأساس الدينى ، ولقد تطورت هذه الايدولوجيات تطوراً واسعاً وسريعاً وانتقلت من الرأسمالية إلى الاشتراكية بعد توسع النظام الصناعى وظهور طبقة العمال فكانت الايدولوجية الاشتراكية رد فعل للأيدولوجية الرأسمالية ، ومازالت تجرى فى طريقها بالاضافة والحذف والتغيير ، لأنها من الفكر البشرى القاصر عن أن يحيط بأسرار النفس البشرية والمصوغ بأهواء أهله ، فقد ظهرت هذه الدعوات حين عجز الدين عن العطاء وحين انفصلت الاخلاق عن الدين ، وأن كل نظرية من هذه النظريات لم تلبث بعد مرور زمن ما أن تكشف عجزها عن الاستمرار فعدلت بنظريات أخرى ، ولا تزال تحتاج بين حين وآخر إلى التغيير لأنها غير قادرة على الثبات والعطاء الدائم ، وهذا هو الفرق بينها وبين منهج القرآن الخالد الشابى على الزمان ، فتمسك تصدعت الرأسمالية والفردية ، والماركسية والوجدية وعجزت عن العطاء ، ولقد كانت مقابل الايدولوجيات الأساسية فى اعتمادها على الفلسفة المادية وإنكار الخالق والعجز عن فهم التكامل بين الروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة .

٣ — وقد كان أخطر ما فى هذه الايدولوجيات محاولة الدول المستعمرة فرض مناهجها على العالم الاسلامى الذى كان له تشريعه الاسلامى ومنهجه الاصيل فى نظام الحكم وبناء المجتمع ، فقد عمدت القوى الشيوعية والرأسمالية

على السواء إلى فرض مفاهيمها وبث عرائس التيارات في أفق الفكر الإسلامي لإضعافه واحتوائه وصهره في بوتقته ، وقد ثبت الإسلام صلباً عنيداً في وجه هذه المحاولة الخطيرة المستمرة ، فانكسرت على صخرته كل المحاولات في جميع الظروف ، واثبتت التجربة فساد التطبيق الديمقراطي والشيوعي على السواء ، وعجزت هذه الأيدولوجيات عن أن تستجيب للنفس المسلمة ، أو تحقق لها مطامحها ، وجرت كتابات كثيرة في الكشف عن جوهر الإسلام وسعته وعالميته إزاء هذه الأيدولوجيات القاهرة ، الانشطارية ذات الأساس المادي المحدودة الأثر .

وكشفت حركة النقطة الإسلامية هذه الأيدولوجيات على أنها فرضيات قد تصلح في بعض البيئات التي قامت فيها نتيجة تحديات خاصة ولكنها لا تصلح في مجال الفكر الإسلامي الذي يؤمن بالله رباً ، ويؤمن بالفكرة الجامعة بين الروح والمادة والعلم والدين كما أبانت عن أن هذه الأيدولوجيات ليست إلا حطام الفكر البشري الوثني المادي الإباحي القديم الذي عرفته حضارات اليونان والرومان والفرس والهنود والفراعين ، وهو فكر لم يثبت أمام رسالة السماء وإن دعوة الإسلام حين جاءت فقد أعلنت بدأ عصر الرشد الفكري الذي تحطمت فيه كل هذه الدعوات الباطلة وأشرق على الإنسانية مفاهيم التوحيد الخالص والعدل والرحمة والأخاء البشري .

٤ - وقد تبين أن مختلف الدعوات التي تحمل لواءها الأيدولوجيات المعاصرة فاسدة الأساس فقد عمدت إلى الفلكور لدراسة الشعوب البدائية لآحياء الوثنيات التي هدمها الإسلام كما أنها أخضعت العلوم الإنسانية لمناهج العلوم التجريبية والمادية ، وكان علم الأديان المقارن دعوة إلى هدم مفهوم وحدة الدين على مدى الأجيال ومحاولة القول بأن الأمم بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد بظهور اليهود ، وهو قول مراهض للحقيقة فإن البشرية عرفت التوحيد منذ رسالة نوح الأولى وتوالت عليها رسالات الأنبياء بالتوحيد كذلك فقد كانت الفريضة هدماً للإخلاق ، وكانت الماركسية دعوة إلى إعلاء لقمة العيش وتفسير التاريخ البشري كله على أساسها .

ثم إن هذه الأيدولوجيات أعلنت شأن العنصر واللون والعرق والدم وأعادت الإنسانية إلى دعوة ذميمة حرمها الاسلام وأزالها حين قال : كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

وقد أصبحت أيدولوجيات الدول الكبرى اليوم مصالح وليست عقائد ، بمعنى أنها تبرير لمصلحة أو نفع ، كما يقول الدكتور رشدي فكار : حين نرى تقلب هذه الأيدولوجيات وتلونها في هذه الدول نفسها تمشياً مع المصالح ، فقد أصبحت تمثل الغش والنفاق والكذب كما وصفها (برتراندرسل) بقوله (اللاخلاقية العالمية) [لإسعاد الانسان عن طريق تفجير القابل الهدروجينية .

هـ - وقد كان على حركة اليقظة تصفية الفكر الاسلامي من تلك العناصر الأجنبية ، توضيح معالم المنهج الاسلامي ، وبناء موقع محصن في مواجهة تحديات الأيدولوجيات المعاصرة وتحليلها في ضوء المنهج الاسلامي الشامل لحقائق الانسان والسكون والحياة .

ويرى بعض الباحثين أن كلفة الأيدولوجية صنعت وتطورت لتكون بديلاً لكلمة الدين الخطيرة عندهم ، وهي تعبر عن عالم جديد للأفكار الاجتماعية والدينية ، واتخذت كسلاح لمحاربة المعتقدات الدينية السياسية المتسلطة التي استغلها النظام القديم في الاحتفاظ بقبضته الباطشة ويقول أحد الباحثين : لأن الهدف من مصطلح الأيدولوجية هو القضاء على الرمز الثابت المتصل بالدين ، في عصر ما يسمونه النظم السياسية والاجتماعية ، حيث تتولى الأيدولوجيات وليس الدين إعادة تفسير الرموز الأساسية للعقيدة الأدبية وهو يعني عودة أوروبا إلى وثنيها الرومانية والأغريقية القديمة ، ولكن بأشكال ووسائل عصرية ولقد عمدت محاولات صناع الأيدولوجيات إلى عدم الخضوع للتاريخ أو الأخلاق أو العلم بل عملوا على تطويقها كأدوات سياسية تحقق انقلاب كل القيم لإعادة تشكيل موقف الإنسان الأدبي ، ومن هذا كله نجد أنفسنا بخطئين غاية الخطأ في متابعة مثل هذه الأيدولوجيات في عالم قد رسم لنا فيه الاسلام منهجاً جامعياً صحيحاً لا يخضع لاهواء البشر ولا ينتقص

حقيقة الكون والحياة من خضوعها لله تبارك وتعالى ولا لالتباس مفهوم غير مفهوم القرآن الذى يقضى بمسئولية الإنسان والتزامه الأخلاقى ورسائله فى تعمير الأرض .

٦ - الإيدولوجية بالنسبة للإسلام :

الإسلام فى كل مكان وزمان هو القانون الإلهى لحياة الناس وليس مجرد نظرية .

منهج الحياة شامل متكامل جامع للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والزبوية بحيث يتأكد أن العقيدة هى الأساس للشكل الإقتصادى وليس الإقتصاد هو الأساس .

إن كلمة نظرية هى مجموعة الأفكار التى ينظمها أساس فلسفى تجاه تفسير الوجود والحياة والإنسان تفسيراً ينشأ عنه مذهب اعتقادى ، ومن ثم يقوم عليه نظام ومجتمع . وهذه هى الإيدولوجية فى لغات الغرب حيث ظهرت أهمية النظرية فى الصراع الفكرى فى نهاية القرن ١٨ فى محاولة بعض الفلاسفة الإلحاديين فى أوروبا إلى بناء مثل علمى جديد للحياة الغربية يقوم على ثورة الصناعة أى على أساس دينوى إنسانى غير إلهى وغير دينى وبالذات غير مسيحى . وكان أول استخدام لهذا التركيب الفلسفى النظرى المصاد للدين على يد زعماء الثورة الفرنسية .

٧ - وفى الغرب لقد اتخذت كلمة (الإيدولوجية) التى صنعت وتطورت لتكون بديلاً لكلمة الدين الخطيرة عندهم ، وهى تعبر عن انقلاب جديد للأفكار الاجتماعية والدينية وما تزال تتخذ كسلاح لمحاربة المعتقدات الدينية والسياسية المتسلطة التى استغلها النظام القديم فى الاحتفاظ بقبضته الباطنية .

ومن هذا ما اتجه إليه الإيدولوجيين منذ القرن التاسع عشر أى تفويض الفلسفة القديمة والعقل القديم من أجل ما أرادوا أن يصنعوه من الفلسفة الحديثة والعقل الحديث ، فكانت هذه الإيدولوجيات التى لا ترتبط أساساً بالتاريخ أو الأخلاق أو العلم إلا لتطويعها كأدوات سياسية تحقق انقلاب

كل القيم لإعادة تشكيل مواقف الإنسان الأوروبي وغيره فيما بعد تجاه تراثه وبالتالي تجاه ذاته ، وهكذا وقع الانقلاب الأيدلوجي في الانكار من أجل القضاء في البداية وفي النهاية على هذا الرمز الثابت وهو الله الذي لم يعد له عند المذهب الجديد أى فائدة في عصر ما يسمونه النظم السياسية والاجتماعية الدنيوية ، حيث تتولى الأيدلوجيات وليس الدين إعادة تفسير الرموز الأساسية للعقيدة الأوروبية على نحو تجعلها تشغل الأذهان فقط بهذه المحن التي يخوضها الإنسان الحديث في حياته. وهو يجدد مواقفه منها وبذلك عادت أوربا إلى وثنيها الرومانية والإغريقية القديمة ولكن بأشكال ووسائل كما تسميها الأيدلوجية عصرية رائعة مزروعة ، وقد بدأ ذلك حين قام فلاسفة التنوير اليهود التلموديون ببناء ما يسمونه المثل العليا الحضارة الغربية على أساس دنيوى وإنساني خالص ، أى على أساس علماني غير ديني وبالذات غير مسيحي .

ولقد كشف كثير من علماء الفكر الغربي عن أن (الإيدلوجية) لنظام ثابت لا يثبت كثيرا المتغيرات ، وسرعان ما يحتاجها العوامل ومن ثم تصبح منها جامدا يحول دون رؤية الجديد الدائم ، هذا من ناحية الفكر الغربي أما من ناحية الإسلام فإن الأيدلوجية نظام بشري لا يمكن أن يتجاوز جيلا من الناس أو مكانا من الأمكنة ولا تستطيع الأيدلوجية البشرية المرتبطة بزمن وبيئة أن تقدم شيئا صالحا لعصور أخرى أو بيئات أخرى فهي لا تلبس أن يحتاجها الأحداث والتحويلات .

٨ - من أكبر أخطاء استعمال المصطلحات الغربية استعمال كلمة وأيدلوجية بدلا من كلمة عقيدة ، وهو ما يختلف اختلافا واسعا بين المعنى في الإيتين ، ولو أنه قيل أن كلمة أيدلوجية تستعمل بدلا من كلمة منهج ، أو نظم لكان ذلك معقولا في المقارنة ، والمقارنة بعيدة جدا بين كلمة منهج وكلمة أيدلوجية .

فإن المنهج الإسلامى هو منهج ربانى جامع مانع ، يحكم الأداء من منطلق على متغيرات الزمن والبيئات وقادر على العطاء في كل الظروف

والأحوال ، وهو منبعث من إيمان نفسى عميق والالتزام أخلاقى وإيماني
بالمسئولية الفردية والجزم الأخروى ومتكامل بين المادة والروح والمثل
والقلب فلا يمكن أن توازيه كلمة أيولوجية بأى حال .

الدارونية

ظهر كتاب د أصل الأنواع ، سنة ١٨٥٩ فكان نقطة تحول فى التاريخ
الفكرى الغربى ، من حيث أنه استغل لتركيز النظرية المادية وفكرة
حيوانية الإنسان ، ومنه انشقت مذاهب الماركسية ، والوجودية ، كما أنه
أعان على تشجيع الدعوة إلى نظرية التطور الدائم ، الذى يخرج عن كل
قواعد الثبات من حيث حمل د سمير ، فكرة التطور البيولوجى فقلبا
إلى عالم الاجتماع . فانتقلت الدارونية إلى أن تكون أساسا للفكر الواسع
للروحانيات والمعنويات والنظر إلى الإنسان على أنه مادة وتأثرت بذلك
مفاهيم الأدب والنقد والاجتماع والتربية . ومن أخطر ما ذهب إليه الدارونية
القول بأن الإنسان والقرود من أصل واحد ، وقد شاعت هذه النظرية ،
وحملت أوهام التلودية إلى كل مكان للغرض من مفهوم الإنسان الذى كرمه
الدين الحق ، وامتهانه بأنه كان قروداً ثم توالى الاكتشافات للجحافل عبر
أكثر من مائة عام فثبتت فساد نظريته فى هذا الصدد وكشفت عن رأى
مطابق لرأى القرآن الكريم من حيث أن كل نوع من الخلق كانه مستقلاً ،
فالإنسان حسب بيان القرآن كان إنساناً منذ أول يومه ، خلق بعملية الخلق ،
فى يوم معلوم ثم انتشرت منه السلالة البشرية ، ولقد أكد الباحثون أن
نظرية دارون ما تزال بعد مائة سنة نظرية بحثه قائمة على فروض فرضها
دارون ولم يكن معه دليل عليها ، وهى لم تصل إلى أن تكون حقيقة
واقعة (Fact) يقول الأستاذ المودودى : إن نظرية دارون هذه قمة رأس
النظريات الباطلة التى ناصبت الإنسان العدا فى هذا الزمان وعلمية للقبائل
على إنسانيته ، فقد حاولت أن تجعل الإنسان يعتقد بأنه ليس إلا حيواناً كائنات
الحيوانات . ومن نتائجها أن بنى آدم لا يتعاملون فيها بينهم فى أى شعبة من

شعب الحياة إلا كما نتعامل الوحوش في الغابة ، ومن تأثيرها أن الإنسان بدلاً من أن يستمد القوانين والمبادئ والمناهج لحياته من مصدر من المصادر السامية إنما يبحث عنها في حياة البهائم والوحوش ، وهي التي قد عرضت على الإنسان نظام الحياة الطبيعية الحقيقية .

ويرى الكثيرون أن نظرية دارون تخالف القرآن صراحة فهي تقول من الإنسان الأول (وهو أبونا آدم) أنه كان ناقصاً في تكوينه العقلي والجسمي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، والقول بهذا يترتب عليه نفى كل ما جاء في القرآن من قصة آدم وحواء ، والجنة ، والملائكة ، وإبليس ، وبجعل هذه القصة خرافة من الخرافات لأنه لا يعقل أن يكون محور تلك القصة الخطيرة إنساناً لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك . فالقرآن الكريم قد نص على أن الله تبارك وتعالى قد جعل من هذا الإنسان الأول (آدم) خليفة في الأرض وجعله أرقى من الملائكة فهماً وعلماً قال تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) وقال (وعلم آدم الأسماء كلها) فالقرآن يصف آدم بالعقل والإدراك وتحمل التكليف من أمر ونهى ، وقد بنى دارون نظريته في النشوء والارتقاء على افتراضات وتقديرات وتخمينات محتمل الخطأ والصواب ؛ ولم يقيمها على أسس علمية قاطعة ، وقد قال أحدث العلماء في هذا الصدد : (مبفرت) : إن بين الإنسان والقرود فرقاً بعيداً فلا يمكن أن يحكم بأن الإنسالة سلالة قرود أو غيره من البهائم ولا يحسن أن يتفوه بذلك .

الفرويدية

قام فرويد بترويج مذهب الجنس تحت اسم التحليل النفسي (١٨٥٦ - ١٩٣٩) فكان أن بدا في عالم الأدب وفي المجتمع الأوربي ظاهرة جديدة هي ظاهرة شرعية التحلل والإباحة ونتيجة لمذهب فرويد قد ظهرت الوجودية وفي ١٩٠١ وقف الدكتور هافلوك أليس في محكمة الجنائيات في لندن لمساءل عن كتاب ألفه في الحب والعلاقة الجنسية بين الرجل

والمرأة وذكر أشياء كثيرة مكشوفة وانتشر مذهب الاباحه في الأدب والتحليل من قواعد الدين والخلق (أوسكار وايلد - لورنس) وقد مرض كثير من الباحثين لانحراف اتجاه علم النفس الحديث فقال دكتور محمد منسى السيد سالم أنه ركز على الجانب الشرير من الانسان ، وفسر ببعض الغرائز كل سلوك الانسان حتى أنه أرجع فكرة الألوهية نفسها إلى عقيدة جنسية يجعل الانسان يحول خوفه من أبيه الذي يناقسه بحب أمه إلى خوف وهمي لقوة عليا . فالجانب الخير من الانسان عند كثير من المدارس النفسية الحديثة ما هو إلا مخاوف طفولية تقف في وجه الغرائز من الاحب ومن التقاليد الاجتماعية ، ومن هذه المخاوف نشأ الضمير ونشأت الاخلاق ونشأت فكرة الألوهية والسلوك الإنساني من تفكير وإرادة وعاطفة . أما النظرية الاسلامية فإنها تصحح هذه الخرافات المعاصرة بأن الإنسان يحمل في طياته جهازا مزدوج الاتجاه ، محور منه يتصل بمقل الانسان ومحور آخر يتصل بغرائزه ولم ينشأ أحدهما من الآخر ولكن كلاهما يؤثر في الآخر فقد يتأثر عقل الانسان بالجوع والخوف والشهوة وقد يتحكم العقل في الغرائز ويكبتها .

أما أن العقل نشأ من الجسم وغرائز الحياة فهو خطأ لا يقره القرآن أو العلم حيث لا نرى النظريات النفسية المعاصرة من الغرض والهوى في حقاً لم تقم على الزاوية العلمية بل قامت على خلفية عدائية للكنيسة وصل بها إلى الحد الذي ترفض معه وجود خالق للحياة وما عليها وراحت تزهد ضميرها الأعوج في إفتعال تفاسير للخلق تستغنى بها عن الله الخالق والصواب الذي يحترمه العلم هو ما أقره القرآن من الإنسان مخلوق كريم متميز بخصائص تجعله سيداً وخليفة على هذه الأرض وهي العقل والتفكير والحرية والارادة ، بالإضافة إلى كونه جسدا يأكل الطعام ويتناسل ، وتضيف النظرة القرآنية للنفس بعداً غيبيا نعرف آثاره ولا نعرف تركيبه هو التأييد الإلهي لمن اختار طريق الحق والغواية الشيطانية لمن اختار طريق الباطل والنفس البشرية محصلة لقوى روحية وعقلية ، وغريزية ، والنفس الانسانية روح تميل إلى الحق وغريزة تنزل إلى الأرض وبينهما عقل يفكر وإرادة تختار .

٢ - خضع فرويد للأساطير واتخذ منها منطلقاً لنظرية علمية وأخطر ما خضع له (المأساة اليونانية) - ذلك أن جو المأساة : هو جو الصراع بين الإنسان والقدر مع انتصار الأخير وهو يتمثل أحسن تمثيل في مسرحيات أيسكيلوس وسوفوكليس ويوريديس في أثينا في القرن الخامس قبل المسيح ، وقد قطعت المسيحية على الأدب المأساوي لأن عذاب المسيح قد كفّل (الخلاص) وأتى بالفقران (في تقديرهم) وكلما لاحث في المسيحية بوادر المأساة عدت خروجاً على الدين كالزندقة المانوية التي تنكر انتصار المسيح أى انتصار مبدأ الخير على مبدأ الشر ، أو كالزندقة البلاجية التي تنكر الخطيئة الأولى ومن القصص التي تدور حوادثها في جو المأساة (الاخوة كرامازوف) لدوستوفسكى ولا يتفق جوها بين القاصين ومولى ديك الكاتب الأمريكى هوفمان مع الجو الفكركى للقرن التاسع عشر ، وهو جو انتصار النزعات الفكرية والعلمية والإيمان المتقابل باضطراد مع تقدم الإنسانية . ويعتقد هومان أن كتابات فرويد بعثت من جديد جو المأساة في تفكير الإنسان المعاصر .

وعلى الرغم من أن التحليل النفسى يرمى إلى تحسين حال المريض فإن فرويد كان أميل إلى التشاؤم منه إلى التفاؤل ، فهو يصرح بعدم وجود الدليل الكافى للحكم على ضرورة لإنهاء العلاج بالتحليل أما رأيه فى قصور الإنسان دون الوصول إلى الكمال فلم يستمده من المسيحية بل من دارون يتطور الإنسان ابتداء من الحيوان ذى الخلية الواحدة هو الذى قضى عليه بالموت . وقد استعار فرويد من المأساة اليونانية المواقف والشبهات للتحدث عما يعترى النور النفسى من عقبات (عقدة أوديب) أو الصراع بين إله الحب وإله الموت والتنبؤ بانتصار الموت فى النهاية ، وهؤلاء الناقدون ينكرون على فرويد نظريته الضيقة إلى مفهوم الأهلاء لأن فرويد ينكر الاستقلال الروحى ويعد الحالات النفسية العليا كالإلهام القمعى والحب الصوفى مجرد تحويلات وأقنعة للغريزة الجنسية .

الروحانية الحديثة

إن محاولة دعاة الروحانية الحديثة حين يستحضرون أرواح الموتى : سواء أكانوا مسلمين أم نصارى أم يهود أم بوزيون ، وقولهم بأن هذه الروح يعيش صاحبها في سعادة وهناء هي محاولة لتدمير مفهوم الدين ، واستحفاف بالاديان وتكوين مفاهيم دينية جديدة تحاول أن تصور أن كل الموتى يذهبون في صعيد واحد وكلهم يشعرون بالسعادة حتى وإن كانوا وثنيين أو ملحدين وهذا يخالف تماماً مفهوم الأديان المنزلة . إن الذي يقف وراء هذه الدعوى هي الصهيونية العالمية الهدامة بكل أجهزتها وفي مقدمتها الماسونية التي تعمل على نحو العصبية الدينية والقومية ، لكي تتمكن من استخدام مخدوعى المسلمين والنصارى وغيرهم من أهل النحل على اختلافها في خدمة أهدافها تحت ستار الانسانية التي تجمعهم جميعاً . ولكي تمحو من وجه الأرض كل عصبية فلا تبقى إلا عصبية اليهود لدينهم وقوميتهم ، وعند ذلك يصبح العالم بأسره أمام اليهود قطيعاً من الأغنام لا تجمعهم جامعة ولا ترابطه رابطة يسوقونه إلى حيث يريدون .

إن من أخطر المخاطر دعوة ما يسمى بالانسانية والحقيقة الواحدة التي تكمن وراء الأديان كلها (ذلك أن تفسيرات الأديان في العصور المختلفة قد غيرت كثيراً من الوجهة الحقيقية التي جاءت بها رسالات السماء) وهذه الدعوة تستهدف في حقيقة الأمر لإحلال الأمم والشعوب على اختلافها خدمة للصهيونية العالمية وحدها وقد وضح تماماً أن مجالس استحضار الأرواح وسائط للتنويه والخداع ، وإن الأرواح المستحضرة ليست بأرواح بشرية ، وإنما جن تكذب على الناس وتشككهم في دياناتهم بطريق غير مباشر ، ذلك أن الحقيقة كما يقول الأستاذ محمود ناظم تسمى : إن أرواح الموتى لا سلطة لبشر عليها فيحضرها ولا يستطيع النصرف دون إذن بها فالأحاديث الصحيحة تدل على أن الروح بعد الموت يتلقاها ملكان فتصعدان بها إلى السماء ، فيؤمن أن ينطلق بها إلى آخر الأجل إلى قيام الساعة فليست الروح حرة التصرف في عالم ما بعد الموت تفعل ما تشاء بدون إذن ربها ولا سلطة لبشر على تلك الأرواح يستحضرها

أو يستجوبها أو يستخرها لاستجواب الآخرين ، وبذلك يتأكد بطلان دعوى مستحضري الأرواح بأن الأرواح التي تحضر في الجلسات هي أرواح موتى البشر ، فأرواح الموتى ليست حرة في تنقلاتها وتصرفاتها لأن أرواح البشر تسأل بعد الموت عن عقائدها وترى مقعدها من الجنة أو النار وتنعم أو تتعذب بنعم أو لذات خاصة بعالم البرزخ تختلف باختلاف درجات اليقين والإيمان فكيف تكون تلك الأرواح المستحضرة أرواحاً بشرية ، إن استحضر الأرواح وسؤالها عن المغيبات نوع من الكهانة ، وإن اعتمد الكهانة وتصديق أخبارها محرم في شرع الله تعالى بقوله ﷺ (من أتى عرافاً فسأله فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) .

إن مجالس استحضر الأرواح الخالية من الإيحاء والدخل إنما تحضرها أفراد من الجن فهي نوع من الكهانة وإن ما تقدمه من معلومات هو خليط من الصدق والكذب فلا يجوز تصديقها ولا اعتماد أخبارها ولا الاعتقاد بأنها أرواح موتى البشر .

ولا شك أن أفلام الصهيونية العالم تروج لهذه المفاهيم لتجعلها أداة تسقط الاعتبار الدين والقومية في العالم فلا يبقى إلا عصبية اليهود لدينهم وقوميتهم فإن المؤمن الواعي يكشف هذا التدليس ويتخذ من الإقرار بوجود أرواح بين ظهرائنا لا نشاهدها إدعوا لإيمانه بالغيب الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم البرزخ أو ما بعد الموت .

الروتاري

أجمعت الأبحاث التي كتبت عن منظمة الروتاري أن هدفها هو تحطيم العقائد الدينية العالمية جميعاً ، لخدمة اليهودية ، وهو هدف وارد في بروتوكولات صهيونية وغرض أساسي للحركة الماسونية وانديتها . ويتحدد موقف الروتاري من الدين في إقرار هذه المنظمة باعتبار الدين مسألة غير ذات قيمة بالنسبة لاختبار العصور أو في العلاقة بين الأعضاء وإنما تيار من الناس أصحاب التأثير

في الحياة العامة يستشعرون بطريقة عملية أن الدين لا تأثير له ، ويمحون من رقابتهم كل توجيه من شأن أديانهم أن تحتم عليهم شيئاً تجاه الآخرين وتحمّل رابطة العمل المادية أقوى وأمتن ، والنتيجة الأخيرة لهذا الموقف توفير الحماية للأقلية الدينية في مجال الأعمال المهمة ، والقصد الخفي هو حماية اليهود في مجال النشاط الاقتصادي وتحريض نوادي الروتاري على تلقين أعضائها قائمة بالاديان المعترف بها لديها مع إعطائها قيمة متساوية فكلها أديان سواء أ كانت بشرية أو مفرلة (والقائمة حسب الترتيب الأبجدي التي وضعها المنظمة البوذية ، المسيحية بكنائسها المختلفة ، الكونفوسية ، الهندوكية ، اليهودية ، المحمدية . وهم لا يقولون الإسلام ويحرصون على ربط اسم الدين الإسلامي بشخص النبي لوضعه كغيره في قائمة الأديان البشرية وقد قامت الروتاري بالعمل على تقريب وجهات النظر بين اليهود وغيرهم ، وبحث مشكلة السلام وشروطه بين الشعوب القاطنة في حوض البحر المتوسط ، وقد أقام رامز الاناسو مع برفسوزر بارز في جامعة غرناطة حواراً نشر حول قضية هامة هي محاولة الذوبان في حضارة الغرب ، . وتحدث دراسة جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت عن أن أندية الروتازي ليست إلا مؤسسات صهيونية ، ذلك أن اليهود لم يكتفوا بالمساوينة السرية رغم أنها تشكل بأشكال مختلفة في بلاد العالم وتبعاً لطبائع كل بلد ونظمه أقاموا هيئة أخرى منفصلة تؤدي بعض مهامها تحت ستار الاخاء الإنساني وسموها (انديه الروتاري) والغرض الظاهري هو النظر في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء المحاضرات ، أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الاخاء والود ثم يحاول اليهود أن يصلوا عن هذا الطريق إلى جميع المعلومات التي تساعد في تحقيق أغراضهم اقتصادية كانت أم سياسية أم صناعية أو نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي وتمنع العادات والتقاليد ، ويزرع تقاليداً وبدع جديدة باسم (الموضة) مرة والثورة على التقاليد

مرة أخرى ومواكبة مجتمعات لا يتفق مع مشاربنا ولا تسير مع أموجتنا وتركيبها الاجتماعي والاعتقادي ومن ثم يذوب المسلمون بالذات في عصرهم ويقلدون الغير فيما يضر ولا ينفع ، ويربطهم بالقشور ويقطعونهم عن الواجب ويحبسونهم عن مودتهم الثقافي ونقلهم الحضاري وهنا تذهب ريجهم .

البهائية

تكشفت دخائل البهائية في مصر (مارس ١٩٧٢) وكان نموها من سيئات حكم مجتوى من القوى الغربية والماركسية ، فقد تنامت هذه النحلة الخطيرة خلال عقد الستينات ، كما تنامت الماركسية والبعثية والعلمانية وقد كشفت التحقيقات عن اعترافات مثيرة أدلى بها المنتمون إليها ، والبهائية - كما يقول محمد فهمي عبيد الخليف ليست مجرد دعوة تنصل بالعقيدة الدينية كما يفهم بعض الناس ولكنها دعوى تنطوي على أغراض خبيثة من التحلل الأخلاقي والاجتماعي والتجمل القومي والوطني تحت شعار من الاوهام الإنسانية التي تستهوى بعض الضعفاء والمخدوعين وقد استغلت السياسة الاستعمارية هذه الدعوة منذ ظهرت في منتصف القرن الماضي في إيران كما استغلتها الصهيونية فيما بعد ، واتخذوا منها أداة لاثارة القلاقل والخلافات وإشاعة التحلل الأخلاقي والديني وإزالة العصية ، الدينية والقومية ، حتى تكون الأرض عمدة لأطماع الاستعمار وأغراض الصهيونية وتحقيق غايتها باسم الإنسانية ، التي تدعوا لها البهائية . ومذهب وحدة الإنسان هو مذهب في السياسة يقابل مذهب وحدة الوجود عند المتطرفين من الصوفية وأصحاب الاعتقاد بالحلول فهم يسقطون التكاليف الدينية عن الإنسان ويعفونه عن التمسك بالمفاهيم أو التعاليم بعد أن يقطع الأودية السبعة التي حددوها لها يسمونه بالسياحة الروحية والوصول إلى الله والقلوب لهم :

إنه لا معنى للتكليف إذا ما اتصل الإنسان بالله ، ومن التناقض في كلام هؤلاء البهائيين المنتظر أن يكون الإنسان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً ويقولون أن هذه الأديان قد مضى زمانها وأن الالتزام بالتدين بهذه الأديان

هو الذى أثار التعصب وصنع العداوة بين الناس ، على أنهم يقولون فى نفس الوقت يجب أن يكون هناك الانسان البهائى فقط ، ثم هم يتمثلون بآيات القرآن والانجيل والتوراة وبما يزيد فى الريبة أنهم يختلفون دائماً خلف مذهب الجماعة التى ينفثون سموهم فى أوساطها ويخدعونها عن حقيقة دعوتهم ومآزبهم ولقد أحاطت الريبة تلك الدعوة البهائية منذ أن نادى بها فى طهران رجل اسمه ميرزا على عام ١٨٤٤ وقد تصدى العلماء والحكام لهذا الرجل فقتل وصلب وذبح عدد من أتباعه ، ثم خلفه على الدعوة النائب بهاء الدين عام ١٨٦٣ ولقد صارت الدعوة البهائية أداة فى يد الاستعمار وفى خدمة الصهيونية على عهد عباس عبد البهاء الذى تولى أمر هذه الدعوة وأقام فى عكا ، فى الوقت الذى كانت تركز فيه الصهيونية أطماعها على فلسطين وتحاول أن تصل إلى هذه الاطماع بشيء من الوسائل بعد أن رفض السلطان عبد الحميد مطلبهم فسكران البهاء داعيه الانجليز ثم اليهود .

الفرعونية

كانت الفكرة الفرعونية من الغموض إلى الحد الذى جعل من الصعب شرحها وقد قضت على من عملوا بها فتخطوها (نجيب محفوظ وسلامه موسى وهىكل وعنان) إلى اتجاهات أخرى ، وقد بدأ أن التوفيق بين الإسلام والفرعونية أو بين العروبة والفرعونية هى محاولة عقيمة . ولقد تبين من مراجعات الاحياء أن فرعون رمز لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة فالفرعونية نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، هذا النظام يقترب بما يتفق من الأوضاع الاجتماعية والصور الفعلية التى تبرز الظلم وتستطيع الخنوع وتساعد على الترفيه عن الطبقة المحدودة الحاكمة التى تستند إلى ما تخترعه من أسانيد الحقوق المقدسة ، ولا يجد المصرى المشوق للحياة الصحيحة فى شعار الفرعونية من قوة الدفع إلى الحرية والمساواة ما يجد المسلم فى كلمة الإسلام ، ومع انفتاح كل قبر يتراقى ذلك الكابوس الخائى التى تتحرك معه ذكريات عصور وأحقاب أجدها الظلم الاجتماعى والتخلف العقلى (محب الدين الخطيب) .

الأنثروبولوجيا

هذا العلم ينطوى على مؤامرة خطيرة تمسك الصهيونية التلمودية بخيوطها من أجل تحقيق أهداف خطيرة ، وقد كشف هذا الدكتور زيدان عبد الباقي الاخبار (١٩٧٧/١١/٣) حين قال : ليس لعملاء علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) أن يحتجوا على تقرير عالم النفس الاجتماعي يبلز الذي يؤكد وجود تعارض بين قضايا البحث الأنثروبولوجي والأخلاق أو على حكمه على الأنثروبولوجية بالاستقراطية العلمية الاخلاقية للأسباب التي أوضحها هذا العالم الكبير ، إن عليهم أن يسلموا بها ، وذلك أن الطريقة في البحث الأنثروبولوجي القائم على الملاحظة الشخصية يعتمد على الانطباعات الذاتية وكل ما هو ذاتي وليس بموضوعي . علماً بأن الأنثروبولوجيا قد نشأت بتشجيع ورعاية الاستعمار لكي يتمكن من قهر الشعوب المختلفة وامتصاص ثرواتها تحت زعم العمل على الرضى بها وهذه الأنثروبولوجيا لا يقرها قانون الأخلاق كما يؤكد ذلك علم الاجتماع . إن حركة التحرر والاستقلال جعلت من الاستعمار عملية غير مربحة ، ومن ثم كف الاستعمار على تمويل البحوث الأنثروبولوجية . وبالتالي فلا يجوز للجامعات أن تحمل محل الاستعمار في تمويل الأنثروبولوجية إن وظيفة أنثروبولوجي لا توجد إلا في البلاد الاستعمارية .

التطور

ناموس التطور من طبيعة الحياة ولكنه ليس ناموساً مستقلاً ، ولكنه مرتبط بنظام الثوابت والمتغيرات ، ومن هنا كان فساد فكرة التطور المطلق الذي قالت به الفلسفات المادية ، ولما كان النظام الرباني في العقيدة ثابتاً ومرتباً بالأخلاق بما يعنى ثباتها فإن فكرة التطور في الدين والأخلاق فكرة فاسدة بالنسبة للإسلام ومعنى التطور في الفكر أنه ليس هناك قضية ثابتة وأن جميع القضايا الفكرية متطورة ومتغيرة ، وهذا التطور قد لا ينتهى عند حد ، وإذن فهناك النسبية باستمرار ، وهناك النسبية المطلقة ، وهناك أيضاً الخطأ المستمر ، ما دمنا نقول بالنسبية والتطور فليس هناك الثبات ،

والمذاهب والأيديولوجيات البشرية لعجزها عن الإحاطة بالمصور والبيئات — وهو ما لا يحيط به إلا الدين الرباني وحده — فهي في حاجة إلى تطور وتغيير دائم ، لأنها سرعان ما يصيبها العطب إزاء متغيرات الحياة والزمن ، ومن هنا ظهر فساد إدخال فكره التطور في الدين الحق ، وإن الحقائق الدينية لا تتغير بتغير الأهواء والمواطف ، أو المصور والبيئات .

ومن هنا فلا بد من فهم القانون الأساسي للحركة والتطور ، وهو قانون مترابط بين عنصر الثبات وعنصر الحركة ، بين القيم الموروثة والقيم المكتسبة ، بين الثبات والتغيير ، وعلينا أن نحترس من ارتفاع صيحة التغيير المندفعة التي تحاول القضاء على الجوهر الثابت أو اتهام هذا الثبات بالجمود والمحافظة . ولا بد من الحرص على الجوهر القائم الدائم .

الأسطورة

نظرية فريزر صاحب علم مقارنات الأديان قامت على أساس أن الدين قد تطور من عبادة الآب ، إلى عبادة الطوطم ، إلى عبادة قوى الطبيعة ، إلى عبادة الأفلاك ، إلى عبادة الأصنام ثم وصل إلى عبادة الله الواحد الأحد .

ومعنى هذه النظرية : أن الدين من صنع البشر وأنه ليس منزلاً من عند الله ولا هو فطرة في القلب ، قالت النظرية أن الإنسان هو الذي خلق ، وأن الله (جل وعلا عما يقولون علواً كبيراً) من ابتداع العقل البشري .

ولا يعترف الإسلام بأى نظرية عن تطور الأديان ، وينكر إنكاراً باتاً النظرية القائلة بأن البشرية مرت بثلاثة أدوار :

(الخرافة — التدوين — العلم) .

كما ينكر النظرية الأسطورية الطمطومية عن نشوء الأديان التي تدعى

أن الابن أراد الاعتداء جنسياً على أمه فقتله فتقدم فنشأت المحرمات وإن فكرة الألوهية بدأت بعبادة الحجر والحيوان والإنسان ثم الإله ثم العلم .

وقد قرر القرآن أن الإسلام ابتداءً ببداية البشر وكانوا لا يمجيدون عن التوحيد ، ثم حدثت انحرافات بتقديس بعض الأشياء ثم نسوا بمرور الزمن أن هذه مجرد واسطة فعبدوها من دون الله .

٢ — والاسطورة في اللغة هي الاكذوبة والاساطير هي الاباطيل فيما نسميه بالخرافات وفي التنزيل (إن هذا إلا أساطير الاولين) وواحد الأساطير أسطار واسطر واسطور ، وقد نشأت الاساطير في زمن متأخر من حياة الإنسان وكانت كلها تدور حول الآلهة في الاساطير الدينية ، وهي القصص التي كان يرويها الكهنة في طقوسهم في المعابد وعن معارفهم في الكون وما يبدو للناس من ظواهر وخوارق .

وفي تاج العروس هي الاباطيل وقد كانت شائعة بين العرب وقد وردت في القرآن تسع مرات وكلها تدل على أنها القصص ، وكان المشركون إذا سمعوا شيئاً من القصص الواردة في القرآن قالوا : إن هذا إلا أساطير الاولين ، أما كلمة خرافة وجميعها خرافات فقد أطلقها العرب على الحديث المستملح من الكذب والعرب الذين نسبوا بناء تدمر إلى الجن لم ينسبوا بناء الاهرام إليهم مع أن الاهرام أحق أن تنسب إلى الجن لغرابة بنائها وضخامتها ولكن العرب جاءوا إلى مصر بعد الإسلام بعد أن وضع تفكيرهم بالرسالة السامية وغربت عن عقولهم الخرافات .

وكان من حسن حظ الإسلام أن بدأ تاريخه مكتوباً ، أو مروباً رواية تقرب من أن تكون مكتوبة ، ثم جاء الإسلام بالعلم والحث عن التفكير فقل تسرب الخرافة إليه حتى أن أسلافنا لما رأوا عدداً من المبالغات في ثنايا التاريخ الديني والسياسي والثقافي سموها بالإسرائيليات إذ جزموا أنها من صنع بني إسرائيل اليهود في محاولتهم تشويه الإسلام .

ولقد كان أعظم تحصيل حقيقته الإسلام هو الانتقال من الخرافة والأسطورة إلى الواقع وذلك بالامتناع عن تضحية الكائن الحي إزاء أسطورة فيضان النيل بإلقاء فتاة وكان البديل لإلقاء رسالة عمر بن الخطاب التي تقرّر أن النيل يقبض من عند الله .

وقد عرفت الآداب غير العربية ألوانا غالية في الخرافة أمثال الإلياذة الإغريقية ، والشاهانامه الفارسية والرامايانا الهندية والأساطير المصرية ، وتميز الأسطورة الإغريقية بأنها تقوم على الجرأة في الإنطلاق من الضوابط وتجمع الأساطير الإغريقية إلى تعدد الآلهة حماقات البشر المنسوبة إلى الآلهة وشهواتها ونزواتها وهي تتمثل في عبادة الطبيعة وعبادة الأجساد .

الوجودية

طرح المذاهب المادية الغربية في أفق الفكر الإسلامي عشرات من المفاهيم والدعوات ، من أخطرها مذهب الوجودية ، الذي ظهر في الفكر الغربي على أثر سقوط فرنسا تحت سنايك الألمان وتهدم كياناتها الاجتماعية ومن ثم فهي دعوة لتأكيد الذاتية بأسلوب مادي ، ومن ثم فهي ليست دعوة طبيعية في مرحلة طبيعية من مراحل الحياة الاجتماعية ولذلك فهي فلسفة مرحلية لا يمكن أن تعيش ، ولا يمكن أن تنقل إلى مجتمع آخر ، وهي في ضوء الإسلام دعوة إلى هدم عقيدة الالتزام الأخلاقي والمسؤولية الفردية ، وتحريض على الانفلات من القيود والإنطلاق من الغرائز حيث تبرر الوجودية الانحراف بدعوى الحرية ، وتغضى عن القيم الأساسية وتطلق عنان الانانية والاباحية وترسى كل وسائل الإغراء في طريق الإنسان ، فضلا عن أنها تؤله ذات الإنسان وتفسف انحرافه وتعفيه من آية التزامات خارجية في وقت تقلل فيه عبء المسؤولية ، ولانذهب الفلسفة الوجودية إلى دراسة الإنسان من جميع جوانبه فتقدم له منها كأملا ، واسكنها على من شأن الذات الفردية إلى حد المرض وتجعلها الحقيقة الوحيدة التي يجب أن ينطلق الإنسان منها وينتهي إليها وهي - كما يقول الأستاذ غاري التوبة -

لا تمثل حلاً بالنسبة لمشاكل الإنسان ، وفي ضوء الإنسان يتعارض مفهوم الفردية الانسانية الوجودية مع مفهوم الإسلام الجامع الذى يرسم متهجاً جامعاً للإنسان فرداً ومرتبطة بالمجتمع . ومن فساد منهج الوجودية إلغاء التراث الإسلامى وإهمال القيم الأساسية التى جاء بها الدين ، ولقد واجهت الوجودية المجتمع الغربى بحلول فاسدة لم تستطع أن تحقق شيئاً ، ونجربه الوجودية فى مطروحاتها وتطبيقاتها تدل على إنهايار حضارة الغرب وفشل فلسفاته ، وحضارته فى تأمين الاستقرار والاطمئنان للمجتمع ، وحاجة الإنسانية إلى مصدر آخر ، أكثر تكاملاً وليس هذا سوى الاسلام العظيم الذى يقدم الوسيلة الحقيقية للفرد والمجتمع جميعاً حيث يقدم الموازنة بين عنصرى الانسان الفردى والجماعى .

ولقد ذهب الكتاب الوجوديون كل مذهب فى تلقين الناس فلسفتهم ، والحديث عن مشاكل الانسان وإن حلها يأتى عن طريق الحرية الوجودية وقد ثبت أن ما تقدمه الوجودية هو محاولة فاشلة لانقاذ الانسان من أزمتة الحقيقية لأنها تصدر عن مفهوم مادى بينما أن الحل الحقيقى لمشكلة الانسان إنما تتمثل فى الجمع بين القيم المادية والقيم الروحية ، وأن أزمتة ومأساته فى الفصل بينهما ، وهو فصل عرفته الفلسفات الغربية واليونانية منذ وقت بعيد ، هذا الفصل من شأنه أن يعلى جانب المادة وفقدان جانب الروح والمعنويات ومن ثم تبرز صيحات الضياع والعبث والتمرد والغشيان ، والعدم ، ولا سبيل إلى إعادة الانسان إلى طبيعته ، إلا بتأكيده وحدة الذات الانسانية الجامعة بين المادة والروح .

ويرى الدكتور عماد الدين خليل أن مشكلة الانسان الخالدة هى البحث عن الخلود ، والتوازن بين جانبى المادة والروح ولقد حل الاسلام هذه المشكلة ، فقد جاء الاسلام للإنسان بالخلود عندما علمه أنه على موعد مع الله وأنه سوف يبعث بعد موته ليحاسب على مدى فاعليته فى الحياة الدنيا .

(وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأولي) كما قدم التجربة الوجودية الكبرى وهي تجربة التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية التي بدونها لا يتوحد الإنسان مع ذاته ويحقق وجوده ويتخلص من عذاب التمزق والازدواج ، ولما كان التمزق مصدره اليأس من الغيب والخلود ومدافعة المصير المحتوم الذي ينظر الجميع دون جدوى ، فقد حل الاسلام له هذه الازمة ، وهي الازمة التي يقاسيها الإنسان البعيد عن الله . ويرى الدكتور عماد الدين خليل أن القاعدة التي تنطلق منها الوجودية قاعدة مادية ، تقوم على إغفال العامل الروحي في كيان الفرد وتحويل الإنسان إلى إنسان مادي . ولا يقضى على التناقضات الداخلية في الذات الانسانية إلا شيء واحد ، هو توحيد عنصرى الروح والمادة ، غير أن الوجودية أنكرت القيم الروحية وشوهت الإنسان . والقضية الأخرى التي تواجه الإنسان بالتحدى هو الموقف من الموت ، والوجودية بناء على انكارها لله تعالى لا تعترف بوجود بعث وجزاء عن سعى الإنسان في حياته الدنيا ومن ثم فهي تطبع نفسية الإنسان بطابع الخوف ، وتكون مصدراً للقلق ، ولا شك أن الفصل بين القيم الروحية والقيم المادية يصيب الإنسان بالتناقض الداخلى والازدواج النفسى ، وهكذا كلما ساد الظلام يلمع الاسلام دائماً بإعجازه ليحدد للإنسان معالم الطريق : ذلك أن الاسلام أنزل وتكامل ليكون العقيدة الأخيرة للبشرية دونما تناقض مع طبيعتها الأصلية من جهة ودونما تجاهل لعناصر ماساتها من جهة أخرى . وقد أقام التوازن دونما طغيان قيمة على قيمة ؛ ذلك لأن الإنسان بفطرته الأصلية متوازن ولكن الظروف التاريخية المادية المنحرفة هي التي مزقته داخلياً بين أخطاء معالجات أرسطو وأفلاطون من ناحية ومحاولات الروحية الشرقية من ناحية أخرى ، فالاسلام يستخدم عنصرى الفكر والنفس للوصول إلى هدفه ، وبذلك يقضى على التناقض الداخلى أو التمزق بين الروح والمادة . وبالنسبة للموت فهو يقدم فكرة البعث والجزاء كركن أساسى من عقيدته وقد وضعها على أسس منطقية ونفسية عميقة الجذور في كيان الإنسان

بل إنه جعلها أساس السلوك الأخلاقي في الحياة الدنيا وبهذا قضى على اليأس من الفناء وأبعد شبح العدم عن مصير الإنسان ، والإيمان بحقيقة البعث والجزاء لا يقضى على يأس الإنسان وتخوفه من المصير المظلم فحسب ، وإنما يمنحه قوة نفسية خارقة يستطيع بها أن يغزو الكون ويحقق المعجزات ، أما فكرة العدم التي تثيرها الوجودية فترتبط بها أفكار اللاجدوى وضياح الجهد الإنساني وهذه الإخطار تدفع الإنسان أما إلى اليأس التام أو الانتحار .

(٢) ويرى كثير من الباحثين أن مذهب الوجودية هو من الإخطار التي داهمت بها اليهودية التلمودية الفكر البشري الذي ابتدعه سارتر في فرنسا ودعاه إلى التلبية المطلقة لرغبات النفس حيث ينمى من ضمائر الناس شعورهم بالآلم ، فقد استغل هذا المذهب الخطير شغف الإنسان بالحرية . فنادى بها للصوم والفجار والملاحدين وروج لها في صور مختلفة عبر العصور والأزمان حتى رأى الناس اليوم قراصنة السموم يحملون اسم الحرية ويستيدحون أقوات الشعوب وأعراضها ويقول دكتور عامر النجار أن الوجودية الملحدة أخطر صور الإلحاد في عالمنا المعاصر وهي تعرض فكرها بأساليب جذابة خادعة وتدعو الإنسان إلى التحرر من كل قيد أو ارتباط وتحطم كل القيم والفضائل .

الاجتماع والعلوم الاجتماعية

طرحت الفلسفة المادية مفهوماً مفصلاً للعلوم الاجتماعية ينفصل فيه الجانب المادى عن الجانب الروحى ، ويبرز فيه الجانب المادى ويختفى الجانب الروحى تماماً ، وقد يكون هذا نتاج تطور الفكر الغربى بعد انفصاله عن المسيحية ولكن طرح هذه المفاهيم فى أفق الفكر الإسلامى الجامع بين المادة والروح من شأنه أن يحدث إثارة خطيرة ، وهذا يعنى الاختلاف العميق بين الثقافات الغربية والثقافة الإسلامية ، أما فى مجال العلوم المادية فإنه لا خلاف عليها لأنها من جهد بشرية كلها .

أما بالنسبة للعلوم الإنسانية فإن الأمر يختلف لأنها تدخل فى تكوين

الوجدان وأركان بناء الشخصية - وتهمين على توجيه الفكر والسلوك في الإنسان ، ولذلك يمكن تلوينها وصبغها بما يتفق مع الميول والآهواء .

ويقول الدكتور عبد الفتاح بركة : إنه من الخطأ البين أن ننظر إلى هذه العلوم الإنسانية نظرتنا إلى العلوم المادية من حيث كونها علوما مشتركة صالحة للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان وفي كل مجتمع فإن تاريخ أمة ما ليس هو تاريخ أمة أخرى ، وليس مناط افتخارها واعتزازها بنفس الشيء كما أنه من الخطأ البين أن يدعى أنه يمكن الاستغناء بحقائق العلوم المادية عن تلك العلوم الإنسانية أو إخضاع العلوم الإنسانية لحقائق العلوم المادية ، ويرى الدكتور بركة أن قضية العلوم الإنسانية بما فيها علم الاجتماع قضية من أخطر القضايا خاصة بالنسبة لمجتمعنا الإسلامي من حيث أن التعارض فيما بينها وبين المجتمعات الغربية في الأسس والمبادئ التي ينتمى عليها التصور العام للكون والحياة والوجود تعارض لا يسهل التقريب فيه وأن علم الاجتماع الذي يسود اليوم والذي تدارسه في معاهدنا وجامعاتنا علم مبني على أسس ومبادئ قوامها التصور الغربي الذي يختلف اختلافا كاملا عن التصور الإسلامي للكون والوجود . ويرى الدكتور محمد المبارك أن هذا التصور الغربي لعلم الاجتماع في الغرب يحصر الوجود كله في الإنسان والطبيعة ويرى أنه جزء منها ونوع من أنواعها ، وأن الطبيعة وجدت نفسها هكذا من غير موجه لها وأن العقل وحده طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر وليست المثل الأخلاقية والمفاهيم الحقوقية إلا وقائع أو حوادث كالحوادث الطبيعية نشأت وتطورت فهي غير ثابتة ، والإنسان نفسه إنما هو حيوان اجتماعي مفكر لحسب وليست النفس الإنسانية إلا مجموعة من الفرائز . هذه الخلقة العقائدية مشتركة بين معظم الاتجاهات المذهبية الحادية وغير الحادية ، وأن حاولت الالتفاف بأثواب عليية محايدة لتبدو بعيدة عن سبق التأثير بهذه الاتجاهات ولكن هذه الخلقة العقائدية تبدو من خلال الجزئيات

والمسائل كقضايا مسلمة وحقائق مصطلح عليها غير قابلة للشك والمناقشة .

ومن الواضح البين إن هذه الحلقة العقائدية الغربية تقف على طرف التباين مع مالمدى المسلمين والعالم الإسلامى بعامه من نظرة إلى السكون والوجود وأن العلوم المادية تختلف عن العلوم الإنسانية وأن ما يقرره الغرب بشأن مفهوم العلوم المادية لا يتفق مع نظرتنا نحن المسلمين .

يقول دكتور بركة : وعلم الاجتماع كغيره من العلوم الإنسانية متأثر بفكرة الباحث ومذهبه واتجاهه وإنه لا يمكن أن يتخلص الباحث من معارفه وعقائده السابقة إلا فى القليل النادر الذى يبنى على كون هذه العقائد نفسها تتطلب منه الحياة والزراعة والتجرد وهو مالا يوجد فى المذاهب الغربية رغم كثرة الدعاوى وارتفاع أصواتها . هذا النموذج هو (أوجست كونت) الذى يعزى إليه علم الاجتماع الحديث فعلى الرغم من أنه سبق بكثير من الجهود المجددة فإن هذه العملية نفسها قد لبثت ثوباً معيناً بسبب اتجاهه الخاص فى إنشاء هذا العلم .

لقد انطلق فى إنشاء علم الاجتماع من منطق رغبته فى إصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل الاضطراب والتناقض ولقد رأى أن السبب الرئيسى فى فساد المجتمع يرجع إلى فساد الأخلاق وأن فساد الأخلاق يرجع إلى فساد الفكر واضطراب طرق الفهم ، وفساد الأخلاق أدى إلى فساد شامل فى مختلف نواحي المجتمع وإقامة منهجه على المنهج الوضعى وإلغاء المنهج الغيبى الدينى وانتهى إلى قانون أسماه قانون الأحوال الثلاثة وجعله قانوناً عاماً للتطور الاجتماعى (١) الفهم الدينى (٢) الفهم الميتافيزيقى (٣) الفهم الوضعى . ويقصد أوجست كونت بالطريقة الوضعية أن يفهم الظاهرة بنسبتها إلى سببها المباشر وإلى القانون الذى تخضع له كأن يفهم ظاهرة النمو فى النبات على النحو الذى يشرحه علماء النبات .

قال الدكتور على عبد الواحد وافي : إن قانون الحالات الثلاث ظاهر البطلان من هذه وجوه : وإن المنهجين الأولين يعتريهما الفساد والخلل وذلك راجع إلى تصور الدين والقوى الغيبية عندهم وهو يختلف جملة وتفصيلاً عن تصور الإسلام وتصور المسلمين ولقد أخطأ علم الاجتماع الغربى فى محاولة

التخلص من المعوقات التي كان تحبب بهذا العلم في نشأته في الغرب وعلينا أن نحترس من أخذ قضايا العلم من معاهد البحث الغربي باعتبارها حقائق مسلمة ، لأن ذلك سوف يترك أثره غير المباشر في نفوس طلابنا وناشئينا باعتبار أن الأسس والمبادئ التي بنى عليها مبادئ مسلمة مع أنها تتعارض مع مبادئنا وأسسنا ، وهنا يقع التمزق المقتعل بين العقيدة والعلم بما ليس له وجود في تاريخنا ولا في تراثنا وبما لا ينبغي أن يترك له محل في حياتنا العلمية الحاضرة أو مستقبلها المنتظر . والمبدأ العلمي الذي تخضع له العلوم الإنسانية في بيئة الإسلام هو المبدأ العلمي بدون اختلاف : التجرد والنزاهة وطلب الحق والحقيقة من أجل الحق والحقيقة دون غرض أو ميل أو هوى ، ولا يمكن أن يقال أن الباحث المسلم حين يبحث في العلوم الإنسانية يكون ملونا لعقيدته ودينه لأن مبادئ عقيدته ودينه لا تفترق أو تخالف تلك المبادئ العلمية الضرورية لنزاهة البحث وسلامة النتائج فإذا انحرف الباحث في بحثه لغرض أو هوى فليس ذلك راجعا إلى مبادئ دينه ، وإنما يكون راجعا إلى انحرافه عن مبادئ دينه وعقيدته . أن العلوم جميعا مادية وإنسانية يمكن أن تكون علوما هامة لا تختلف فيها الشعوب والأجناس لولا ما يعتري العلوم الإنسانية من هذه المعوقات التي تفرضها عليها الأهواء والمبادئ التي لا يتفق مع طبيعة العلم . وقد استوفى ابن خلدون الأسس والمبادئ الضرورية لنزاهة العلم وتجرده والباحثين الذين يريدون أن يفرضوا مبادئهم الفلسفية واتجاهاتهم المذهبية على تفسير الظواهر والواقعات الاجتماعية ويريدون أن يتصيدوا من هذه الظواهر والواقعات ما يؤيد هذا المذهب منحرفون عن المنهج العلمي الصحيح .

(٢)

وقد ذهب الباحثون المسلمون في الغرب إلى محاولة في الاصاله من أجل وضع نظرة إسلامية أصيلة لعلم الاجتماع ركزت على العناصر الآتية :

أولاً : أن ملاح حركة التغيير الاجتماعى التى يحتاج إليها الأمة الإسلامية فى حاضرها لا بد أن تكون إيجابية مؤثرة وليست سلبية انطوائية .

ثانياً : تثبيت التوحيد ليس كعقيدة لحسب ولكن كحقيقة علمية يسهل اثباتها . حيث يعانى المسلمون اليوم مشكلة ممارسة علوم ترتكز على تجاهل المعتقدات الإسلامية ، وعليهم أن يبرهينوا على أن العلوم الاجتماعية الإسلامية ترتكز على أسس ثابتة وحقائق مثبتة عقلياً ومنطقياً فى حين أن العلوم الاجتماعية ترتكز على فرضيات لم يسبق لها أن نوقشت عقلياً ومنطقياً .

ثالثاً : تفسير التاريخ : تفسيراً مرتبطاً بمبادئ (سنة الله فى السكون) وليس مجرد أحداث متتالية بلا أهداف . ويؤدى هذا الفهم أو هذا التفسير إلى تزويد العالم الاجتماعى الإسلامى بما يفتقر إليه من فهم للأفكار والمشكلات المعاصرة العالمية .

رابعاً : أن سعى الافطار الإسلامية وراء التطور التكنولوجى مهما كان الثمن قد جعلت العلوم الاجتماعية عاجزة عن معالجتها لمشكلات المجتمع الخلقية والروحية وما يسود المجتمعات الإسلامية من تقبل صامت لانتشار الكحول والجريمة والترف والمخدرات والشذوذ الجنسى وغير ذلك .

خامساً : على الباحث الإسلامى مواجهة العلوم الاجتماعية غير الملتزمة بالقيم ، مؤكداً أن المجتمع لا يمكن أن يدرس دراسة موضوعية تحت ذلك الشعار وأن الحل للمشكلة هو العلوم الاجتماعية الملتزمة بالقيم واعتبارها المنطلق الفكرى للبحث .

سادساً : قاعدة الانسجام هى المنطلق الحقيقى للتفاعل الإسلامى مع المجتمع .

(١) الاصل : الاباحة مالم يرد نص أو تحريم .

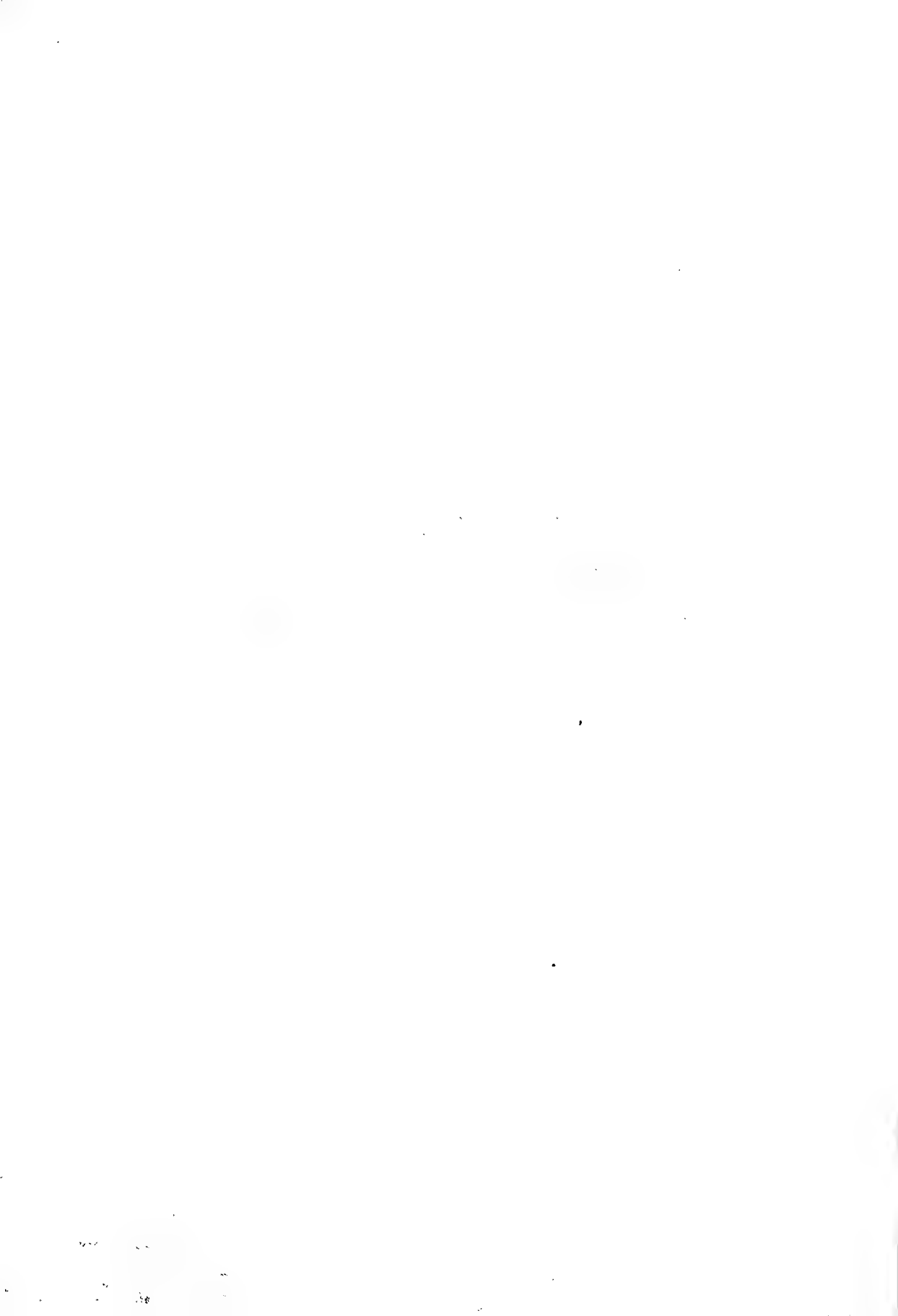
(٢) الضرورات تبيح المحظورات بقدر .

(٣) مسئولية المسلم : فردية وجماعية نحو خالقه

- (٤) مسؤولية الفرد بنسبة قدراته وأعماله مرتبطة بأهدافه .
(٥) كل عمل المسلم حلال إلا إذا لم يقصد به وجه الله .
(٦) الروح الإسلامية تعتمد على الاعتدال والانسجام والواقعية والتكامل
(٧) قدم القرآن للمسلمين القدوة الحسنة في شخص رسول الله :
(٨) الاحتفاظ بالذات الانسانية والطهر والنمو وهي معقولات الحياة
الإسلامية للفرد .

سابعاً : على المسلمين في المجتمعات الغربية (١) التحرر من الالتحاق بالمجتمعات
الكبرى (الضياع) أو الانسلاخ من المجتمعات الكبرى (العزلة) ويجب عليهم
إبراز الكيان الإسلامية والشخصية الإسلامية وسط المجتمع الغربي برفض
سلبياته وقبول إيجابياته .

ثامناً : إن تعريف الشخصية : هو أن الشخصية الانسانية المنتجة لا بد
أن تكون إسلامية فالتفسير السيكولوجي الغربي قد أهمل التركيب الفطري
الروحي للإنسان مما سؤدى بلا شك إلى (لا إنسانيه) الإنسان الثانوية
بجانب مخترعات الإنسان نفسه وحتمية التوازن في النفس الانسانية كشرط
أساسي من شروط الفعالية والإيجابية في الإنسان .



الباب السابع
مفهوم الإسلام في الثقافة والفكر

أولا :

طابع الفكر الإسلامى

(الجامع بين الثوابت والمتغيرات)

وردت كلمة "فكر" على صيغ مختلفة وفى مواضع مختلفة فى القرآن ، كما وردت : كذات عقل ولب وصيغتهما فى مواضع كثيرة .

(١) التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .

(٢) النظر فى أصول النفس الإنسانية .

(٣) النهى عن التقليد على شاكلة غير المؤمنين الذين يتقنون الحياة

المادية وحدها والنهى عن الكبرياء .

والتفكير هو استعمال العمليات المنطقية والعقلية للحصول على المعارف سواء كان السلوك حسناً أم سيئاً . والتفكير هو الرجوع إلى النفس وإلى الكون لسبر أغواره - حتى يعيش الإنسان محفوقاً بهالة من نور ، هذه العقيدة التى يتمسك بها المؤمن حتى يحمى نفسه من أن تلعب به رياح التيارات المغرضة والموسوسة والضالة أو المغضوب عليها وعلى أصحابها ويستحيل أن يعيش الإنسان بدون نظرة شاملة إلى الكون ، وللعقيدة عليه نور مقصدها ربط الإنسان بنفسه لا بأن يتمزق الإنسان المسلم مثلما يتمزق فى الغرب وقد أيقظ الإسلام الفكر الحى ليعمل العقل فى كشف معجزة الخلق الكبرى فى الإنسان وفى الكون من حوله وكان محمد صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين والداعين إلى عبادة الله وحده والتفكير فى خلقه .

والفكر الإنسانى فى القرآن الكريم له خصائصه القائمة على أساس من :

(١) الالتزام الإنسانى العام .

(٢) الاستجابة لنداء الفطرة والوحى ومن الخطأ أن تستعمل كلمة

(أيدلوجية) بدلا من كلمة (عقيدة) أو تستعمل كلمة (التزام) بدلا من كلمة (إيمان) في حين أن كلمة (إيمان) لها من العدى ما يسبب أغوار النفس ، العقيدة مدخل لنوع من الاستقرار فى النفس ، هذا الاستقرار لا يحظى به الإنسان ما لم يقيمه على العلم ولا ريب أن الضوابط التى وضعها القرآن الكريم على المجتمعات من شأنها أن تفقد هذا المجتمع من جميع الأخطاء والانحرافات التى شهدتها التاريخ والحضارات .

(٢)

أبرز خصائص الفكر الإسلامى التى تميزه عن الفكر البشرى :

(١) تقدير العقل وربطه بالقلب ، والتقاء الروح بالمادة .

(٢) احترام الشخصية الإنسانية فى إطار العدل والحرية والرحمة .

(٣) الإيمان بالعلم والاعتماد على التجربة .

(٤) الاعتقاد بالجزاء والبعث وبقاء الروح بعد فناء البدن .

(٥) الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة .

وإن الفكر الإسلامى قد تشكل وتكامل قبل الاتصال بالفلسفة اليونانية وقد عارض (الجود) الذى يزرى بقيمة العقل ويحط من كرامة الإنسان ، و (التعصب) للمذاهب البشرية و (التقليد) الذى يفرض التبعية ويقرر الفكر الإسلامى أن كل ما به ادم قوانين الكون ونواميس الوجود لا يدوم وإن كل شئ يبدأ من نقطة ثابتة وينتهى إليها (حركة فى إطار الثوابت) ولأن كل شئ يبدأ صغيرا ثم ينمو ويتكامل .

(٣)

واقعد - اول الغزو الفكرى والتغريبى هدم الوسدة الفكرية بالقضاء على (منهج الحجاج الإسلامى) ومنذ قدوم اللورد كرومر إلى مصر ١٨٩٣

وقد أمكن الوصول إلى قلب الأزهر (١٩٢٩) بالتأثير في البيان الإسلامى واللغة العربية ، فالبيان الإسلامى — كان ومازال — هو السلاح البناء في مواجهة حجج أصحاب الديانات وقد نقص منهج الدراسة في الأزهر ونقص بحيث لا يسترجع الباحث الأزهرى النظر في كتب السلف السكبرى وكان في ذلك محاولة للقضاء على القدرة الذهنية في التمييز بين الصواب والخطأ في المناظرة ، مثل كتب الآمدى الذى يضع قاعدة في سطر واحد ثم يجادل عنها في أربعين صفحة ، وهى الخاصية التى خافها المستشرقون والمبشرون لأنها تحول دون وصول شبهاتهم ، فكان وكدهم في القضاء عليها بمثابة إعدام لروح الأزهر واستبقاء قشرة الأزهر ليقطعوا الصلة بين المعاصرين وبين تراث السلف . ولقد أعطوهم المذكرات وحاولوا بينهم وبين المكتب الاصيل — لهدم القدرة الأزهرية في الدفاع وقد هدمت ، فإن التعليم القائم يحول دون الاتصال بكتب السلف بهدف إعجاز الأزهرين عن النظر الإسلامى فكان التطوير بذلك عملاً تغريبياً مقصوداً (الفسكرة نقلناها من الدكتور سعاد جلال) .

(٤)

يتساءل الفسكر الغربى في دهشة ، ويعجز عن الاقتناع في شأن الربط بين الدين والدنيا في المنهج الربانى ، ولغلبة المفهوم المادى عليه فهو يعجز عن الجمع بين الروح والمادة وبين الثبات والتطور ، وبين المصلحة العامة والخاصة ، بينما استطاع الإسلام في منهجه الجامع إقرار التناقضات الاجتماعية الموجودة في الحياة واعتبارها كالمسالب والموجب للتعاون والتكامل للصراع والافتعال حيث يعمل الإسلام على التوفيق بين هذه التناقضات لاعلم جحد أو نقي أحدهما للآخر ، وفي بعض الحالات يغلب أحدهما على الآخر بصفة مؤقتة ، وبقدر الضرورة وذلك لإعادة التوازن وتحقيق التعاون الذى هو مبتغاه .

ولقد عاش الفسكر الغربى بين تيارين : تيار المنطق الشكلى المجرد لارسطى الذى يقوم على أساس أن كل ما فى الوجود (مادة وفكر) ثابته

ثم انتقل منه مباشرة إلى تيار المنطق الجدلى الديالكتى الممبجلى ، الذى يقوم على أساس أن كل فى ما فى الوجود (مادة — وفكرا) فى تغير مستمر بسبب ما يحمله فى محتواه من تناقض يؤدى إلى إنشاء وضع جديد .

أما الفكر الإسلامى (استمداداً من القرآن الكريم) فإنه يجمع بين التيارين فيجعل الثابت بمثابة الدائرة ويجعل المتحرك فى داخل الدائرة ، ومن هنا كان الإسلام فى منهجه وفكره . أصول ثابتة وتطبيقات متغيرة .

الثابت وهو الآلهى — والمتغير هو البشرى (أو ما يسمى اجتهدات الفقهاء) فى الاقتصاد ، فى الفقه ، فى السياسة على أساس الجمع بين الثبات والتغير مع الالتزام بأصول عامة وفتح باب الاجتهاد فى التفاصيل .

ويحقق هذا الفهم الاقرار بأنه لا تطور مطلق (الثوابت والمتغيرات) ولا ينفرد عنصر بنفسه (التكامل بين العناصر) والدين والدنيا والدين والدولة (الآلهى والبشرى) والارادة الفردية والالتزام الاخلاقى على أساس الاقرار بمفهوم التوحيد الخالص ، والبهوة والوحى ، واتحرر من مفهوم الخطيئة وأثاره فى الأدب والفن ، وتفضيل الاخلاقية على الجمالية (وهذا أثره فى الفن والأدب) ويحول دون الصراع التطبيقى بكل أشكاله .

(٥)

يتمثل مفهوم لاسلام على هذا النحو .

(أولاً) الجمع بين الروح والمادة .

(ثانياً) الجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة .

(ثالثاً) الجمع بين الثبات والتطور .

(١) إقرار الاسلام للتناقضات الاجتماعية الموجودة فى الحياة واعتبارها كاسباب والموجب للتعاون والتكامل لا اصراع والافتتال بل هى تقوم على نظره الجامعة أساساً (الثبات والتطور — الفرد والجماعة — الماديات

والروحيات) ويعمل الاسلام على الابقاء على هذه التناقضات والتوفيق بينها ، وفي بعض الحالات تغلب إحداها على الأخرى بصفة مؤقتة وبقدر الضرورة ، وذلك لاعادة التوازن وتحقيق التعاون الذي هو مبتغاه .

(٢) المنطق الشكلى المجرد الارسطى : يقوم على أساس أن ما فى الوجود (مادة وفكر) ثابتا .

(٣) المنطق الجدلى الديالكتي (هجل) ، يقوم على أساس أن كل ما فى الوجود (مادة وفكر) فى تغير مستمر بسبب ما يحمله فى محتواه من تناقض يؤدى إلى وضع شىء جديد .

أما الاسلام فإنه يجمع بين المنطقتين الثابت (وبداخله المتحرك) .

رابعا : هناك أصول ثابتة وتطبيقات متغيرة :

الثابت هو الالهى والمتغير هو البشرى (اجتهادات الفقهاء) فى الاقتصاد - فى الفقه - فى السياسة (الجمع بين الثبات والتغير ، الالتزام بأصول عامة وفتح باب الاجتهاد فى التفاصيل .

(استكملنا مفهومنا بما نقلناه من كتابات الدكتور شوقى الفنجري)

(خامسا) محاولة لفهم نظرية التكامل والتجزئة .

١ - وقف هيجل عند حد محدود ، ولم يستطع تجاوزه إلى الغاية والماديون يقفون عند حد الظاهر والمادى ولا يصلون إلى المعنوى . نور البصر لم يتجاوزه إلى نور البصيرة ، عرفوا السنن السكونية ولم يتجاوزوها إلى صاحب السنين وصانع الوجود جل جلاله .

٢ - الذين أخذوا أسلوب (العقلانية) أو أسلوب (الحدسية) أسلوباً لفهم الحياة عجزوا عن الوصول إلى الغاية .

٣ - الذين أخذوا أسلوب التجزئة وفقوا عند اليهودية التى اجتاحتها الفلسفة الاغريقية أو المسيحية التى احتاجتها مفاهيم الافلوطينية .

٤ - الذين وقفوا عند التصوف - أو العلم - أو الاعتزال ولم يكملوا الطريق وكذلك الذين وقفوا عند الأدب أو السياسة أو النظرة الوطنية أو النظرة القومية ولم يكملوا الطريق ، الذين وقفوا عند أثار البيئة والعصر ، ولم يكملوا الصورة بالتاريخ والعنصر الثابت الممتد في النفس الإنسانية والحياة .

٥ - إن النظرة الوطنية أو الإقليمية هي نظرة ناقصة من عدة جهات :

١ - ناقصة بحكم أنها نظرة لإقليم من أقاليم كثيرة (جغرافيا) (الإمتداد الجغرافي) .

٢ - ناقصة من حيث أنها نظرة على مرحلة من التاريخ (الإمتداد التاريخي) لقد حمل الإسلام أمانة (التكامل) ممثلة في الأبعاد المتعددة للفكرة الواحدة ولم يقصرها على النظرة المعاصرة أو البيئة المحدودة .

وهذا هو الفارق بين فردية وانشطارية الفكر الغربي (بشقيه) وبين جماعية وتكامل الفكر الإسلامي .

ومن هنا فإن نظرية الثوابت والثوابت والمتغيرات هي مفهوم إسلامي أصيل . ولن يستطيع الفكر الغربي أن يصحح مسيرته إلا إذا اعتنقها .

(٦)

هناك اختلاف واسع بين الفكر الرباني (الدين) والفكر البشري (الأيدلوجية) والإسلام يجمع بين الدين بمفهوم العقيدة والفكر بمفهوم التجارب العملية ولكنه يخضع التجارب العملية لمفهوم الإسلام الجامع ، ففي الإسلام (تكامل الدين والعلم) .

والحضارة الحديثة عجزت عن أن تعطي الإنسان المفهوم الجامع الرباني والأخلاق للحضارة فنشأت لقيطه شواه منقطعة الصلة بين الروح والمادة

الإنسان ثنائية (منفصلة بين الروح والمادة) وكذلك المجتمع والحضارة ، وقد اختارت دول الغرب وجهة نظر واحدة . منفصلة عن الدين بمفهومه الرباني الجامع وهو ليس الدين الذي ثارت عليه أوروبا ، فالدين الذي طاردته أوروبا كان تفسيرات مختلفة ، ولذلك فقد أعاق التقدم العلمي والاجتماعي . يقول ميلر بروز : إن الدين يجب أن يظل ثابتاً في إصراره على إخضاع العالم الطبيعي والمادى للعالم الروحي وعلى إخضاع الزمنى للابدى ويجب ألا يسلم قيد أئمة للدينوى والمادى ، غير أنه ينبغي أن يعلم أن أهدافه تشمل توفير المعيشة الطبيعية والاجتماعية الحسنة للناس في هذه الحياة على الايدع الحركات السياسية والدينية تحتكر الجهاد ضد الفقر والمرض والجهل بل يقوم هو بهذا الجهد فلست العناية بالحياة الآخرة تستلزم عدم الاكتراث بالحاجات الإنسانية في هذه الحياة . ولما كانت هناك حياة وراء هذه تصحح فيها أخطاء الحياة الدنيا فإن الذين سينعمون بها هم أولئك الذين وهبوا أنفسهم في هذه الحياة لإرادة الله في خدمة الإنسان وخدمة الإنسان جزء أساسى من خدمة الله وهى أمتن طريق ضوان الله في الدنيا والآخرة ، . إن الدين لا يكافح التكنولوجيا . إن الإسلام لم يركز بالمقصود بالثورة عليه إبان النهضة الأوروبية ، إنما الذى كان مقصوداً هو الدين السكهنوتى الذى لم يكن هو الدين الإلهى ، وإنما كان ديناً مشوهاً تعرض له الإسلام بالرد والنقد قبل أن تثور عليه أوروبا ، غير أن أوروبا لم تكن على علم كامل بنظام الإسلام ولا بموقفه من الأديان السابقة عليه . إن المهمة الإنسانية : هى الاستخلاف عند الله جل شأنه فى الأرض .

فالإنسان مخلوق لله ، وليس كما يتصور بعض الفلاسفات إن الله خلق العالم ولا يعلم عنه شيئاً ، معنى الخلافة دوام الصلة بينه وبين خالقه أو مستحلقه . من أهم عوامل ذلك أن الله أودع فيه علم (وعلم آدم الاسماء كلها) عجزت عنه العوالم الأخرى ، فالإنسان بمقتضى هذا العلم مرتبط بالله وحده ، وفى نفس الوقت يختلف هذه المسيرة عن الملائكة فضلاً عن ميزات أخرى .

قد أعطى الإنسان ميزة على الملائكة : هي القدرة على عمران الأرض والقدرة على الاتصال بالله ، لقد عمرها ولم تفسده وحوشها واستطاع أن يحترق باطنها ونجح في مهمته وذلك الله له كل شيء ، ومن الطبيعي في طريق مهمته أن لا يغلب الجانب المادى على الروحى ، ولا الروحى على المادى ، فإذا تغلب جانب على جانب خرج على الشكل الطبيعى للإنسان وخرج على أمانة الإنسان ورسالة استخلافه وتعليب المادى إنسلاخ عن الخلافة لله وتغلب الروحى ارتقاء على الملائكة وهروب من عمارة الأرض . فالاتجاه بالإنسان إلى الروحية الخالصة ليس هو الوضع الطبيعى والاتجاه إلى المادية الخالصة انحراف عن مهمته .

(ثانياً) مفهوم الإسلام الجامع

في الفكر والثقافة

يختلف موقف الفلاسفة والايديولوجيات الغربية المعاصرة من الانسان عن موقف الاسلام فبينما تخضع الفلسفات الانسان لما يسمى بالعقل الكلى الذى يعمل فى قلب العالم عند هيجل أو المادية التاريخية لماركس وانجلز ، فى تبدلات ظروف الانتاج أو بصفة عامة فى خضوعه لعالم المادة نجد أن الاسلام يقف موقفاً مختلفاً فهو يقف إلى جانب الانسان فى مواجهة العالم كما يقول الدكتور عماد الدين خليل ، لأن القرآن يتيح منذ البدء مركزاً ممتازاً للدور البشرى على الأرض فهو من جهة خليفة الله على الأرض ، والذى قدر له أن يصنع أحداثاً تاريخية بإرادته واختياره سلباً وإيجاباً :
[إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً] .

[ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها] ، [لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى] .

كما أن كتلة السماوات والأرض قد سخرت لأداء مهمته هذه ، ومن ثم نجى إرادته الحرة فى صياغة الأحداث ، صدوراً عاقلاً مديداً يخضع له كل ما بعده ،

ويشكل كما يشاء هو ، مع تأثيره بطبيعة الحال بنواميسها وعلاقاتها المادية أو أبعادها وأحجامها ومساحاتها . ولكن الكلمة الأخيرة في الصياغة تبقى دائماً على يد الانسان الفاعلة المتفننة القديرة ، أكثر من هذا فإن (القرآن) يصعد الموقف ويتجاوز به كل ما من شأنه أن يحيطه بالغموض وعدم الوضع فلهجسم المسألة بهذه الآية القاطعة :

[ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً] .

وهكذا يتبدأ الانسان مركزه المنطقي ، العادل في الأرض سيداً للعالمين فهو يخضع ولا يخضع ، ويصوغ ولا يصاغ ، ويخطط وينفذ ، ولا يتخذ مجرد أداة لتنفيذ خطط الطبيعة ومتطلبات العلاقات المادية .

إن القرآن يضع الانسان في المصاف الذي أنزلته منه المذاهب الوضعية درجات درجات وهو موقفه العادل الذي ينسجم وقدراته المعقدة المتنوعة المتشابهة ، وقد ممكنه من التغيير والتبديل بما يشاء هو لا بما تشاء قواعد المادة تحت قدميه . .

(٢)

لقد حاولت العلوم الانسانية الأوروبية وصم الانسان ، واستنقص معطياته فوصف بالحيوان تارة أو أنه خاضع لجبرية المجتمعات وأنه ليست له إرادة مستقلة ، ومن ثم فليس عليه التزام ومسئولية وأعلن سارتر أن الانسان مجرد ندوة تافهة وجاء أتباعه ليتحدثوا عن د لاجدوى الانسان . .

ومن مراجعة نظرة الفكر الغربي عن الانسان يبدو منذ اللحظة الاولى تعارضها مع الفطرة فدعوة د نيتشه ، إلى قتل العاجر أو المريض أو تركه يموت دون العمل على شفائه وإبادة الضعفاء هي من صميم المعارضة للفطرة ، وقد لقي نيتشه مصيراً مظلماً غاية الظلام نتيجة دعوته إلى اعتمادها الاستعمار ببراً لظلمه فقد عاش نحو عشرين عاماً وهو في جنون يكاد يكون مطبقاً ، إذ كان في الدور الأخير من السلفس ، وهو مرض لم يقعد جسمه فقط بل أمات ذهنه ، وقد مات

مغمورا لم ترثه جريدة ولم تذكره جامعة حتى بعثه اليهود من بعد وقالوا :
لقد رتبنا نجاحه كما رتبنا نجاح دارون وغيره .

كذلك فقد كان إبطال (دستوفسكى) شواذ ومرضى وجميع أبطال
(فرويد) شواذ ومرضى ، وكذبت التجربة قول فرويد بأن كظم الشهوة
الجنسية يؤدي إلى اضطراب الشخصية ، وتبين فساد استغلال فرويد
للأساطير وبخاصة ما أطلق عليه (مركب أو ديب) وهو أن الطفل يحب
أمه حبا جنسياً ويجد لذته الجنسية في الرضاع ، وكانت كتابات هافلوك اليس
في الجنس والبلغاء ودعوة ولز إلى كتابة التاريخ البشرى العام دعوة صهيونية ،
ولقد روج سلامة موسى لهذه الآراء وعاش حياته كلها ينقل عن فرويد
وماركس ، ما يرضيه ويشفي أحقادهم ليهدم قيم الإسلام عن الإنسان .

(٣)

ويعارض الفسکر الإسلامی الفسکر الغربي في قضية (التكامل والانشطارية)
ففي مفهوم الإسلام أنه ما من جانب مادي إلا وله جانب روحي مكمل له
فالنظافة والطهارة الظاهرية لا قيمة لها أن لم تكن هناك طهارة القلب
ونقاؤه . والإعداد المادي بالعدد والاسلجة لابد أن يصحبه إعداد روحي
بالفناء والنضحية ، والاعداد المادي له جانبه الآخر السكمي يكمل الكيفي ،
ومن ذلك جمال الوجوه الذي لا يكتمل إلا بجمال الخلق وفي ذلك قول
الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم أحسن خلقي فأحسن خلقي وحرمني وجهي
على النار) تبدأ بعض الفلسفات من الثوابت وبعضها تبدأ من المتغيرات ،
وكلاهما ناقص أما نظرة الإسلام الكاملة فهي تجمع بين الثوابت والمتغيرات ،
وهي تجري حركة المتغيرات داخل إطار الثبات . وبعض الفلسفات تقول
بسبق الماهية على الذات كالوجودية وبعضها يعتبر الذات سابقة على الماهية
(الماركسية) ولكن الإسلام لا يقر أحدهما ، ويرى أن كلاهما في نسق
واحد لا يسبق الآخر وإنما إنسبتهما إرادة الله تبارك وتعالى ، وفي الإسلام
تكامل الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

والأساوب الحسن في الإسلام لا يكفي ولكن لابد معه صدق الإيمان وأخلاص النية : وحسن الأداء : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) .

وفي الإسلام : حسن المدخل مع حسن المخرج . (رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) .

ويجمع الإسلام بين الواقعية والمثالية . ولا بد ، العنصرين معاً في حالة تعادل ، وبنسبة صحيحة حتى تبقى الأمة متماسكة فإذا غلبت الواقعية أصبحت طينة الأمة جافة لا تقبل التشكل وكلما اعتدلت نسبة المرح بينهما في أمة من الأمم كان تقدمها أوضح وأسرع .

(٤)

ولا يقر الإسلام فكرة العقلانية كأساس للمعرفة ، أو الاعتماد على العقل البشري وحده باعتبارها مصدراً للمعرفة ، فهناك المعرفة الوجدانية أيضاً . فالعلم الذي وصل الإنسان إليه اليوم إنما وصل إليه بتقدير الله تبارك وتعالى وأن هذه المفاهيم موجودة في الكون منذ مئات السنين ولكن الله تبارك وتعالى كشفها للإنسان في الوقت المعلوم ، ليستخدمها في صناعة التقدم والرفاهية . وقد ميز الله تبارك وتعالى الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل ومن هنا كان للعقل دور بارز في الحياة . أن العقل البشري لم يخترع هذه الأشياء أي أنه لم يوجدها في هذا الكون وإنما ذلك علم الله كشفه للإنسان ، والدليل أن العقل البشري لم يخترع هذه الأشياء ولم يوجدها في الكون ولكن الله تبارك وتعالى كشف له هذه الأشياء ، أنها كانت موجودة منذ وقت بعيد ولكنها كانت فوق قدرة العقل البشري ، ثم كشف الله تبارك وتعالى عنها للبشر وأعطاهم العلم الذي يمكنهم من استخدامها ومن الخطأ ما يدعيه رجال الفكر الغربي من نسبة هذه الكشوف إلى العقل والحقيقة هي نسبتها إلى الله تبارك وتعالى . وهذا من أخطر مفاهيم العلوم الغربية هي نسبة عطاء الله إلى الطبيعة وغيرها وإنكار فضل الله .

والمعتمدون على العقل البشرى ، هم الماديون الذين لا يمتثلون مفهوم الإنسان الصحيح والذين ينهارون تماماً عند أول صدمة يظهر فيها عجزهم عن تحقيق ما يريدون وفشلهم فى تنفيذ ما يخططون .

ومن هنا حلت نسب الانتحار والجنون بين الناس الذين يقصرون النظرة على عقولهم وأن اياس نوع من الحياة يعيشه الإنسان ذلك الذى يظن أنه قادر ومسيطر ثم يكتشف أنه لاشئ .

وقد أثبت كثير من العلماء المعاصرين ما قروه الاسلام قبل أربعة عشر قرناً من أن العقل البشرى قد عجز عن كشف الحقائق المجردة وأن استطاعته محدودة بالظواهر ، أما مجال الحقيقة ومكانها فهو جماع العقل والنفس وأن الانسان لا يمكنه الوصول إلى درجه النصح الكامل إلا إذا استخدم عقله مع قلبه .

(٥)

إن التماس مفهوم الاسلام فى الثقافة والفكر من شأنه أن يغير النظرة المطروحة الآن فى المجتمع الاسلامى والمستمدة من المفاهيم الغربية وخاصة فى مجال الاقتصاد والادب والسياسة وفى العبارات المستعملة والأساليب وطريقة الحوار نفسه ، وبالنسبة أيضاً للإعلام الذين يعطى لهم التبريز بينما هم فى حكم المفهوم الاسلامى غير ذى أهلية . وهناك دعوة ملحة إلى تحذير المسلمين أن يخلطوا تصوراتهم القرآنية بالتصور الغربى البشرى لأنه يميل إلى الوثنية والاباحية والعلمانية ويقوم على الظن وماتهورى الانفس .

ولا ريب أن أخطر ما يواجه الامة الاسلامية للقضاء على ذاتيتها المنفردة هو خطر التبعية للفكر الوافد سواء أكان شرقياً أم غربياً وتتجلى التبعية اليوم فى أننا نواجه أسلوباً للتربية قدمه (دموى) ومفهوم للنفس قدمه (فرويد) ومنهج للاجتماع قدمه (دوركايم) ومضمون للأخلاق قدمه ليفى بريل وتصور للفن قدمه فلان وهكذا .

ومفهوم التقدم ، في الغرب مفهوم مادي صرف ، لا يتوقف أمام
أى حاجز أمامي الإسلام فهو مترابط جامع بين المفهومين المادي والمعنوي
بحيث لا يضحى بالمعنوي من أجل المادي ، ويختلف مفهوم التقدم في الإسلام
عن مفهوم التقدم في الغرب فيما يقول العلامة الفرنسي مسمر :

أن تقدم العلوم في الغرب في وقتنا هذا حصل رغما عن الدين ،
أما في دين الإسلام فالعكس من ذلك أنه - أي الدين الإسلامي -
لا يستطيع أن يبقى على قيد الحياة إلا بانتشار العلوم فإن بين الإسلام والعلوم
رابطة كلية ، والغربي إذا صار عالما ترك دينه .

والانشطارية: هي أخطر مصادر أزمة الانسان الحديث وأزمة الحضارة
والفكر الغربي المعاصر اليوم ، وهي فكرة دخلت أساسا إلى تفسيرات
الدين الغربي المسيحي ، ثم نمتها اليهودية التلمودية حتى أصبحت ظاهرة
عميقة تفصل تماما بين الروح والمادة والعقل والقلب والله والانسان
والدين والحياة ويتم معها إعلاء شأن العقل والمادة وتقديس الجنس
وعبادة الفرد .

(٦)

وفي شأن صلة العقل بالقلب :

يقول الدكتور محمد البهي : يحدد القرآن مكان القلب فإنه في الصدر ،
ويحدد كنهه ودانه فيجعله مركز الفهم والعقل ، لهم قلوب لا يفقهون بها ،
فجعل الانسان يفقه ويفهم بقلبه ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ،
(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فينسب
إلى القلوب عمل العقل والفكر ويجعله مركز المسؤولية (فإنه آثم قلبه)

وهكذا القلب ياثم ويعصى ويطيع وينفذ . ويجعله مركز الايمان
والكفر (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) و (من يؤمن بالله يهد
قلبه) فالقلب مكان الايمان والكفر (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)

ويجعله مركز الاحساس (وألف بين قلوبهم) فالترابط بين المؤمنين هو ترابط الشعور والاحساس العميق (ولو كنت ذفا غلبت القاب) ويجعله مركز الوعي (نزل به الروح الامين على قلبك لتمكون من المذنين) ويجعله مركز الذوق (وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) فالقلوب كما تشمئز تفرح وتستبشر والقاب في انضمامه إلى السمع والبصر يكون الخصائص الإنسانية في الإنسان ، غير أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالقاب مع السمع والبصر وهي مدخل الادراك والتعقل . (افرايت من اتخذ لاله هواه) هذا الذي اتبع هواه وأغلق عليه قلبه وعطل سمعه وبصره هل يستطيع أن يصل إلى هداية الله - ليس هناك في الوجود عدا الله من يمكنه منها . هكذا يكون القلب في تقدير القرآن أن ينظر إليه على أنه هو المركز الذي يتفرع منه وتنمى إليه شراير الإنسانية ، فإنه في نظر الإسلام هو مصدر التوجيه والقيادة في الإنسان الذي يضل ويهديه . .

(٧)

ولاريب أن الطبيعة البشرية في الإنسان في حاجة إلى توجيه إلهي ، هو الدين ، وهو في حاجة إلى موقظ هو القرآن ، ذلك أن طبيعة الإنسان لا تتخلف : إن الإنسان خلق هلوعا ، إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات إن علاج الطبيعة الإنسانية وتقويمها هو في الإيمان بالله والإيمان بالله يقتضى أن تكون صلة الإنسان بربه وقت الميسرة والصحة والجاه والعلم على نحو صلته به سبحانه في وقت العسرة والشدة والضعف والحنه والحاجة فالمسلم يتصل بالله في حالة كربته فيفرج عنه الشدة ، وفي حالة وجائه فيديم عليه النعمة ولا ريب يقوم الدين الحق في مواجهه مركب النقص ، فهو الذي يستطيع أن يرد الثقة إلى النفس في مجالات مركبات الخوف القلق والتمرق - سنة كونية دائمة ومن صميم هذه السنة أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان حراً في فعله مختاراً غير مقهور ولا مجبور وليس في علم الله شيء من معاني القهر أو الالزام ولا يعتذر الإنسان بالقضاء والقدر إذ لو صح ذلك لبطال

التكليف ولكان بعث الرسل وإنزال الكتب ودعوة الناس إلى دين الله ووعده بالثواب والعقاب باطلاً وعبثاً . والقضاء والقدر هو النظام الذى خلق الله عليه الكون وربط فيه الأسباب والمسببات والنتائج والمقدمات وإرادة الإنسان هي مسئوليته عن عمله داخل إرادة الله التى تتكيف فى ثلاث مواقف [الموت - الرزق - الحادث] فالإنسان ذو حرية واختيار فى حياته ، يفعل الخير محتاراً فيثاب والشر فيعاقب والإنسان ذو استعداد للخير والشر ، ولا يسمح الإسلام أن يضل الإنسان أو ينحرف عن أوامر الله ثم يعتذر بالقضاء والقدر . ولو صح ذلك لبطلت التكليف ، ثم إن الإنسان وأفعاله الاختيارية ليس إلا جزءاً من أجزاء الكون لحالة كون الإنسان فاعلاً مختاراً فهو مكلف مسؤول . ومن العقائد الباطلة التى أقحمت على الإسلام ، فكرة الجبرية وفكرة الزهد - والحرية فى مفهوم الإسلام أن لا يصبح الإنسان عبداً لشهوته و - عبداً لغير الله فالإسلام يربأ بكرامة الإنسان من أن يخضع لسلطان غير سلطان الخالق جل وعلا ويأنف من أن يكون الإنسان عبداً للإنسان وفى ذلك حرص الإسلام على معارضة كل عبودية للعباد ومن إحساس الرجل بأنه أقل من سواه كما حرص على صيانه من الخضوع لغير الله لا فرق بين الكبير والصغير والغنى والفقر ، والأسود والأبيض . والكظم قوة تكامل الشخصية ، وهو معارضة صريحة للفرويدية والمجاهدة تعنى السير ضد تيار الأهواء والمطامع والرغبات المذلة لقد باتت البشرية عالمة الآن بفساد نظرية فرويد ومحاولة دفع الإنسان إلى الجبرية وتحطيم إرادته ونسبة الفساد والخطأ إلى المجتمعات بينما يستطيع الإنسان المؤمن بالله أن يعارض التقاليد التى تختلف مع عقيدته ، وإن يستمسك بالعزائم ليحفظ شخصيته من الانهيار والتحلل والفساد حين تسقط فى خضم الشهوات والآثام ولعل أبرز علامات قوة الشخصية التى يصفها الإسلام ، ببناء الإرادة هو التحرر من الهوى والعصية فيكون الإنسان قادراً على أن يغير رأيه فى الأمر حتى تبين له الحق ، وإن يحكم للعدو حكمة للتقريب والصديق .

(٨)

إن هناك محاولة تغريبية ترمى إلى إمتواء الفكر الإسلامى فى إطار الفكر العالمى والامنى ، وهناك وسائل كثيرة لدفع هذا المخطط إلى غايته : أهمها نظرية الفكر الحر وحرية الفكر وهى وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان حتى يتمكنوا من القضاء عليها جميعها بعد إثارة الشبهات حولها ، وسلاحهم فى هذا نظرتى الشك والسخرية . وقد برع الدكتور طه حسين فى أداء هذه الرسالة لتمكنه من الأسلوب العربى . ويتم هذا الاحتواء عن طريق لإحياء وابتعاث نظريات قديمة كالباطنية والشعبوية ، عن طريق دعوات مجمدة : كالنارادىانية والبهائية . بل إن هذه المحاولات تصل إلى حد القول بأن القرآن وحده يكفى فى التشريع والاعتقاد والعبادات رغبة فى هدم السنة التى هى شقيقة القرآن وينطلق الإسلام التطبيقى عن طريق أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم . وهناك الدعوة إلى نبذ القديم ، وتحرير العقل من الغيبيات وكل هذه دعوات ترمى إلى الهجوم على الإسلام ولكنها تتحرز وتحتاط وتريد التلمودية أن تعمل على تغليب فكرة الجبر على حرية الإرادة حتى تسيطر على عقول الناس وقلوبهم وتدفعهم إلى الفساد وتحت اسم فساد المجتمع وعدم مسئوليتهم الفردية . إن فكرة (وحدة الوجود) دخيلة على الإسلام وهى تنقض مفهوم الإسلام المتكامل الشامل فى وحدة الله وتنزيهه عن الخلق وهى فكرة معارضة لمفهوم التوحيد والدين الحق . خاضت فيها الفلسفات الغربية والشرقية والنصوف وتفسيرات المسيحية .

وهى نظرية باطلة تقوم على قولهم بأن الله (سبحانه وتعالى عما يشركون علوا عظيما) ليس كائنا خارجا عنهم بل هو كائن حال فيهم وهو نفس ما يقول به الحلاج وابن طفيل ولا ريب أن القول بمحاول الخالق فى المخلوق أو تجسد الخالق هو من المعتقدات الباطلة التى تناقض مبدأ (التوحيد الخالص) لأن الله تبارك وتعالى هو الخالق الباقى وأن الإنسان ما هو إلا ظاهرة تفنى وتزول والكائنات لا توجد لذاتها بل تستمد وجودها من خالقها

تبارك وتعالى . إن فكرة وحدة الوجود تمأول القضاء على قواعد أربعة أساسية في بناء الشخصية الانسانية :

(١) حرية الارادة . (٢) القول بالخير والشر

(٣) المسؤولية للفردية . (٤) الالتزام الخلقي .

والاسلام يقرر أن الانسان له أفعاله الاختيارية وإرادته وعليها تقوم المسؤولية الفردية وإن إرادة الانسان هي مصدر حسابه وجزائه ، وأنه ليس للإنسان إلا ماسعى ، وإن الخلفاء لا يؤخذون بجرائر سابقتهم وأسلافهم وإن كل امرئ بما كسب رهين ، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ، (البقرة) . إن القول بوحدة الوجود نفي للألوهية وإثبات للكائنات وحدها ، بل إن عبارته وحدة الوجود هي عنوان آخر للإلحاد في وجود الله وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط ، ومادام لا يوجد شيء وراء هذا العالم فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه . والقول بوحدة الوجود تفكير هندي قديم ، حيث يتصورون أن العالم أزلى أبدي ، وإن الأرواح تخرج من أجسادها لتعود في أجساد أخرى وقد تكون أجساد حيوانات وأن قصة الحياة تدور في هذا النطاق المحصور وتبدأ من حيث تنتهي .

ولا ريب أن القائلين بفكرة وحدة الوجود (ابن عربي - ابن الفارض ، الحلج ، ابن سميذ) مخطئون فإن هذه النظرة تنقض تعاليم الانبياء وتخالف شريعة الاسلام .

الصورة الفنية

يجب أن نفرق تنزيها واسعا بين الحقيقة الانسانية والصورة الفنية إن الصورة الفنية هي بمثابة إقامة عالم جديد خيالي مختلف عن عالم الواقع ومن الخطأ تحكيمه في قضايا المجتمعات والانسان والحياة خاصة وأنها تعتمد على الاسطورة واللامعقول وتقوم على انتقاء الأحداث المثيرة ، وإشعال

الغرائز الجنسية عن طريق الفن ، ومحاولة تعبير خلق الله بالرسم وتصوير
الجانب المظلم من النفس الانسانية والجانب المسف من طبائع البشر ،
فالفن هو محاولة تقليد الطبيعة ؛ ويقوم الفن الغربى على الصراع بين الانسان
والآلهة ، وتقوم المسأسة على أساس أن يتحطم البطل المصارع للقدر ،
وفن القصة أساساً له أصل وثنى يقوم على مفاهيم المعبد والسكينة والطقوس
والترانيل فالقصة تعطى الفنان سلطة غير شرعية بالخروج عن الحقيقة
التاريخية فى سبيل الحكمة الفنية ومن ذلك دعاوى عبادة الحياة ، وعشاق
الحياة ، والقول بأن الدنيا رواية هزلية وعبادة البطل ، وعبادة الجسد ،
والعرى .

البَابُ الثَّامِنُ
الْإِجْتِمَاعُ الْإِسْلَامِيُّ

17. 10. 1933

1933

(١)

في مجال الاجتماع الإسلامي تطرح شبهات كثيرة ، من أخطرها الفصل بين عقيدة الإسلام ونظامه الاجتماعي وهي الفكرة التي دعا إليها محمود عزمي في الهلال - ١٩٣٣) حيث دعا إلى التمييز بين العقيدة والنظام باعتبار أن الإسلام دين لاهوتي فظهرت عبارة الإسلام والإسلامية التي رددوها الكثيرون بمفهوم غربي . والحقيقة أن مفهوم الإسلام قائم على دعائين : (أولاً) الارتباط بين جميع حلقاته (المادة والروح - القلب والعقل - الدنيا والآخرة) .

ثانياً : الارتباط بخالق الكون والبعث بعد الموت ولا يعترف الإسلام بأى نظرية عن تطور العائلة على أساس أن المرأة كانت مشاعة في عهد البشرية الأولى ثم تكونت العائلة بمرور الزمن بفعل عامل اقتصادي إذ أن القرآن يخبرنا إن الأسرة تكونت في بداية البشرية ولم يخل منها جيل من الاجيال . وقد فشلت فشلاً ذريعاً كافة النظم المفتعلة وكل محاولة منحرفة للقضاء على الأسرة وكل تجربة تشل الأسرة سيكون مصدورها الفشل وإن نجحت فتحاحاً جزئياً بالنسبة للنظر القصير . قال تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً . ولقد تبين فساد النظرية الوافدة التي تقول بحرية أفراد الأسرة كل في طريقة وسيطرة الزوجة على الأسرة وفي بحث استغرق ثلاث سنوات وشاركت فيه أربعة آلاف زوج وزوجة إن الأسرة التي يسيطر عليها الرجل بتفكيره وتدهيره أسعد حالاً من الأسرة التي تسيطر على الزوجة أو حتى يشترك فيها الزوج والزوجة في اتخاذ القرار ، هذا البحث قامت به ثلاث جامعات أمريكية وفرنسية وبريطانية ويرى البحث أن الأسرة الريفية القديمة هي المثل الأعلى لما يجب أن تكون عليه الأسرة ، أما الأسرة الحديثة التي تعتمد على الزوجة فقط أولاً تعتمد فيها الأسرة لا على الأب ولا على الأم فهي انعزلت عن العلاقات الاجتماعية التي عرفها الإنسان .

(٢)

وما تزال قضية المرأة هي كبرى قضايا التخریب التي تركز عليها محاولات تخریب الأمة الإسلامية في شأن تضيعة الأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت من أجل حمل المرأة الذي لم يحقق حتى الآن شيئاً ذا بال . إن التجربة معروضة اليوم أمام المفكرين للنظر منها على نحو منصف . هل تستحق تضييع أجيال الشباب والفتيات جيلاً بعد جيل من أجل استمرار المرأة في هذه الغواية المضللة : غواية العمل في سبيل قروش قليلة يدعى أنها تساعد الرجل في مصروف البيت وأنها هو الرجل ذي الكرامة الذي يقبل أن تقدم له زوجته مالا يعينه على أداء مسؤوليته ، إن أغلب هذا المال ينفق في زينة المرأة ومصاريف انتقالها وفي تضياع الترف للنزول الذي لا تقدم ولا يؤخر ، لقد برزت في الرجل المسلم اليوم تلك الغيرة على المرأة وتلك الكرامة التي تأتي أن يطعم الرجل من مال يقدمه المرأة بعد أن تمر بعشرات المراحل من الذل والحديعة والغرور والنفاق والإغراء خلال حياتها العملية التي يكفي فيها أن تزاحم في تلك المواصلات المضطربة وأن تترك أبنائها في الصباح دون أن تعفى بهم أو تقدم لهم بسمة الصباح في فضاء البين ، تتركهم للخادومات اللاتي لا يرحمن ولا يعرفن العاطفة ، واللاتي لا تستطيع عاطفتهم أن تعطي هؤلاء الأبناء شيئاً ، فتتشأ قلوبهم قاسية لاه رحمة الأمهات لم تغرقها ، ويعشن حياة مضطربة فيها كثير من الحقد والخوف والانتقام . كذلك فإن الإسلام لا ينظر إلى المرأة والرجل نظرة واحدة فهو يحرم العلاقات الحرة بينهما ، وقد أخذ العلماء منذ بدء العصر الحديث يسخرون من هذه القوانين وأطلقوا عليها مخلفات العصر الجاهلي وقالوا : إن الرجل والمرأة متساويان ويرثان النسل الإنساني بطريقة متساوية وسوف تكون جريمة كبرى لو أقمنا العقيدة في طريق علاقاتهما الحرة وقد انتجت هذه الفكرة مجتمعاً جديداً في الغرب غير أن التجارب الطويلة المبررة التي مرت بها الانسانية بعد هذه الاباحية هي أقصى ما عاناه البشر فقد ثبت بعد هذه التجارب أن المرأة والرجل لا يتساويان فطرياً ولا طبعياً وأن أي مجتمع يقوم على أساس مساواتهما سوف يحدث اضطراباً شديداً والحقيقة التي أعلنها الإسلام (١) أن الرجل والمرأة مختلفان كل الاختلاف في نوعية كفاءتهما الطبيعية وإن اعتبارهما متساويين

إنما هو مغالفة كبرى لقوانين الطبيعة في حد ذاتها (٢) لقد أباح الإسلام تعدد الزوجات وأثيرت ضجة كبرى ضد هذا التشريع وأطلق عليه كلمة الرجعية ولكن جمات التجارب العملية تثبت أنه كان تشويهاً مناسباً للطبيعة الإنسانية لأنه سد باب تعدد الزوجات إنما يفتح عشرات الأبواب الفاجرة غير الشرعية وتشير هيئة الأمم إلى أن العالم يواجه الآن مشكلة الحرام أكثر من الحلال في شأن المواليد وإن نسبة الأطفال غير الشرعيين قد ارتفعت إلى ٢٠ في المائة وفي بعض البلاد إلى ٧٥ في المائة وتقول الأمم المتحدة أن البلدان الإسلامية محفوفة من هذا الوباء لأنها تتبع نظام تعدد الزوجات ، لقد استطاع هذا القانون الإلهي الحكيم أن يحمي البلاد الإسلامية من كارثة محققة وما تزال قضية المرأة هي كبرى قضايا التغريب التي يركز عليها في مجالات تغريب الأمة الإسلامية في شأن تضييع الأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت من أجل عمل المرأة الذي لم يحقق حتى الآن شيئاً ذا بال ، إن الأمر المعروض الآن على الأجيال هو كشف حساب المكسب والخسارة في تجربة المرأة بالعمل على النحو الذي دفعته إليه قوى التغريب وهل يمكن تضييع الأسرة والطفل والزوج في سبيل الاستمرار في هذا الاتجاه تحت خداع القول بأن المرأة تعين زوجها على مصاريف البيت .

قالت سيمون دي بوقوار (السكانية الفرنسية) : إن حركة تحرير المرأة هي أ كذوبة كثيرة . اخترعها الرجل ليضحك بها على المرأة .

(٢) الإيمان بالله وخدمة المجتمع وفق منهج الاسلام : دعامتان يقوم عليهما العمل الصالح فلا يكون العمل صالحاً من غير الإيمان بالله، إيماناً يوفر التحرر الروحي من رواسب المطامع المادية (إما يتقبل الله من المتقين) ولا يتحقق الإيمان بالله به ورة عملية من غير خدمة المجتمع والمسلم برفض الفساد ويقاوم الانحراف ولن يغعض له جفن ولن يهدأ له بال إذا ظهرت في المجتمع بوادر الانحراف فيندفع نحو التغيير والإصلاح وكل عمل (قولاً أو بذلاً) قام به الفرد والجماعة مالم يكن طبقاً لمنهج الإسلام فهو باطل . ولا نشدان للإصلاح خارج منهج الإسلام ، هؤلاء الذين يتوهمون أن في الديمقراطية حرية ومساواة أو في الاشتراكية

سعادة ورفاهية . لقد ظهر زيف الديمقراطية، وفشل الاشتراكية (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) هؤلاء الذين صاروا اتباعا للغرب أو الشرق إنما يحملون معاول الهدم لكل صالح والفساد لكل عامر . لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان والحياة وجعل له شرعة ومنهاجا يتمسك بها ويرفض أهواء الذين لا يعلمون ، وكيف يخدم أمته ويدافع عن بلاده ويسعى لسعادة الآخرين ، وخلق الله تبارك وتعالى الإنسان والموت ليعلم كيف يسمو بنفسه فيستخوا بما يملك في سبيل الله وكيف يعمل ولا يخاف غير الله وكيف يبلغ رسالة الله ويخشاه ولا يخشى سواه ، وعليه أن يضحي حتى يجود بنفسه شهيدا في سبيل الله :

(٣)

والمجتمع الإسلامى مجتمع متحرك متطور ، به طاقات عقائدية هائلة ، تدفع نحو الأفضل فترفض الركود والجمود . والجمود المحفوظ على غالبية المسلمين فى عصرنا الحاضر ظاهرة طارئة يتبرأ منها الإسلام ، كرسها الاستعمار بمختلف وسائله لتستقر فى أعماق أوضاعنا (قابلية التخلف) التى حاربها الإسلام العظيم بلا هوادة فى جميع منطلقاته العقائدية إن حرية الفرد والمجتمع فى ظل التمسك بالإسلام كفيلة بأن تدفع (الواقع) نحو الرقى والتقدم ، بصورة صاعدة يظل فيها السعى حثيثاً نحو تغيير الواقع ، وتغيير الصالح بالأصلح ، فلا محل فى ظل الإسلام للخضوع والقناعة بما هو قائم فعلا حتى ولو كان صالحا ، ذلك ليظل يوم المسلمين خيرا من أمسهم ويظل غدهم أفضل من يومهم ، وعلى طول المدى .

عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب : فى هذا المنطلق قوله :

من دساوى يوماء فهو مغبون ،

(٤)

العوامل الثلاث التي تضمن سلامة المجتمع وهدوته على النهوض والتقدم:

١ - التخلص من التبعية للدول الصناعية الغربية وخاصة في المجال الاقتصادي .

٢ - التعاون بين المسلمين .

٣ - الاهتمام بقضايا النماء الاقتصادي والاجتماعي على أساس المشاركة الإسلامية .

٤ - على الدول الإسلامية أن تزرع قحبها وطعامها ولا تعتمد على الغرب .

٥ - على الدول الإسلامية أن تصنع المواد الخام وتعلم الصناعات .

(٥)

على المسلمين مقاومة العدوان الذي تقوم به القوى الكبرى لنشر الفساد والإسراف في المجتمع الإسلامي في محاولة لعزله عن طريق الحق ، هذا العدوان هو من أسباب دمار الحضارات وشقاء البشرية في الدنيا والآخرة

إن الإسلام كمنهج اجتماعي يمنع من محبة أعداء الله لأنهم أعداء الإنسانية وهو لا يمنع من التمتع بالطيبات ولكنه يمنع من أن يتحول الإنسان الكريم إلى إلى عرض مادي دون قيم أو موازين ، وحين يصدق إيمان المسلمين بالله تبارك تعالى ورسوله وقرآنه فإنه يستطيع أن يتحرر من ضغوط المادة ودوافع الغريزة ونزوات الذات واللوان الوهن والضعف البشري، وتنظم حياته وفق اليم الأساسية فيتجاوز شوطه سنين هذه الحياة الدنيا

إلى الرغبة في العيش الابدى وتسمو أهدافه على حث الدنيا ومتاعها إلى
نعيم لا يحول ولا يزول . أن من أوليات الأهداف الاستعمارية :

(١) أن يبتعد المسلمون ولاسيما الشباب منهم عن دينهم وينغمسوا
في حب المادة وينصرفوا إلى اللهو والعبت وأن يعتادوا المجون والفجور .

(٢) أن يؤمنوا بالحضارة الغربية بمعتقداتها ومناهجها وقواعدها ونظمها
وقيمها وموازينها باعتبارها سبيلا للنهضة وطريقا للتقدم وأسلوبا للحياة .

(٣) أن يشنوا حربا شعواء على الإسلام ويحملوا حقداً أسوداً على
المتمسكين به ، ويسخروا كل الوسائل المتاحة لتكريس قابلية التخلف
والاستعمار في نفوس المسلمين للحيلولة دون انتشار وعى العقيدة والجهاد
ولابد من بناء المجتمع الإسلامى على الثبات ميدان الجهاد .

ولابد أن يتركز العمل للدعوة الإسلامية في مجال تصحيح الانحراف
الحلقى ، وبيان أثر النظريات الاقتصادية المعاصرة المدمرة على المجتمع
وأن تكشف عن جوهر الإسلام المضى المشرق ، الذى يستطيع أن يقدم
للإنسان في أى بيئة وعصر وجيل الحياة الكريمة العادلة المستقرة ، وإن
يقارن ذلك بإخطار القانون الوضعى لتوضيح قصوره عن تحقيق العدل
في المجتمع ولابد من الرد على شبهات المذاهب المادية وتوضيح مقاصد
الإسلام وعطائه في بناء الأمم والمجتمعات والحضارات ما يغنى الأمم عن
كل حضارة أو منهج سواه .

(٦)

على أثر تجدد الإسلام في عصر اليقظة وصولاً إلى الصحوة ، استيقظت
الدوائر الاستعمارية وجندت مؤسساتها لمحاربة خطر الإسلام ، فشنت حملة
الترجمة لإسهات الكتب في (المذاهب والفرق الإسلامية) وتقررت حلقات
مؤانسة مركزة عن الإسلام في جامعات أوروبا وإسرائيل ووضعت الخطط
للإجراء في مجال الأجناب والمنظمات والجمعيات الإسلامية في العالم

وصدرت أوامر لتحركات عسكرية لتطويق المناطق الإسلامية تحت حصار ثمين تدفق البترول . وجرت المحاولات لإثارة التعصب القومى والمذهبي وإشغال نار الطائفة حتى يقتل المسلمون ويتنازعون فيما بينهم فيقتلوا وتذهب بهم ومن ذلك بث الشائعات الكاذبة المغرضة وإثارة الأحقاد المندوسة ونكا المراجع القديمة المندملة من أجل إثارة الفتنة والبلبله فى مجتمع الإسلام لتشتت شملهم وتبديد جمعهم ليصبحوا طوائف وشيعا وأحزابا متنافرة ، ولا ريب أن الإسلام قادر على أن يوحد كلمة المسلمين ، ولا بد من الاعتصام بحبل الله من أجل توحيد الكلمة . ولا ريب أن محاولة حصار النهضة الاجتماعية ، هو دليل على انهيار الحضارة الغربية المادة وتفسخ المجتمعات الضالة وإفلاس القوى الظاهرة ، وإن اتفاق أعداء الإسلام على مطاردة البقطة الإسلامية إنما يمثل زعر القوى المناوئة للإسلام .

(٧)

إن خطط أعداء الإسلام تهدف إلى أمرين :

* تيميع شخصيتا الإسلامية لأفصاء الإسلام عن الحياة .

* ترويج المبادئ الوافدة لتركيز القابلية للاستعمار .

ويجرب تيميع الشخصية الإسلامية عن طريق إثارة روح القوميات والاقليميات والابقاء على القانون الوضعى بما أشاع من فساد فى المجتمعات ، وإقامة علمانية الدولة تحت شعار الدين لله والوطن للجميع

وفى سبيل ترويج المبادئ الوافدة يركز التعريب على الاهتمام بمضاربات الفراعنة والرومان واليونان والفينيقيين والبابليين والآشوريين والإشادة بما أثر كهرش والعرب العارية وإهمال أعظم تحول فى تاريخ البشرية وهو الذى طرأ على الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وأرسى قواعد المجاهدون الأبرار من صحابه واتباعه . إن هناك خطة قائمة ترمى إلى إقصاء الإسلام عن آداب الجوده فى تنظيم

حيطة الأمة الإسلامية وسيادة القوانين الوضعية ، وقد أدت هذه الخطة إلى حجب وتأجيل وتعطيل أغلب أهم أحكام الإسلام ولا سيما في مجال الاقتصاد والمال والاجتماع وسياسة الحكم والعلاقات الدولية ونحوها ، ومن أجل كسر هذا القيد يمكن تحقيق الخطوات الضيقة الشريفة بتطبيق بعض أحكام الشريعة الإسلامية المقدور على تطبيقها ، وعدم تعليق تنفيذ الميسور منها على قيام الدولة الإسلامية لذلك فإن الحفاظ على ظهور الإسلام يتطلب القضاء على الوسائل الرامية إلى إشاعة التحلل من الإسلام وذلك بالتمسك بتقوى الله وتطبيق الميسور من الأحكام الشرعية وتزيف سياسة الهاء المسلمين بالمشاكل المكانية وذلك بالأصرار على قيام الأمة نفسها بفعل الواجبات وتحريك المحرمات ، ومن شأن ذلك أن يفتح الطريق أمام تحقيق منهج الإسلام . وتلك هي المسؤولية الإسلامية اليوم ، التي تقوم على الاستجابة لدواعي العقيدة وتقوم بأداء الالتزامات الفردية والاجتماعية لإيماننا بالانقياد الصادر لأحكام الله وابتغاء وجهه الأعلى ، ولا ريب أن تربية هذا الشعور بالمسؤولية من شأنه أن يوسع دائرة التطبيق العملي ، ومقاومة مؤامرات التغريب ولا بد من أداء الفرائض العبادية والاجتماعية لأنها متكاملة لانسقاط أحدها بأداء الأخرى ، ولقد كان التقاعس عن النهوض بالمسؤولية الفردية والاجتماعية من أخطر الأمراض التي ساعدت على شيوع المنكرات وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأناحت أوسع المجالات للعدو للسيطرة على مواردنا ومقدراتنا .

علينا أن ندفع بقوة إلى الأمام ظاهرة جدارة الإسلام بقيادة البشرية وهي ظاهرة تتأكد يوماً بعد يوم ومن شأن هذا الدفاع أن يؤدي إلى هزيمة المذاهب والایدولوجيات يوماً بعد يوم ، ولذا ذكر الحقائق الثلاث :

أنزل الله القرآن : ليكون للناس منهج حياة .

نزل الله الميزان : ليقوم الناس بالقسط .

أنزل الله الحديد : لتسكون القوة أساس بناء المجتمع الإسلامي وسيلة لتنفيذ شريعة الله تعالى .

إن أعدائنا يهدفون إلى التخلي عن القرآن وألا تطالب بالعدالة ولا نملك
القوة نستسلم إلى الذل والهوان .

• لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب واليزان ليتقون الناس
بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس .

• سوى الإسلام بين الناس وألغى الفوارق والامتيازات وحرم العصبية
الجاهلية .

• وضع الإسلام أساس العدالة القضائية والاجتماعية .

• أوجب مقاومة الظلم والجور والاستبداد .

• ويريد الذين يعادون الإسلام دوام إثارة الثغرات والعصبية ونعيق
الاحقاد العادلة وإلهاب المشاعر القومية وإدامة الصراعات والنزعات العاطفية
والفرقة وتمزيق شمل الأمة .

(٨)

دعا الإسلام إلى حماية الطفولة فدعا إلى حسن اختيار الأم وإن لا يكون
الاب سكيراً أو عربداً أو غيرها من الوراثيات الصحية كما دعا إلى الأسوة
الحسنة (أن يكون مرتفعاً عن الشبهات من نصرانية أو مجوسية أو غيرها)
ودعا إلى التوجيه والنشيق وأن يكون الاب حازماً وحاسماً (لا ترفع عليك
عن أهلك) ودعا إلى تربية الزوجة أولاً والشعور بالنبوة والمسئولية ووظائف
الإسلام ومفهومه هو :

التمييز الواضح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة والحيلولة دون امتزاجهما
أو تحول إحدهما إلى الأخرى ، وعلى المرأة أن تعرف ما هي الصفات التي تمثل
رجولة الرجل والتي يكون فيها الرجل أهلاً للاقتراح بها .

٩ - الماضى

فى الشرق تزداد الدعوة إلى انتظام الماضى وإحتقار الماضى، يدعونا إلى ذلك دعاة التغريب، وإكن كتاب الغرب يفهمون الماضى على نحو آخر، يتمثل فى أقوى صورة فيما يقوله سيثرون الذى يقول: إن الحاضر ليس سوى امتداد للماضى ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة وأن نعالجها معالجة صحيحة وأن نرسم الطريق إلى المستقبل إلا بالرجوع إلى الماضى وإدراك الأسباب الفاعلة والعوامل المؤثرة إلى خلق تلك المشاكل. والصعوبات التى تواجهنا كلها لها جذورها وأصولها فى التراث الذى تسلمناه من الأجيال السابقة كما ورثنا عن الماضى المشاكل، كذلك نكتسب فى تجربة وحكمة. إن الذى يحفل ما حدث قبل ولادته سيقبى دوما طفلا. (٢) أن لانهار الأمم أسباباً كثيرة من أجلها وأقسامها قطع العام بالماضى. وإن من جملة ما ينهب النفوس من نيران الظلام فى هذا العصر هو قطع الصلة بالماضى إلى قطع الصلة بالحكمة التى قام البرهان على استمرار حقيقتها فإذا قطعت الصلة بها قطعت رأسك قبل أن تقطع الصلة بها) الحاضر مبنى على صلة الوصل العظيمة التى تربط بين الإنسان والغير، والغير بمعنى الإنسان الآخر، الغير بمعنى العالم الذى نعيش فيه، ولا أقول الغير بل أقول ما يروج فى الفكر من ربط الصلة بينه وبين باطن الإنسان، هو الحق المطلق الذى فطر الإنسان على محبة الإطلاق فيه وله ومنه وإليه وهو الله. أى نقطة التوصل تكون بين الإنسان وغيره: والإنسان والعالم وبين الإنسان والله. وهى المعرفة وهى نقطة التوصل أيضاً فى الحاضر ليكون هذا الحاضر مشرقاً والمستقبل واطئ العالم بالتخطيط والعام بالواجب.

(نسوا الله فأنساهم أنفسهم)

الحقيقة إن الإنسان لا يستطيع أن يقطع ما بينه وبين الماضى:

الروح في مصر

١٠ - روح مصر

إن القول بأن روح مصر نشأ من تأثير الوسط الطبيعي في شعب مصر أو من عوامل قبل نزول دين موسى ودين عيسى ودين محمد قول باطل فإن كل ما في روح مصر من عوامل القوة إنما مرده إلى التوحيد الذي جاء به إبراهيم وموسى وعيسى ثم جاءت به الرسالة الخاتمة : رسالة محمد ﷺ أن كل ما ينسب إلى مصر من إيجابيات سواء من قدرتها على الاحتفاظ بمظهرها أو مكافأة الغزاة بصلابة أو الاحتفاظ بوجودها أو صهر كل من يفد إليها بروحها فإن ذلك يرجع إلى هذا الإيمان بالله تبارك وتعالى وحده وليس إلى عامل آخر من تجربة أو عنصر أو وسط مما يردده الكثيرون .

وهل يمكن أن يوصف العرب بأنهم فاتحون أو الترك بأنهم غزاه وهم في حقيقة الأمر مسلمين ، وهل يمكن أن يوضعوا على درجة واحدة مع الفرنسيين والإنجليز .

البطولة في الإسلام

١١ - البطولة

مفهوم البطولة في الإسلام يختلف عن مفهومها في غيره من المجتمعات والثقافات المختلفة ذلك أن الإسلام يجمع بين النظريتين الاجتماعية والفردية في كل متسق جامع ، فالبطل يأتي نتيجة حاجة المجتمع إليه ثم هو يصنع المجتمع آنفاً . والبطولة في الإسلام تتمثل في مثل كامل هو النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه رسولاً من لدن ربه فهو الذي نشأ في الجزيرة العربية ثم هو الذي أخرج الجزيرة العربية من الظلمات إلى النور وغيرها وغير العالم كله ، وهذا إلى مفهوم التوحيد بإذن ربه ووحيه . ولقد كانت البطولة العربية قبل الإسلام بطولة الكرم والشجاعة والنجدة فاحتفظ لها الإسلام بهذه القيم بعد أن غير مدلولاتها وبواعثها فلم يعد الكرم من أجل المفاخرة به أو النجدة من أجل اللباقة جاء

أو الشجاعة من أجل الظهور، بل أصبح ذلك كله من أجل التماس مرضاة الله . ومن ثم فقد نقاما الإسلام من زيف الآخر والمباهاة وحررها من التوجه إلى غير الله ، ولقد كان مفهوم الإسلام في تكريم البطولة بعيداً عن الأ-جار فقد كرم الإسلام حمل الماحدين ولم يكرم الأفراد لذواتهم وبذلك سما بالقيم العملية وحال بين الأبطال وبين التقديس أو عبادة الأبطال الذي عرفته الأمم الأخرى فأنكر فالفكر الإسلامى لا يخلد لبطل لحمه ودمه ، أو يصنعه من الحجر والجرانيت وإنما يخلد عمله وذكره ، وكذلك فهم المسلمون أن البطولة ليست في الفرد ذاته وإنما في عمله فإذا أختار الرسول محمد صلوات الله عليه وسلامه الرفيق الأعلى فعلى الرسالة أن تبقى وتستمر ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات وقد عزل عمر خلداً عن القيادة أوج النصر خيفة أن يفتن به الناس به وليعلمون أن الله هو صانع البطولة والأبطال . والبطل المسلم يلتزم بعمله وجه الله ولا ينسب لنفسه شيئاً من الفخر وقصة صاحب القبة معروفة ذائعة. ولقد رسم القرآن الكريم صورة رائعة للبطولة وجعلها دائماً في مواجهة المسلمين لتكون العبرة قريبة إلى نفوسهم وكل أبطال القرآن أبطال مقاومة لا يستسلمون أمام الظلم ولا يخون رؤوسهم للعدوان ولا يخافون غير الله ولقد كان البطل دوماً في مفهوم الإسلام (استجابة) لحاجة الأمة والمجتمع يبعثه الله في وقت الأزمة ليصلح به الأمة ثم هو بعد ذلك يضع الأحداث ويقود انبعاثه إلى مرحلة جديدة على ذروه موجة من موجات التقدم .

(٢) في مفهوم الإسلام يكون تقدير الشخصية في كونها نموذجاً مستقلاً يستلهم رسول الله ، عاملاً على الدفاع عن العقيدة ، على طريق القرآن في إطار حياة فاضلة عاملة في سبيل الخير والحق ، يضيف جديداً إلى البناء القائم في مجال الثقافة أو الحضارة ويكون الاحتفال بالأعلام بالترديد بأقذارهم واستخلاص العبرة من حيواتهم بما نستنهض الغرائم والهمم ودعم الثقافة وتجديدها .

ولا تستبعد أن تترافق المزايا في شخصيات لم تحظ بالشهرة في عصرها ولم يكن لها في يوم الذكر على نطاق واسع ، وإن تحول الذكر لا يعنى تحول القدر ، والقصص في الشهرة لا يستبعد في جميع الأحوال النقص في المقدرة .

الانفجار السكاني

إن الغرب يعمل جاهداً على زيادة النسل في أوروبا وأمريكا ويضع لذلك مغريات لا حد لها ليشجع الأسر على التناسل ، وفي نفس الوقت هو الذي يحرم لواء الدعوة إلى تحديد النسل في البلاد الإسلامية ، ففي أوروبا مكافآت عالية لكل أبوين عن الطفل الثالث وفي روسيا ميدالية نخر الامومة للأمهات المنجبات لأكبر عدد ممكن من الاطفال . أما في بلاد الإسلام فإننا نجد الحملة الواسعة الماثرة تحت اسم الانفجار السكاني وبينما يجمع العلماء على أن العالم يواجه كارثة إذا تقلص نموه السكاني (كما تقول بول برليس) في كتابه القنبلة البشرية (١٩٦٨) .

وإن المواد البروتينية الموجودة في البحار لاتزال بكرة ، وإن ما يستعمل منها حتى الآن لا يزيد على ٧٥ في المائة وإن الزيادة السنوية تبلغ ٣٠ مليار طن ، بينما يستعمل الإنسان ٦ ملايين طن . فإن هناك محاولة لا تتوقف بإقناع المسلمين بخطر زيادتهم .

يقول البروفسور خورشيد أحمد الاسناذ بجامعة كراتشي في بحثه الإضافي عن سوء نية الغربيين والتخطيط الاقتصادي لادامة سيطرة الدول المتقدمة على الشعوب النامية : ما يلي :

« إن آسيا والعالم الاسلامي هي أكبر مناطق الارض اليوم ازدهاما بالسكان وما عدد السكان في البلاد الغربية إلا قليل وأن هذا التفوق السكاني سوف يقضي على الأسس التي أقامها الغرب لسياسة في العالم منذ القرون الخمسة الماضية ، وعلى ذلك التفوق الفني والعلمي الذي كان له على الشرق والذي به استطاع أن يقيم احتكاده السياسي على العالم . »

وقد آمن الاستعمار بأن الغرب يوسع أن يحفظ باختكاره العلمي على العالم إلى أبعد الابعاد على الرغم من قلة سكانه ، ولكن الأوضاع الحالية والحفاظ الجديدة

في العالم قد فندت هذا الخيال الخاطيء . وأما طت اللثام عن وجه الحقيقة وأنه لأجل التناقض المستمر في عدد سكان البلاد الغربية فقد ظهرت بوادر الانحطاط والافول في السياسة بعد الحرب العالمية الاولى وبخاصة أن خطة تحديد النسل ضررها أكثر من نفعها من الوجهتين السياسية والاجتماعية وكان من نتائج ذلك أن فقدت فرنسا مكانتها العلمية شيئاً فشيئاً ، وأعلن المارشال بيتان : قرب الحرب العالمية الثانية أن الأسباب الأساسية الرئيسية التي عملت على توهين فرنسا وإزاحتها عن مكانتها العالمية هي قلة عدد الاطفال والسكان . وقد بدأت آثارها السيئة في خياة انجلترا وغيرها وأوجست خيفة من آثارها السويد وألمانيا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا .

وشعرت هذه الدول بحاجتها الماسة إلى إعادة النظر في خطه بشأن عدد السكان ، ولذا فهي تهذل الآن جهوداً متتابعة لزيادة عدد سكانها بدلاً من تقليله — إلا أن الغرب لن يستطيع مع كل هذه الجهود أن يزيد عدد سكانه إلى حد يستطيع معه أن يحتفظ بمكانته السياسية ويبقى متربعا على عرش السياسة العالمية — بل الذي لاشك فيه أنه سيكون عاجزا في المستقبل عن مقاومة الشرق والعالم الإسلامي مهما بذل من جهود لزيادة عدد السكان في أقطاره .

ومن هنا يتبين لنا :

(أولاً) : ارتباط أبعاد هذه المحاولة الخطيرة التي يقوم بها الغرب لإيقاف النمو السكاني والتفوق البشري .

(ثانياً) : إيقاف القدرة على استعمال التكنولوجيا والسيطرة عليها وتحويل إرادة المسلمين لتوجيه مقدراتهم وثرواتهم الاقتصادية والمالية إلى طريق الاستهلاك والترف .

ثم يقول الدكتور خورشيد : إن هذان أمريكا وكل ما يبذل من النصائح والمواعظ في حل مشكلة السكان إنما هو نتيجة — إلى حد كبير — لشعورها بمخطر تلك النتائج والمؤثرات السياسية المتوقعة على أساس تغير الأحوال في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وهكذا يتبين لنا : لماذا يخطط الغرب وينظم ويساعد على تحديد النسل بالنسبة إلى العالم الإسلامي فقط ، دون أن يشير إلى حقيقة الموقف ودون أن يشير إلى طبيعة التحول الاجتماعي والحضارى الذى أدى بفساد المجتمعات الغربية وسيرها فى طريق الاهيار بنضب معين (الوالديه) فيها نتيجة لتدخل الأسرة وانصراف المرأة الغربية عن رسالتها واستعمال حبوب الحمل والإجهاض ووآد البنات قبل أن يولدن ، وتعاطى المخدرات وانتشار الجرائم والعنف والشذوذ الجفسى وأخيرا الانتحارات المتوالية وبخاصة بين الشباب والمراهقين.

إن علينا أن نأخذ ما يأتى من الغرب بحذر ، وأن ننظر إلى مصالحنا بمد دراسة الخبراء لكل ظاهرة من الظواهر وذلك فى إطار التعاليم الإسلامية حتى نعيش فى أمن وسلام ، إن الطاقة البشرية هى أعلى الطاقات بخاصة إذا كانت إسلامية .

(٢)

يقول الدكتور نبيل صبحى : أن هناك سرا وراء حماس الدعاة الغربيين لحملة تحديد النسل فى العالم الثالث ودعمهم المالى الضخم . النشرات تقول : إن التخضيم السكافى العالمى يتسارع بشكل سيؤدى إلى نقص الغذاء بل والمجاعة فالمصادر محدودة ، بينما التعداد البشرى فى ارتفاع مستمر بدون ضوابط ولا بد من تحديد النسل إذا أردنا الإبقاء على التوازن بين مصادر الطبيعة وسكان المعمورة .

تقول مجلة هيئة الصحة العالمية : لدى كوكبنا الأرضى مصادر كافية لتغذية كل سكانها بأسلوب مرض الآن ولعشرات السنين المقبلة (٨ أبريل سنة ١٩٨١) متى كانت مؤسسات فورد وركفلر تحس بالآلام المسحوقين فى العالم الثالث وتخاف عليهم نقص الغذاء الذى قد يحصل فى المستقبل البعيد ، كما يدعون ، لماذا يملون المجاعة القائمة الآن فى إفريقيا كالصومال والحبيشة وأوغندا وتشاد وغيرها ، ولماذا لا يهتمون بالمذابح الجماعية التى يرتكبها طغاة العالم ، شرقا وغربا بالرغم من شرعه حقوق الإنسان .

يقول روجيه جاردوى : إنه من العبار أن نسمع المؤتمر السكاني الديمغرافي في بونارسيت يقول : أن إيجاب أقل عدد ممكن من الأطفال يجلب العالم مشاكل الجوع في الوقت الذي نعرف جيدا أن باكستانيا أو هنديا يستهلك أقل مما يستهلكه زميله الأمريكي في كاليفورنيا بأربعمائة مرة وهذا يعني بكل بساطة أن عشرة آلاف من المواليد الأمريكيين أكثر خطورة على التوازن العالمي من أربعة مليارات من المواليد الهنود أو الباكستانيين . والمسألة إذن ليست في تحديد النسل كما طالب مؤتمر بوخارست لأن الدواء القائم في أسلوب ونمط النمو الاقتصادي الموجود في الغرب بينما يمكن الدواء والخل في ضرورة تغيير تصرفات وأهداف العالم الغربي ، ولا ينبغي أن يحزب عن بال أنه أن التعليم المادي الذي ترنح المجتمعات الغربية في بحبوخته مبنى على بؤس سكان العالم الثالث وهم أربعة أخماس المعمورة ، وليس من المعقول أن يستمر خمسمائة مليون من الغربيين في تنعمهم ورفاهيتهم ، بل في بذخهم في الوقت الذي يوجد في الضفة الأخرى من العالم حوالى أربعة مليارات من الجياع يعيشون في فقر مدقع .

(٣)

يقول الدكتور مالبانوم : العالم الثالث وغالبية مسدده هو موضوع الدعوة إلى تحديد النسل : . إن النمو الاقتصادي يستهلك زيادة السكان ويبقى مستوى المعيشة على حالة : فساد حكومات العالم الثالث ويقول الدكتور كيننال تعليقا على قول البروفسور مالبانوم (سبتمبر ١٩٦١) : لقد زاد معدل الإنتاج القومى ٥٠ في المائة ما بين ١٩٥٠ / ١٩٥٩ في بعض دول أمريكا اللاتينية رغم أن الزيادة السكانية كانت ٣ / أى أكثر من أى زيادة سكانية في سائر جهات العالم وهناك أمثلة مشابهة في الصين الشعبية والمكسيك ، هناك بديل عن تحديد النسل ، هو الاستقرار السيسى والامنى للمجتمعات والنفسى لجماعات . تحديد النسل عالم الشمال مركز فيها أهالة في الإبقاء على مستوى رفاهية على حساب الآلام المعدية والمجرومين في عالم الجنوب .

(٤)

تقول مجله تايم (أكتوبر ١٩٧١)

لتحديد للنسل في العالم الإسلامي صلة بالسياسات التي يخططها أعداء الإسلام لبلاد الإسلام ، فإذا ما قام أحد المفكرين المسلمين بتسفيه دعوة تمديد النسل وربط تنظيم النسل على مستوى الفرد والمجتمع بمعنى الضرورة الشرعية التي يقدمها العلماء العدول في إطار الشريعة الإسلامية إذا قال هذا أنبرت له أبواق للغريبين والمستغربين بالتهم تكاليفه زورا وتهبانا ، رجعية وتعصب وتأخر وانفلاق بينما لم تهاجم الأبواق الإسرائيلية وزعمائها .

قال بوجوريون عام ١٩٠٦ كانت أمنيقي رؤية مليون يهودي في هذه البلد (فلسطين) واليوم ١٩٧١ يحتاج لثمانية ملايين وليس لدينا إلا ثلاثة ملايين . كل يهودية قادرة لاتلد على الأقل أربعة أطفال صحاح تهرب من واجبها تجاه الشعب اليهودي .

يعلن العالم الفرنسي رنيه آدمون أن الإنتاج الغذائي يكفي لسد حاجيات سكان الأرض وإن البلدان النامية بنوع خاص لن تجد المواد الغذائية اللازمة لمقابلة تزايد سكانها ف منذ عام ١٩٥٩ أي منذ ١٧ سنة إلى الآن لم يرتفع الإنتاج الغذائي بالنسبة للفرد بل يهقر في بعضها كإندونيسيا والهند والشرق ، وهذا مايفسر المجاعات التي استشرت في السنوات الأخيرة ، يموت كل سنة خمسة ملايين إنسان من سوء التغذية .

ديون العالم الثالث تبلغ الآن ١٤٠ مليار دولار فلابد فيها من دفع ثمن سياسي إذا أرادت البقاء والتمسك السياسي لانعماي الخسوع والانهيار . الولايات المتحدة أكبر مصدر للحبوب في العالم تعتبره سلاحا استراتيجيا لرهب من القنابل الهيدروجينية .

(٥)

يقول ارثر كرمول : إنه لما يعجب الناس في البلاد المتقدمة إعجاباً نظرياً بزداد أن عدد سكان الناس في البلاد غير المتقدمة يزداد كذلك أنهم يرون في زيادتهم المضطردة خطراً داهماً على مستواهم الرفيع في المعيشة وعلى سلامتهم في السياسة . يقول ميك كارل : إن أهل الشرق إن يلبثوا إلا قليلاً حتى يطلمعوا على حقيقة هذا الحرم ثم لا يفتفرونه لأهل الغرب لأنه استثمار من نوع جديد يهدف إلى دفع الأمم غير المتقدمة ، ولا سيما الأمم السوداء إلى مزيد من الذل والخسف حتى تتمكن الأمم البيضاء من الاحتفاظ لسيادتها وقيادتها للعمل وهي لذلك تدهوها إلى العمل على نشر حركة تحديد النسل ، ومتع الحمل في بلاد آسيا وإفريقيا في نفس الوقت الذي تعمل فيه البلاد الأوروبية على زيادة سكانها وتستعين في ذلك بأحسن ماعندها من أساليب الدعاية . يقول العلامة علال الفاسي : أن أكبر الخطر أن تدرس حركة تحديد النسل منفصلة عن سياقها السياسي والتاريخي فنحن لا نستطيع أن نفهمها على حقيقتها إلا داخل نطاق التحدي فإذا أضفنا إلى هذا الخطط الصهيونية لإجلاء العرب عن فلسطين وتهجير أكبر عدد ممكن من اليهود وخلق حركات داخل كل بلد إسلامي من الأقليات التي يصل فيها التعصب إلى الانفصال عن الوطن الوالد ، عرفنا أن التنقيص في عدد المواليد لا يخدم إلا قضية الاستعمار والصهيونية .

إن سكان الولايات المتحدة يمثلون (٦) في المائة من مجموع سكان الكرة الأرضية ويستهلكون ثلث النفط وربع الحبوب ونصف الفوسفات وما يستهلكه أمريكي واحد من المواد الغذائية يساوي ما يستهلكه خمسمائة هندي ، ما يستهلكه الأمريكيان يعادل استهلاك ٤٠٠ مليار هندي فضلاً عن إلقاء ما يزيد عن الحاجة في البحر من اللبن والبرنقال والقيح .

(٦)

دعوة تحديد النسل والسموم التي تطرحها :

تبين أن المجتمعات القبلية والإفريقية التي تضطلع فيها المرأة بمسؤولية
الزراعة تنخفض منها معدلات الخصوبة بدرجة أكبر من المجموعات التي
لا توجد منها للنساء أنشطة اقتصادية ولذلك يجرى إيجاد دور تؤديه المرأة
في التنمية الاقتصادية للحد من كثرة الإنجاب ، كذلك فإن المعلم يبدد
شعور المرأة بالخوف أو النقص فلا تنجح إلى كثرة الإنجاب لتأمين حياتها
إذا استمرت الخصوبة في مستواها الحالي الذي يقدر بـ (٣٨ ره لكل
أم في المتوسط) فإن عدد السكان سوف يرتفع إلى ٦٩٠ مليون عام
٢٠٠٠ أى بزيادة ٨٩ في المائة من عام ١٩٧٦ وسوف يرتفع إلى ١٤٣
مليونا بعد خمسين سنة .

والزواج المبكر يؤدي إلى إطالة التعرض للحمل وارتفاع الخصوبة
وقد كانت الحرية غير المقيدة لإيقاع الطلاق وتعدد الزواج والتفسير الذي
يلقاه المجتمع من أن الدين يحث على الإنسان الكثير ويحض على ترك
هذا الأمر بغير تدخل إنساني خشية الوزر أقول أن هذا العامل أسهم
في زيادة السكان .

كل هذه المعلومات تطرحها وسائل تنظيم الأسرة لتدمير مخطط التفوق
البشرى في العالم الإسلامى وتحطيمه والله غالب على أمره .

ولن يستطيع التعليم ، ولا تأخير الزواج ، ولا إقامة المعوقات من
من فرض موقف معارض لطبيعة الأمور ، وعلى الذين يرغبون في التخفيف
من متاعب النمو السكانى أن يبحثوا عن وسائل أخرى باستغلال هذه
العناصر واستخدامها فى البناء .

ومن الخطأ على المسلم أن يقول أن الأرض لا تحمل حلاً لمشكلة الغذاء
لأن الله تبارك وتعالى قرر أنه أودع كونه الجبل لكل مشكلة ، الكون

يحمل الرغد (يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله) من
أن تأتي مشاكل المادية والخوف (فتأذقها الله البأس والجوع والخوف)
وقد أعلن الله تبارك وتعالى أنه قدر في الأرض أولياتها وأنه أودع في
هذه الكون كل حاجته ، الحل هو تمكين القلب الإنساني (القلب الذي
يعقل) ويصححه على ذلك . الأصل في الكون المادى يحمل من نعم الله
والإله ما يحمل مهما كل الإنسان المادى . يحمل إجابته مقنعة يصل إليها
الإنسان بالسعى والبكد والكشف عن مصادر الرزق .

الباب التاسع
التاريخ الإسلامي



(١)

لأبد من تقديم مجموعة حقائق أساسية في مفهوم الإسلام للتاريخ ، يختلف بها عن المفهوم الغربي :

أولاً : يبدأ تاريخ المسلمين منذ بدأ الخليفة وينتهي تاريخهم يوم يجمع الله الرسل وهو صراع بين دعوتين . دعوة الله ودعوة الطاغوت ، ونزاع بين معركتين : معركة المؤمنين ومعركة الكافرين ، واصطدام بين منهجين : منهج الإسلام ومنهج الوثنية ، وهو في مجموعة حلقات متصلة بقيادة الانبياء والرسل في مواجهة الوثنية والمادية .

ثانياً : ليس تاريخ الإسلام ما يسمى تراكم التناقضات في العلاقات الناشئة عن طبيعة وسائل الإنتاج ، وليس هو مجرد أحداث توافرت لها أسباب معينة صدقة فافترزت نتائج عفوية تحكمت فيها ظروف الزمان والمكان .

ثالثاً : وحدة الأمة الإسلامية عبر التاريخ كله وحدة واضحة في مسارها ودعوتها ، ومنه يتبين أن منهج الله تعالى واحد ، وإن تعددت فصوله ومنهج الوثنية واحد وإن تعددت صوره وامتحان الله تبارك وتعالى للمسلمين وابتلاء المؤمنين واحد غير التاريخ ومنهج تربية المسلمين وتأهيلهم للجهاد واحد عبر التاريخ ووعد الله المؤمنين بالنصر واحد عبر التاريخ وسنة الله تبارك وتعالى واحدة عبر التاريخ .

« يريد الله أن يهديكم سنن الذين من قبلكم ، »

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، »

رابعاً : رسالة الانبياء واحدة من لدن آدم (عليه السلام) إلى محمد ﷺ في مواجهة الوثنية والمادية والاباحية (ظهر الفساد في البر والبحر) ، زين للناس حب الشهوات)

خامساً : الدعوة إلى الله هي العمل الدائم المستمر في مواجهة المحاولة البشرية الدائمة التي تعمل على طمس معالم التوحيد وإذاعة الوثنية وتنتهي المعركة دائماً بانتصار أصحاب الحق ويزيل الله وجود الأمم والحضارات التي خرجت عن طريق الله .
وعن رسائل الإصلاح ،

(سادساً) لا يعرف التاريخ البشري فترة لم يكن الدين فيها مؤثراً إيجابياً في حياة الإنسان وجميع الأنظمة السياسية والاجتماعية التي قامت منذ بداية التاريخ قامت على معتقدات دينية وإن الدين أسرع مؤثراً في الاخلاق لا يدانيه مؤثراً آخر.

وسر قوه الدين العظيمة ، هي كونه العامل الوحيد الذي تتوحد به منافع الأمة ومشاعرها وأقطارها ، ويقوم الدين مقام جميع العناصر التي يتكون منها روح الأمة : ويرجع ذلك إلى قوة تمكن المعتقد في النفوس .

(سابعاً) يرد (ارتولد توينبي) قيام الحضارات العالمية الكبرى إلى الأديان . ويرى أن وراء كل حضارة من الحضارات القائمة اليوم ديانة عالمية ، فالعقائد الدينية هي التي تسير مجرى التاريخ ، وإذا كان هناك مستقبل لحضارة ما ، فذلك في حدود الدين ، وبسبب منه فالدين هو العامل في إنشاء الحضارات على مدى التاريخ . الوازع الديني هو الذي حث الضعفاء من النساء والأطفال والعبيد ضد شروء الأقوياء ، ويقول : لن تحقق البشرية وحدتها المرتجاة من غير مشاركة الله فوأسقطت المرشد العلوي من اعتبارها لاندفع الانسان إلى اللغته والتنافر ، وهو ما يحاف طبيعته القائمة على الألفة والمعاشرة ، والبناء الاجتماعي يزداد قوة كلما ازداد الإنسان قدرة على أن يرتفع بحياته إلى تحقيق الاحتياجات المعنوية لطبيعته الاجتماعية فإن ملكوت الله هو ميدان العمل الوحيد المسلم به أخلاقياً والدين هو الذي يهيئ للنفوس البشرية اكتساب زعامة ملكوت الله على الأرض والإنسان يساهم بقسط غاية في الضآلة في سير التاريخ الديني وهو قسط يكفل له تأدية دوره في الأرض ولكن على أنه مساعد ذو إرادة لإله يضفي سلطانه على جهود الإنسان لتأدية رسالته فيكون لها قيمة ومعنى ربانيين .

(عمود الشرقي)

(٢)

التفسير المادى للتاريخ الذى عرفه الغريب لا يصاح لتفسير تاريخنا الاسلامى بل إن التفسير المادى نفسه ما استطاع أن يقول الكلمة الأخيرة التى لا تترك مجالاً لجديد يقال فى تفسير التاريخ ، بل إن الإنسانية لم يتوقف سيرها عند ماركس -- كما تقول دكتورة بنت الشاطىء ، بل تابعت سيرها وقد تقدم علم الإنسان فأدرك أن الجماعات والشعوب ليست أفراداً فى قطيع يخضع لنظ واحد من السلوك وتضبطه قواعد صماء كالتى تضبط قطعان الدواب وشهد عصرنا أحدنا كبرى فى حياة الأمم والشعوب أضافت إلى موازين القوى قىماً إنسانية لم تدخل فى حساب الماديين وتقول . عرضت العامل المادى على تاريخنا فلم يقبله الأمن حيث اتصاله بالعامل الدينى الذى يلقانا حينما رجعنا البصر فى الوجود التاريخى لامتنا ، مستقطب سائر العوامل الأخرى مادية ومعنوية فى تفاعل مؤثر لا يغلبه أى عامل منها .

ما من كتاب طالعته فى الحضارات الأولى والتاريخ القديم لم يكشف عن سيطرة العامل الدينى وعمق نفاده فى الشرق مهد الحضارات ، مهد الأديان والرسالات ، هذا يعنى ارتباط التاريخ الحضارى لشرقنا العربى بالإنسان الدينية ، معتقدات دينية وأساطير دينية سابقة على اليهودية والمسيحية والاسلام فيها عناصر شبيهة بما جاءت به الرسالات السماوية . تعقبت مصر القديمة فى التوحيد والايان بالبعث والحداب فى الحياة الآخرة ، إن القرآن فيما يقضى علينا من مصائر الأمم الغائرة يزودنا بوثائق تفسير دينى لتاريخنا ، كيثوق كل ما جاء فى قصص الانبياء وشرائعهم فإذا كان مثل هذا الوثيق يعوزنا فى كتب مشكوك فى صحة متونها ، نفسبنا أن نرد إلى القرآن ما يكتشفه الآثريون أو الباحثون من بقايا الرسالات الدينية فى معتقدات شعوب الشرق القديم . إن رسالات الدين لم تبدأ بالتوراة ثم الإنجيل والقرآن ليقال أنها إقتبست من المعتقدات الدينية للشرق القديم . الدين أسبق من كل الحضارات المعروفة لنا والمجولة .

فلقد كانت حضارات وديان النيل والرافدين ، والسند أقدم من الموسوية بآلاف السنين . إن هذه الحضارات نفسها المسبوقة بمراسلات الأنبياء المبعوثين في أمم بادت كعاد وثمود وسبأ والتاريخ الديني موغل في ماضي البشرية من عهد أبيها آدم ومن بعده نوح ، ووجود عناصر دينية مثل ما في الكتب السماوية الباقية في التراث الشعبي للأمم الحالية كالفراعة والبابليين والاشوريين شاهد على أن هذه البشرية لبثت على طول الزمن وقدم العهد بالرسول الأولين تحتفظ في وعيها ببقايا من الرسائل الأولى مثلما احتفظ العرب في الجاهلية ببقايا من دين الحنيفية ، على قدم العهد بإبراهيم عليه السلام مختلطة بشوائب من طقوس وثنية آلت إليهم من قديم الحقب وكان من أصنامهم في الجاهلية الأخيرة (ود ، وسواع ، ويعقوب ، ويعوق ، ونسرا) وهذه الأصنام الخمسة مما عبد قوم نوح قبل الطوفان في الخبر الثابت عنهم بنص القرآن الكريم : (وقالوا لا ندرن آلهتكم ولا ندرن ودأ ولا سواعاً) (الآية) سورة نوح وفي هذا رد على الذين يتشدقون بكلمات جاهلة حينما يقولون : وجاءت الأديان يقصدون اليهودية والمسيحية كأنما لم تكن هناك أديان منذ نوح .

٢ — وهناك خطأ نظره وحدة العرق والدم كشرط للانتماء وبطلان الوحدة يفقدان التجانس الجغرافي والدمج السياسي ، وتتصور قوميات مصطنعة لدول محدثة قامت على أخلاط من قوميات شتى وأوطان متباعدة وألسنة متعددة وسجاياء متفاوتة وليس كأمتنا العريقة شعوبا مستقلة لها كيائها الخاص وترباطها جميعاً ووحدة تاريخ وتراث وسجاياء وانتماء على تباعد الديار واختلاف السلالات القديمة كتنافوت الطبيعة الجغرافية والمستويات الحضارية ، وهكذا عمل الإسلام في صهر النشوس والعقول في بولقته فمكون منها فكرا واحداً جامعاً .

(٣)

ومن أخطر المخاذير التي تواجه دراسات التاريخ الإسلامي المعاصرة :
(أولاً) التوسع في إيراد المغائر الشخصية بينما تختصر الأعمال
الكبرى العامة .

(ثانياً) سيطرة الروح القومية على التاريخ الإسلامي : هذه الروح
القومية تتنافس تنافضاً واثماً مع الحقائق الأساسية لأن تاريخ الإسلام
في عصر الراشدين والامويين والعباسيين كان تاريخياً للمسلمين كهم ولم
يكن تاريخ العرب وحدهم وكان من صناعات بطول البربر والأتراك والفرس .

(ثالثاً) التحدث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالتحدث عن
اخناتون ونابليون .

(رابعاً) إخلال كلمة العرب بدلاً من كلمة الإسلام والامة الإسلامية .

(خامساً) محاولة إثارة دعوى باطلة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم
إنما بعث للعرب وحدهم وتجريد النبي عليه السلام من طبيعته حتى يبدو
وكأنه ليس أكثر من داعية أو مصلح سياسي أو اجتماعي أو أن دعوة
الإسلام لاتعدو أن تكون ثورة من الثورات .

(سادساً) تجريد الدعوى الإسلامية من أساسها الفكري ورسالتها
الأساسية في بناء العقيدة .

(سابعاً) إخماد الروح الإسلامي التي لها أثرها التربوي في النفس
المسلم وتجريد المعارك الإسلامية من نفحات النبي ومن تأييد الله ويقديسونها
بمقاييس مادية بحتة .

(ثامناً) : في الكتابة عن الهجرة أغفل المؤلفون جوانب رعاية الله
ودكروا على عصر الاحتفاء وغفلة قريش وعدم رؤية أحد للنبي .

(تاسعاً) في موقعة عين جالوت تجاهل المؤلفون نداء «واسلاماء» .

(عاشرأ) عند الحديث عن غزوة أحد لم يذكر المؤلفون عدد الجيش الإسلامي .

(حادى عشر) في الحديث عن معارضة قريش للإسلام ذكره أن السبب في ذلك هو خوف قريش على مركزها التجارى ، وهذا تحليل ماركسى فإن قريشاً قد عرضت على الرسول التنازل عن كل شيء له ولكنه رفض ، فقد كان الصراع صراع عقيدة ولم يكن الأمر اقتصاداً .

(ثانى عشر) التركيز على المعارك : وإهمال الجوانب الأخلاقية والحضارة الإسلامية فبدأ تاريخ الإسلام وكأنه تاريخ غزوات وحروب .

(ثالث عشر) حشد كثير من الخلافات وتكثيفها وبخاصة تلك الخلافات التى جرت بين على ومعاوية وقد تتج عن هذا سبب بعض الصحابة دون تمحيص علمى ودون معرفة بالظروف كلها .

(رابع عشر) تناول الحركات الانفصالية لحركة ابن طولون وابن طنجج الإخشيد على أنها حركات استقلالية والاولى تناول هذه الحركات على أنها حركات انفصالية يقف وراءها أشخاص مغامرون .

(خامس عشر) يقولون التوسع العربى وكان الفتوحات الإسلامية توسعات استعمارية مع أن هناك فروقا كثيرة بين هذه وتلك .

(سادس عشر) يقولون أن عمر بن الخطاب ولى عمر بن العاص مصر مكافأة له قبل هكذا كان يوتى عمر الابدور أم أن عمرو بن العاص كان جديراً بحكم مصر .

(٤)

هناك ملاحظات أساسية على أخطاء الكتاب في تاريخ الإسلام :
أولاً : هناك فرق بين تاريخنا الإسلامى دين تاريخ أى أمة أخرى .

أن الخرافات اليسيرة التي رويت في ثنايا تاريخها رويت منفصلة عن تاريخنا نفسه ، أما التاريخ اليوناني أو التاريخ الهندي فلا يمكن تخليصهما من الخرافات ، وقد امتزجت بعناية الأمتين وأدبهما وحضارتهما وحياتهما الاجتماعية وبينما نرى الإسلام يجب ماقبله ، ويفصل بين العرب وبين جاهليتهم فصلا مبينا وفي حياتهم الدينية على الأخص إذ بنا لانزال نرى حاضر الأمة الهندية والأمة اليونانية مثلا ملونا بحالتيهما .

ثانياً : إننا نحن المسلمون نستطيع أن نؤرخ أحداث بلادنا في العصور الوسطى من غير أن نذكر ملوك الروم والفرنجة والإنجليز ولكن الروم والفرنجة والاسبان والإنجليز لا يستطيعون أن يكتبوا تاريخهم الوسيط إذا هم أهملوا ذكر عمر بن الخطاب ومعاوية ، والوليد ، وهارون الرشيد ، وعبد الرحمن الناصر وصلاح الدين ، ويوسف بن شفين أو مسلمه بن عبد الملك أو موسى بن نصير أو طارق بن زياد ، أو عبد الرحمن الغافقي .

ثالثاً : من الظلم الحكم على العصر الأموي بتصرفات فردية ليزيد بن معاوية وتنسى الفتوحات العظيمة في عهد معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وتنسى عهد عمر بن عبد العزيز الذي تحقق فيه الاكتفاء الذاتي وتنسى أنه في العصر الأموي وصلت الدول الإسلامية إلى أقصى حدودها في آسيا وإفريقيا وأوروبا والفتوحات لا تتم إلا بقوة الإيمان وتحقيق العدل وتحقيق الأمان .

رابعاً : كتابات التاريخ الإسلامي عن طريق الاستشراق تنسم بالحدق والعداء وتلمس السقطات والهفوات التي يبرزونها ويكبرونها عن عمد ، ومن ذلك ما كتبه جرجي زيدان عن عذراء قریش وكتابه فتاة غسان وهو لم يكتب إلا في الفتن الإسلامية ليزيد النار إشتمالا ثم كتب المثالب وتلمسها .

خامساً : يعتبر المؤرخون الغربيون (سقوط الدول الرومانية) حداً

فاصلا بين العصور القديمة والمتوسطة ، بينما هناك ما هو أعظم وأجدر بأن يكون حداً فاصلا لفترتي التاريخ البشرى : ألا وهو (ظهور الإسلام)

(٥)

يقف المؤرخون الغربيون موقفًا مريبًا أزاء معجزة انتشار الإسلام ويعللونّها تحليلًا ماديًا وقد أجمع المؤرخون المنصفون على أن سرعة انتشار الإسلام أمر فريد عجيب على مدى التاريخ ذلك أن العرب لم يكونوا من السكّنة العددية ولا من قوة العدة والسلاح ولا من حذق الفنون العسكرية ولا من حضارة العلم والمدنية بالقدر الذى يوازي خصومهم ويرى المؤرخون أن سرعة انتشار الإسلام إنما ترجع إلى أنه كان أفضل نظام اجتماعى وسياسى تمخضت عنه العصور وإن سيادته ترجع إلى أنه وحد فى كل مكان أمّا استولى عليها الخول ، وفشا فيها النهب والعسف ، فلما جاءها الإسلام لم يجد إلا حكومات مستعبدة مستأثرة مقطعة الروابط بينها وبين رعاياها وكان نظام رأس المال فى الإمبراطورية البيزنطية قائما على الاسترقاق وكانت الآداب والثقافة الاجتماعية آخذة فى الانحلال . ومنهم من يرى أن العرب كانوا إقبل الإسلام ذوى بصر بالحروب أكثر مما يظن الناس فأصبحت أمة محاربة من الدرجة الأولى ، ومنهم من ذهب إلى أن قسوة الحياة المادية والاقتصادية دفعتهم إلى التطلع إلى ما فى البلاد التى فتحوها من عيش رغيد وموارد اقتصادية ثمينة وهذا هو التفسير المادى فى ضوء البواعث الاقتصادية وخاصة الشيوعية المادية ، ولو صدق هذا التفسير المادى والتحليل الاقتصادى على الفتح العربى لاقصر العرب على فتح البلاد الحصنة ، ولما ذهبت جيوشهم وقبائلهم الزاحفة إلى البلاد الفقيرة الشحيحة النائية عن مواطنهم ، ولو لم يكن هدف زحفهم نشر الكلمة أو الرسالة التى حملهم الله تبارك وتعالى إياها إلى الناس كافة ، بل لو كان هذا التفسير المادى له ظل من الصحة لاسرع الخلفاء الراشدون الأولون الموجهون لتلك الفتوح إلى نقل مدة سلطانهم وحكمهم من مكة والمدينة وصحراء الجزيرة العربية إلى غيرها من البلاد المفتوحة .

(٦)

ثلاثة تزعموا هذه الدعوى : تفسير الفتح الإسلامى فى بواعثه ونتائجه
تفسيراً مادياً اقتصادياً هم المستشرق كارل بيكر ، البرنس كيتافى ، الاب
اليسوعى لامنس : هؤلاء الثلاثة يسمون الفتح الإسلامى بالفتح العربى
ويقولون أنه كان غزواً عدوانياً لكسب المغنم أكثر مما كان للنشر الدين
الجديد وأن الذى فتح الشام والعراق وفارس ومصر وبلاد إفريقيا لم
يكن دين الإسلام بل دولة الإسلام وأن العربية هى التى انتصرت فى هذا
الفتح لا الإسلام وجماع ما عندهم من الرأى فى بواعث الفتح بأن العرب
لما توحدت كلمتهم وصاروا وحدة متآلفة فى الجزيرة العربية بعد أن انتهت
حروب الردة ، اندفعوا بالغزو خارج الجزيرة إلى الدول القائمة على
حدودها حتى يجلبوا ما شاءوا من المغنم والأسلاب ويحققوا لأنفسهم
مناعم الحياة التى كانوا يسمعون عنها فى بلاد الهلال الخصيب ومصر
والشاطيء الأفريقى وما كان العمل لدولة الإسلام إلا تحقيق هذه الرغبة
وتنظيم هذا الغزو والإشراف على مسيرته وتوزيع ما جاء به من الأسلاب
والمغنم ووراء هذا الكلام نزعة مغرضة غطت موقع الحق ، يزعمون أن
العرب صاروا وحدة بعد حروب الردة وأنهم بهذه الوحدة شعروا بهذه
القرمية فخرجوا للفتح ونسى هؤلاء أن الإسلام هو الذى جمع فى الأصل
كلمة العرب وحقق لهم تلك المعجزة التاريخية فجعلهم وحدة فى العقيدة
والروح والخلق ، بعد أن حطم أصنامهم من الطين والحجر ونفى عنهم
العصبية وأزال ما فيهم من بواعث الفرقة فالإسلام هو السر الأول والأكبر
فى تلك المعجزة التى حققها المسلمون فى الفتح والنصر والعقيدة الإسلامية
هى التفسير لتلك القوة الخارقة التى دفعتهم وأعانتهم على تحرير الأمم من
عبادة الأصنام وعبادة الحكام ومن ثم كان الوجود الإسلامى فى تلك
الأمم حقيقة إنسانية تحمل الناس جميعاً على الحب والانصاف والعدل
ولأنهم لى ذلك سواء لافرق بين عربى وعجمى أو أسود أو أصفر .

(محمد فهمى عبد الطيف)

(٥)

ولا ريب أن هاك خلاف عميق بين الفتح الاسلاميه وبين فتوح الاسكندر المقدوني وهانيبال القرطاجنى ودارا الفارسى . إنما فتح هؤلاء القادة مافتحوا من الافطار ليتسلطوا على شعوبها وليحكموها حكم استبداد واستبداد ولينهبوا ما فى تلك الافطار من خيرات وأرزاق وكان شريعتهم تقسيم الناس إلى سادة وعبيد فهم السادة وأبناء تلك الشعوب هم العبيد ، اما وجهة الاسلام فكانت وجهة إنسانية ، فالناس سواء فى حق الحياة ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، ولتحقيق هذه المبادئ السامية كانت الفتوحات الاسلاميه وكان ما حققته من انتصارات باهرة رائعة وكان هذا هو السبب فى بقاء الاسلام عقيدة لتلك الشعوب على امتداد أربع عشر قرناً من الزمان ، ولكن أصحاب الفلسفة المادية مازالوا يمارون فى هذه الحقيقة ، ويصفون الفتوحات الاسلاميه بأنها كانت فتوحات دفعت إليها الحاجة إلى الطعام والمال .

ومن العجيب أن هذه الوعى تجوز على بعض المؤرخين المعاصرين قد رددوها من غير وعى لموقع هذه الحقيقة الاسلاميه . أن تفسير الفتح الاسلامى تفسيراً اقتصادياً كما يقولون وربط دوافعه وأهدافه بالحرص على الأسلوب والرغبة فى المغنم هو فى منطق الحق والانصاف تفسير مغرض تنقصه كل الشواهد والدلائل التاريخية ، كما تنقصه كل البواعث والظواهر التى تجلت فى وقائع هذا الفتح وسلوك قادته وجنوده ، على أن هذا الفهم الخاطىء كان الهاجس الأول الذى ساور جبابرة الفرس والروم حين هز الفتح الإسلامى عروشهم ، وراوا حماسة أولئك الفاتحين المتأججة وجراتهم على العظمة الفارسية والبيزنطية وهى عظمة لاتناول ولا يمكن لمخلوق أن ينال منها ، فحسبوا أن الجوع القاهر هو الذى دفع بأولئك الفاتحين من قلب الجزيرة لينالوا غنائم أو يرجعوا بسبب ، وإن وضع القوات فى أفواههم بما يكفى لاستسلامهم ورددتهم إلى صحرائهم .

(محمد فهمى عبد اللطيف)

(٦)

ولقد كان من أخطر محاولات الاستشراق الشيوعي دعواه بأن حركات الانتفاض على الدولة الإسلامية هي حركات تحرر والاشادة بحركة القرامطة حتى ليفاخر شاعر عراقي متمرد بأبه قرمطى ويحاول بعض الكتاب العرب الاشادة بحركة القرامطة التي قامت ضد نظام الدولة العباسية واعتدت على الكعبة فيتحدث عنها كدعوه تقدمية تمثل اليسار الاسلامى (وألف أحدهم أطروحة حول إحدى هذه الجماعات) وهو مخطط خبيث لاجلاء الخلافات والصراعات التاريخية داخل الوطن العربى والامة الاسلامية .

إن التفسير المسادى للتاريخ الذى طرحته الكتابات الماركسية فى السنوات الأخيرة لم يقيم على فهم صحيح للإسلام وإنما قام على أساس خصومة حاقدة ، وقد ظهرت فى الفترة الأخيرة من القرن الرابع عشر أبحاث فى التاريخ تقوم على المادية التاريخية .

والمادية التاريخية تقوم كما يقول دكتور فاروق عمر فوزى على تأثر مؤرخو أوروبا ومستشرقوها بفسكرة جوينزو العنصرية فى القرن ١٩ وقد أكدوا فى كتاباتهم هذا الاتجاه العنصرى فى دراسة التاريخ الاسلامى وصوروا أحداثه فى صورة نزاع حاد بين العرب الحاكمين والشعوب المحكومة من فرس وترك وبربر كأن لم يكن فى هذا الشرق الاسلامى إلا تطاحن على السلطة والسيادة والامتيازات وليس هنا مجال التفضيل فى طبيعة هذا الانحياز العنصرى الذى شوه حقيقة دور العرب الحضارى . ومن أمثلة ذلك ما ذكره فلوتن وولهاوزن اللذين أظهرنا تاريخ القرن الاول الهجرى وكأنه صراع دموى بين العرب (بوصفهم الحكام) وبين سكان البلاد المفتوحة وقد تأثر بهذا التفسير الكثير من المؤرخين ومنهم عرب طبقوه على مظاهر كثيرة من التاريخ الاسلامى من جعلتها الحركة البابلية نفسها ، فصوروها فى صورة انتفاضة قومية إسرائيلية .

والواقع أن هذا التفسير جرد الحركة البابكية من سياقها التاريخى الشامل

وحصرها في جانب واحد بالغ في إظهاره وأكد عليه متناسيا الجوانب الأخرى .

ومن هنا تستطيع أن تؤكد فساد هذا الانجاء الذي سار فيه مؤرخون عرب على طريق المذهب المادى في التفسير التاريخى مقلدين المستشرقين الروس ، وأخطر أعمالهم محاولة إعادة كتابه التاريخ الاسلامى بمفاهيم شيوعية وماركسية مشتركة وأخطر هذه الأبحاث :

— من الحركات الفكرية في الإسلام : بندلى جوزى

— السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات . فان فلوين

— الدولة العربية وسقوطها : ولهاوزن .

ويرد الدكتور فاروق عمر فوزى هذه الخطوة إلى المزاعم التى استحدثها المستشرقون : ماسنيون وكايتانى وبرنارد لويس وكراوس والى قدمها الماركسيون اليهود بندلى جوزى ولوتسلى وايفاتوف وقد أشار الدكتور حسن قاسم العزى إلى خطر هذه الظاهرة التى تقوم على (المادية التاريخية) فى تفسير التاريخ الاسلامى ، والى تدعى أن هذه الفرق الضالة المتسامرة على الاسلام كالأقلامطة والزنج وغيرهم وكأنها تمثل نضال الشعوب المظلومة بدعوى أن العرب مارسوا الارستقراطية فى الحكم والتسلط والتعصب وأنه قد استخدمت الامكانيات المادية فى شراء ذمم وأقلام الكتاب المثقفين الأعاجم ليكتبوا فى مثالب العرب ويشككوا فى تراثهم الحضارى ودورهم فى التاريخ .

والحقيقة أن الرابطة التى ربطت بين الحكماء العرب والمحكومين من الشعوب التى دخلت الاسلام كانت فوق القبلية وكانت تقوم على العقيدة وبعد القضاء على حركة المرتدين تطابق مفهوم الاسلام والعروبة ، لقد كان تعدد الاصنام والآلهة قبل الاسلام يعنى تعدد الهوايات ولكن التوحيد وحد الهوية ، فكانت الفتوحات فى العراق والشام حروب تحرير لأراضى

عربية مغتصبة من قبل الساسانيين والبيزنطيين ، فقد اندفع أهل اليمن في الجيش العربي لتحرير الشام لآها أرض أسلافهم (الطبرى) أى أنها أرض القبائل اليمانية التى استقرت في الشام منذ زمن يعبد ، وكان الإسلام منعطفاً مهماً في تبلور الوحدة ذلك أنه نادى بضرب كل دعاوى العصبية وللقبيلية وثبت معنى أوسع للعروبة أساسه اللغة والثقافة ، وليست العربية بأحدهم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي (الطبرى) وكان لا بد أن يمر بعض الوقت لكي يندمج الموالي في التركيب الاجتماعى الجديد ودخل كثيرون في الإسلام بعد اتساع الرقعة .

والواقع أن العرب هم الذين نظموا الداخلين في الإسلام وشجعوهم على التفاعل والاندماج ، وقد غال بعض المستشرقين ومن اتبع رأيهم من المؤرخين في أن الاضطهاد الذى مارسه بعض الخلفاء أزاء سكان البلاد المفتوحة قد شمل العرب والموالي وإذا كان بعض أصحاب هذا الرأى يوردون الأمثلة على سوء حالة الموالي وأحقار بعض العرب لهم فهى أمثلة شاذة وتدل على حالات استثنائية ثم أن هناك عديد من الأمثلة تدل على التعاون والامتزاج والاشتراك في السلطة .

(راجع الطبرى ج ٩) و (السكامل للمبرد ج ٣ ص ٤١)

د اتخذ البعض من سياسة التعريب وسيلة للطمع على الامويين لان هدفهم كما يزعمون من هذه السياسة قصر الوظائف على للعرب وهذا خطأ وسوء فهم لسياسة التعريب التى تعنى جعل اللغة العربية لغة الدواوين والإدارة والسكة وكل من يجود في نفسه الكفاءة والاتقان للعربية يستطيع أن يتبوأ هذه الوظائف ووقائع التاريخ تثبت أن أغلب موظفى الدواوين والمالية كانوا من الموالي الذين يتمتعون العربية ، هذا إضافة إلى أن هشام بن عبد الملك

أمر كتابه بترجمة بعض كتب اليونان والفرس للاستفادة منها في عملية تنظيم الدولة مما يدل على تفتح العرب وموقفهم المرن تجاه نظم وثقافات الأعاجم .

(ابن النديم - الفهرست ص ١١٧)

(٧)

تواترت في الفترة الأخيرة من القرن الرابع عشر مؤامرة انبعاث الكتابات عن الزنج والقرامطة والبابكية بدعوى أنها حركات تحرورية أو حركات عدل اجتماعي قامت بذلك الدوائر الصهيونية لإفساد التاريخ الإسلامي وعاونتها دوائر الاستشراق الروسي وقد ألف عن (البابكية) من أدعى أن حركة بابك الخرمي هي انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية بينما هي ليست كذلك بل هي حركة هدم لما بناه الإسلام ونفتيت للصرح الذي أقامه الفسك الإسلامي يقول المؤرخ العباسي صاحب [العيون والحدائق في أخبار الحقائق] :

لم يكن في الإسلام حادث أضر بالإسلام والمسلمين من ظهور بابك الخرمي تلك المقالة التي تفرع منها القرامطة والباطنية .

فلما جاء هذا المؤلف الماركسي وكتب عن الحركة البابكية استباح لنفسه التهجم على جميع مؤرخي الإسلام بدون استثناء ولم ينبج من خفيظته إلا مؤرخي السريان والآرمن والفرس والمستشرقين الأوربيين والسوفيت .

ومع ذلك فقد وجهت إلى صدره حراب كثيرة أردته قتيلا وكشفت عن زيفه وغروره وانهمزت نحلته الشعبية .

(٨)

أشار كريم وفان فلوتن إلى أن الفتح الإسلامي تحول إلى تسلط عربي ضد الشعوب الأعجمية ، فإن الفتح الإسلامي ما كاد يستقر ويمد جذوره إلى المناطق الشاسعة التي بلغها حتى استحال إلى عمل سياسي انشق

بسببه المجتمع الإسلامى إلى طبقتين : طبقة السادة والولاه وقسم كبير من الرعية العربية ثم طبقة الموالى وهو ذلك الخليط من الشعوب الأعجمية المغلوبة فأما العرب فإنما خلقوا ليسودوا أما غيرهم فإنما خلقوا لمسح الطرق وخرز الحفاف كما زعموا بأن المولى كان محتقرا فى المجتمع فلا يخاطبه العربى بالسكنية ولا يتبوا أى منصب فى الدولة .

هذه الصورة لا أصل لها .

إن إسناد أى طبيعة أو باعث إلى أمة من الامم لا يصدق إلا بالاعتماد على بينات من الأحداث أو الوثائق المتعلقة بتلك الامة عامة أو بالغالبية العظمى منها فلا جرم أن تصد الأحداث الشاذة والنادرة ولا تفسر إلا ضمن دائرتها الشاذة أو النادرة وحدها .

إن هناك تماقضا بين هذا التفسير الوافد وبين الأحداث التاريخية التى يفرض أن تكون غطاء له .

(أولا) لم يثبت أن كلمة الموالى فى هذا العهد كانت خاصة بالأعاجم دون العرب ، بل كانت تطلق على كثير من العرب كما تطلق على الأعاجم بناء على أسباب لا شأن لها بالعجم والعروبة .

(ثانياً) لم نجد فى شىء من الوقائع التاريخية العائدة إلى عصر الخلافة الراشدة أو العصر الأموى ما يدل على أن العرب عموما أو غالبيتهم العظمى أو أى فئة كبيرة منهم كانت تحتقر العنصر الأعجمى أو تسعى لإبعاد الأعاجم من الوظائف النبيلة التى يجب أن لا يتبواها إلا العرب ، بل الذى رأيناه فى هذا الصدد يقرر العكس تماما . عطاء بن أبى رباح مولى تولى أفتاء مكة وكان ينادى الخليفة الأموى فى موسم الحج (لا يفتى الناس إلا عطاء) وكان طائوس بن كيسان وهو فارسى لا يبالى أن يوبخ الخلفاء فى مجال التذكر والارشاد ، وكان واصل بن عطاء المعتزلى مولى لنبي وكان صدرا فى اللغة والأدب والعلم لم ينكر فضله لإنسان

وهناك مئات الموالى كلهم كانوا يتمتعون بين العرب بالجاه والمكانة في العصر الأموى ولم يثبت أن العرب نافقوا قائلين إن الموالى إنما خلقتوا لغزو الجفاف وكسح الطرق .

ومن الحقائق التى لا تقبل الريب أنهم جميعاً كانوا يقفون من هذا التآزر والتقدير المتبادل تحت مظلة من الوصية النبوية القائلة : « كلكم لآدم وآدم من تراب » . أما القضية الكبرى التى أثارها فإن فوتن فى كتابه (السيادة العربية) عن جواز للصالحين من الأعاجم أن ينسكبوا نساء العرب فى الجنة فهذه جملة مردها إلى قصة أورها المبرد فى الكامل مضعفاً بثبوتها عن رجل من إعراب البادية وقد جاء جوابها من صاحب القصة نفسها دليلاً على نقيض التحليل المزعوم .

١ — ساغ أن تفسير الأعرابى الواحد من جفاة البادية بالناس كلهم .

٢ - بتر الخبر عن مصدره وقطعه عن تتمته ليأخذ مظهر البحث الفقهى .

- كل ذلك من أجل أن يتيسر القول بأن الفتح الإسلامى سرعان ما تحول إلى سياسة عنصرية استهدفت بسط السيادة العربية على سائر الشعوب الأخرى ولعبت الفوارق العنصرية التى حطمتها الوازع الإسلامى فى صدور المسلمين .

(محمد سعيد رمضان البوطى)

(٩)

أشار الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى إلى ظاهرة خطيرة فى تحويل مجرى التاريخ الإسلامى المعاصر ذلك هو أن وضع المتحمسين للحضارة الغربية وقيمها على قمة السلطة فى بلدان عربية كان من شأنه أن يغذى الاتجاهات الأفليمية معززة بالأساطير المحلية وهكذا أطلت برأسها الأساطير الحقيقية والبابلية والفرعونية والآشورية التى اختلطت دون انسجام

بالبطولات القبلية في الجاهلية والإسلام بل وجرى توجيه التاريخ لتسجيم وقائمه مع هذه الأساطير والبطولات وجاءت بعض أجزائه مفعلة تدس بين سطورها ألوانا من الخلط والتناقض ، وكان للشوام الذين روجوا للفينيقيين وأنكروا أى صلة لهم بالعرب بعد الحرب العالمية الأولى وبدأت تبرر الاتجاهات القومية التي أوجدتها المبشرون الغربيون في الشام وقد استغل التيار القومي لمحاربة الدولة العثمانية من جانب بريطانيا وقد تبنت بريطانيا مشروع الجامعة العربية رغبة منها في تكفيل العرب تحت إشرافها لامتنصاص تيارات السخط ضد الاستعمار ، كما جرت محاولات لكتابة تاريخ عربي عام ومترابط لم يرسم له حتى الآن حدود واضحة نتيجة للرواسب الإقليمية واختلاط تاريخ العرب بتاريخ الحضارات البائدة التي تعاقبت على الأراضي التي فتحوها وبالتاريخ الاسلامي بوجه عام وهناك اتجاه إلى التوسع في مفهوم العروبة بحيث يشمل المنجزات الاسلامية العامة ، واعتبار معطيات الاسلام للغرب هي فضل للعرب على أوروبا واعتبار البعض انتصارات صلاح الدين والمماليك والأتاكية على الصليبيين انتصارا لقومية لا للإسلام ، وقول بعض المستشرقين أن تاريخ العرب والاسلام محدود إلى الماضي دون الحاضر والمستقبل على حد سواء ،

(نقلت بتصريف)

ويرى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أن التاريخ قد اتخذ مطية لخدمة نزعات سياسية ، وتبين اتجاهات ضرورية وأن هناك محاولات لتشكيل التاريخ الاسلامي وفق أهوائها لتحقيق أغراض سياسية حزبية وإقليمية وشعبوية ومذهبية تعسفية ، من أعداد أدهياء التاريخ وضعاف الضمائر داخل الجامعات وخارجها عن أطلقوا على أنفسهم أسماء براقة .

ويتصل بهذا ما قام به كثيرون من تفسير التاريخ للاسلامي تفسيراً قومياً وإقليمياً وعربياً ، ولقد حدثت تداخلات كثيرة يجب اليقظة لها والتنبه لآثارها ومن ذلك أرسلت الغرباء عن تاريخ هذه الأمة الذين حاولوا

أن يحدثوا أثاراً وهمية وتحولات كاذبة ومن هؤلاء (إيلي قدورى) اليهودى الذى ألحق بالتاريخ القومى العرق تشويها خطيرا حين حاول أن يقنع قراءه بتعاطف الصهيونية مع الحركة الوطنية المصرية ولقاء مصطفى كامل بالصهيونى هرتزل ومحاولة الادعاء بأن الصهيونية كانت حامية للحركة الوطنية المصرية .

كذلك فقد أجمع الباحثون على أن التاريخ الذى يكتبه المؤرخون الأجانب يتسم بعدة عوامل :

- (١) حجب التفسير القوى
- (٢) خفاء المنظور الوطنى
- (٣) بروز المحتوى التدهيوى الذى يستهدف شخصيتنا القومية ويفقدنا الثقة بأنفسنا وهو يركز على السلبيات .

البَابُ العَاشِرُ
اللُّغَةُ العِبرِيَّةُ

(١)

منذ أن بدأت حملة تطويق النفوذ القرى لعالم الإسلام كانت (اللغة العربية) من أكبر الأهداف التي عمد الاستعمار إلى ضربها واستنقاصها ، ذلك لأن اللغة العربية الفصحى هي جره لا يتجزأ ولن يتجزأ أبداً عن الإسلام ، وأنها اللغة السائرة دائماً في ركاب الإسلام أينما ذهب ومن ثم استطاع النفوذ الغربي :

- ١ — توقيف اللغة العربية عن السير في ركاب الإسلام .
- ٢ — إحلال العاميات بدلا من الفصحى .
- ٣ — إحلال اللغات الأجنبية المستعمرين بدلا من العربية .
- ٤ — الدعوة إلى ما يسمونه اللغة الوسطى المهجنة .

وقد استهدف ذلك قطع أواصرها بالقرآن الكريم وبالتراث وإهمال النحو : موطع معانيها باستخدام العامية واستعجام نواحيها بوفرة التراكيب الأجنبية وظهر عدد كبير من التغريبين الذين حملوا المعادل لضرب الفصحى وعمدوها (سلام موسى ، لويس عوض ، . . .

كذلك فقد خلق التغريبون انطباعات خاطئة ومرفوضة مفادها أن لغاتهم الانجليزية والفرنسية هي اللغات الجديرة بالاهتمام .

ويبدو خطر المواجهة للغة العربية في ذلك الحصار المضروب حولها ، في أفريقيا ، وآسيا حيث إحتلت اللغات الفرنسية والانجليزية مكاناً واسعاً ، منذ أوائل القرن ، وأمكن تحويل أبحديات عند من البلاد الإسلامية إلى اللغة اللاتينية (اندونيسيا — تركيا . الخ) ففي هذه البلاد الإسلامية يجرى التعلم باللغات الأجنبية ، والثقافة والصحافة والإذاعة ، وكذلك أقسام اللغات في الجامعات تضم لغات من الانجليزية إلى الأسبانية والصينية وتسقط من الاعتبار اللغة العربية في بلاد ذات أغلبية إسلامية ساحقة .

ذلك أن الدول الغربية تعلم أن العربية هي عنصر وحدة يلتقى عليه المسلمون

فضلا عن أنها جسر يربط بين الأفاقة والإسلام من ناحية وبينهم وبين العرب من ناحية أخرى ولذلك فقد أعلنت في قلب أفريقيا حرب لا هوادة فيها على الحرف العربي وصفت الكنائس بوصفها جيوبا وأوكارا مشوهة . وعندما اضطرت فرنسا إلى إنهاء احتلالها الرسمي لغرب أفريقيا كانت قد جندت لاستمرار تلك الرسالة من ميليشيات مزودة بأسلحة فتاكة ونصب في منعطف كميناً للغة العربية .

هذه المؤامرة على اللغة العربية من أخطر ما يواجه اللغة العربية في مطالع القرن الخامس عشر الهجري .

٢-- وهناك دعاة العامية في البلاد العربية وهدفهم تفتيت هذه الأمة وإيجاد لغة خاصة لكل فئة من الأمة أو قطر من أقطارها تستعمل في تدوين معارفهم وعلومهم وأدبهم وبالتالي لا يستطيع أى مواطن فى أى قطر أن يفهم ما ينشر في "قطر الآخر" ، وهم بالجملة يسدون ضربة في مقتل إلى اللغة العظيمة :
التي هي الركيزة الأساسية في وحدة الأمة .

يقول دكتور عبد الكريم سليم : إن الفجوة بين اللغة الفصيحة واللهجة العامية ليست بهذه الصورة الموهلة التي يحاول أعداء الأمة إظهارها أو الترويج لها وإن الخلاف بين عبارة الكتاب العلماء وبين عبارة العامة أمر جاء مألوفاً في كل أمة لها لغة حية . ويجب أن نفرق بين وجود لهجات مختلفة في أقطار الوطن العربي وطبيعة وجود لغة عربية محلية .

٣-- وهناك المتحذلقون الذين يدعون بالباطل أن اللغة العربية صعبة ، وهم حين يقارنون بين اللغة العربية واللغات الغربية ينسون مصاعب اللغة الفرنسية واللغات الأخرى .

٤-- وهناك دعاة أفهام ألفاظ غريبة إلى اللغة العربية ، وهي من خطط المؤامرة ، التي واجهها المفكرون الإسلاميون بشدة فقال منصور فهمي : لو أننا تركنا للعلماء والمخترعين من أهل الصناعة في المغرب أن يفتحوا الحواجز على لغتنا العربية لعرضناها لحجافل من الألفاظ تغمر بها فتصبح هذه اللغة مهلهلة خالية

من جمال صنعتها العريقة ونسيجها المنسجم ، ولذلك ترانا أميل إلى تغليب اللفظ العربي وتسويده في القياس وإذا أحيينا لفظاً مهجوراً طغى عليه النسيان وإننا نؤثر ذلك كله على الإسراف في استخدام الدخيل من اللغات الأخرى .

هـ — وهناك الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية :

ولاشك أن الحروف العربية هي أصلح حروف الأبجديات قاطبة لكتابة الألفاظ ومن أكثرها دقة في ضبط الأصوات وقد استطاعت أن تؤدي من أنواع الكتابة ما لم تستطع أبجديته أخرى أن تؤديه ، وقد استطاعت الحروف العربية أن تكتب لهذه اللغات جميعاً دون تعديل أو تغيير أو إضافة في أشكالها الأساسية ولقد استهوت التغريبين فكرة تسهيل الكتابة العربية بالحروف اللاتينية وانخدعوا بما حققه دعاة التغريب بعد ذلك في تركيا ، غير مقدرين الفارق بين اللغتين ، فالتركية من الأسرة الطورانية لم تكن ذات حضارة أصلية قديمة ولم تسهم يوماً في الثقافة الإنسانية على الصعيد العالمي ، وقد بلغ ضعفها أنها وهي القوة المستعمرة الغازية للغة العربية في دارها استعارت أبجديتها ومعظم ألفاظها لتستكمل مظهرها ودلالاتها .

هذه هي الخديعة التي مثلت العربية الفصحى باللاتينية والعامية المحلية للبلاد العربية بلغات أوروبا التي تفرعت عن اللاتينية وفاتها أن اللغة العربية تعبر عن فكرة وثقافة ممتدة لأمة واحدة في تاريخها البعيد إلى حاضرها المشرق ، وما تزال مفعمة بالحياة والقوة في تطورها وتفاعلها لم يتوقف وهي لغة أمة واحدة ارتبطت بالتاريخ والعواطف والفكر والقيم والمصير أوثق ارتباط وفوق ذلك فهي لغة القرآن الكريم أساس الحضارة والفكر والثقافة العربية الإسلامية ، أو كما تقول عبد الكريم جرمانيوس : إن اللغة العربية سنداً هاماً أبقى على روعتها وخلودها هو الإسلام فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة والعصور المتباعدة واللهجات المختلفة على نقیض ما حدث للغات القديمة المماثلة التي إنزوت تماماً بين جدران المعابد وكادت تنقرض .

أما اللغة اللاتينية فلم تكن لغة الغرب كله ولم تستطع التغلب على اليونانية لأن الثانية قد ارتبطت بحضارة أهلها وهي أرقى من حضارة الرومان فلما الامبراطورية شطون كانت اليونانية في الشرق واللاتينية في الغرب فضلا عن أن اللاتينية كانت لغة استقرائية لا يمارسها ولا يمسها إلا النخبة الممتازة ولم تغفل في طبقات العوام (على الحديدي) .

(٦) من أخطر مقاتل اللغة العربية محاولة كسر الشكل العربي القديم بصيغة كسر عامود الشعر ، وكسر اللغة الفصحى وذلك بهدف القضاء على الوحدة العسكرية الإسلامية التي أقامها القرآن والممتدة خلال أربع عشر قرنا فالمحافظة على قوالب اللغة أو عامود الشعر ضرورة ويمكن لجميع المعاني الجديدة أن تصاغ داخل هذا الاطار ومن وراء تعلم اللغات الأجنبية والترجمة من اللغات الأخرى محاولات لادخال ذهنية أخرى مختلفة عن ذهنية التوحيد والقرآن . ومن الضروري تعلم اللغات الأجنبية في إطار اللغة الأم حتى لا تعطى اللغة الجديدة ولاء معارضا للولاء الاصيل فقد حرص النقاد الاجنبى أن ينقل فكره عن طريق لغة وأن يحقق لها ولاء في نفوس وعقول أبناء الأمة الواقع تحت سيطرته فالتخوف من تعلم اللغة الأجنبية أمر طبيعى للغاية فاللغة ليست وسيلة للاتصال بحسب ، أنها أيضا وسيلة لنقل فكر معين وأيدولوجيات معينة أى أن تأثيرها على من يتعلمها بعيد المدى على عكس ماقد يتبادر إلى الاذهان أول مرة .

(٢)

أن محاولات التشكيك في صلاحية اللغة العربية الفصحى لتقديم العلوم والتكنولوجيا هي من أخطر المحاولات ، ولم يعد من الجائز مطلقا أن تطرح قضية صلاحية اللغة العربية لتكون لغة العلم فقد انتهت الفترة التاريخية التي كانت تطرح فيها هذه القضية للمناقشة ، ومرت اللغة العربية بهذه التجربة وكانت دمشق أول بلد عربي إدرك أنه لابد من تعريب العلوم من أجل بناء حضارة عربية إسلامية أصيلة بعد أن أصبحت الشعوب تدرك إنه لا يمكنها

الوصول إلى حد الإبداع والمشاركة الأصلية إلا من خلال لغاتها وأن للتعليم باللغات الأجنبية دليل الضعف وعدم الثقة وخمول العزيمة في أهلها . وقد ظل التعليم في القصر العيني سبعين سنة باللغة العربية قبل أن يحتل الانجليز مصر الذين حالوا بين اللغة العربية وبين أن تكون لغة التدريس ولا بد من تعريب تدريس العلوم والطب في العالم الإسلامي كله ، وإذا كانت الحجة هي إيجاد المصطلحات فإن ذلك قد تحقق فعلا بواسطة المجامع وليس هناك اليوم أى تعلمات تقف دون ذلك فإن خريجو كلية الطب في جامعة دمشق ليسوا أقل مقدرة من درسوا بالانجليزية على اجتياز الامتحانات الطبية المؤهلة للبعثات في أمريكا بل أن الطبيب الذي يدرس الطب بالعربية اقدر على التفاهم مع مريضه .

إن السبب في تهرب البعض من تعليم العلوم باللغة العربية هو قلة الاقدام وعدم الاعتماد على النفس وهو نفس العيب الذى يقف عنده رجال القانون آزاء تطبيق الشريعة الإسلامية .

ويقول العلامة مالك بن نبي : أن استعمال اللغة الأجنبية في تدريس العلوم بوجه خاص في البلاد العربية هو نفسه علامة الفشل في استيعاب تلك العلوم خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث تبقى الصلة بينها وبينه صلة سطحية لا تغير نحن فيها شيئا ولا تغير هي فينا شيئا ، بينما نرى في المجتمعات الحية أن هذه الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيم أكثر فأكثر لاعلى هضم العلوم فحسب ، ولكن على تقديمها والسير بها قدما وقد أعادت لإسرائيل لغة مانت منذ ثلاثة آلاف سنة ولعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بها إلى الامام ، وكما يحدث في اليابان والصين ، وكما حدث ذلك في حظيرة الحضارة الإسلامية عند بزوغها فإنها لم تلبث قليلا إلا وقد استوعبت في اللغة العربية الفصحى ، في لغة فحطان ، كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة .

(٣)

ولا ريب أن اللغة العربية تراجه اليوم نفس التجربة التي واجها المسلمون في العصر الأول حين أرادت أن تستوعب حصيلة المعرفة الإنسانية وأضحت بعدها لغة العلم والحضارة في العالم أجمع عدة قرون حيث قام العلماء بتعريب العلوم ولا بد أن تتم اليوم هذه التجربة مرة أخرى فهي ركن أساسي من أركان نهضة الأمة في محاولتها اللحاق بموكب الحضارة والمشاركة الفعالة في جميع مجالات الموقفة ويتم ذلك أساس استقصاء شامل لجميع المصطلحات الانجمية والديخيلة ووضع المقابل لها من المصطلحات العربية .

يقول دكتور عبد الكريم خليفه : وقد أرست اللغة العربية في تجربتها قواعد وأصولاً واضحة . في اختبار الالفاظ اللغوية الدالة على تلك المعاني والمصطلحات العلمية وكان من نتيجة ذلك كله تراث لغوي وعلمي ضخم يشكل رافداً مهماً من روافد أثراء هذه اللغة في مواجهة عملية التعريب الحديثة في أوسع معانيها ويختلف المجال اليوم عن المجال الأول عندما نشط المترجمون في نقل حصيلة المعرفة الإنسانية من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والزمانية وغيرها ويتميز اللغة العربية بهذه الصفة التي لا تكاد تشاركها فيها لغة أخرى من حيث المواصلة والقدرة على التفاهم بين الماضي والحاضر .

والتراث العلمي العربي يمدنا في الوقت الحاضر بثروة لغوية كبيرة يمكن أن تكون مادة خصبة من أجل استيعاب المصطلحات العلمية والفلسية الحديثة في إطار خصائص اللغة العربية والأصول اللغوية التي أرسلتها تلك التجربة التاريخية في حياة هذه اللغة .

وقد وجد العلماء العرب في الاشتقاق والمجاز والأيصال والنحت والتعريب بنوعية وسائل لنمو اللغة العربية ومدتها بالمصطلحات العالمية ولم يقتصرُوا في الاشتقاق على أسماء المعاني بل اشتقوا أيضاً من أسماء الأعيان فقالوا : ذهب من الذهب وفضض من الفضضة ودرهم من الدرهم وحدد من الحديد ،

واشتقوا من أسماء الأعيان العربية : فقالوا هندسى من الهندسة ومنطق من المنطق والمجاز لفظ ينقل المتكلم معناه الأصلي الموضوع له إلى معنى آخر بينه دين المعنى الأصلي علاقة وكان المجاز من انجم الوسائل في تنمية اللغة العربية وجعلها صالحة لاستيعاب العلوم والتقنيات الحديثة وقد دخلت كنوز ضخمة إلى اللغة العربية من المصطلحات العالمية نتيجة تطويع اللغة العربية في ذلك لكي تصبح لغة البحث العلمى والتدريس في جميع مستوياته .

ولاشك أن الأمة لا تستطيع أن ترقى إلى مجال الإبداع العلمى إلا من خلال لغتها القومية وأن الإنسان ليستطيع أن يستوعب في فترة زمنية محددة بلغته القومية أضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الأجنبية مهما كانت درجة إتقانه لهذه اللغة وهذا وصلت الأمم في العصر الحديث إلى ذروه ما وصلت إليه من العلوم والتقنيات الحديث .

ولا ريب أن الاستعمار والهجمات الدخيلة كانت تستهدف مناهضة اللغة العربية الفصيحة باعتبارها العامل الأصيل في وحدة امتنا ، واستمرار وجودها وارتباط ماضيها بحاضرها بل واستشراف مستقبلها .

(٤)

من أخطر المؤامرات التي تحاك للفصحى هي الكتابة بالعامية ومحاولة إعلائها والدفاع عنها . واللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً أو أن يعم بعضها أو كلها الاقطار العربية كافة وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصوراً في قطره وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة فتكون النتيجة تشويشا وضرباً . وليس من شك أن العاميات إلى مزينة وضمور ، ولن يستطيع العاميات أن يقدم شيئاً أساسياً أو خالداً في ساحة الفكر والأدب فالفصحى هي مفتاح فهم الإسلام والاحاطة به .

الباب الحادي عشر
الفلسفات

(١)

عندما نزل القرآن كانت البشرية غارقة في تراث وثني مادي من أصول يونانية ورومانية وهندية وفارسية كتبها أناس من الفلاسفة ، أرادوا بها تبرير شهواتهم ومطامعهم وتجاوز حدود الله فكان أن حطم الإسلام هذه المفاهيم وكشف زيفها وحرر الفكر الإنساني من قيود الوثنية التي كانت تأسره حول الأصنام والمعابد . وقد تجددت هذه الفلسفات بعد الإسلام بترجمة الفلسفة اليونانية وواجهها العلماء المسلمون حتى دحضوا ضلالها وكشفوا زيفها ، وفي العصر الحديث تجددت هذه الموجة بعد ترجمة الفلسفة الغربية المعاصرة التي هي وليده الفلسفة اليونانية القديمة .

وقد انحرف الفكر المسيحي الغربي إلى النظرة المادية الحسية فنشأت تلك المفاهيم الممثلة في المدرسة الاجتماعية والماركسية والاشتراكية والتفسير المادي للتاريخ وأصبحت القاعدة الأساسية للفكر الغربي كله ، سواء الفكر الديمقراطي الليبرالي أو الاشتراكي الماركسي أو الفكر الصهيوني التلمودي القائم وراء المدرسة الاجتماعية والفرويدية والوجودية .

وقد تحول التفسير المادي للطبيعة إلى مذهب فكري اجتماعي سياسي وأصبح التطور مفهوماً اجتماعياً بعد أن كان مفهوماً علمياً ، وكان أن إنتقل الفكر الغربي من خطأ نظرية الثبات الدائم التي قال بها أرسطو إلى خطأ نظرية التحول الدائم التي قال بها هيجل ، فلم تعد هناك فكرة ثبات في النظرة المادية الغربية القائمة على نسبية الأخلاق ، والتطور المطلق والعقلانية الانشطارية التي لا تقر وجود الروح أو المعنويات أو ثبات الأخلاق أو التحول في إطار الثبات ، وقد تسلسل المذهب العقلي المادي إلى عقول المتعلمين في المعاهد والجامعات نتجه لدراسة مذهب داردن وفرويد وغيره على أنه حقيقة علمية لا على أنه نظرية فرضية قابلة للنقض والصواب .

وكان من نتيجة زحف هذا المفهوم المادي أن قامت نظرية العلمانية التي تفصل الإسلام عن توجيه المذاهم الفكرية والسياسة ، والتي تقول بأن

الدين هو عبادة ولاهوت وعلاقة بالله تبارك وتعالى ، بينما يقرر الإلهام أنه منهج حياة ونظام مجتمع له مفاهيمه ونظمه في جميع مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية .

وكان من آثار هذه الموجة من الفلسفة المادية :

(١) تجاهل العامل الأول والأكبر في الكشف وتفسير الظواهر وهو الله تبارك وتعالى .

(٢) التحول إلى الماديات الاجتماعية : الرفاهية المادية وإشباع رغبات الإنسان إلى مرحلة الترف والتحلل والتمزق النفسى .

(٣) التحرر من كل الضوابط والحدود التى وضعتها الأديان بل وإنكار الأديان لنفسها .

وقد كان هدف جميع الفلسفات (المادية والوثنية) التى نادى بها مفكرو هذا العصر تفويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح :

(١) ألوهية المادة (٢) ألوهية الإنسان

(٣) الغريزة محور تفسير الوجود

ولا ريب أن الدين الوحيد الذى صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك إنما هو الإسلام على حين استمد تصورات غيره من الأديان .

(١) الإله فى عرف اليهود إله قوى لهم وحدهم دون غيرهم من الأميين :

(٢) الإله فى عرف النصارى : واحد من ثلاثة .

الماركسية فى حقيقتها كما يقول (دكتور عبد الصبور شاهين) تدمير لفكرة الألوهية وربط للإنسان ومصيره بمصير المادية المحسة ، وتفسير لحركة التاريخ بعوامل ليس منها إرادة الله ، تبارك وتعالى وأن عداها الصريح لم يتوجه فى الحقيقة إلا إلى الإنسان باعتباره معقل الفكر المدينى ، وهو التجسيد

العلاقة بين الله الواحد والمخلوق الموحد وهي تعد أخرج حملة وجهها الفكر الحديث إلى معقل الوحدانية وإن بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت وبارت في نظر كثير من المفكرين وهناك محاولة أقل غلوا ، ولكنها أشد مكرراً من هذه : هي محاولة الفلاسفة الوضعيين للتموين من شأن الإسلام وحركته التاريخية ، وربما كان ذلك واضحاً في كتابات (أوجست كونت) عن الإسلام والتي جمعها قليذه (كريستيان شرفيس)

وقد سلك فيها المؤلف مسلكاً تليف بالنعمة الموضوعية فقد أشبع الرجل الإسلام مدحاً وإتمجيداً ولكنه لم يزد على أنه عده مرحلة كانت ضرورية كحلقة من سلسلة تطور البشرية نحو الدين الجديد الناقى (في زعمه) الوضعية ، فهو يعتبر الإسلام مرحلة مستتبهاً أنه وليد بعض الظروف وأنه سقط كما يسقط الحق المتقادم بمضى المدة ، كما تحمل ديانة جديدة في سلسلة العقائد التي يؤمن بها الإنسان .

وقد كشفت الأيام عن فساد تجربة الدين الوضعي الذي دعا إليه أوجست كونت وانهارت خطته وتكشف الإسلام عن جوهر خالده .

(٢)

جاء الإسلام بقيم ثلاث لم يكن لها وجود في الحياة العربية قبل الإسلام :

(أولاً) : إن غاية الحياة ليست العيش في الدنيا إنما هي تحصيل السعادة في الآخرة بالعمل من أجل ذلك قبل الموت ، ومعنى ذلك أن عمل الإنسان في هذه الدنيا إنما تتحدد قيمة ما يحسب ما يسهم به في تحقيق الغاية المرجوة لصاحبه في الآخرة .

(ثانياً) : إن اتصال آثار العمل الانساني بالاجتهاد وربط بين الدارين برابط وثيق حتى أن الآخرة تعتبر استمراراً للأولى وربما كان العربي الجاهل ينظر إلى حياته على أنها سلسلة مفككة الحلقات لا ترتبط بعضها

بعض إذا بالمسلم يشعر بأن حياته في الدنيا وحياته في الآخرة وحدة لا تنقسم .

ثالثاً : إن الاسلام لم يقرر مسؤولية الفرد فقط بل مسؤولية الجماعة أيضاً فقد اعتبر أن الجماعة الاسلامية هي حارسة الدين المطيعة لمبادئه وبذلك نظم حياة الجماعة تنظيمًا سياسيًا لم تعرفه الحياة العربية بل الحياة الانسانية من قبل فبعد أن كان العربي الجاهلي ينظر إلى نفسه على أنه فرد في قبيلة نظر المسلم إلى نفسه باعتباره فرداً في مجتمع يتسع بقدر ما يمتد انتشار العقيدة الاسلامية يدين بها وقد استلزمت القيمة الثالثة وهي مسؤولية الجماعة أن تنشأ للإسلام مجتمع منظم على رأسه حكومة تستمد دستوراً وقوانينها من تعاليم الاسلام .

وقد وقف المسلمون أزاء الفكر اليوناني عندما ترجم موقف الحذر إزاء الأسراف الذي كان يحاول أن يجعل كل شيء ذى قيمة في الثقافة العربية الاسلامية يونانيا . لم يقبل المسلمون الآداب (الأوديسة والالياذه) ولم يقبلوا الشرائع (القانون الروماني) وقبلوا العلوم .

أما الفلسفات فقد فرضت في مرحلة الشعبية (حكم المأمون) وعندما أريد إدخال مفاهيم الشعر والخطابة لأرسطو عن طريق عرب (قدامه بن جعفر) ورفضها الأدب العربي ، ورفض الفكر الاسلامي مفاهيم المنطق اليوناني ورفض فكر أرسطو ومذهبه ورفض تخريجات ابن سينا والفارابي وكشف زيفها وارتباطها بالباطنية (الحلاج وابن عربي) وغيرهم ورفض أبو نواس ومفاهيم المجوسية الفارسية وقد قدم طه حسين الشعوبيون والباطنون : قدامة بن جمر وابن المقفع ورسائل إخوان الصفا والأغاني .

ولقد ظهر تأثير السجع الفارسي في الأدب العربي ، وظهر تأثر الجدل اليوناني في الشعر (شعر المعري وغيره) ولكنهما لم يستمرا ، وقد ذهبوا إلى أن (القياس) اليوناني بالذات (من المنطق الأرسطي) لعب دوراً هاماً في (النحو العربي) و (الفقه) و (علم الكلام) و (البلاغة) وغير ذلك

من فروع المعرفة العربية الاسلامية ، ولكن الامر لم يكن بهذا القدر من المبالغة ، وأنه يجب التفريق بين القياس الارسطى ، والقياس الفطرى الذى هو عملية عقلية محضة تقوم على ملاحظة النظم ، وإدارجها تحت حكم واحد وهو موجود عند كل إنسان أيا كانت درجة ثقافته أو مرتبة تفكيره ، هذا النوع هو الموجود فى مختلف فروع المعرفة دون أن يكون له مصدر غير الفكر الانسانى نفسه ، وقد قدم القرآن منهجا فى القياس مازال خالداً ، أما مقياس أرسطو فقد سقط . (أسقط الغزالي آله الفلسفة المادية) وأسقط ابن تيمه قياس أرسطو بتقديم قياس القرآن ولقد أفسد القياس الارسطى العلوم وجمدها وقد ظهرت سيطرة المنطق الارسطى على علمى الكلام وآداب البحث والمناظرة وكان السبب فى قصور كل منهما عن أداء المهمة المنوطة به على الوجه الأمثل أما بقية العلوم الاسلامية فقد كانت مناهج البحث فيها من النتائج الاصيل للثقافة العربية الاسلامية ذاتها . قدمت هذه الثقافات (مادة) ورفض الاسلام (منهجها) فالثقافات الاجنبية تراث ثقافى واحد يتخذ الفكر اليونانى أباً روحياً والمسيحية ديناً ويسيطر على أوروبا شرقاً وغرباً : هذا التراث الذى تواجهه الثقافة الاسلامية ولم يستطيع المحدثون أن يصلوا ماضيهم بحاضرهم ، ولقنهم انفصلوا) ربما فى الشعر قد وصلوا أنفسهم بالعصر العباسى ودخلت طرق التناول والقوالب الادبية الغربية والترجمات غير المضبوطة أو المنتقاة ، أو الترجمات التى دفعت دفعا تحت تأثير قوى النفوذ الاجنبى لتفرض نفسها على الفكر الاسلامى (وهناك أخطاء رفاعة ومحمد عثمان جلال فى الترجمة وموجه الترجمة اللبنانية) ومنذ بدأت الحملة على اللغة العربية واجهها مصطفى صادق الرافعى فى (مجلة البيان) وكانت نتيجة ذلك .

(١) فساد الاشكال الادبية المستحدثة من مسرحية وروائية وقصة وشعر حر .

(٢) فساد مناهج النقد الادبى الأوربى .

(٢) فساد الترجمة (٣) فساد نظرية اللغة الأوربية .

لقد كان تأثير الثقافات الأوروبية المعاصرة على الثقافة العربية الإسلامية من حيث المضمون مصحوباً في كثير من الأحيان بمحاولة فرضه فرضاً عن طريق التشكيك في القيم الأساسية التي أنشأها الإسلام في حياة المسلمين أو جعلها السبب فيها أصاب المسلمين من تخلف في العصر الحديث على الرغم من أن هذه القيمة ذاتها هي التي كانت أساساً لتقدمهم من قبل .

القيم الأساسية للإسلام هي : قيمتان سلوكيتان والأخرى فكرية :

الأولى : جعل غاية الحياة الدنيا تحصيل السعادة في الآخرة يترتب عليها أن تنشأ نظام تربوي وخلقى دقيق لتنظيم حياة المسلمون وسلوك الفرد

الثاني : إن الجماعة الإسلامية مسئولة عن حراسة الدين وتنظيم الحياة الدنيا وفق نظام نظام سياسى على قواعد إسلامية ، على أساس تنظيم سلوك الجماعة .

الثالث : إن حياة المسلم في الآخرة ليست إلا استمرار لحياته الدنيا ترتب عليها أن يمتد تفكير المسلم إلى ما وراء هذه الحياة بما استلزم قيام منهج فكرى إسلامى خاص .

وقد جاءت الغزوة التعريبية مضادة لذلك فقد أقامت أسلوب للتعليم العلماني ، وقدمت العلمانية في مجال القانون الوضعي وفرضت الانظمة الديمقراطية والرأسمالية والاشتراكية بديلاً للإسلام .

فالمسلم العربي يتلقى ثقافة او تربية حسب نظام تربوي يستمد أ كثر قواعده من فلسفات التربية الغربية التي تختلف نظراتها إلى النفس الإنسانية عن النظرة الإسلامية ويستند إلى خلقية دينية تختلف وجهة نظرها إلى النفس الإنسانية عن وجهة النظر الإسلامية وإعداد الناشء كي يحيا الحياة التي غايتها المتعة ويستند غايتها إعداد الطفل ليكون شخصية إسلامية ولذلك اغفلت العناية بتحفيظ القرآن ورأسى المثل والقيم الإسلامية هذا بالنسبة للقيمة الأولى ، أما بالنسبة للقيمة الثانية :

فقد جعلت الجماعات في أكثر بلاد العالم العربي تنظر إلى نفسها على أنها وحدة سياسية مستقلة بين أفرادها ، على رقعة محددة من الأرض مفهوم الوطن « الاقليمي » هنا مفهوم أو إلى خالص أو مفهوم قومي ، أما المفهوم الإسلامي للوطن فهذا مالا نجده .

ثالثاً : تنظيم الجماعة تعرض لتأثير أوروبي واضح فالمدساتير والقوانين التي تنظم حياة هذه الجماعات مقتبسة من الغرب ، وينظم الجماعة كثير ما يرعم الأفراد على التخلي عن القيم الإسلامية .

رابعاً : لاستعمار المثقفون في العالم العربي قيم الفكر الأدبي وطرقه ومعانيه واستخدموا كل ذلك أساس لتفكيرهم ، ومن ذلك انبهت دعوات مستمدة من محالات الأدب واللغة .

ونحن بين خطرين « الانغلاق معناه التججر والاستسلام المطلق للثقافات اللاحقة معناه الذوبان .

(٣)

إن نقطة الخطر الشديد جاءت مع ترجم الفلسفات ونشوء المدارس المتأثرة بالفكر الاغريقي وقياس أرسطو ومفاهيم أفلاطون وأقلاطين ولقد تبين أن ما ترجم النساطرة لم يكن كله صحيحاً ولكنه كان مدخولاً ، كان فيه هوى إفحام المفاهيم النصرانية ، ومن ثم اضطربت مفاهيم الفلسفة اليونانية ونشأت مدارس المشائين المسلمين : الفارابي وابن سينا ثم تبين صلة هؤلاء بالتيارات للباطنة واتصل ذلك من ناحية بإخوان الصفا واتصل من ناحية أخرى بوحدة الوجود والحلول . وظهر ذلك الخليط العجيب الذي أفسد الحياة العسكرية الإسلامية وقتاً طويلاً والذي قاومه علماء المسلمين وردوه منذ اليوم الأول رداً شديداً وزيفوه حتى إقام منهج أهل السنة والجماعة وشارك في ذلك الشافعي وابن حنبل ثم الغزالي وابن تيمية وابن حزم .

وأرانا اليوم في موقف مشابه فقد جاءت بعد مرحلة « جبرية الصوفية » محاولة

لتحرير الفكر الإسلامى من الجمود والتقليد فانطلقت على طريق العقلانية حتى جاوزته كثيرا ، وغفلت كما غفلت الحركة الأولى عن تكامل الإسلام بين القلب والعقل . وإن تجاوز المعتزلة كان انحرافا كما كان يتجاوز الصوفية ولذلك فنحن فى حاجة إلى إعادة ضبط الروابط بين عناصر الفكر الإسلامى بحيث لاتتجاوز خطة التكامل الجامع ، وأن يلتقى جميع العناصر على مفهوم واحد هو أن الإسلام منهج جامع للسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والعلم والزينة جميعا دون استعلاء عنصر منها ، ولقد كانت تجربتنا فى القرن الثالث الهجرى تجربة حرة انطلقت من إرادة أساسية فى الإسلام وهى الانتفاع بالصالح من تراث الأمم القديمة وتحريره من الزيف والوثنية لتسكون على طريق الإسلام الذى دعا إلى العلم والحرية والنظر والدليل وهى العوامل التى أنشأت المنهج التجريبى الإسلامى ولقد بدأت حركة الترجمة إذ ذاك من الطب والعلوم ثم انخرفت إلى الفلسفات الوثنية ومن ثم فقد وقف فى وجهها علماء المسلمين وردوها ولكن التجربة الأخرى التى تمت فى العصر الحديث فقد انطلقت من خلال نفوذ أجنبى مسيطر لم يكن المسلمون فيه يملكون إرادة الاختيار فى الترجمة ولذلك فقد نقل إليهم ركاز الأمم الوثنية القديمة والحديثة وترجم لهم من الفكر الغربى خليط عجيب فى عصور مختلفة وكان لابد من مواجهة ذلك كله والنظر فيه وأعيدت الشبهات القديمة التى أثارها المعتزلة والباطنية والفلاسفة وطرح من جديد فى أفق الفكر الإسلامى ولذلك كان لابد من إعادة النظر فيها والكشف عن وجه الحق فيها وجرت كتابات واسعة تعلى من شأن الفلاسفة (ابن سينا والفارابى وابن رشد) ودعوة عريضة عن الدور الذى قام به المعتزلة ورثاء للمسلمين لتوقف هذه النهضة مع أن الحقيقة لم تكن كذلك مطلقا فإن المعتزلة انحرفوا أما الفلاسفة فكانوا منذ اليوم الأول فى عداد المشائين اليونان ولم يحسبوا فى ميزان الفكر الإسلامى أبدا .

ولا شك أخطأ الذين قالوا : إن الإسلام نجح فى التوفيق بين عقيدة التوحيد وبين الفلسفة اليونانية ، ذلك أن ذلك يعنى أن الفكر الإسلامى نجح فى التوحيد بين التوحيد الحالى وبين الوثنية والشرك ، كذلك أخطأ الذين

قالوا إن السنة أو الحديث النبوى إنما ابتكره المسلمون ، وهو وليد الحاجة والتطور الاجتماعى فى السنة التزام بمقتضى الإيمان بالله تبارك وتعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

أما المعتزلة فهم كما يقول (دكتور مصطفى الصاوى الجوينى) قوم اتخذوا للعقل منهجاً هو منهجهم ثم تمسكوا فى تطبيقه ومع هذا كان لهم فضل غير المذكور ومن خطأهم اعتبروا العقل قبل الشرع (وابعهم فى ذلك الحديث الشيخ محمد عبده) .

وقد أخطأوا حين وقفوا من ظاهر النص القرآنى موقفين متعارضين ، الظاهر ما ساند مذهبهم وإلا رفضوه ونادوا بالتأويل وإعمال العقل التماساً لما فى رؤوسهم من أفكار ، والحق أن خطأهم الأكبر إنما يكمن فى اعتمادهم لمبادئهم الفسكرية اعتماداً قاطعاً باننا حاولوا به أن يخضعوا الذين — وفيه من الغيبيات قاطبة — لتلك المبادئ ، وكانت آلهتهم الأولى فى ذلك «العقل» الذين جمحوا به جموحاً أوردتهم مورد الشطط والتعسف مسخرين فى سبيل تلك الغاية ماوعوا من معارف واثق كانت بدايتهم دفاعاً عن الإسلام من طعنات أعدائه فلقد كانت نهايتهم تعصياً مذهبياً لغاية التعصب وردد صدق ذلك تأويلهم للنص القرآنى ونق نظريتهم العلمية فهم يرون أن ما وافق ظاهر معناه مبادئهم — من القرآن — فهم يحكمون ما لم يوافق ظاهرة أصولهم الفكرية فهو متشابه ، ورسالة التفسير عند المعتزلة هى تأويل ما لا يتفق مع مبادئهم العقلية أى نظم معنى ما هو متشابه فى سلك ما هو محكم ،

أما علماء الكلام فقد كان خطأهم فى الحديث عن القدر وقد نهى رسول الله نهياً صريحاً عن الحديث فيه ، وكذلك الحديث عن صلة الذات الإلهية بالصفات ، فقد نهيناه عن التفسير فيها وأمرنا بالتفسير فى آثارها وقد أخطأت كتب الكلام فى التعرض لذلك واكتناه سر الألوهية من حيث الذات أو من حيث القدر فهو من المتشابه الذى نهيناه عن الخوض فيه .

قال ابن قتيبة : لقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله سالا يعلمون . ويفتتون الناس بما يأتون ويبصرون الناس بالقذى الذى فى عيون الناس وعيونهم تطرف على الاجذاع ويهتمون غيرهم فى النقل ولا يهتمون آراءهم بالتأويل ومعانى الكتاب والحديث وما دعاه من لطائف الحكم ، ولو ردوا المشا كل منها إلى أهل العلم لوضح لهم النهج واتسع لهم المخرج ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة .

ويقول باحث آخر : إن علم الكلام القديم وبخاصة عند المعتزلة والأشاعرة ومن جرى جريهم لم يكن يذهب إلى القرآن الكريم ليستدل به على العقائد الأساسية وإنما يذهب إليه أولا بالعقل النظرى المستقل ، فقد استند علم الكلام القديم على العقل النظرى المستقل فلم يمكنه أن يصل إلى اليقين ، وما وصل إليه غير صحيح ومن هنا فإن هذا العقل ليس له أولوية على النص ، إن استناد علم الكلام إلى العقل المستقل فى أصول العقائد مع اعتباره أن العلوم الضرورية والعقل مخلوقات لله — أوقعه فى الدور الباطل الذى ظن أنه يهرب منه بهذا الاستناد .

إن أبرز أخطاء المعتزلة وعلم الكلام : د المغالاة فى قدرة العقل ، .

ومن أجل هذا يتحتم :

١ — عدم المغالاة فى قدرة العقل واسقاط الفلسفة ، وإحلال البحث العلمى المنظم محلها .

٢ — تبسيط النظر فى العقيدة وتوحيد منهجه وجعله ملائما للمستويات الإنسانية كلها .

٣ — الاعتراف بالإنسان فى مجموع قواه النفسية المختلفة : لإرادة وعقلية ووجدانية وتوجيه الاعتقاد إلى هذا المجموع .

٤ — البحث عن مصدر فوق الإنسان ينقذ الإنسان من الحيرة التى أنشبت أظفارها فى جميع الاتجاهات وهذا يتحقق بالرجوع المباشر إلى

الأصول الشرعية للاعتقاد في الكتاب والسنة والسيرة النبوية .

٥ - أنه ليس من حق العقل أن يرفض أصلا من أصول الدين يدخل في دائرة الإمكان الذهني .

٦ - ألا يتخذ شيء مما وصل إليه العقل باجتهاد أصلا من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح في الدين .

(٤)

لقد كان القرآن والسنة الصحيحة هي الأساس في تحريك أفكار المسلمين فيما بعد لوضع أسس التفكير النظري على أيدي رجال الفرق المختلفة ، معارضا بذلك ما قرره بعض المستشرقين ومن وافقهم من الكتاب المسلمين من أن الفكر اليوناني والفارسي والهندي كان له الأثر الأول في ذلك ولقد ثبت أن القرآن لم ينكر الجدل بل أقره ولكنه لم يمد في حبله خفاطا على وحدة الجماعة ، هناك فارق عميق بين الجدل في الدين والجدل عن الدين والثاني هو المأمور به والأول هو المنهى عنه .

ابن سينا

إن المصدر الأساسي لفهم هذا الانحراف في الفكر الإسلامي عندما انحرف ميزان الترجمة من الفكر اليوناني من العلوم إلى الفاسفات واستدرج المأمون الرزم إلى كتب اليونان الفلسفة التي كانت مدفونة عندهم ففقدوا : إن إرسائها للمسلمين هو أقرب طريق إلى انهيارهم .

وقد قام السريان على ترجمتها لحرفوا الترجمة للدعاية لنحلتهم فدججوا أفكارا هلنسية سريانيا نصرانيا مليئا بالسموم والجدل الديني هو خليط من الأرسطاسية والأفلاطونية والأفوطينية والفكر الفارسي الزرادشتي التي تركز في جند سابور بعد أن أغلق جوستنيان أكاديمية الفلاسفة الاغريق في اثينا ٥٢٩ هـ فلحقوا بكسرى انوشروان في ارس ثم توافد النساطرة المسيحيون ، كما لم يغب عن هذه الفلسفة التأثير الهندي . هذا الخليط هو الذي كان يترجمه حنين بن اسحق واولاده ويأخذ من المأمون تلقاء ما ينقله إلى

العربية^١ ما زنته ذهباً وكان يختار لكتبه اغلط الورق ويأمر كتابه بأن يخطوها بالحروف الكبيرة ويفجو بين السطور ومع تكبير حروف الكلمات وكان لا يتنازل في كتابه فيستعمل التقويم الهجرى وكان يلبس أثناء عمله زناراً (هذا بينما رفض البيروني حمل بعير من فضة من الأمير نظير كتابه الذى ما زال مرجعاً عالمياً عن النظائر) .

ولقد تكشف لعلماء المسلمين منذ وقت باكر هذه المؤامرة الخطيرة قال ابن القيم في كتابه : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ج ٢ ص ٢٦٢) قرب ابن سينا فذهب سلفه الملاحدة من دين الإسلام بجده وغاية ما أمكنه أن يقربه من أقوال الجهمية الغالية في التهم وفي مقدمتهم أرسطو .

ويشير إلى تخليط ابن سينا في محاولة تقريب هذا المذهب من الشرائع ، فالمعلم الأول (أرسطو) لم يثبت صانعاً للعالم البتة ، فالرجل - ابن سينا معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد لا مبدأ عنده ولا معاد ولا رسول ولا كتاب والرازى وفروخه لا يعرفون من مذاهب الفلاسفة غير طريقه وابن رشد يحكى مذهب أرسطو غير ما حكاه ابن سينا (وكان أرسطو وزير الاسكندر) وكان أفلاطون تلميذ سقراط مثله معروفاً بالتوحيد وإنكار عبادة الأصنام ، كان يقول إن للعالم صانعاً محدثاً مبدأً أزلياً واجباً بذاته عالماً بجميع المعلومات وصرح أفلاطون بحدوث العالم وحكى عنه ذلك أرسطو وخالفه فيه فزعم أنه قديم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة حتى انتهت النوبة إلى ابن سينا فرام بجده تقريب هذا رأى من قول أهل الملك قال ابن سينا : أنا وأبى من أهل دعوة الحاكم فكلانا من القرامطة (الباطنية) الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب خالق ولا رسول مبعوث وكان هؤلاء زنادقة يشررون بالرفض ويبطنون الإلحاد المحض وينتسبون إلى أهل بيت الرسول لا يهرمون حراماً ولا يحلون حلالاً وفي زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل لإخوان الصفا وهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم والملائكة عندهم ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام ، فقال الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد والشرطين وهي القوى الشريرة الرديئة .

ولما انتهت النبوة إلى نصير الشرك (النصير الطوسي) وزير هولاءكو
شفا نفسه من اتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه
من الملاحدة ، واشتفى فهو قاتل الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني عباس
قتل بمحالة العلقى الرافض وزير المستعصم وكان نصير الدين الطوسي قاضى
التتار ومشيرهم.

وقد استبقى (نصير الطوسي) الفلاسفة والطبائعيين والسحرة ونقل
أوقاف المساجد والربط إليهم وجعلهم خاصة أوليائه ونصر فى كتبه قدم
العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله واتخذ للملاحدة مدارس
ورام جعل إشارات إمام الملحدين (ابن سينا) مكان العلم فلم يقدر على
ذلك فقال هى قرآن الخواص ، وذلك قرآن العوام ورآم تغيير الصلاة
فلم يتم له الأمر .

وقد صارع (الشهورستافى) ابن سينا فى كتابه (المصارعة) فأبطل
قوله بقديم العالم وإنكار المعاد فقام له نصير الإلحاد ونقضه بكتاب سماه
(مصارعة المصارعة) قال فيه إن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض
فى ستة أيام وأنه لا يعلم شيئا وأنه لا يفعل شيئا بقدرته واختياره
ولا يبعث من فى القبور ، والفلاسفة التى يقررها اتباع هؤلاء مأخوذة
عنه وعن إمامه ابن سينا وبعضها عن الفارابى وشيء يسير من كلام
أرسطو والذى عند مشركى العرب أهون منه ، يثبتون لواجب الوجود
لاصفة ولا بعث ولا فعل ، لم يخلق السموات والأرض من عدمهما
ولا له قدرة على فعل ولا يعلم شيئا وعباد الأصنام يثبتون ربا خالفا
مبدعا عالما قادرا حيا ويشركون به فى العبادة .

أما ملاحدتك من أهل التعطيل المحض فانهم عطوا الشرائع وعطوا
المصنوع عن الصانع وعطوا الصانع عن صفات كماله وعطوا العالم عن
الذى خلق له ربه ثم سرى هذا الداء منهم فى الأمم وفى فرق
المعطلة .

ولما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الاتحاد سلط عليهم القرامطة الباطنيين (العبيدون المدعون كذبا أنهم فاطميون) دخل عبد الله المغرب وكان جده يهوديا وكان باطنيا خبيثا حريصا على إزالة ملة الإسلام أعدم الفقه والعلم ليتمكن من إغراء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه فأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض وبشوا دعائهم فأفسدوا عقائد جبال الشام كالنصيرية والدروزية وكان القداح كاذبا بمخرفا وهو أصل دعاة القرامطة (النجوم الزاهرة ج ٤) واستولوا على الشام والحجاز واليمن والمغرب وخطب لهم على منبر بغداد .

وكان الحاكم منصور بن العزيز بالله العبيدي الثالث من الخلفاء الكذبة للفرجة العبيدين المغاربة المتغلبين على مصر ، ادعى الألوهية ونقل من العلماء ما لا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وهمس وعثمان وعائشة وجماعة من الصحابة وهو الذي يعبد الدروز في لبنان والاسماعيلية في الهند) هذا الداء لما دخل في بني إسرائيل كان سبب دمارهم وزوال ملكهم ثم بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكتبته المسيح بن مريم فجدد لهم الدين ودعاهم إلى عبادة الله وحده فعادوه وكذبوه ثم استقام الدين المسيحي ثلاثمائة سنة ، ثم أخذ في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء بل ركبوا ديننا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عبدة الاصنام وراموا بذلك أن يتلطفوا الامم حتى يدخلوا في النصرانية فنقلوهم من عبادة الاصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الاب والابن والروح القدس ، وهذا ومعهم بقايا من دين المسيح كالحتان والاعتسال من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمة التوراة إلا ما أحل لهم بعضها ثم تناسخت الشريعة إلى أن استحلوا الخنزير ، وأحلوا السبت وعوضوا عنه الأحد وتركوا الحتان والاعتسال من الجنابة وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس فصولوا إلى الشرق ، ولم يعظم المسيح صليبا قط ، فمظنوا

أهل الصليب وعبدوه ، وتعبدوا بالنجاسات ، وكان المسيح غاية في الطهارة
قصدها بذلك تغيير دين اليهود فغيروا دين المسيح وتقربوا إلى الفلاسفة
وعباد الاضنام بأن وافقوهم في بعض الأمر ليرضوهم وليستنصروا بهم
على اليهود ، واجتمعوا عدة بجامع تزيد على ثمانين مجعما ثم تفرقوا على
الاختلاف والتلاعن يلعن بعضهم بعضا .

قال أريوس : إن الأب كان إذ لم يكن الابن ثم أحدث الابن مكان
كلمة له إلا أنه محدث مخلوق ، وقد استحسّن الملك قول بطريق الاسكندرية
ورفض مقولة أريوس وبطرس منع أريوس من دخول الكنيسة وتعددت
واختلفت .

وقال بولس الرسول ربنا هو المسيح وهي مقالة الثلاثمائة والثمانية عشر
أسقفا . . . وذهب أريوس يدعو إلى مقاله وينفر النصارى من الثلاثمائة
والثمانية عشر فجمع مجعما عظيما كانت مقالة أريوس أن روح القدس مخلوق
مصنوع وليس بالله ردد أريوس كلمة المسيح « كل بيده كان ومن دونه
لم يكن شيء » انتهى كلام ابن القيم .

(٤)

ويقول ابن القيم عن أرسطو : ليس فيهم من يقول بقدم الافلاك
غير أرسطو وشيعته فهو أول من عرف أنه قال يقدم هذا العالم وكان
مشركا يعبد الإصنام وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره
وقد يعقبه بالرد عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة ، أنكر أن
يكون الله سبحانه يعلم شيئا من الموجودات ، بأنه كان يلحقه التعب والكلال
من تصور المعلومات وقال إن المنطق ميزان المعاني وقد بين نظار الإسلام
فساد هذا الميزان وعوجه وتعويجه للعقول وتخبيطه للأذهان وصنف في هذا
شيخ الإسلام ابن تيمية ، درجت الملاحدة على أثر هذا المعلم الأول حتى
انتهت نوبتهم إلى معلمهم الثالث (أبو النصر الفارابي) الذي توسع في صنائه
المنطق وبسطها ، وشرح فلسفة أرسطو وهذبها ربالبغ في ذلك وكان على

طريقة سلفه في الكفر بالله تعالى الله سبحانه وتعالى عما يقولون وهو
عندهم كما قرره أفضل متأخريهم ولسانهم وقدمهم الذين يقدمونه على الرسل
(أبو علي بن سينا) هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق ، وليس له
عندهم صفة ثبوتية تقوم به ولا يفعل شيئا باختياره اليته ، ولا يعلم شيئا
من الوجود به اصلا ، ولا يعلم عدد الافلاك ولا شيئا من المغيبات
ولا له كلام يقوم به ولا صفة (تعالى الله عما يقولون علوا عظيما) .

هذا حيال مقدر في الذهن وليس هو الرب الذي دعت اليه الرسل
وعرفته الامم (لغاية اللهفان من مصايد الشيطان) .

هذا أرسطر وابن سينا الذي حشدت له قوافل التعريب أقلامها
وأولته إهتماما زاد عن إهتمامهم بأعظم العظماء فكتب فيه طه حسين ولطفي
السيد والعقاد وغيرهم وأولته إهتماما كبيرا المدرسة العقلية الحديثة وكرمتها
تكريما شديدا بينما حملت حملة ضارية على الغزالي وابن تيمية بل لقد بلغ
بعض المثقفين أن يقول إن ابن سينا مؤمن بدين الإسلام عن حمية
واقفناع وأنه ليس تابعا لأفلاطون ، والحقيقة أننا في أمر ابن سينا
والفارابي والرازي ، نأخذ بالتقدير جوانب من الفارابي وابن سينا ،
والرازي هي جوانب الطيب والعالم أما الفيلسوف فهي مضطربة اضطرابا
شديدا ولا نأخذ بها .

(٥)

كان الفارابي متابعا للفكر الإغريقي بخلفية واضحة هي التبعية للباطنية
ولقد رفض العلماء المسلمون نظرية المدينة الفاضلة ، وأعلن ابن خلدون
أنه لم يقلها ، ومن الملاحظ أن الانتقادات الهامة للفارابي تظهر واضحة
في كتب الفقهاء المالكيين في شمال أفريقيا وتظهر في الاعتصام للشاطبي وتظهر
في ذخيرة الأحكام لابن فرجويه الذي رفض فكرة السياسة العقلية التي
تسود فكرة المدينة الفاضلة عن الفارابي ولا شك أن الاتجاه السلبي من
قبل عند ابن تيمية وعند ابن القيم في كتبهما السياسية قد سبقت مدرسة المغرب

المالكية في هذا العمل ؛ وكذلك انتقده ابن الأزرق (شمس الدين محمد على) في كتابه (بدائع السلك في طبائع الملك) المتوفى ٨٩٦ .

والمعروف الآن أن الفارابي ذهب في سن الحسنيين إلى بغداد حيث درس على يوحنا ابن جلال من قبائل التركان ، درس تراث جند سابور وحران وفرو والرهبان الذي انتقل إلى بغداد وهو بذلك أول رجال المدرسة الاسكندرية أو شيخ الأفلاطونية الحديثة في العالم الإسلامي وكان أفلاطوني المذهب على رأي سقراط وأفلاطون ، ولقد كانت جند سابور حيث عاش صابئة الجرائية هي الملهمة الكبرى للكندي كما كان لهم أثر في الرازي (محمد ابن أبي بكر) هؤلاء الصابئة الجرائية كانوا فرقة أفلاطون أساسا ، وهم الذين يؤمنون بالدين اليوناني القديم فروا إلى فارس مع تنصير الملوك . وانشأوا مدينة فاضلة احتذاها نظريا الفارابي وطبقها عمليا (حمدان قرمط) الصابئي الحرائي ونفذها انشاء في مدينة (هجر) والصابئة الحرائيون مشغولون بعلم الكيمياء وعلم الصنعة يزاولون السحر والتنجيم وحران هي مدينة (الفارابي الأول) فيها كل خصائص الفارابي وإخوان "صفا ومدرستها الاشرافية والفارسية عن السهروردي متأثرة بنظرية الفارابي في الفيض .

اما ابن سينا فهو كبير مقلدي ارسطو والمتمم لفلسفة المشائين الذين هم شيعة ارسطو ، قرا الإسلام من خلال نظرة يونانية وجرى على طريقة ارسطو في كتاب " الشفاء " .

وقد اخذ ابن سينا أفكار الفارابي ووسعها وشرحها وفصل القول فيها وكتابه الإشارات والتنبيهات ، هو الكتاب الذي قراه جمال الدين الأفغاني على تلاميذه وتأثر به الشيخ محمد عبده وعباراته في هذا الكتاب عن التجريد والبهجة والسعادة ومقامات العارفين واسرار الآيات هي عبارات لا يعرفها اهل السنة ، مثل قولهم (اتصال بالعالم العلوي هو عشق وشوق مستمران ، أو ان الوسيلة لإدراك السعادة هي الدراسة والبحث والنظر

والتأمل ، أما الأعمال البدنية والحركات الحسية (كالصلاة) فهي في المرتبة الثانية .

وان سينا أميل من أستاذه (الفارابي) إلى متصوفة القرن العاشر أمثال الجنيد والحلاج ولا سيما وكتاباتهما مملوءة بمصطلحات الصوفية وألفاظهم الفنية فهو يردد كلمات الزهد والوجد والوقت ويبين حقيقة المريد والعارف والعابد ، ويحلل بعض العواطف النفسية كالعشق والغرق التي شغلت كبار متصوفي المسلمين ، وكذلك حديثه عن العقل الفعال والإشراق وكذلك يتحدث عن الاتحاد المزعوم بين الخالق والمخلوق ، وتصوف ابن سينا لا يختلف عن تصوف الفارابي في شيء وتقاربهما يوحى بالمصدر والحلقة التي ظهرت فيما بعد على أيدي الباحثين وهي الاتصال بالباطنية ويضاف إليهما من ناحية ابن ماجة وابن طفيل وابن رشد في المغرب فابن طفيل في روايته (حى بن يقظان) يحاول أن يثبت أن القوى الإنسانية وحدها تستطيع الاتصال بالله بدون النبوة . والفلاسفة يرون ذلك ولا ريب إن هذه المعاني كلها مخالفة للتوحيد الخالص ولمفهوم أهل السنة والجماعة .

فالتفسير الباطني للفلسفي والمعتزلي يسير في طريق واحد وهو ما يجدده بعض التغريبيين والشعوبيين في العصر الحديث ، كما فعل أحمد أمين بالفلسفة للمعتزلة ، حيث اعتبر إن هزيمتهم كانت : كسرة تاريخية وضرراً بالفكر الإسلامي وعاملاً من عوامل التخلف والجمود ، أو كالناعين على الغزالي لأنه أغلق باب الفلسفة الوثنية اليونانية التي تسمى عندهم علم الأصنام ويرى أمثال فاروق الدملوجي في كتابه هذا هو الإسلام ، يناصر المعتزلة أو محبوب بن ميلاد في كتابه (في سبيل السنة الإسلامية) أو الدكتور أحمد ابو شادي في كتابه (ثورة الإسلام) وتنويه بإخوان الصفا وإسلام المعتزلة .

وكذلك زهدى جار الله في كتابه المعتزلة ، هذا بالإضافة إلى إحياء أصحاب العشق والحنون واللهم والبهت من أطلق عليهم عصابة المجان كما

فعل طه حسين في حديث الاربعاء وجرحى زيدان في التمدن الإسلامى وكذلك أخطأ الدكتور مصطفى محمود في إشارته بأمثال ابن عربى وابن الفارض فى كتابه (السر الأعظم) .

وقد غذى هذا الإتجاه المستشرق (لويس ماسينيون) الذى أحيا تراث الحلاج وأمضى أربعين عاماً فى البحث عنه .

ولقد مضت بعض هذه الدراسات فى العصر الحديث دون أن يكشف عن الهدف الخفى المستتر وراءها والذى تقوم عليه جماعة التغريبيين التى ترى إن بعث الفلسفات الوثنية والمادية والباطنية مره أخرى من شأنه أن يمزق مفهوم التوحيد الخالص .

ومن ذلك كان لإحياء رسائل إخوان الصفا الذى قام به الدكتور طه حسين وكيف أثرت هذه الرسائل على مجموعة من مثقفينا حتى وجد من يظن أنهم على طريق الإسلام دون أن يتنبهوا إلى مصدرها الحقيقى وهدفها الاصيل .

ولعل أول وجهه للشبهة هو : لماذا أخفى هؤلاء الباحثون أسمائهم إذا كانوا خالصين لوجه الإسلام الحق ولما ظهرت أسمائهم . (أحمد بن عبد الله ، أبو سلمان محمد بن نصر ، زيد بن رفاعه ، أبو الحسن على) تبين أنهم كلهم مجاهيل لا تاريخ لهم وليس لهم فى الفكر الإسلامى رصيد وإنما هم جماعة من الباطنية والمتأمرين على الدولة الإسلامية والذين كانوا يمهدون للقرامطة والزنج ويتحدث عنهم أمثال الحلاج . ومن فساد قولهم أن الشريعة دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولاسبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، ورضعوا انه متى انتطمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل السكال .

وكانوا يضمرون استغلال هذا الهدف وصولاً إلى إسقاط الدولة

الإسلامية وقد وجد أن كثيراً من مصطلحات الفارابي وابن سينا كانت تتحدث عن هذه الأسرار التي كانت رتبها الباطنية في إتباعها جرياً وراء هذا الهدف ومن ذلك (العارف والعقول للعشرة وغيرها) .

واليوم يحمل لواء ابتغاء هذه المفاهيم علمانيون وثوريون وماركسيون وقوميون واشتراكيون لنفس الهدف .

ولم يقف الهدف عند تبعية ابن سينا والفارابي والرازي فقط كان ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) لا يمثل المفهوم الإسلامي الفَرَافِي الأصيل وإنما يمثل المفهوم الوافد من للفكر اليوناني وقد تأثر مسكويه في رأيه في الأخلاق باليونان وخاصة في مفهوم الاعتدال والوسط وتأثر بهذه الفكرة في شقه الأول بأفلاطون في جمهوريته وفي شقه الثاني بأرسطو في كتابه الأخلاق إلى (نيفونا خوس) .

ولقد كان موقف الغزالي من أصدق المواقف فقد هدم شبهاتهم في قدم العالم ، وفي معرفة الله وفي البعث . أما ابن تيمية فقد هدم منطق أرسطو وكشف عن أن الإسلام لم تقبله وإنما قبل منطق القرآن في كتابه (الرد على المنطقيين) أو نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان يقول الدكتور عبد اللطيف محمد العبيد : كان نقد ابن تيمية أول نقد تعرفه الحياة العقلية الإنسانية في نقد المنطق الإرسطي نقداً منهجياً يقوم على العقل وحده وقد كان نقد منطق إرسطو قبل نقد ابن تيمية موزعاً في الكتب المتعددة ومن المعلوم إن (المنطق الإسلامي التجريبي) هو الروح الحقيقي المميز للحضارة الإسلامية بالإضافة إلى أنه قد انبثق جوهره عن علم إسلامي أصيل هو علم أصول الفقه ، وكان للمسلمين الفضل الكبير في الكشف عن أصول المنهج التجريبي كما كانوا أول من أنبه في تاريخ رواد الفكر الإنساني إلى جوهره واتخذوه أساساً لحضارتهم وبهذا كانوا أساندة الحضارة الأوروبية .

لقد كان انبثاق المنطق اليوناني عن العقل وحده — أعنى العقل اليوناني المجرد وتوهم المدارس لمدة طويلة أن المنطق اليوناني معصوم من الخطأ — ولكن جاء علماء المسلمين مستنديين على كتابهم الكريم وسنة نبيهم العظيم لخطموا هذا الفكر المألوف وأقاموا فكراً إسلامياً شامخاً . وفي هذا يقول ابن تيمية :

إني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الزكي ولا ينتفع به البليد ولكن كنت أحسب أن قضاياها صادقة لما رأينا من صدق كثير منها ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياها .

ويعبر (منطق القرآن والسنة) عن روح الإسلام وجوهره في أصالة وجلال ، فكما أن المنطق اليوناني يعبر عن خصائص اللغة اليونانية التي تخالف لغة القرآن ولغة المسلمين وأنه تطبيق للمنطق اليوناني على الدراسات الإسلامية أدى إلى تناقضات عدة :

من أجل هذا وضع الإمام الشافعي منطقاً جديداً بكتابة علم أصول الفقه حتى يقول أحمد بن حنبل : لم نسكن تعرف العموم والخصوص حتى ورد الشافعي .

وأصبح القياس الأصولي هو الحجة عند الشافعي وعلماء الأصول المسلمون الذين رفضوا الميتافيزيقيا اليونانية لأنها مخالفة لإلهيات المسلمين ولقد أنكرت الصوفية العقل كأداة ، ورأى المتكلمين أن طرائق المعرفة لدى الصوفية هي تجارب ذاتية لا تصلح قاعدة أو منهجاً للحياة .

والغزالي مزج المنطق اليوناني بعلوم المسلمين وكان ذلك موضع نقد ابن تيمية الذي كان غير راض عن طريق الغزالي في الأصول لأنه خلطه بالمنطق والجدل وممن هاجم الغزالي الطرطوشي والماوردي وابن الصلاح وابن تيمية والنواوي ، أما ابن تيمية فقد نقد المنطق الارسطي وهدمه هدماً قوياً

فذهب إلى أنه من الخيز للإسلام أن لا يستعمل في علومه هذه المصطلحات في الفلسفة والمنطق التي لم يعرفها السلف الصالح .

وينسكرك ابن تيمية لإستطاعة (الحد) في المنطق الارسطي الوصول إلى كنه الشيء أو ماهيته ؛ ويرى أن عمل الحد ووظيفة التمييز بين المحدود وغيره .

أما تصور المحدود فلا يستطيع الحد القيام به فالحد عنده مجرد شرح للنظر وعلى ذلك سار جميع المناطق . ويرى أن القرآن هو كتاب الوجود عند المسلمين وهو الذي يدنا بصور الاستدلال أو هو الذي يقدم لنا الميزان ويقدم لنا الأقيسة البرهانية كقياس الأولى أو قياس الآية أو العلامة .

كذلك فقد دعا ابن تيمية إلى تحكيم اللغة العربية في فهم النصوص وعدم الخروج عما كان يفهم أو يعرفه الصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم من دلالات الألفاظ والتراكيب ، وفي هذا قضاء على التأويلات الباطنية والتفسيرات البعيدة التي لا توافق بحال أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم فلا غرابة إذا أن نجد صعوبة في الترجمة والتعريب للألفاظ والتعابير الدينية الصرفة .

(٥)

كذلك ولقد كان الفكر الباطني من آثار ترجمة الفلسفة اليونانية (الحلاج والسهروردي والبسطامي وفلسفة الاشراق وإخوان الصفا) وقد نشأ في أحضان ابن سينا والفارابي أساساً فالفارابي في تفسير النبوة يقوم على أساس تعاليم الباطنية فقد استقى الباطنية النظرية من مصدر واحد هو جمهورية أفلاطون وفلسفة أرسطو . وقد كان لاتباع هذه النظرية تبعهم الواضحة فابو البركات البغدادي صاحب كتاب المعبر في الحكمة هو يهودي اعتنق الإسلام وتوفي ٥٦٠ هـ وابن مسكويه اتصل بابن العميد ثم بعلاء الدولة الديلمي .

ومن قولهم إن آيات الله ظاهراً وباطناً وأن هذا العلم الباطن لا يعلمه إلا الأئمة القائمون منهم والغائبون وأنهم المهيمون على التأويل ، والقول بأن القرآن كتاب له ظاهر وباطن فهو كتاب مستور محجوب عند الجمهور ، وهناك شبهة إن سوراً حذفت من القرآن وهذه كلها أكاذيب .

ويرى دكتور محمد على أبو ريان إن الباطنية والسهروردى أخذوا من مصدر واحد هو الأفلاطونية المحدثة المتأثرة بالتراث الشرقي .

وقد عني المستشرقون عناية كبرى لهؤلاء الفلاسفة الزنادقة : السهروردي وابن الراوندي وابن عربي والحلاج كما عنوا في مجال الأدب بأبي نواس وبشار وركزوا على الفئات المنحرفة والخارجة والمرفوضة في مجتمعها وفي كل عصر ووصفوها بالتجديد والتقدم والثورة وخاصة الزنج والقرامطة والباطنية .

وكان هدفهم رفع شأن كل تابع للفكر اليوناني أو الفارسي أو المجوسي والاشادة به ، أما ماسنيون فقد عني بالحلاج عناية بالغة فأمضى أربعين عاماً يبحث عن إثارة خيطاً خيطاً فنقلها من عشرات المؤلفات وضمها . وكان في ذلك مبالغاً كاشفاً عن هويته التغريبية في إعادة بث هذه السموم مرة أخرى في مؤلفات تطبع ليقراها العهد الجديد بعد أن رفضها وسفهاها وكشف زيفها أهل عصرها ، وكان لهذا أبعاد الأثر في الباطنية والشعرية التي ظهرت في الشعر الحديث أمثال صلاح عبد الصبور والسياب والبياتي وأدونيس ومدرسة الحزب القومي السوري صاحب الدعوى إلى إحياء فينيقية وعشتروت وجلجامش .

(٦)

ولقد عرض الدكتور محمود قاسم رحمه الله إلى سواة ماسنيون في الكتابة عن الحلاج فقال :

ادعى ماسنيون أن الحلاج جاء يبشر بدين المحبة ، ويحكم الله في القلوب

فضحى بحياته حتى يدعو الناس إلى (ما أسماه) السمو عن حرفية الشرع
وقشوره التي حجب عنهم لبه وجوهره .

قال ماسنيون أن الحلاج اعتمد في تصوفه على بعض العناصر الإسلامية
كمهبط آدم وإسراء الرسول وهو يرى أن مـذنبين العنصرين لها أثرهما
العميق في بناء نظرية الصوفية التي يعرفها في كتاب (الطواسين) أى في
طاسين الأزل ، وهو يجعل (العرفان) أرقى مرقبة للسمو الروحي ابتداء
من أول مرتبة فيه وهي طاسين السراج (إيماء إلى الشريعة المحمدية)
ويعترف ماسنيون ضمناً بأثر الفكر اليوناني والفكر الفارسي في العصر الذي
عاش فيه الحلاج ولم يكشف ماسنيون بوضوح تلك العناصر اليونانية
والفارسية مع أنها هي العناصر الجوهرية التي يدور حولها مذهبه وقد
تبين أنه كان من أشد الناس تأثراً بفلسفة (القرامطة) وهي فلسفة
باطنية في جوهرها . ولد في البيضاء ٢٤٤ وأقام في وسط بين بغداد
والبصرة فلما قامت ثورة الزنج ترك واسط ٢٦٠ وذهب إلى الأهواز
لكنه يقتل على (سهل بن عبد الله القشري) مدة سنتين ثم سار إلى بغداد
على قدميه ماراً بالبصرة . في الوقت الذي كانت ثورة الزنج تفتتح هذه
المنطقة في بغداد لنى بعض الصوفية (عمر بن عثمان المسكي والجنيد) وقد وجه
إلى الجنيد سؤالاً لم يجبه عليه الجنيد ولهذا السؤال مغزاه لأنه يرتبط ارتباطاً
شديداً بمذهبه الصوفي وهو (ما الذي يصير الخلق عن رسوم الطبيعة)
الأصول ويهتم هذا السؤال على ضوء التأثير المزدكي والدعوة إلى تأويل العبارات
على طريقة القرامطة بأنها مجرد قواعد تنظم للحياة الاجتماعية ورموز يمكن
تأويلها .

روى أن الحلاج مر على الجنيد فقال له : أنا الحق فقال له الجنيد :
أنت بالحق ، أية خشبة تلد فتحقق منه ما فيه ، قال الجنيد أنه صلب بهد
ذلك وتبرأ ابن عثمان المسكي من الحلاج لأنه كان يقول يمكنني أن أقول مثل
القرآن وكان الحلاج يعنى ما يقول فقد ألف كتاب الطواسين يعارض به
القرآن وهذا ما أشار إليه محي الدين بن عربي فيما بعد في كتابه (الفتوحات المكية)

وقد تابعه عمرو بن عثمان في تستره وكشف خبيثته . قال أحمد بن الجلال
أن أباه تركه هو وأمه خمس سنوات في الوقت الذي بدأ فيه القرامطة نشاطهم
الحربي فذهب إلى خراسان وما وراء نهر جيحون ودخل إلى سجستان وكرمان
ثم عاد يدعو إلى الله وهذه الدعوة تقترن بتاريخ الثورة الكبرى التي قام بها
القرامطة ٢٩٠ هـ ويضيف ابن كثير في (البداية والنهاية) أنه ثبت أن الخلاج
دخل الهند وتعلم فيها السحر .

سموه (بالغيث ، الميز ، الزاهد ، صلاح الأسرار ، المصظم ، المحير)
وكان الخلاج يتلون في ملابسه فيلبس لباس الاجتاد ، لباس صوفيه ، ويتجرد
أحيانا في ملابس زرية (البداية والنهاية) وصفه ابن الجوزي فقال : كان الخلاج
متلونا تارة يلبس المسوح وتارة يلبس الدراعة وتارة يلبس القباء وهو مع كل
قوم على مذهبهم أن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساق أو
غيرهم (يقول الدكتور محمود قاسم في بحثه بمجلة الاصالاة عام ١٩٧٨) ولنا أن
نضيف أن مسلك الخلاج في تغيير اسمه ومهنته ومعتقداته يتسق مع ما درج عليه
دعاة الباطنية من القرامطة والاسماعلية من تغيير أسمائهم ومعتقداتهم ظاهريا
باختلاف المناطق ، التي يرتادونها تمييزا لظهور صاحب الزمان أى صاحب
دولة الفاطميين ثم لظهور صاحب القيامة الكبرى ، وتتلخص تلك القيامة الكبرى
في نسخ الشرائع وادعاء الألوهية بعد استقرار هذه الدولة . ثم قصد الخلاج
مكة للمرّة الثالثة وجاور سنتين وأدى فريضته الحج ٢٩٥ ويقال أنه قلد الرسول
نخطب خطبة الوداع على جبل عرفات في تلك السنة (البداية والنهاية) ثم عاد
من مكة متغيرا ويفسر ما سنيون هذا التغيير بأن الخلاج وصل إلى مرحلة
(عين الجمع) وهي المرحلة التي يستحوذ فيها الصوفي على الذات الالهية في
أعماق نفسه دون أن تنمى شخصيته وأفعاله الارادية ، وتلك مرحلة أسمى
من مرحلة العبادة الشرعية والوجد الصوفي (في تقدروهم) واستقر في بغداد
في حى التستريين على الشاطيء الايمن لدجله واستمال إليه قائدين

وغيرا من العامة وادعى الألوهية وقال بعضهم أنه مجنون وقال آخرون بل له معجزات .

ما هو مصدر هذا الثراء المفاجيء : السؤال : هل سلك الحلاج مسلك صاحب الزنج في جمع هذا المال أو اتبع منهج شيخ القرامطة من المنتمين إلى المذهب ، أم كان هذا المال يأتي عن طريق الاحتيال على البسطاء بأساليب السحر التي كان قد تعلمها في الهند فقد قيل أن الحلاج كان يستخرج الدنانير من الأرض وكان يجردها تحت وسادته أو يقبضها بيده من الهواء ولا شك أن معجزات الحلاج وكراماته وحيله ترشد إلى مصادر ثروته ومن حيل الحلاج دخول معبد المزدكية وأطفاء الشمعة وإيقادها نظير فتح صندوق النذور وأرسل أحد أصدقائه إلى قرية ثم ادعى فقد بصره ومر عام ثم أعلن أنه رأى في المنام رسول الله يخبره بأن رجلا سيمر بالقرية يرد له بصره وجاء الحلاج وتمنع ، ثم مر عليه بصره فرأى وقد حصل الشيخ احتمال على آلاف من الدنانير اقتسمها مع الحلاج ويقول صاحبه (أبو منصور البياضي) عندما مر به وهو مصلوب :

علمت كما علمنا وبحت وكتمنا فصلبت ونجونا) ويتسائل الدكتور محمود قاسم : ما الذي كان ينبغي أن يخفيه الحلاج حتى ينجو :

ويقول أن من يدرس مذهب الحلاج في كتابه الطواسب وفي ديوان شعره وفي رسائله يفاجيء بكثرة ما يحتوي عليه المذهب وتلك الكتابات من معتقدات تجدها عند القرامطة والباطنية والاسماعيلية بصفة عامة ، قال ماسنيون : أنه كان يعتمد في وعظه على مجموعة من الرموز الذي أخذها من القرآن (كالقلم واللوح المحفوظ والسماء والطارق والنجم الثاقب وهي الرموز الذي كان يستشهد بها دعاة القرامطة وأشار إلى أن الحلاج يشبه القرامطة في أنه كان يدعو مثلهم إلى دين عالمي وماسنيون يحاول أن يبريء الحلاج من أن يكون

قد ساهم في حركة القرامطة (التي كانت على حد قوله : حركة تمرد ضد النظام باسم العدالة) وشبيهه بحركة الخوارج الاول ، وإن نادى القرامطة بأحكام علوى هو المهدي الذي انتشرت الدعوة الباطنية له في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي كالبحرين والاهواز والإحساء واليمن ومصر والمغرب ، هذه الدعوة التي التشيع لها كثير من الفلاسفة كإخوان الصفا والطبيب الرازي وبعض رجال الدولة .

وقد اعترف ماسنيون بتماثل الرموز والاستعارات التي استعملها كل من القرامطة والخلاج في إستمالة العامة ، وشكك في الصلة من الخلاج والقرامطة .

وأكد ماسنيون أن الخلاج قام بإسقاط شعار الإسلام وعلى رأسها فريضة الحج وقد دعا الخلاج إلى فكرة باطلة هي الاتحاد بالذات الإلهية وهي مما يتناقض مع مفهوم السنة والجماعة — والاتحاد الصوفي عند الخلاج هو تألية البشر وقد وجد له خلفاء الفاطميين وهذا ما روج له (إخوان الصفا) في رسائلهم وما أعلنته الإسماعيلية والشرقية فيما بعد عندما جاء صاحب القيامة الكبرى وادعى الربوبية وقال ينسخ الشرائع وادعى الخلاج أنه بلغ مرتبة الكمال بعد عزلته الصوفية في مكة (وله في هذا مفهوم مأخوذ من تفسيرات المسيحية عن التثليث ودعى أنه عيسى هو ابن الله) وادعى أن روح الإله الذي حل في عيسى ابن مريم قد حل فيه ، وادعى أن جميع فعله فعل الله وزعموا أن الخلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة ومن فساد مذهبه إيمانه بأن المسيح تجسيد زمني لنور الذات الإلهية .

وقد سلم ماسنيون بأن الخلاج كان على صلة وثيقة بالفكر اليوناني وبالزنادقة وبالقرامطة وقد اطلع على ترجمة التراث الفلسفي اليوناني واتصل بسني مطعون فيه بالزنادقة هو الطبيب الرازي وكان على صلة بأبي سعيد الخنابى الكبير وبكبار الدولة السامانية وبأمير الطالقان وصلة الخلاج بالقرامطة أثبتتها ماسنيون وأنفسرها بأنه كان يبدان لضمهم إلى الصوفية وأقدم بالسنة التي سيبلغ فيها هذا العمل أوجه من العنف وهي سنة ٢٩٠ هـ واتصل بكبار رجال الدولة وبأمراء الجيش واعترف ماسنيون بأن الخلاج عمد إلى تجنيد بعض رجال الخليفة المقتدر لمحمد القناتى وأخيه . وقال البغدادى في كتابه (الفرق بين الفرق) ذكروا أنه استمال

ببغداد جماعة من حاشية الخليفة ومن خدمه حتى خان الخليفة وهو جعفر المقتدر بالله مرة فتنه فحبسه واستفتى الفقهاء في دمه واعترف ماسنيون بأن أسلوبه في ضم الاتباع يشبه أسلوب القرامطة في الدعوة التدريجية إلى طائفتهم وهو نفس المنهج التعليمي الذي طبقه إخوان الصفا لتجنيد طبقات الإسماعلية وهي عندهم نفس مراتب أو طبقات القرامطة. وقال إنه كان يسلم نظريا بأحقية العلويين في المطالبة بالإمامة (ونجد في هذا القول دليلا كافيا على صله الحلاج بالقرامطة ، والإسماعلية لأنه فشل في ضم زعيم الإمامية الإثنا عشرية إلى مذهبه) .

وفي التاريخ المشترك بين الحلاج والقرامطة : أورد أحد الأحاديث القدسية للحلاج (الحديث الخامس عشر) وفيه يقسم بجوهر الزمان وبسنة ٢٩٠ هذه السنة التي ظهرت فيها الدولة الفاطمية .

وذكر البلاذري أن الحلاج كان يطلب إلى أعوانه أن يدعو للرضا من آل محمد دون أن يسموا أحداً وبين الدعاية الصوفية والدعاية السياسية للقرامطة في المناطق التي كانت مسرحاً لدعاية مركزة يقوم بها أحد أبناء (ميمون القداح) منذ سنوات عديدة (خراسان ، الطالقان ، الأهواز ، جرجان ، اصفهان ، شيراز قم ، نهاوند ، البصرة ، بغداد) ثم العردة إلى تستر ، وقد مزج الباطنة السياسية بالتصوف (كلا الدعايتين وجهان لعملة واحدة) ودعاتهم من الفلاسفة ونعني بهم إخوان الصفا الذين يمزجون بين الفلسفة والتصوف .

ويشير الدكتور محمود قاسم إلى الدور السياسي الذي قام به ماسنيون في كثير من البلاد الإسلامية في القرن العشرين وفي الجزائر وفي الشمال الإفريقي بخاصة والدعاية المركزة في كثير من البلاد لأسطورة الحلاج وهي تنكاد تفوح منها رائحة سياسية معاصرة ترمي إلى تجميد الوضع في العالم الإسلامي الراهن على نحو ما كان عليه في القرن الرابع الهجري (وعندنا أنه نما يتصل بهذا ما قام به الدكتور زكي نجيب محمود بالنسبة للفكر الباطني والشعوبي وإحيائه) وتنكاد مهمة ماسنيون تنحصر في التشكيك في كل نص قديم يشير إلى أن الحلاج كان يدعو إلى المهدي الإسماعيلي . قال صاحب ميزان

الاعتدال (الذهبي) أنه اتسلح من الدين وتعلم السحر وأراهم المخاريق وقد أباح العلماء دمه فقتل ، وواضح أن الحلاج كان يقوم بمهمة سياسية في المقام الاول ، ويقول دكتور قاسم : إننا نتفق تماما مع ماسنيون لأنه يؤكد ما جاء في نصوص كثيرة رواها ماسنيون نفسه من أن الحلاج كان من أكبر دعاة القرامطة وإن كان يحتل في التنظيم السري للإسماعيلية مكانة عالية من درجة الحجة أو الباب ، والأوراق التي ضبطت عنده عندما قبض عليه كانت تشهد بادعائه للرؤية وقد تأثر الحلاج بأراء المانوية والمزدكية والقيشاعورية وما سونيه القرامطة وكان يقول إن الولي أسمى درجة من النبي ويدعوا إلى اسقاط التكاليف ونسخ شرائع الإسلام واعتقد ماسنيون أن الحلاج هو الجسر بين المسيحية وبين الإسلام السني وقد أخفق في الربط بين المسيحية والإسلام عن طريق الآباء البيض في الشمال الإفريقي .

ولا ريب أن [اسقاط التكاليف] عند الحلاج هو لب المذهب القرمطي الذي يصف العبادات بأنها مجرد رموز يراد بها الغايات الاجتماعية والذي يدعو إلى تألية البشر صرفا لهم عن عقيدة التوحيد . وقد حاولت (الإسماعيلية) في دور الستر أن تجر الإمامية الاثنا عشرية وراها في الثورة السياسية ضد الدولة العباسية السنية في منتصف القرن الثاني لسنن بنى نونجت كانوا أشد فطنة مما تصور دعاة القرامطة لأنهم رأوا أن التحالف مع أهل السنة في تلك المرحلة الدقيقة أفضل بكثير من الانضمام إلى دولة جديدة بدأت طلائعها بثورة الزنج ثم لامتد نشاطها في ثورة القرامطة التي كانت لا تفرق في حروبها غير الإنسانية بين أهل السنة وبين الإمامية الاثنا عشرية وقد حوكم الحلاج قمرمطي ، كزنديق ، ادعاء الرؤية ، وادين في المقام الاول لمحاولة أبطال فریضة الحج ، وأن القرامطة انتقموا له بهدم السكبة ونزع الحجر الاسود منها وقالوا أنهم نزعه بأمر وردوه بأمر وامتدت محاكمة من ٣٠١ إلى ٣٠٩ (وهذا كما يبدو من الوثائق يختلف تماما عن تلك السموم والدعاوى الباطلة والحادثة التي ساقها صلاح عبد الصبور الذي حاول أن يستدر عطف السذج

والإغراء من قراء مسرحيته بأن الخلاج كان داعية لإصلاح اجتماعي وكان نصيراً للفقراء وأنه عذب كما عذب المصلحون والدعاة) .

وكان لإجماع الفقهاء على إدانة الخلاج التي لم تنم إلا بعد أن اقنع الناس بزندقة الخلاج الذي كان يرى أن النطق بالشهادتين في مرحلة من مراحل الصوفية يعد شركاً وإن صلاة العارفين تعد كفراً وقد طالبت المحاكمة للبحث عن أهوانه من أسمائهم التي وجدت معه وطريقته هي طريقة القرامطة وأخوان الصفا في حكم الناس درجة بعد درجة حتى انتهوا إلى الغاية القصوى مع مخاطبة كل منهم على قدر عقله وفهمه وكلمة صاحب الزمان هو مصطلح إسماعيلي . ود الهو هو ، نظرية أساسية عن الخلاج في كتاب الطواسين .

وقد عثر في أوراقه على منشور أرسله الخلاج إلى أتباعه وعمله يخبر فيه أن الزمان دارد ورته بعد أن ظهرت دولة الفاطميين ٢٠٩ ويطلب إليهم أن يدعوا الناس إلى الاسرة الفاطمية وبأن تمتد إلى خراسان حتى يكشف الحق حجابيه ويفتح العدل ذراعيه، وفعلاً ظهرت (الإسماعلية التذارية) فيما بعد وهي الفرع الذي ينتمي إليه (الحسن الصباح) الذي يصفه الماسون بأنه الأستاذ الأكبر للماسونية في العالم الإسلامي وكانت ثورة القرامطة تعمل لحساب الدولة الفاطمية في الشرق ، ١٠ هـ

وهكذا نرى حقيقة هذه النماذج التي قدمها في العصر الحديث كتاب عرب ووجدت عند بعض الناس تقديراً : الفارابي ، ابن سينا ، الخلاج ، أخوان الصفا وهي في حقيقتها من أعداء الإسلام وحمله لواء الانتفاض عليه .

ولقد كأن الإسلام كريماً مع هؤلاء المتأمرين ، وقد ظل الحسين بين الخلاج متمتعاً بحريته إلى اليوم الذي ثبت فيها أن كان بينه وبين رئيس القرامطة إتفاق سرى على قلب الدولة عند ذلك تعرض للقتل .

ولا ريب كان الخلاج ضحية الفكر اليوناني الذي كان يطلق عليه [علم الأصنام] مختلطاً بالفكر الغنوصي الفارسي المجوسي ، وفكرة وحدة الوجود والحول التي كان يعتقد أنها هؤلاء دجيلة من الفكر المسيحي الأفنوطوني .

وقد جاءت الشريعة الاسلامية لتدحض هذا الباطل (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) جاءت بفكرة التوحيد الخالص المنزه ، وأن الله تبارك وتعالى غير هذا الكون وأنه خارج عنه وقد أوجده من العدم وسيورده العدم مرة أخرى .

ولما كانت الفلسفة المادية قد غلت في تصورها بأن الكون وهو كل شيء فقد كان ذلك الخطأ البالغ الذي وقع فيه هؤلاء وقد أصابت هذه السموم الفلسفة والتصوف والتشيع .

وقد كتب عبد الرحمن بدوي كتابه شخصيات قلقة في الإسلام نقل فيه عن المستشرقين (هنري كورتان عن السهروردي وماسنيون عن الخلاج الذي سماه شهيد الصوفية في الإسلام) فقال أن لم يكن السهروردي (مؤسس المذهب الاشراقي) أو الخلاج إلا من ثمار الفلسفة اليونانية والغنوصية (وتقول وكذلك كان المعري في بعض مفاهيمه) وقد تلبذ السهروردي على فخر الدين الرازي (في فترة اضطرابه) (٥٤٥ هـ) وكان قد اعتاد غشيان الجماعات الصوفية وأصحابه الحقيقيون هم سلسلة من الحكماء وأنبياء الفرس واليونان يجاوز فيها زرارشت وأفلاطون والخلاج الذي يدعو باسم وحدة الوجود لفلسفته ، والتأليف بالفارسية أهم مؤلفاته حكمة الاشراق كما كتب (كشف الغطا لآخوان الصفا) .

وقد حاول ما سنبون أن يخلق تياراً مضللاً من خلال شطائر يجمعها من النصوص في محاولة فاشلة للادعاء بدور لسلمان الفارسي وحاول أن يشير شبهة أنه الاعجمي الذي أهان النبي على معرفه المكتب السابقة وهي الدعوى الباطلة التي دحضها القرآن (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) مع ادعاءات حول المقارنة بين ما أنزل إلى النبي وما جاءت به كتب اليهود والنصارى ، ويقول أن سلمان الفارسي هو الصاحب الصدوق لآل البيت

اتباع على المواقع عن حقوقهم المشروعة المضمومة إلى أن توفي
بالمدان بالمعراق .

ويحاول أن يشير الشبهات حول دعوى الولاء لسيدها على وحديث غدير قم
محاولة التماس خيوط واهية من كتابات بعض المؤرخين .

ونحن نعتقد أن هذه الروايات التي أوردها ماسنيون باطلة ويراد بها
خلق تيار معارض للسنة تحت اسم الشيعة في هذه الفترة ، ويشير مسألة
تأخر مبايعة علي ودفن السيدة فاطمة ليلاً وما يذهب إليه من دعوى
اغتصاب الخلافة .

والواقع أنبيعة السقيفة معروفة ومنشورة ، وأن تأخر الإمام علي عن
البيعة لم يكن عن معارضة للخليفة الأول إلى أبي بكر: هذه سموم عبد الرحمن بدوي
عن ماسنيون .

ويولى عبد الرحمن بدوي اهتماماً بالغاً بالحجاج وترجم له عن ماسنيون
في محاولة منهما لتصوير الحجاج بأنه مصلح اجتماعي وهي الدعوى العريضة
الباطلة التي حمل لواءها صلاح عبد الصبور الماركسي في ذلك الوقت بدعوى
العدل الاجتماعي في مسرحيته المشهورة .

ويذهب ماسنيون إلى أن العلماء كانوا في ذلك الوقت مطالبون بإقامه
حكومه إسلامية تحكم بالعدل بين الناس وخاصة في مسائل الخراج والضرائب
وأن الأمل كان معقوداً على الحجاج ، وهذا كله زيف باطلي فقد عرف وثبت
بالدليل القاطع عمالة الحجاج للقرامطة وكشف الستار عن المراسلات والخيانة
والتآمر الذي قام به ضد الدولة الإسلامية بل أن ماكشبهه إبان سجنه عن
رغبته في توحيد طرق العبادة عند نبي الإسلام إنما هي دعوى البهائية
من بعد إلى توحيد الأديان وقد عرف عنه مجموعة من الحقائق لا سبيل
إلى إنكارها .

- فساد فهمه لرساله النبي صلى الله عليه وسلم .
- مقارنة النبي صلى الله عليه وسلم بأبليس
- مفهومه لليج ودعوته إلى رد القبلة إلى القدس
- دعواه بأن النبي ترك الوحده الالهية محجوبة ومسورة بسور الشريعة ،
- وهي مفاهيم ضالة تقوم على الاتحاد والحلول ووحدة الوجود التي يعتبرها ثلها خارجا عن الإسلام

هذه هي المفاهيم الفاسدة والزائفة التي كتبها الحلاج وحاول طرحها من جديد ما سنيون وعبد الرحمن بدوي لكي تفسد العقول والقلوب في هذه المرحلة من تاريخ الاسلام (آواخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر الهجري .

(٧)

كذلك فقد أفرزت الشعوبية الباطنية عديداً من الدعوات الباطلة والأسماء المبطلة ، ولما كانت هذه الدعوات والأسماء قد مانت بعد أن كشف زيفها علماء السنة والجماعة في عصرها فإن الاستشراق وأدواته في هذا العصر عادوا إلى إحياء تلك النحلة الخبيثة القدرية والجبرية المأخوذة عن اليهودية أساساً وإلى نشرها بعض الخبثاء من ذلك .

ومن ذلك ما كتبه جواد علي في الرسالة (١٩٤٥) عن يوحنا الدمشقي ودوره في هذا الامر وقد حذا حذوه بعد ذلك كثيرون من اتباع التغريب وفي مقدمتهم محمد . عماره ويوحنا الدمشقي من علماء اللاهوت في الكنيسة الارثوذكسية (٦٧٠ — ٧٤٩) فقد كان يحرض النصارى على الحوار مع المسلمين في شأن الوهية المسيح وحرية الارادة الانسانية وقد وضع رسالتين في شكل محاوره بين مسيحي ومسلم ، الغرض فيها تبرير النصرانية وانفاذ أفكارها في

عقول المسلمين وقد كان من نتيجة ذلك أن ظهر في هذه الفترة بعض الشعوبيين والمحوسيين الذين يدعون الإسلام عن قالوا بالقدرية والجبرية ، تمثل أولا في معبد الجنى وتليذه غيلان بن يونس الدمشقى ثم الجعد بن درهم القائل بالجبرية .

يقول الإمام الأوزاعي : أول من نطق بالقدر رجل من أهل إيران يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تصوف أخذ عنه معين الجنى وأخذ غيلان من معين ، ويكشف صاحب سرح العيون عن اسم ثالث هو طالوت بن اعصم اليهودى الذى أخذ عنه الجعد بن درهم وأبان بن سيمان القول بخلق القرآن وليس يبدو أن معبدا وغيلان والجعد قد ابتكروا من عندهم القول بالقدر وبتعطيل الصفات وخلق القرآن وغيرها وإنما تأثروا في هذه الأقوال بمن لابسوهم من النصارى أو الصابئة الحرائن أو المانوية ثم قتل معبد وغيلان والجعد .

ويقول جواد على (الرسالة — مارس ١٩٤٠) أن يوحنا استدرج المسلمين إلى خلق الأفعال وخلق القرآن ومشكلة صفات الله .

وهى أمور لم يكن المسلمون يخوضون فيها ، والمعروف أن جعد بن درهم الذى ذبحه خالد بن عبد الله القسرى في عيد الاضحية كان استاذ القائلين بخلق القرآن وكان من زملاء غيلان الدمشقى ومعبد الجنى .

أما (غيلان الدمشقى) فقد قدمه الشعوبيون على أنه من الثوار المسلمين وأنه المسيح المعتزلى الذى صلب في حكم الامومين وقالوا أنه دفع حياته لموقفه في خلافة هشام بن عبد الملك وقيل أنه مؤسس المدرسة القدرية ، إلى انطلقت منها المعتزلة وقيل أن الخليفة عمر بن عبد العزيز وكل إليه رد المظالم والاموال التي اغتصبها ، الامويون وحقيقة الامر أن غيلان الدمشقى لم يقتل بالابتهم واضحة صريحة هى خيانة الدولة الاسلامية وأنه اتخذ الكلام

في القدر وسيلته إلى تزييف مفهوم العقيدة الإسلامية كمدخل إلى إسقاط الدولة الإسلامية .

وقد إنخدع المؤرخ ابن جرير الطبري لدعاية يوحنا الدمشقي فأوردها وذكرها على أنها رواية واغتر بها المفسرون جميعا كالزحشرى والرازي حتى جاء ابن كثير فصحيح الأمور قال : ما اعتمد عليه ابن جرير لا أثر له من الصحة .

وكان يوحنا الدمشقي هو الذي ابتدع الحوار مع المسلمين بما يوصل إلى القول بخلق القرآن : هذه الفتنة التي اجتاحت الفكر الإسلامي أيام المأمون والوائق والتي تصدى لها أحمد بن حنبل فقد فتح يوحنا استمدادا من الفلسفة اليونانية مشكلة القدر وقضية الإرادة والجبر والاختيار وقال المستشرقون أن يوحنا أثار بهذا السؤال وبأمثاله مشاكل جديدة في الإسلام لم تكن معروفة هي مشكلة خلق الأفعال ومشكلة خلق القرآن ومشكلة صفات الله وأضرانها لأنه استدرجهم بهذه الأسئلة والاجوبة إلى أمور لم يكن المسلمون يخوضون فيها ومن هذا المعين أخذ الجعد بن درهم ، وعيلان الدمشقي ومعبد الجهني يخوضون كما أشار مؤلف مختصر الفرق بين الفرق .

وموقف الإسلام واضح في هذا الأمر على النحو الذي فصله الإمام علي : أن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسرا ولم يكلف عصرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعط مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتب عبثا ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ولا يؤمن مسلم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وهكذا نرى أن نظرية القدر دخلت إلى الفكر الإسلامى عن طريق النصرانية والمجوس هم الذين كانوا يقولون بالجبر لا بالاستطاعة والاختيار .

(٨)

أما نصير الدين الطوسى العالم الرياضى صاحب ١٤٥ مؤلفا فى علم الحساب والمثلثات والهيئة والجبر والطبعات فهو من الباطنية الغلاة .

فقد تولى وزاره لأصحاب قلاع الموت خلفاء حسن الصباح ، وهناك محاولات متعددة لتبرئته من تهمة الاسماعيليه وهو المتهم بالتحريض على قتل الخليفة المستعصم ورجال دولته والعلماء فضلا عن اتهامه بالالحاد عن كتب موثوق بها (البداية والنهاية لابن كثير - ١٣ ص ٢٦٧) و (شذرات الذهب لابن العماد ، إغاثة اللهفان لابن الحوزية ، والصفدى فى الوافى بالوفيات .

وقد قر الطوسى أمام جحافل خنكيز خان ولم يجد ملتبجا له غير قلاع الاسماعيليه التى كانت تقاوم المغول واحتفى بحاكم مهستان ثم إستدعاه زعمهم الاسماعيليه ليعمل معه وبقي فى قلعة (الموت) حتى سقطت بيد هولاكو فانضم إلى هولاكو .

وهو فى المقياس الإسلامى كابن سينا والفارابى (لا نجعل علمهم يخفى غرضهم ، وأن الذين وصفوا نصير الدين الطوسى بأنه حامى الثقافة الإسلاميه ابان الغزو المغولى هم الاسماعيليه والباطنية أمثال ضياء الدخيلى وقد وصف فى معظم المراجع بأنه عالم وفيلسوف باطنى وقد اهتم به المستشرقون لهذا الغرض (وفى مقدمتهم داور شمت

الأمريكي وقد فات شميث علوم جلييلة أخرى تفوق فيها الطوسي منها الفلسفة فإن كتابه في شرح إشارات ابن سينا من أهم الكتب ويرجع الفضل في شهرته وذوبوع صيته وراء الدوائر الاسماعيلية والباطنية وله تصانيف تكشف عن هويته (منطقيات وأهليات إقليدس وبجسطي) وله كتاب أخلاق فارسي جمع فيه نصوص أرسطو وأفلاطون في الحكمة وقد صنف في علم الكلام وشرح الإشارات لابن سينا ودور للاسماعلية في الموت ووزر لهولاكو وكان معه في نكبة بغداد ٦٥٦ ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو بقتل الخليفة ويقول ابن العبري في تاريخه : وكان في هذا الزمان في ٥٧٥ وما قبلها من الحكماء المشهورين بالمشرق السموئل ابن يهود المغربي الأندلسي .

وكان الحكيم اليهودي قد هرب هو وأبوه إلى المشرق وكانت مراغه تحتضن قبل الطوسي الحكيم اليهودي وأشار ابن فيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان إلى نصير الدين الطوسي وأطلق عليه لقب نصير الإلحاد وقد عارض وهاجم الشهرستاني الذي كشف زيف ابن سينا في كتاب سماه المصارعة رد عليه الشهرستاني بكتابه [مصارعة المصارعة] حيث نصر فيه الله تعالى . ودحض أقوال ابن سينا الذي ادعى أن الله تبارك وتعالى وجل وعلا عما تقولون علواً كثيراً — لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام وإنما لا يعلم شيئاً وإنما لا يفعل شيئاً وإنما لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور .

ويقول ابن الجوزية أن الفلسفة التي تقرأها اتباع هؤلاء اليوم (أي في عصره) هي مأخوذة من الطوسي ومن أمامه ابن سينا وبمضها عن أبي نصر الفارابي وشيء يسير منها من كلام أرسطو وهو على قلته وغشائته وركاكة ألفاظه كثير التطويل لا فائدة فيه وخيار ما عند هؤلاء فالذي عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه .

وهناك بالنسبة له اتهامات كثيرة:

أولاً : شبهة اتهامه بقتل الخليفة المستحصر ورماله دولته والعلماء .

ثامناً : شهد اتهمه بالإلحاد (أشار ابن كثير إلى تلك التهمة في البداية والنهاية .

ثالثاً : صلته بالإسماعيلية والباطنية والحكاه .

ولا يمنع هذا من أنه شرح لهولاكو (الذى انضم إليه بعد سقوط أصحابه في قلعة الموت) فوائد المرصد وتولى العمل واستخدم ابن الفوطى البغدادى حارثاً لمكتبة المرصد والى تضم ٤٠٠ ألف مجلد من الكتب التى فيها التتار من بغداد والشام والجزيرة أيام الغزو المغولى ونشروا من الكثير ما يتفق مع نحلة الباطنية والفلسفة المادية .

(٩)

إن الانحراف الذى أصاب الفكر الإسلامى كان من جانبين لا جانباً واحداً من جانب استعلاء العقلانية واستعلاء الوجدانية والروحانية ، وكل منها يدعى أنه منهج المعرفة الوحيد الذى يوصل إلى فهم حقيقة الإسلام فكان الاعتزال بانحرافاته وكانت الجبرية الصوفية بجمودها ، وقد وصل التصوف الفلسفى ببعض أصحابه إلى مبادئ الانحدار والحلول والتخلى عن الالتزام الحلقى وعدم التأدب مع الله ، ووصل الاعتزال إلى ما يمس وحدانية الله تبارك وتعالى واستهلك الفلاسفة المجهد فى وضع فروض فلسفية غير مجدية .

مصدر هذا الانحراف هو فتنة الفلسفة اليونانية التى ترجعت فى عهد المأمون وهى علم الأصنام عند اليونان وأضيف إليها مجوسية الفرس وانحرافات الفلسفة الهندية ، كانت مفاهيم المتكلمين والمعتزلة فى أول الأمر منطلق للدفاع عن الإسلام بأسلحة الفلسفة ولسكنها انحرفت وكان الزهد وتزكية النفس منطلق التصوف السنى ولكن دخائل دخلت فأنحرفت إلى التصوف الفلسفى وكان مذهب الحلول ودعوى الوحدة بين الإنسان وخالقه وتجاوز الألفاظ المذهبية عن التعبير عن تجربة الإنسان الباطنية ، مما أصبح يشكل تهديداً للأسس الداخلية التى شيد فوقها النظام والحضارة الإسلامية ، ذلك الذى تنبثق عن التوحيد الحقيقى لله سبحانه .

والتحديد المعجز الذى لم تشهده الأديان الأخرى أصلات الإنسان بخالقه
ولقد قاومه علماء المسلمين هذين الانحرافين واليوم تتجدد هذه القضايا بعد
أن طرح التغريبيون فى أفق الفكر الإسلامى هذه النظريات مرة أخرى عن طريق
ترجمات جديدة للفلسفات اليونانية والغنوصية .

إن (التصوف السنى) الذى يستمد من أصول الشريعة أحكامه وقواعده
ولا ينزلق فيما أنزلت فيه بعض الاتجاهات الصوفية الشرقية التى تسربت إليها
من فلسفات الهند وفارس ، حين تسربت إلى الطرق الصوفية بعض ضلالات
الجهل وحرقتها عن وجهتها وتصدت لاصلاحها جماعات من العلماء أحيوا روح
السلف ودعوا إلى الانقاذ من الضلالة فى المغرب أمثال أبو شعيب الدكالى
ومحمد بن العربى العاوى ، وتكشف رسالة عقد المرجان الموجهة إلى الشيخ
محمد بن سليمان (أحمد بن العباسى كسبرج : التصوف الحقيقى هو الذى لا يجعل
الاستغراق فى العبادة وسيلة للتغريب بالناس وتضليلهم واستغلالهم لآخذ أموالهم
فإن الجرم كل الجرم فى أن يبحث الإنسان عن وسيلة من وسائل الرزق تغنيه
عن الناس فإذا اكتسبها بقيت عبادته لله خالصة .

ولقد كان التصوف تجربة روحية خاصة فى طور الزهد ولكن بعض
الصوفية فلسفوا هذه التجربة منذ القرن الثالث الهجرى (حين ظهر التصوف
الاشراقى الذى بدأ فى نظريات الاتحاد (البسطامى) والخلود (الحلاج) ووحدة
الوجود عند ابن عربى فيما بعد ولذلك دخلت مفاهيم غير إسلامية كالحب
الإلهى لرابعة وكان هذا تأثير الفلسفة اليونانية ، حيث دخلت على تعاليم الدين
الإسلامى ومفاهيم وحدة الوجود أو اتحاد الخالق بالخلق التى تتعارض مع
التوحيد الخالص وبدأت للصوفية كلمات ومصطلحات لم ترد فى القرآن ولا فى
أحاديث الرسول ورد الباحثون هذه التحولات إلى مصادر الفلسفة الهندية
واليونانية والمسيحية فهى منقولة منها وتشابه مع مصادرها ومن يراجع
كلمات الحلاج يجدها خليطاً من هذه المصادر :

١ — مبدأ الغناء الذى يندمج فيه المتصوف بالله ويفقد شخصية الفردية
مستمد من عقيدة الزرفانا الموجودة فى الديانة الهندية .

- ٢ — مبدأ القول بأن كل الأديان واحدة مما يردده الرهبان المسيحيون .
- ٣ — مبدأ أن طريق الخلاص هو التجرد التام من المارة وانفصال النفس عنها وهي من مفاهيم الأفلاطونية الجديدة .
- ٤ — فكرة العقل الأول والعقول العشرة من مصطلحات الأفلاطونية الجديدة .
- ٥ — فكرة أن المعرفة لا تتم بالمحاولات العقلية ولا بالمناظرات الفلسفية وإنما تتكون المعرفة في الشعور وهي من الأفلاطونية .

وكلها مفاهيم تخالف مفهوم الإسلام الصحيح ، ذلك أن الإسلام يدعو المسلم إلى عبادة الله بالعمل والتعامل وليس باعتزال مجتمعه وليس في الإسلام ما يسعى للفناء ، كذلك فإن الإسلام لا يقر فكرة وحدة الأديان فقد جاء الإسلام مصححاً لأخطاء التفسيرات التي قدمها رؤساء الأديان فخرجوا بها عن الطريق الصحيح ، كذلك فإن الإسلام لا يعترف بنظرية العقول العشرة ، ويرى أن المعرفة تتم بالعقل والقلب معاً وليس باحدهما .

وكان من أخطر اتجاهات التصوف الفلسفي التجرد عن النفس وما ترتبط به عادة والانصراف السكلي للعكوف على العبادة وهو نوع من الرهابة التي لا يقرها الإسلام .

كما لا يقر الإسلام ما يسمى الحب الإلهي ، ولكنه يقيم نظاماً جامعاً بين الخوف والرجاء ولا يقر امتزاج العنصر الإلهي في الإنسان مع الله تبارك وتعالى كما لا يقر تلك الاستعارات والمصطلحات الصوفية التي ترد في الاسفار الفارسية والهندية ، ولا ما ذهب إليه عمر بن الفارض ولا يحيى الدين بن عربي ولا نظرية الاشراق التي تكلم بها السهروردي .

وقد انبعثت في السنوات الأخيرة كتابات المستشرقين الغربيين عن التصوف بهدف إثارة هذه السموم ودفعها مرة أخرى إلى أفق الفكر الإسلامي

الذى تحرر منها بعد أن قام مذهب أهل السنة والجماعة فترجمت كتابات نيكلسون، وجولدنزهر ، ومكدونالد وماسينون .

وقد ملئت هذه الكتابات بعبارات خاطئة أريد أن تنقد إلى قلوب الشباب المسلم دون أن يتنبه إليها ومن ذلك ما قاله نيكسون عن الحق تبارك وتعالى حيث يصفه بالوصف الذى عرفه اليهود فيقول أنه إله جبار شديد البطش سريع العذاب وهو ما لا يمكن أن يكون صحيحاً فقد جمعت الآيات القرآنية بين رحمة الله وانتقامه ، ولم يكن التصوف حياً فى الله على النحو الذى سمي الحب الإلهى ولا خوفاً من بطش الله كما صوره نيكلسون ، ولكن المفهوم الإسلامى الأصيل هو الخوف والرجاء فى وقت واحد وبدرجة واحدة .

ولقد ظهرت فى السنوات الأخيرة كتابات كثيرة فى المسرحيات والشعر تحاول أن تحيى هذه المفاهيم المسمومة ومن ذلك ما كتبه عدنان مردم الذى يشيد بمقدمة رواية (أبو بكر الشبلى) بالخلاج وابن الفارض وابن عربى ويقول :

إن (رابعة العدوية) جاءت بنظرية الحب الإلهى التى غيرت المفاهيم الصوفية وكانت الحجر الأساسى لكل من أتى بعدها من أعلام المتصوفة كالخلاج وابن الفارض وابن عربى . فالخلاج أتى بنظرية الحلول (سبحانه من أظهر ناسوته) وابن الفارض وابن عربى لم يقولوا بقول الخلاج ولكنها أتيا بمفهوم وحدة الوجود (لقد كنت قبل النوم أنكر صاحبى) فأصبح قلبى قابلاً لكل صوره وتجد الشبلى أخذ بنظرية رابعة كغيره من أعلام المتصوفة وزاد عليها الاغراق فى الحب حتى الجنون وقد قهر الشبلى نفسه بالحرمان وانتصر عليها بما أخذه عليها بالشدّة والقسوة (نقول : وما حمله الإسلام على هذا أبداً) وما كان من مفهوم الإسلام اعتزال الناس ولكن مفهوم الإسلام العمل بتقوى الله فى مجتمع الناس .

هذه مفاهيم دخيلة على الإسلام وعلى التصوف السنى وما كان لها أن تنشر لذلك فقد قدم هؤلاء المستشرقون مفاهيم مضللة مسمومة ،

وأبدى الدكتور إبراهيم بيومى مذكور اهتماما وافرا بمؤلفات ابن سينا الصوفية والنزعة الصوفية عند الفارابى وكشف عن أن بذور التصوف الفاسفى بدأت عند هذين الفيلسوفين الباطنيين : يقول دكتور مذكور (الرسالة - م ١٩٣٦) إذا أردنا أن نعرف أقدم صورة الأفكار الصوفية وجب أن نتجه إلى الفارابى فإنه أول من صاغ الفلسفة الإسلامية فى لونها الكامل ووضع أصولها ومبادئها ونظرية الفارابى قائمة على أساس عقلى فليس تصوفه بالتصوف الروحى البحت الذى يقوم على محاربة الجسم والبعد عن اللذائذ، وقال أن التصوف الفارابى : متين الصلة بالنظريات الفالسية والميتافيزيقية فهو يحتل نظاما ملكيا أساسه أن فى كل سماء قوة روحه أو عقلا مقارفا يشرف على حركتها ويختلف شئونها وآخر هذه القوى هو العقل العاشر موكل بالسماء الدنيا والعالم الأرضى ونقطة الاتصال بين العلوى والسفلى وكما اتسعت معلومات المرء اقترب من العالم العلوى ودنت روحه من مستوى العقول المفارقة وهذه النظرية لا أصل لها فى الإسلام .

وقد تبين أن جميع أصول هذا الفكر الصوفى الفالسى ليس مستمدًا من الإسلام ويقول دكتور بيومى مذكور أن مفهوم السعادة عند الفارابى يختلف عن مفهوم الإسلام ومأخوذ من أفلاطون ، ويرى أن التصوف الذى ساد العالم الإسلامى تحت مؤثرات كثيرة بين فارسية وهندية ومسيحية وإغريقية ، وفيما رأى كل تصوف أن الغرض الرئيسى من العمل والتعامل هو الاتصال أو الفناء فى الله .

هذا الفناء فى الله هى النظرية البوذية المسماة « النيرفانا » وهى تعنى الحلول : الذى قال به الخلاج وهو ليس من مفاهيم الإسلام .

ويرى مذكور : إن الفارابى جارى المفاهيم الهندية والفارسية والإغريقية والمسيحية (الصوفية) وعاصر كبار الصوفية الذين يقولون بالحلول وعلى رأسهم الجنيد المتوفى ٩١١ وناشر نظرية الاتحاد الصوفية والحلاج تلميذ الجنيد من معاصرى الفارابى فقد توفى ٩٢٢ وهو صاحب الجملة المشهورة

وَأنا الحق ، التي لاقى من جزائها حتفه . وعلى يديه سما مذهب الحلول إلى أوجه وبدا في أوضح صورة وأسفار هذا العصر الصوفية بملوء بالغيبة والحضور والوجد والوجود .

ويتساءل مذكور : هل هناك صلة بين تصوف الحلاج وتصوف الفارابي ويرى أن قول المتصوفة : حلول اللاهوت في الناسوت إلى اتحاد العبد والرب هي فكرة مسيحية ، وهذا سر حملة أهل السنة على هذا الخلط غير المعقول والغلو المفرط ويرى أن هناك فارقا بين نظرية الحلول الخلاجية ونظرية السعادة الفارابية .

فالحلول ندل على الاندماج التام بين المخلوق والخالق والسعادة تظهر فقط بمجرد وجود علاقة بين الناس والعالم الروحي .

وعندنا أن نظرية الحلول هي إحدى نظريات الفكر الافلاطوني والمسيحي وأن [السعادة] هي نظرية الفكر الهندي وكلا النظريتين دخيل على الإسلام فالقرآن لا يتحدث عن السعادة إلا بالنسبة للآخرة فقط ، ويرى مذكور أن منبع نظرية السعادة الفارابية هو أرسطو وكتابه الاخلاق وهذه المعاني كلها لا يقبلها الإسلام لأنها من وِردات الفلسفات اليونانية .

ويؤكد مذكور أن تصوف الفارابي لم تقف عند المدرسة الفلسفية بل تعداها إلى مدرسة الاشرافيين التي عاشت في بلاد العرس إلى القرن ١٧م ومؤسس هذه المدرسة هو السهروردي المقتول سنة ١١٩١ والسهروردي هو خلاصة فكر فيثاغورس وأفلاطون وبوذا وهرمس ومزدك وماني ويرى التوفيق بين فكرهم ، هذه هي الفلسفة الاشراقية وهي تعتمد على نظرية العقول العشرة الفارابية بمخلطة بعناصر مزدكية ومانوية وهي دعوة إلى الاتحاد والامتزاج .

وهناك ابن سيمين صاحب نظرية الفيض وهي يونانية أيضاً ويرفض السهروردي نظرية الحلول والاتحاد التي حمل لواثها الحلاج ويدعو إلى نظرية وحدة لوجود وقد قتل السهروردي بأمر من صلاح الدين وانتحر

ابن سعين^١ في مكة بسبب مهاجمات وجهت إليه واتهم معاصره ابن للعربي بالإلحاد والزندقة من كثير من أهل السنة (مذكور) .

(١٠)

ويتحدث الدكتور عرفان عبد الحميد عن الحلاج . فيقول أن أكثر المؤرخين نسبوه إلى الإلحاد والزندقة والسحر والشعبذة والحلول والاتحاد ، قال السلمي في طبقاته : الصوفية مختلفون فيه فأكثرهم نفي أن يكون الحلاج منهم وأبي أن يعده فيهم وقال عنه صهره إنه ساحر محتال خبيث كافر (الخطيب البغدادي) ونسبه آخرون إلى السحر ونسبه أبو بكر الباقلاني وعن بعده البغدادي والاسفرايني إلى الحلول ومعاطاة الحيل والمخاريق وقال عنه الشيخ العزبن عبد السلام أنه شيخ سوء كذاب واختلف فيه معاصروه من مشرقين وعرب منهم من رأى فيه دأعية لإباحة وزندقة وصاحب دعوة باطنية سرية ومغامراً بروم أقلاب الدول ونشر الحيل والمخاريق ومنهم من نسبته إلى التآله والولاية والصفاء .

يقول الباحث والذي نميل إليه ونقرره هو القول بأن الحلاج بما بشر به من أفكار ومعتقدات كان يمثل حلقة أخرى من سلسلة متتابعة من حركات الغلو والهدم والزندقة التي باشرتها إبتداءً فرق غلاة الرافضة من أمثال المعتزلة والخطابية والبيانية والمنصورية في تلك الفرق التي حاولت تشويه معالم العقيدة الإسلامية بما لفقت من آراء ومذاهب وفلسفات من الثقافات الأجنبية التي وجدها المسلمون في الأرض المفتوحة ، ويبدو من الأخبار والروايات التاريخية : زعماً لحركة فكرية غالية هي إمتداد من جهة لحركات الغلو التي شهدتها تاريخ صدر الإسلام وبعث وإحياء لميسع ما نشرته تلك الفرق من آراء ومعتقدات تميزت بالبلسج والتلفيق والاختلاط والاستمرار من دوائر الفكر المناهضة للعقيدة الإسلامية الصافية من وجهة ثانية فقد عاصر الحلاج بفكره جملة من الحركات الدينية السياسية التي تمثلت في حركات باطنية سرية تارة وعلنية تارة أخرى مثل حركة المقتضية والجبائية والقرامطة والسلغانية التي استهدفت الإسلام دولة وعقيدة ، ويرى الباحث في الحلاج جملة ما بشرت به فرق الغلاة السابقة عليها والمعاصرة لها

من إستحلال الحرمات وإسقاط للفضائل وتأويل للنصوص الدينية ، تأويل باطلا خبيثاً وخطراً ومحاولة لإزالة ما بين الأديان والمعتقدات ودعوة إلى وحدتها بالجمع والتلفيق بينها واستهواء العامة واستغواء بها ولاهوائها بإظهار المخاريق واصطناع الشعبذة والسحر والحيل والكمياء والدعوة إلى إحياء مذهب الهدوسيتين في الموت الظاهري والرجعة وإدعاء النبوة والالوهية بدعوى الاتحاد والحلول بما حمل بعض الباحثين وبحق على القول بأن (الحلّاج) في حقيقة صورة جديدة من أبي الخطاب الزعيم الذي قتل في الكوفة ١٣٧هـ وأول نقاط الشبه والمثالة المشهورة بين فكر الحجاج ومعتقد الغلاة عموماً أنهما قائمان معاً على الجمع والتلفيق والاختزال والاستمداد من دوائر الفكر المختلفة والمتباينة ، وصهر هذا كله في دعوة باطنية تنقسم بالسرية في العمل والتدرج في الرتب والعمل ، قال عنه ابن النديم في الفهرست : كان رجلاً محتالاً مشعبذاً ، يتعاطى مذاهب الصوفية ويتحلى بألفاظهم ويدعى كل علم ، تظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعى أن الإلهية حلت فيه وأنه هو هو ، تعالى الله وتقدس عما يقول هؤلاء علواً كبيراً ، وينقل (ابن خلكان) عن إمام الحرمين (الجويني) : أنه كان يذمه ويقول أنه تفق هو الجبائي والمقنع عن إفساد عقائد الناس وتفرقوا في البلاد فكان الجبائي في هجر والبحرين وابن المقنع لبلاد الترك ودخل الحلّاج العراق .

وكان يريد للناس التلفيق بدعوى الجمع بين أصعب المذاهب وأشدّها في طريقة المجاهدات وقد وجدت في أوراقه ما يوثق صلته بالقرامطة وطرائفهم في التبشير المبني على التدرج فقد كان في الكتب الموجودة عنده عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين إلى النواحي يوصيهم بما يدعو الناس ويأمرهم به من نقلهم من حال إلى أخرى ومن مرتبة إلى أخرى ، حتى يلغوا الغاية القصوى وإن يخاطبوا كل يوم على حسب عقولهم وأفهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم (ابن كثير — البداية والنهاية) و (الفرق بين الفرق) وتلك سمة بارزة لمذهب الباطنية عموماً من روجوا

لمذهبهم على أساس العمل السرى والتلقين الذى تلقاه مريدو الإندماج فى الجماعة على مراتب متتالية ، لا تبقى فى مراتبها العليا من الأصول الإيمانية الإسلامية إلا هيكلًا خاويًا وبناءً متداعيًا .

وقد أكد (العماد الحنبلى) فى شذارته هذه الصلة المفقودة بين الحلاج والباطنية لما دخل بغداد ٣٠١ هـ مشدوداً على جمل وعلاق مهلولاً ونودى عليه :

هذا أحد القرامطة فاعرفوه — ويوى (نيكسون) أن السبب الرئيسى فى صلب الحلاج هو إتهامه بأنه كان يدعو سرّاً إلى مذهب القرامطة الذين أغاروا على مكة ونهبوها بعد موت الحلاج بتسع سنين واختطفوا الحجر الأسود منها ، وقد قلد الحجاج مناهج الغلاة وأحيا المتعلق بالتحلل من عقد الدين واستحلال الحرمات وإسقاط الفرائض سابقين فى تبرير دعواهم طرائق التأويل وكان يرى كغيره من غلاة الصوفية أنه من بلغ مقام اليقين سقطت عنه العبادة والتكليف وتلك دعوة اتخذها غلاة الصوفية من الخطابية والمعمرية وغيرهم فاستحلوا المحرم والزنا واستحلوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وتأولوا على ما استحلوا بالباطل قول الله عز وجل (يريد الله أن يخفف عنكم) هذه البدعة مصدرها المنجوس ، ومن ذلك دعوته أن يفرد فى بيته داريطاف حولها بدلاً من الحج وهى دعوة سبقه إليها الملحد الزنديق (ابن الراوندى) الذى كان يقول لاتباعه أن الطواف حول البيت الحرام كالطواف حول غيره من البيوت (البداية والنهاية — الفرق بين الفرق) ويقول ابن كثير أن الحلاج كان يقول لاتباعه من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا فى اليوم الرابع على ورقات أجزأ ذلك عن صيام رمضان . وقد جمع الحلاج مع هذه العدمية التى تتجاوز حدود الشرع الدعوه إلى محو الفروق بين الأديان ورفع الحدود المميزه الفاصلة بين دين ودين فكان بذلك مجتهداً لدعوة (أخوان الصفا) وغيرها من الحركات التى قامت على الجمع والتلفيق بين الأديان والفلسفات وكان الحلاج يقول : واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هى ألذاب مختلفة وأسماء متغايرة وكان يدعى لنفسه المخاريق والكرامات وزعم أنبأه أن له من الكرامات إجابة السؤال وبأنه محى الموق

وأن الجن يخدمونه ويرينون ذلك للناس بحلول الألوهية فيه بخروجه من أوصاف البشرية .

ولاشك أن أخطر دعاواه : دعوى بالاتحاد بالألوهية على صورة عرفتها الدوائر الغنوصية باسم الفيض والظهور والانبثاق الدائم المستمر وقد نفذت هذه العقيدة إلى دائرة الفكر الإسلامى من خلال فرق الغلاة وفرق الباطنية عموماً وخاصة المدرسة الإسماعيلية التى يزعم دعايتها وفلاسفتها إن الروح الإلهية تتجلى فى درجات مختلفة والحلول مصطلح مسيحى الأصل .

(١١)

ولقد واجه ابن تيمية هذا الإنحراف والغلو فى المدارس الفلسفية الصوفية وحل هذه المذاهب مسئولية كثير من الفساد فى الأفكار والابتداع فى السلوك وأشاد بالصوفية الذين يتمسكون بالكتاب والسنة .

يقول مصطفى حلى سليمان : كان ابن تيمية يميل إلى الزهاد الأوائل ويمدح شيوخ التصوف الذى سماه التصوف المشروع ، المعتقدون بالشرع فى الوقت الذى نعى فيه على ابن عرابى وأتباعه وأعلن رفضه لنظرية الحلول وربط بين أهل الإشراف والصابئة وقال : أن السلفية تعنى الارتباط بالكتاب والسنة ، وقد اتخذ مسلوكاً سلفياً واحداً فى نقد الصفوف مع ابن الجوزى ، وأبحاث ابن تيمية تؤكد نشأة التصوف الإسلامى ، وإن اختلفت الأسماء من فقراء إلى زهاد إلى نساك ، هؤلاء المتصوفين الحقيقيون أخذوا من القرآن والسنة وحاكوا سلوك الصحابة فى صدق وتجرد وأقاموا مقياس الشرع فى نقد الصوف بالنسبة للأدعياء الذين مرجوه بفلسفة من هنا أو فكر من هناك ويتساءل الباحث : لماذا يهتم المستشرقون وغير المعتدلين منهم بالتصوف الإسلامى ، فى محاولتهم تجديد الإسلام من هذا الجانب الروحى من جهة ، ثم إدعائهم بأن الإسلام أخذ هذا من المسيحية من جهة أخرى بل أن بعض

الباحثين فسر هذا الاهتمام بأنه تحييد لدعوة الحب والفناء والحلول وغيرها من الأفكار التي توقف حركة الجهاد والدعوة عند المسلمين ، وخاصة والشكل المرفوض الذي يدخل تحت أبرز الأوصاف فيه ، «الحلول والاتحاد ذلك لأن هذه الفكرة تضاد القول بتوحيد الله سبحانه حيث يعنى هذا أن وجود المخلوق هو وجود الخالق (ابن عربى وابن سيعين وابن الفارض وغيرهم فى القرن السابع) أو عند غير هؤلاء يعنى إلهية بعض البشر أو الحلول والاتحاد فيه ولكن ليس باطلاقة ولأن أصل هذه الأفكار برزت فى قصة الحلاج فى القرن الرابع ٣٠٩ فقد تتبع (ابن تيمية) هذه الأفكار من خلال رأى معاصرى الحلاج أو قريبي العهد بعصره كابن مسكويه والحافظ البغدادي وابن الجوزي وكما أراد تبين باطنية الحلاج وبعده عن الحق بما ادعاه من دعاوى تنصل بالعبادات كاللحج والصلاة وبما أدعاه من فتوة أبلّيس وبما نطق به من عبادات (أنا الحق وغيرها) ، كذلك خطأ ابن تيمية محاولات بعض الصوفية فى الاعتذار عن الحلاج وكشف عن أن الحلاج حاول خداع أهل السنة ببعض عبارات (عليك بنفسك أن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل) .

وحاول الحلاج إسقاط ركن من الإسلام كالحج . وقد بين ابن تيمية موقف صوفية عصره الذين ابتعدوا عن خط التصوف السلفي الذى سار عليه الصحابة والتابعون وسار على دربه الهروى والجيلاني والنووى ، ولم يجارب ابن تيمية إلا نوع واحد من التصوف البعيد دائرة التصوف الإسلامى الرشيد . كذلك فإن الباحث خطأ المستشرقين أمثال ماسينيون وغيرهم ومن تابعهم ممن اعتبروا الحلاج شهيداً فى مضمار هداه السياسة التصوف الاسلامى، وقال إن الغزالي يعد مثلاً للتصوف السنى فقد عمل الغزالي مع المدرسة السلفية فى حربها للفلاسفة والباطنية.

(١٢)

وكان للشاعر الإسلامى إقبال موقف واضح أزاء جبرية الصوفية ، يقول دكتور سمير عبد الحميد : عمد الإنجليز فى الهدم إلى تسليم الأرض إلى الهنادكة الذين اتجهوا بدورهم إلى الانتقام من المسلمين وبدأوا تحت ستار تكوين حزب المؤتمر لشمال حميه وطنيه بدا على أثرها الهنادكة فى نشر مطبوعاتهم

التي تحمل أفكاراً معادية للإسلام وكانت فكرة حرب المؤتمر قائمة أصلاً على أحياء العصر والثقافة الهندوكية ولم يتنبه المسلمون إلى هذه الحقيقة .

وتساءل إقبال : ماذا قضى على قوة الأمة الإسلامية ، ووصل إقبال إلى الإجابة على هذا السؤال فرأى أن : (التصوف الدخيل على الإسلام) هو الذي سلب المسلمين ذوق العمل ، هو فكرة وحدة الوجود التي تنقّى وجود أى فرق بين الله والإنسان وأشار إلى أن السبب يكمن في ترك المسلمين للقرآن الكريم وكانت دعوته إلى أن كل إنسان مسئول عن نجاحه وفلاحه فهو يرى ويعلم ويقدر .

وقد أوضح الله (تبارك وتعالى) له طريق الخير وطريق الشر وأعطاه حرية اختيار ما يريد ، وإن هناك فارق بين الله والإنسان وهو كالفرق بين السماء والأرض . قاله خالق ومعبود والإنسان مخلوق وعابد فإذا كان الله والإنسان شيئاً واحداً فمن إذن يقوم بالعبادة ، ومن هنا يتضح أن التصوف الدخيل على الإسلام إنما هو متضاد تماماً للإسلام وقد اختاره المسلمون فاستكانوا لذلك ونسوا أنفسهم ، وحين انتهى (العلامة إقبال) إلى أن سبب بلاء القوم هو هذا النوع من التفكير الذي يتنافى مع الإسلام وتعاليمه توجه بكل قواه إلى نشر الفكر الإسلامى الصحيح وإلى نشر العقيدة الثابتة التي تهدف إلى . إثبات الذات ، فقام بتشخيص مرض الأمة وهو الخضوع والهوان وقبول الاستبداد وكشف سبب هذا المرض وهو عقيدة نفى الذات المتمثلة في وحدة الوجود .

وأشار إقبال إلى أن تفسير (محى الدين بن العربي) ترك أثراً كبيراً على عقول المسلمين وقلوبهم ، وقد جعل مسأله وحدة الوجود جزءاً لا ينفصل عن الفكر الإسلامى بينما أخذ جميع شعراء إيران في القرن ١٤ ، ١٥ يمشدون أشعارهم في هذا الموضوع فاشتملت نظريتهم عن وحدة الوجود عناصر غير إسلامية لقولهم إن الله والكائنات كلاهما متحد أو أن الله (جل وعلا) عما يقولون علواً عظيماً) هو عين الكائنات وفهم الايرانيون بعقليتهم الآرية إن كل شيء في الكون هو الله .

والفلاسفة الهناك قاموا بإثبات فكرة وحدة الوجود عن الطريق الفلسفي بينما سلك شعراء إيران طريقاً خطراً وقد أدى الفهم الخاطئ لنظرية وحدة الوجود إلى سلب العالم الإسلامي قوة العمل أو ذوق العمل وقضى بدوره على شخصية الإسلام للفرد والمجتمع وقام بعض العلماء المسلمين أمثال ابن تيمية بمحاول جاهدا رفع صوت الاحتجاج ضد التغيرات الدخيلة على الإسلام تلك التي هدمت مفهوم التوحيد ، وبعد محي الدين ابن عربي جاء منصور الحلاج ، أن التصوف الأهمى يظهر الجمال والرقّة والحسن في الأدب إلا أنه يخدر النفوس ويذل طبائع الناس وعلى عكس هذا يكون التصوف الإسلامي الذي يظهر القوة في القلوب وترك هذه القوة أثرها على الأدب ، أن أدب اليأس لا يمكن أن يخلد في الدنيا أبداً ، لابد أن يكون الأدب داعياً إلى الأمل والرجاء في حياة الأمة [عن إقبال بتصرف] .

(١٣)

وقد أشار ابن تيمية إلى فكرة تعظيم الأولياء داخل المجتمع الإسلامي وقال إن لهذه الأفكار مصادر غير إسلامية وإنها تطورت داخل المجتمعات الإسلامية إلى أن أصبحت من الأمور الاعتقادية البديهيّة لدى كثير من الناس ومنهم بعض العلماء .

(١٤)

إن التصوف الذي إنتقده جمال الدين ومحمد عبده وإقبال وابن باديس هو التصوف الذي دخل مرحلة الجبرية والذي جعل المتصوفة أولياء للمستعمر لا حراً عليه ، وهو القائم على السكرامات وإسقاط التدبير ونهب العقل والتواكل وخاصة عندما التقى الفكر الصوفي والباطني في تفسير بعض الآيات القرآنية بما لا يحتمله بدعوى النفاذ إلى عالم الأسرار والأنوار كقولهم (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وإن البقرة هي النفس وشهواتها والإسلام لم يرسم لاتباعه حياة الزهد والنسك ولا حياة الاستغراق في الترف والنعيم ، وهو يرفض العزلة والانقطاع كما يرفض الانكباب على الدنيا .

وقد بدأت الطرق الصوفية كجماعات من المجاهدين بالسيف القائم على أمر الله في القلاع يرابطون عليها تحسباً لهجمات العدو على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وكان هناك ألف رباط من رباط الفتح إلى طرطوس .

ومن الخطأ ما ذهب إليه بعض الصوفية أزاء المعرفة العقلية وقولهم بالبصيرة الداخلية والعلم اللدني الذي يتحدث بالمجاهدة والخلوة والانقطاع للذكر ، وهذا يعني إسقاط العلوم المكتسبة ، والحقيقة أنه ليس بأسلوب الوجدان الصوفي وحده ولا بأسلوب العقلايين والمتكلمين وحدهم ولكن الإسلام بكل وسائل المعرفة كما قام على ذلك منهج المعرفة في القرآن نفسه . لا يمكن الوصول إلى الحقيقة عن طريق العقل وحده ولا عن طريق الحس والحدس وحدهما ، ولا بد من الجمع بين العقل والقلب في أسلوب الإسلام الجامع ومنهج المعرفة ذي الجناحين .

الباب الخامس عشر
الأدب العربي

مكتبة
مكتبة

(١)

إن هناك حملة واضحة الدلالة في مجال الأدب العربي ترمى إلى : -

(أولاً) ضرب مفهوم الأدب الأصيل والتنفير من الأدب القديم الموروث كخبر رابط وموحد بين الشعوب وذلك بهدف قطع الروابط الإسلامية العربية العميقة وهو جزء من خطة تتصل باللغة العربية من حيث هي لغة القرآن ومناط البيان العربي والبلاغة التي حملت لواء دعوة الإسلاة وقدمتها للبشرية في أعلى صور السكال .

(ثانياً) إنتقاص الأدب العربي ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية . وقد رفضوا في دعوتهم « الشكل ، والقالب القديم ، والدعوة إلى خلق قوالب وأشكال جديدة لها مضامين كنسية تحمل الصلبيان والمناجل والمطارق ، وتستمد من مضامين القلق والتمزق والضياح ووحودية سارتر وسيمون دي بوفوار وإباحتهما الفاجرة ، وكل مذاهب الهجوم والتخريب وتصطنع مصطلحات الخطيئة والفداء والصلب والخلاص وتعبيرات الامة والصراع الطبيعي .

(ثالثاً) محاولة سلخ الأدب العربي من القيم اللغوية ودراساتها وقطع الصلة بين الأدب واللغة مع أن هذه الصلة الجذرية من أهم مقومات وجوده ، وقد يكون أدب الغرب بعيد التأثير والأثر بالقيم الجمالية في لغاتهم ، أما اللغة العربية فهي اللغة الوحيدة التي تمتاز بانساع عظيم في متنها واقتنان عجيب في أساليبها ، إنها اللغة التي تستطيع أن تسخر ثلاث كلمات منها لثلاثة معان مختلفة حسب تأليفك لتلك الكلمات مع بعضها وترتيبها في النسق .

(رابعاً) محاولة خلق جو من الأدب الانحلالي المتشائم (سارتر - مورايفيا - كفكا - كامى) وهو هدف أساسى من أهداف الغزو الاستعمارى الصهيونى حتى لا تستقيم لإرادة الحياة في العالم الإسلامى ولأنه على الرغم من وجود المروق في بعض الفترات فإن لم يسمح الانحلال الخلقةى كفلسفة عامة على الإطلاق ، وإنما كان يعد حين يقع خروجاً فاسداً على قانون المجتمع الإسلامى العربى ،

وسرعان ما كان المارق يذهب ويتوب (أبو نواس وعمر بن أبي ربيعة وأبو العتاهية) هذه النظرية اللا أخلاقية نظرية تشاؤمية مصدرها فكرة (الخطيئة) الغربية المسيحية فهي ليست إسلامية أساساً ، وخليط من وجودية سارتر نصف اليهودى وشيوعية ماركس ومادية دوركايم ومحاولة خلق من هذا المسخ المشوه « مادة » للأدب العربى الحديث كما يظنون .

(خامساً) تلك الصيحة الدائمة المتكررة وهى أن الأدب العربى لم يعد له عطاء حقيقى - وإن الأدب لم يعد قادراً على العطاء ، إن هذا الأدب ليس أصيلاً ولا مستمداً من أعماق النفس العربية الإسلامية ولسكنه منحول تقليدى ووافد ومذاهب الشعر الحر والقصة المصرية مع المضامين المنحرفة والاباحية والشعوبية كل هذا لا يمثل الأدب العربى الأصيل ومن الواضح أن القصص والمسرحيات ودواوين الشعراء التى تجرى مع هذا التيار التغريبى والتى ظهرت منذ سنوات النكسة والتبعية للاشتراكية والوجودية كلها مليئة بالثفاهة ولا تمثل ضمير الأمة العربية الإسلامية ، وقد وصفت بأنها تحت الصفر .

(٢)

تستهدف هذه الحملة الخطيرة التى تقوم بها أدوات التبعية للفكر الغربى والفكر الصهيونى والفكر الشيوعى :

(أولاً) انتزاع الأدب العربى من مكانه الحقيقى بوصفه (عنصراً) من (مركب) كبير هو الفكر الإسلامى .

(ثانياً) إلى إعلاء الأدب الشعبى (العاميات والفلوكلور) واللهجات المحلية الدارجة .

(ثالثاً) إشاعة الشعر الحر بمفهوم المناهضين للبلاغة العربية والحافدين عليها والمحتقرين لها والهادف إلى محو الأصالة من حيث صدوره عن نفسيات ساذجة تحمل طفولة البشرية .

(رابعاً) إحياء الأساطير والخرافات ويدخل فى باب الأدب الشعبى والفلوكلور

(خامساً) إعلاء الإقليميات والقوميات الضيقة .

(سادسا) الادعاء بأن الآداب الشيعية والعامية تمثل حقيقة مشاعر الناس
(سابعا) حصر الأدب في كل ما كتب للادب وتجنب النتاج المبعوث في
مختلف الفقه والعلوم والتاريخ والفنون المختلفة .

(ثامنا) محاولة كتابة اسلوب عربي مغاير للأسلوب العربي الاصيل : وهي
محاولة هدم للتأثرات ، والقفز إلى مرحلة الشعورية من أعمال طه حسين في
كتاب تاريخ الاسلام واللغة الجديدة لاساس فيها للبيان العربي الاصيل وهي
عامية ومختلفة وبها عبارات مضطربة ، وهناك من يغلب اسلوب العامية اللبنانية
ومصطلحات اسطورية مستقاة من الكلمات التوراتية والتقدمة يروج لها في
هذا الميدان أمثال ادونيس ويوسف الخال ومجلات كانت تصدر تحت أسماء
أدب موافق وهناك دعوى اللغة الوسطى لتوفيق الحكيم .

(تاسعا) الدعوة المبعوثه إلى ادب المتعة والشهوة والفن الخليع وغايتها
الرواية والمسرحية والسليما ومسلسلات الإذاعة والتلفزيون ، هي في
مجموعها تقدم مترجمات من أدب الفرائش والجنس الغربي بمفاهيمه
الفسادة للمرأة والحب والحياة والتي لا تتفق مع مفاهيم المجتمع
الاسلامى الاصيل .

(٣)

إن أخطر الشبهات حول مهمه الأدب العربي : هي نقطه الانطلاق
لقد كانت النهضة الأدبيه مشوبة أساسا بروح الاحتواء الغربى ، وأن نشوء هذه
النهضة في قلب قضية الحزبية السياسية بعد أن سقطت الدعوة الوطنيه المنطلقة
من الإيمان بالمفهوم الاسلامى (مصطفى كامل — محمد فريد — جاويش)
قد خلق للأدب تقاليد باطلة وزائفة استمدت وجودها من ذلك الحرق الذى
خرقه طه حسين حين دعا إلى فصل الأدب العربى عن الفكر الاسلامى من
ناحية وحين دعا جماعة المجددين كلهم فى ذلك العصر إلى فصل الأدب العربى
المعاصر عن الأدب العربى الإسلامى واعطائه قلبا إقليما حتى سمي (الأدب
المصرى) و (الفكر العربى) وهما كلمتان ضالتان تريدان اقضاء على استمرار

حلققات الأدب العربى المتتابعه منذ عصر الإسلام وقطع ساسلة الفكر الإسلامى منذ نشأته واحتوائه وتغريبه .

أن مفهومنا الإسلامى يختلف فى عناصر كثيرة غير الادب : يختلف فى مفهوم القومية ، ومفهوم الديمقراطية الغربية ومفهوم الزعامة الادبية ومفهوم الدولة العثمانية ومفهوم الحرية الادبية ومفهوم الاقليمه والمصريه وغيرها .

(٤)

لقد حاولت المذاهب الاجتماعيه الغربيه التأثير فى مفهوم الادب العربى (دارون) هو الذى فتح الباب لتصور الإنسان بأنه حيوان والقول بأن الإنسان ليس عنصراً مستقلاً ولكنه جزء من النظام الطبيعى ، و (ماركس) هو الذى ذهب إلى أن الادب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتويه أحيانا : العلاقات الاجتماعيه والاتاجيه لهذا القطر أو ذاك .

و (فرويد) هو الذى يرى أن الادب تعبير مقنع وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة وأن هذه المقنعات تعمل حسب مبادئ معروفه و (فروبر) هو صاحب الافكار عن السحر البدائى والاسطورة أو العشيرة البدائية وأن هذه كلما تكمن فى أساس أعلى النماذج والمواد الادبية و (ديوى) يرى أن قراءة الادب وكتابته ليست إلا صوراً انفعالية انسانية يمكن أن تقايس بأى فعالية أخرى وأنها خاضعة للقوانين نفسها ونحن نعرف أن (منصور فهمى ، طه حسين ، زكى مبارك ، محمود عزمى ، هلى عبد الرازق ، طه حسين) عن ماسافروا إلى أوربا تسلمتهم أيدي غير نظيفة ، أيدى أساتذه يهود فاستسلموا لها ومنهم من عرف بعد وحاول الخروج من الاحتماء ومنهم من عاش فى كنف التبعية ، دفعوا منصور فهمى إلى التهجم على النبى وزوجاته ودفعوا طه حسين إلى التهجم على ابن خلدون ودفعوا زكى مبارك إلى القول ببشرية القرآن وقد تبين لحولاء من بعد خطأهم وتأمر اليهود عليهم فتاجع منصور فهمى وكشف دكتور هيكل ذلك صراحه ودعا زكى مبارك إلى الاصاله عن طريق اللغة

العربية ، وهكذا حاولوا تصحيح موقفهم إلا (طه حسين) فهو وحده الذى أصر على موقفه وتابع مناهج الغرب وخاصة مناهج المدرسة الاجتماعية (دوركايم و ليقى بويل)

(٥)

من هذا المنطلق تستطيع أن تتابع الباحثين الذى كشفوا فساد التبعية والاحتواء لمناهج الادب العربى وقد صورها على هذ النحو أستاذ جليل .

(أولا) : التراخيبريا والكوميديا معارضة لمفهوم الإسلام الذى يؤمن بأن لاتزيف الصورة الواقعة فى الإنسان أو الحياة . مع الإيمان بالقضاء والقدر . الكوميديا وفن الادب التمثيل الذى يظهر على المسرح يوحى بأن الحياة ملهاة ورواية وسخرية ، والإسلام لا يقر هذا [لا يسخر قوم من قوم] ، (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) .

(ثانيا) : خطأ الدعوة إلى نبذ الاخلاق ، كما يدعى مذهب المالمطوسيه الذى يرى أن الاخلاق عائق التقدم ويرى أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة حيوانيه والإسلام يقيم منهج الحياة على أساس الاخلاق وعلاقة الرجل والمرأة على أساس الزواج .

(ثالثا) إعلاء روح الانانيه الرومانسيه (عبادة الذات) والاغراق فى الخيال ، والإسلام دين الواقع وإثارة العاطفة أمر لا يقره الإسلام .

(رابعا) دعوى الواقعية التى توى أن الشر أصل الوجود وما الحياة الا رمز الوبال والحن (فولتير — بلزاك) الخ والقيم عندهم مواصفات إجتماعيه تخفى الوحش الكامن فى الانسان ، ومن ذلك قولهم أن الانسان للانسان ذنب ضار عليك أن تأكله قبل أن يأكلك (وهذا يتعارض مع مفاهيم الإسلام : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) فالإسلام يدعونا إلى أن ننظر إلى الحياة بمنظار الخير

(خامسا) دعوى الطبيعيين التى تجعل الانسان حيوانا (اميل زولا)
وهى تسمى الانسان (الحيوان البشرى) وهو الذى يعيش عبداً لشهواته وحاجاته .

(سادسا) احياء الفلسفه البوذيه التى بارت منذ القديم وكانت تميت
العزائز فى الانسان عن طريق التأملات الروحيه كما قال أصحابها الذين يؤمنون
بالترفانا (الفناء) ودعوة الموت للخلاص من الحياه (البرناسيه) بودلير
جوتيه . .

أما نحن المسلمون فنحن لانتمنى الموت لضر أصابنا ، والاباحيه مرفوضة
فى شرعنا .

(سابعا) : الدعوة الرمزيه التى تنسكر كل محسوس ، ويزعمون أن
الاجساد رموز — ودعاة مثاليه افلاطون والمنادين بالإيمان النفسى والغموض
هن طريق الرمز .

(ثامنا) الفرويديه : القول بأن الجنس مفتاح العبقرية والغريزة الجنسية
محركة للعقل ، ومن هنا يطغى الجنس على الادب ويتحكم فى فنيته .

(تاسعا) : الوجوديون قالوا على الإنسان أن يتخلص من موروثه الاخلاقى
وقول سارتر فى (لا يوجد شئ خارج الفكر ولا سابق عليه) وينكر بذلك
وجود الله تبارك وتعالى .

ولا ريب أن الفطرة قد جبلها الله تبارك وتعالى على الاعتراف بالوحدانية
وكل هذه المذاهب معادية للاسلام وتقف خصما مع منهجه .

(عاشرا) : أن الله سبحانه وتعالى حين خلق الوجدان والماعطفه لم يتركهما
بلا اشباع أو اعطاء حقوقهم بل أنه أباح للانسان أن يروح عن نفسه
بالاسلوب الذى يقره العقل والمنطق ويحدده الدين ، وكل دعوه خارجة عن مصدر
غير الاسلام مرفوضة .

٦)

إن ظاهرة إنحدار الأدب الذي تقدمه الأجيال الجديدة (التي نشأت في ظل التبعية للنظريات الوافدة) باتت غير منكورة فقد كتب حسين مؤنس تحت عنوان (الأدب الرخيص يحتاج الحركة الأدبية) ما يؤكد هذا المعنى ، وقال أن أدب الشباب (يقصد المصري العربي منذ الستينات) أدب تافه رخيص لأنه لا يصدر عن ثقافة عميقة ولا عن وجهة صحيحة فكل من استطاع أن يحمل قلماً يكتب قصة ، أى كلام أو يكتب شعراً خراً يقول فيه أى خواطر: خواطر ساذجة وتافهة (والصحف تفتح صفحاتها لهذا الهراء وتشجعه لأنها حريصة على خلق حرف جديد قوامه التافهة) .

ويقول حسين مؤنس : إن هناك كتباً رخيصة تغطي الارصفة وإن موجة الأدب الرخيص تحتاج الحركة الأدبية ، وأقصد الأدب السهل الذي لا يكلف صاحبه في كتابته جهداً ولا دراسة ولا إطلاعا ومن هنا فإن القارئ لا يحصل منه على شيء ، ويقول الدكتور عبد القادر القط إن هناك ظاهرة هامة هي طغيان الإعلام على الثقافة وإن مفهوم الأدب يختلط بمفهوم الدعاية السياسية ، ويركز الإعلام بكل إمكانياته الضخمة على طائفة محدودة من الفنانين تفرض امزجتهم واختلافاتهم وأمورهم الشخصية والعاطفية على جمهور المثقفين حتى أمكن أن يسمى أعلامنا (أعلام النجوم) .

ونشير إلى ظاهرة الهبوط في الأدب (في الشعر والقصة) وفي النقد ونسأله أين هي الأعمال الأدبية الكبيرة والجديرة بالاهتمام .

أما الكتاب المسمون بالعالمقة فقد نضب معنيهم (توفيق الحكيم ، يحيى حقي ، زكي نجيب محمود ، حسين فوزى ، حسين مؤنس) يقول توفيق الحكيم : أصبحت مثل شجرة اللوز التي توقفت عن الطرح .

والظاهرة الرديئة على الساحة الأدبية : هي ترجمة المسرحيات والروايات العالمية ذات الطابع الأباحي والمنحرف وتقديم كل الاتجاهات الجديدة الفعلية

التي تمثل براعم في بيئتها والتي ليست لها طابع العالمية أو الإنسانية والتي تطرح قضايا فكرية أو اجتماعية أو سياسية غير ذات أهمية ولا يمكن الانتفاع منها كأنما أصبح أدبنا سوقا لعرض كل تفاهات الأمم والشعوب — والدراسات الأدبية في الجامعات تقوم على أساس المناهج الغربية الوافدة التي لا تمثل حقيقة الأدب العربي ولا نصالح للتطبيق عليه، والتي ترمى إلى قطع الامتداد بين الأدب العربي أصلا وبين الأدب الغربي الحديث، والنماذج المقدمة في الأدب تقوم على أساس مفهوم زائف ومسموم وهو أن النثر الفني في الأدب وما سواه ليس أدب، وبذلك يخرج من الدائرة كل كتاب الفكر الإسلامي، وكذلك فإن دراسات اللغة تخضع لمنهج وافد.

وكل ذلك يعني إيفال الأدب العربي الحديث في التبعية للتيارات الغربية والتيارات المنحرفة منها على الأخص والواقع أن الأدب العربي الأصيل لا يستطيع أن يقوم، كما يقول دكتور شكرى هياذ — إلا إذا حرر نفسه من النظريات السياسية التي تصب رقيته للحياة في قالب وحرر نفسه من النظريات التي تحصره في إطار الفن وتصرفه عن رؤية الحياة، ويشير إلى الخطأ البالغ الذي يقع فيه الأدب العربي متابعا الأدب الغربي حين يقطع الوشائج التي تربطه بترائه، ومعنى هذا إننا نستعبد للأدب الغربي أشد الاستعباد حين نقلد أشكاله الجديدة التي دفعه إليها ضجرة بالاشكال القديمة.

كذلك فإن أدبنا العربي ينحرف بشدة الآن نحو (الأدب الأسود) : وهو ما اصطلح عليه الأدباء الأوروبيون في العصر الحاضر، يعني بذلك الأدب الصريح في مسائل الجنس، أو ذلك الأدب الذي يهتم بنسوانى الضعف في الإنسان ويرزجوانب الحياة المظلمة، اتجاهاً نحو ترويج المضاع، والكسب الحرام. والأدب الأسود : هو ذلك الذي يخاطب الغرائز الإنسانية، وإذا كانوا في الغرب قد انحرفت نفسياتهم نحو هذا الإتجاه فما لنا نحن ونحن نبني حضارة جديدة يجب أن تستعمل على هذه المفاهيم المنحرفة، وخاصة انحراف الغرب نحو استشارة غرائز القراء، وخاصة تلك الروابط الخفية المستترة فيما بين الرجل والمرأة

كذلك فإننا حين نسقط في التبعية الغربية فإننا تدخل مرحلة (أدب الإنهزام واليأس) وليد الرأسمالية المنهارة أو (أدب الحقـد والبؤس) وليد الماركسية ولا ريب أن ظاهرة السيل الجارف من مؤلفات الأدب والقصص الواردة من الخارج المشبطة للهمم الباعثة على اليأس من شأنها أن تشكك على الأقل في قيمة الحياة ووجد الإنسان المبذول لرفع مستواها ، وهي تخالف مفهومنا الإسلامى الاصيل بالنسبة للعمل والسكسب والحلال والحرام .

إن هذه الصور من أدب الانهزام أو اليأس الوافدة إلينا لا تمثلنا ولا تعبر عن مشاعرنا ولا تنطلق مع مقوماتنا وهي مكتوبة بصورة مأكرة ومطروحة بعناية في أفق فكرنا لتخلق في أنفسنا روح الهزيمة واليأس التى حرمنا علينا الاسلام (قل يا أيها الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) إن الادب العربى الآن فى مرحلة الهزيمة والانحدار والادب المتشائم هو وليه نظرية الخطيئة ونسيجة الايدولوجية الغربية المتدهورة المشرفة على الانهيار .

وكذلك فإننا نسرف فى الخروج من الاصاله حين نعمل على إحياء الاساطير وخاصة هذا الاهتمام البالغ بأسطورة جلجامش (ملك أوروك الذى كان يمارس عملية الاغتصاب مع عذارى قومه قبل زفافهن إلى أزواجهن) .

وهذا إستمداد من نظرية إعادة كتابه التراث على مفهوم التغريب والشعوبية : هذه النظرة التى بدأها الدكتور طه حسين بكسر قداسة النص الإسلامى فى عصر الصحابة وثنى بها لويس عوض فى كسر قداسة اللغة .

وهناك الدعوة الفينيقية التى تبناها دعاة الحزب القومى السورى وما يتصل بها من كتابات بدر السيات الذى استعاد جلجامش وأودونيس الذى استعار (تموز) وصلاح عبد الصبور الذى استعاد الحلاج وثورة الزنج والشرقاوى الذى وصف الرسول محمد بأنه مصلح إجتماعى وكان ذلك على طريق جرجى زيدان وأحمد أمين وهيكى الذى أنكر المعجزات ولقد رأينا عجباً فى ذلك النظام الذى قدمته أقلام الماركسيين والشعوبيين والتغريبيين خلال فترة (الستينات) من تقديم الفكر للماركسى من

خلال الفكر الوجودي ، وتيار القومية مع تيار الماركسية وما أسماه محمود أمين العالم البعث الماركسي وكتابات رجاء النقاش وغالي شكرى ولويس عوض وكامل زهيرى ، التى لا يمكن أن توصف بأنها ماركسية أو وجودية أو بعثية أو مادية خالصة وعلى رأس التيار المادى دكتور زكى نجيب محمود الذى أحيا من التراث العربى : الزنادقة دعاة المحوسية والشعبوية أمثال ابن الراوندى .

أما الشعر الجديد فقد كان محاولة واضحة لكسر عامود اللغة والشعر ولخلق تيار تحطيم البلاغة العربية تحت عنوان المونولوج الداخلى والحوار العامى ، حيث تجدد بدر السياب وخليل حاوى والبياتى ونزار قبانى ، وأوديس ، ومحمود درويش وصلاح عبد الصبور وفاروق شوشة ونجيب سرور وكال عمار وجيل عبد الرحمن وتاج السر ومحمى الدين فارس ومحمد الفيتورى وسلى الخضراء الحيوسى وناجى غلوش ، ومقوله أن الشعر الفرعونى يسبق اليوت وشكله التجديدى فى الأرض الحراب بثلاثة آلاف عام كما يقول الوجودى الماركسى (مجاهد عبد المنعم مجاهد)

ويصور الهدف أنور عبد الملك من تلك المحاولة التى وأدت وسقطت وإن كانت آثارها ما تزال مبهمة هنا وهناك فى مجلة العربى ومجلة الدوحة وهى محاولة تغيير الإطار العربى الإسلامى : يقول هذا هو جوهر عملنا القائم منذ ١٩٥٩ وتجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب (وتحت اسم الثورة الوطنية التقدمية) وهى مرحلة الحملة على المفاهيم والتقاليد العسكرية الموروثة للأجيال السابقة فى أجواء (استشراف أو أمية أو سلفية) ومعنى هذا كله هدم الأساس الإسلامى لهذه الأمة الذى قام عليها الفكر الإسلامى والأدب العربى والتاريخ واللغة خلال خمسة عشر عاما ، وقد جرت المحاولة وهى شبيهة بالمحاولة الأخرى التى سبقتها بقيادة الليبرالية الغربية وسقطت كليهما .

(كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) .

أن الأدب العربى لم يستطع أن يقف أمام هذا التيار العنيف ولكن الذى وقف هو الفكر الإسلامى ، الاصيل المستمد من القرآن والسنة فقد انتفضت

الأقلام المؤمنة وراحت تواجه المعركة في أصالة وثقة ، على نفس الطريق الذي واجهت به هذه الأقلام نفسها مؤامرة ترجمة الفلسفة اليونانية والمجوسية واستطاعت أن تضع الحقائق الإسلامية واضحة أمام الأجيال الجديدة التي كانت قد عرفت طريق الله بعد النكسة التي كانت قمة هذا النحدي من التيارات الغربية والماركسية والصهيونية ذلك لأن الأدب العربي — أو الأدب جملة — لا يستطيع أن يعطى في أيام المحن الكبرى ، ولقد خضع الأدب للتيارات وأنشأ غشاء منهزماً ، لا يمثل هذه الأمة ولا حقيقة جوهرها ولا معدن أصالتها ولا روحها الإسلامية القرآنية ، ولكن المدرسة القرآنية هي التي استطاعت أن تحمل اللواء وأن تصحح المفاهيم .

ولا ريب أن كل هذه الفنون الضالة الهابطة من القصة والشعر الحر والمترجمات ذات التبعية سوف تموت وتبقي الأصالة ؟

(٧)

ولقد كانت قضية المذاهب الأدبية (رومانسيه وكلاسيكه ورمزيه) عنوان آخر على التبعية ، فهي مذاهب متصلة بتطور الأدب الغربي فكيف نقلها إلى ساحة الأدب العربي دون أن يكون لها وجودها الحقيقي — يقول الدكتور محمد محمد حسين : إن احتفاظ الأمة بخصائصها المميزة لشخصيتها الجماعية من الأهمية بمكان . سواء فيما يجتمع عليه من ناحية وفيما تتخالف فيه غيرها من ناحية أخرى ، وبمثل ما أن الاتحاد مقصود لذاته فالخالفه أيضاً مقصود لذاته ؛ لأن الأمم تحتفظ بذواتها من هذين الطريقتين معاً ، والأمة التي تفرط فيهما أو في أحدهما أمه تسعى إلى فنائها باندثارها وفنائها في غيرها . المذاهب الأدبية الوافدة (رومانسيه ، وواقعية ورمزيه) حركات أدبية تنبعث من واقع اجتماعي وصدرت عن نظريات فلسفية في الحياة والفن قد يتعارض مع نظرة الإسلام وآدابه وحلاله وحرامه . ولكننا مع ذلك تتميز في موطنها بالصدق لأنها ولدت ولادة طبيعية وعبرت عن حاجات نفسية واجتماعية وفكرية حقيقية . أما ما يقابلها عندنا فهو شاحب ذابل كالنبات المنقول من غير موطنه لأنه

وجد دون أن تدعو إليه حاجة . والمبرر الوحيد لوجوده هو التقليد ومثلنا فيه كمثل البدائي الذي يلبس قبعة الغربي وقفازة ويظل مع ذلك عارى الجسم حافى القدمين غير مستور الصورة . لست أحظر التأثير والتأثر في مجال الأدب وغيره من المجالات فذلك شيء لا سبيل إلى مقاومته لأنه يجري على سنن يستحيل الوقوف في وجهها وضد تيارها .

ولكن الأمم الحية تتحرى فيما تأخذ وفيما تدع الأمور على فطرة سليمة ووعي ذكي ، وتدرك أن ما يصلح عليه جماعة من الناس قد يؤذى جماعة أخرى من غير جنسهم . والمجاهات البشرية في هذا كالنبات والحيوان وسائر خلق الله تعتمد في غذائها على عناصر وأنواع يختلف باختلاف أجناسها .

فإذا أخذت بمقدار ما يصلح شأنها ويزيدها قوة ونماء ثم لا بد من إحالته إلى هضات تجري في عروقها لتنبئ خلايا جديدة من جنس خلاياها ويظل للمر بعد ذلك من النبات مرارته وللحلو حلاوته وللمر مرازته ولكل صنف منه رائحته المميزة وشكله الفريد .

(٨)

ولقد دخلت على الساحة الأدبية كتابات إسلامية من كتاب عرفوا بالولاء للفكر الغربي ، وهلل الناس وكبروا كثيراً لهذه الكتابات وعدوها منهاجاً أصيلاً في الكتابة الإسلامية ، ومن أهم ذلك ما كتبه العقاد وطه حسين وهيك .

والحقيقة أن هذه الكتابات الإسلامية كتبت في إطار المنهج الغربي في الفكر والتاريخ وأنها لم تحرر تماماً على منهج الإسلام ، ولم تخل من سيطرة المفهوم الغربي والمادى على كتابها ومن ذلك خطورة أفكار معجزات الرسول (هيك) أو اعتقاد مذاهب المفكرين الغرب أمثال لمبرورز وغيره في تفسير حياة أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب (العقاد) أو عما كنه عصر الصحابة لمفاهيم السياسة والصراع الحزبي (طه حسين) .

ويقول دكتور محمد محمد حسين : طه حسين والعقاد لا ينتميان أصلاً إلى

المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ولكنهما ينتجان منذ نشأتها إلى المدرسة الليبرالية المحررة التي تعتبر لطفي السيد أستاذها الأول في جيلهما ، والمدرسة الليبرالية تحكم العقل المجرد والمتحرر من كل الموارث الفكرية والسلوكية في كل شيء ولا تبالى أن يلتقي مع الدين في كل وجهات النظر أو في بعضها أو تتعارض معه وتخالفه ولكن طه حسين كان أكثر عنفاً وأكثر جرأة في معارضة الدين وفي المجاهرة بما يشير الناس ليلفت إليه الانظار . هاجم طه حسين أبيه فيما كان يتلو من أوارد في أعقاب الصلاة وفي الليل في كتاب الأيام ، وطه حسين والعقاد قد اكتسحتهما الموجة الإسلامية العارمة فتتابعت كتبهما بعد أن أصبح ذلك هو البدع الشائع الذي يغمر الأسراق ، ولم يعد التشدد بالكفر ونظراته المستوردة سمة من سمات المفكرين تستهوى الأغرار من الشباب كما كان في العشرينات ، ويرجع هذا الانقلاب الفكري إلى عدة عوامل عدلت بالناس ويكثر من المفكرين عن طريق احتذاء الحضارة الغربية والفكر الغربي إلى طريق الإسلام منها :

(١) موجة التبشير . (٢) هجرة اليهود إلى فلسطين .

(٣) سقوط الخلافة على يد الكماليين .

(٤) ظهور جمعيات إسلامية عظيمة يقودها الأخوان والشبان :

وهناك قاعدة أساسية يجب أن توضع في الحساب حين يوزن الأدباء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية وهي : إن الإسلام نظرية في السلوك يمثل ما أنه نظرية في المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامي أو أدب إسلامي من مفكر ، أو أديب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به ومعروف أن طه حسين والعقاد لم يكونا يمارسين للإسلام في أصوله الأصلية ولا شك أن من وراء وسائل الاعلام جهات مختلفة ذات نفوذ وسلطان تجمعها عداوة الإسلام والكيده وهي تعمل بأيدي ضعاف المسلمين الذين يفرهم بريق المال والجاه .

(٢)

السريالية

لقد جرت المحاولة مرة ومرة ومرة ولا تزال تجرى لإخراج المسلمين من الدائرة الحقيقية إلى الدوائر الوهمية ، جرت وتجري حول الإفليمية وحول القومية وحول الاشتراكية ، وكل دورة من هذه تأخذ زمنا طويلا ووقتا وجهدا ثم تنفث كما تنفث السكرة أو كاوتشر السيارة ، وتجري المحاولات مرة أخرى للعودة إلى شيء جديد ، المحاولات كلها ترمى إلى ضياع الوقت وإلى اللعب في ملاعب الآخرين ، وإلى امتصاص الفورة وتذويب النهضة ، أن هناك عشرات المحاولات منها محاولة الفيلسكولور والكتابة بالعامية والشعر الحر ، هناك محاولات المسرح والمسلسلات والسكرة وإحياء الأساطير ، ومفاهيم التصوف الفلسفي (الحلاج وابن عربي وابن سيمين) واللهو بالرحلات والسياحات والموسيقى الصاخبة والأغاني ، (وكل هذا مدون في برتوكولات صهيون) وهناك الدعوات الماكرة إلى تعلم اللغات أو ترجمة كتب العرب ، كل هذا يجري بطريقة عشوائية لأنها لا تلتزم بتقديم شيء نافع ، ولكنها ليست عشوائية في تقدير القائمين عليها والداعين إليها بالشعارات الطنانة ، العبارات الرنانة ، ومن وراء ذلك نكسات متواليات لأن الطريق غير صحيح ، والوجهة مكذوبة خادعة مضللة ، إن الذين يمسكون بالخيوط من وراء الستار غاية في الذكاء وقادريين على التعبير في الوقت المناسب لتقديم فصل آخر ، في العهد الناصري (١٩٥٢ - ١٩٦٧) بديل الثقافة الاقطاعية هو تقديم الثقافة الشعبية (الفيلسكولور) ودعوات الارتباط بالأرض والتراب ، ودخول مرحلة الترف الفكري بينما الوطن في مرحلة القحط الاقتصادي ، وفي المغرب يتحدثون عن أحدث النظريات الغربية المخترقة عن (السريالية) في الرسم ، وقد أثارت (التجريدية) الجدل واختلفت الآراء في تقييمها ، الكثير من الناس لا يفرقون بينها وبين التجريد الذي عرف كأسلوب في معالجة الأعمال الفنية ،

ولتقريب مدلول التجربة نقارن بين الصورة للفوتوغرافية واللوحة الفنية لنفس المنظر ، وطبيعى أن نرى اختلافا ولو طفيفا ، لأن الفنان لابد أن يضيف أو يلغى شيئا من الصورة الأصلية ، هذا الإلغاء يعرف بالتجريد ، هذا الشكل من التجريد عرف فى الأشكال الفنية منذ عهد أفلاطون ، أما الفن التجريدى فقد ظهر كذهب أو مدرسة فنية تقطع كل صلة لها بالمدارس الأخرى - التجريدية تعتمد على جمال مبتافيزيقى غير مادى ، ولا علاقة له بالواقع إذ أن الفنان يجرد عمله الفنى من الموضوع ومن المضمون ، ولا يعطى اهتمامه للشكل الذى يحافظ على تبعيته ، والتجريدية نوعان منها ما يستهدف الجمال ويراعى خلال إنجاز عمله الانسجام بين الأبواب والتناسب بين التفاصيل وتوزيع الفراغات (ويسمى التجريدية الزخرفية) أما النوع الثانى الذى يستعمل فيه الخبر والألوان عشوائياً متجاهلا ما يمليه عليه الوعى فيلغى التناسق والانسجام .

أما السريالية فقد ظهرت أول الأمر : كحركة احتجاج على حضارة العقل والعلم والتقدم التى صاحبت الحرب العالمية الأولى ، كانت الحرب العالمية الأولى فى نظر الشباب المثقف من جيلها أكبر شاهد على إفلاس حضارة العقل والعلم والتقدم التى نادى أوروبا بالغاء ما قبل بثلاثة قرون كاملة منذ سيكون وديكارت ونيوتن على أقل التقدير ، هذا اليأس من العلم والعقل دفع بالمثقفين المحافظين مثل عذرا باوندت وس اليوت إلى المكملة والتناس دفع بالخلص بالإيمان المطلق بما دفع المثقفين إلى رفع راية الاعتقل واللاعلم ورفض الواقع والمجتمع والدعوة إلى الثورة الدائمة على كافة المواصفات الأدبية والفنية والاجتماعية . ومن اليأس الذى يعيش فى ظل الدمار الذى الوشيك الذى يثير بين البشر اليوم ألوانا من المثل ، مثل كآبة جيمس دين وفوضوية الهيبة وعدمية الأولولة الحراء وانتحارية جيم جونز ومجتمعات أخرى رافضة للحضارة .

وكان شعراء السريالية يحملون كل سمات المراهقة التى يتميز بها طابع الايقاع ، وامتدت المراهقة من الفسكر إلى السلوك : صرخات مبهمه

والفاظ مدغدغة . ولقد مزج السرياليون التصوير بالادب في الادب الموسيقى والموسيقى بالتصوير والكل بإيقاع الرقص .

وكانت ثورة السرياليين في العشرينات بعد الحرب العالمية الاولى أشبه بثورة الوجوديين في الاربعينات : ثورة في الفكر والسلوك بمفهوم عبادة الحضارة والصخب والتعاطف مع كل جديد وتحدى كل ما تعارف عليه الناس وتواضعوا ، هذا كله يعطى مفهوما واضحا أن السريالية من مذاهب الهدم وقد سارت السريالية في طريق مسدود وخرجت منها الفوضوية ، وقد عرفت باسم (الدعاية للمبدأ بالجريمة) ومشكلة القانون والحرية هما مفتاح الفوضوية ، فالقانون إلزام وقيد على حرية الفرد والحرية عندهم بغير حدود ولا قيد ، وعداء الفوضوية عداء صريح وقد قامت بأعمال القتل والنسف والتخريب ومن قلب السريالية ظهرت الوجودية وهى نبت ماضى مشوه يجعل كل همه قضية الحرية والإنسان والدعوة إلى تحرير الإنسان من كل القيم والقيود دون تقدير للقاعدة الاساسية التى تقول : إن حرية الإنسان تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين . بمعنى أن الإنسان يظل متمتعا بحريته إلى أن يصل إلى مجال حرية الآخر والحرية فى المفهوم الاصيل : مقيدة ولها ضوابط . ومن أبرز نتاج السريالية (الارض الخراب لايوت) يعتمد على كتاب الغصن الذهبى لفريزر والكتاب المقدس ، وقال النقاد أنها تمثل انعكاسا لغوصى العصر وقال أنها أكبر العوبة فى هذا القرن .

وقد وصفت السريالية وخليفتها (العدمية والوجودية) بأنها أدب يستمد كيانه من عالم اللاوعى وينكر الواقع ، ويتسم بالغموض ، ويهدف إلى الهروب من الواقع وإلى خلق عالم وهمى يعوض عن نقص العالم الواقعى ، ويمكن تسمية أدب هروب أو تخلص من الالتزام الاخلاقى والمسئولية الفردية وقد خلق مفهوما زائفا من وضع الخيال مكان الواقع وتعتمد قادة هذا التيار الرمزى (بوداير وما لارميه ورامبو وغيرهم) على تعمد الاضطراب والتشويه عن طريق الغموض وسحر اللغة والاغراب فى كل مألوف وتدمير نظام الواقع والانظمة المنطقية والانعمالية المألوفة ولهم آراء عجيبه لا يمكن أن يقبلها ألقى

الأدب العربي القائم على الأصالة والإيمان والعقل والوجدان فيقول رامبو
أن على الشاعر أن يشوه نفسه ، وأن الدفعة الشعرية لا تنبعث إلا بمسوخ
الذات وتقبيح النفس وحينما تراجع هذا الرعيل من الشعراء تجد خروجا
على المألوف في السلوك والمظهر والعقيدة والتعامل مع المجتمع ، هذا الأدب
لا يمكن أن يكون صادراً عن شخصيات سوية فضلا عن أنه لا بد أن يكون
مقصودا به تدمير المجتمعات ومن ورائه قوى خطيرة تعمل على ذلك .
ومن يدرس حياة هؤلاء يجدها مثلاً للشذوذ وللنهاية السوداء لإسرافهم
في الانحراف عن قواعد المجتمعات . ويرد (لوتريامون) هذا الشذوذ إلى
فقدان الحنان العائلي ، ففهم من كان ابن غير شرعى ، فبودلير الذى شكل
زواج أمه من غير أبيه صدعا في حياته ، ورامبو الذى لم يلق العطف
من أمه وعلاقاته المضطربة بالمرأة لضعف رجولته واعتاقه (الداندية)
النعومة المتأنقة . والمركين دى ساد الرواقى الذى اعتبره السرياليون منهم
واشتق من اسمه المرض النفسى المعروف : فضلا عن البوهمية والشذوذ
الجنسى والموت المبكر، هؤلاء الذين أكدوا شذوذهم ، قد سحقهم المجتمع ،
فأمضى ساد معظم حياته في السجن وقضى غيره نحبه وقد أنهكه الكحول
ومات بوريل من شدة الفقر وتعرض سويفت لعشر سنوات من المرض
العقلى وقضى بودلير بعد أن فقد الكلام ومات نيتشه مجنونا ولاسونه على
المقصلة . وعاش توفو وفيليه في فقر موقع وانتحر من السرياليين جاك ريجو
وربيه كريفييل واعتبر السرياليون انتحارهما نوعا من الاستشهاد واعتبروه
تحقيقا للذات ، ولا ريب فقد كان الاقبال على الانتحار وتدمير الذات
من دعوات السريالية وكذلك الهلال والاحاق والانتحار ، يؤكد السرياليين
على تجوالها في المنطقة الحرام فيؤمنون بالاشباح وبالقصور التى تسكنها
الاشباح ، والهلوسة أثناء اليقظة وتبدأ الهلوسة كطريق للرؤية والرؤيا أمام
الشاعر السريالى وقد رسموا كثيرا من الصور المريضة القائمة على الوحوش
والظلام والاشباح .

ومن هنا فقد وصف شعر السرياليين بأنه شعر الهواجس والالام
والهلوسات الصادرة من اختلال الخواص ورجوعا إلى العقل الباطن أو تعمد

الهلوسة التي تصطبغ بالمخدرات والعقاقير لتنشيط ملكة التخيل وشعرهم شعر حر منفلت من رقابة الوعي صادر من أعماق اللاشعور حيث أن الضبط والمنطق من ألد أعداء السريالية وهي ما قامت إلا لتنحطيمة حتى لا يكون للكتابة مضمون خاضع لاهتمام جمالي أو أخلاقي .

هذه هي ظاهرة السريالية التي نقلت إلى أفق الأدب العربي والشعر العربي تحت أسماء كثيرة أصيب بها المجتمع الأوربي بها بعد حربين مدمرتين فسكانت هذه التيارات التي شكلت بشوراً على وجه الأدب ولما خفت حدة الحمى ، وبدأ المجتمع الأوربي يرجع إلى شيء من اتزانه رأينا نهاية السريالين كما رأينا انتهاء موجة اليوت وخفت صوت الوجوديين ، وتقلصت بذلك روح الغربة وانعزال الفرد وضياع التفاؤل في خضم العدمية وفقدان العلم .

ولقد وصفت السريالية وبحق ودعوة إلى الهروب من الواقع ، وكانت رد فعل (الدادية) التي صورت كل أهوال الدمار ومآسى الحرب العالمية الأولى ، وهي تعبير عن النفس بعيدا عن رقابة العقل ودون أي حساب للاعتبارات الجمالية فضلا عن الأخلاقية ولاشك أن فكرة السريالية في القول بإطلاق الفكر بحرية كاملة لكي يملأ خواطره وشوارده ونزواته وشطحاته بدون رقابة من العقل المعتمد بقواعد المنطق والجساب هو قول لا يقوله إلا مجموعة من شذاذ الافاق والمجانين ولا يقال إلا تحت ضغلة تحديات خطيرة ولا ريب أن القوى التلمودية قد اتخذت من نظريات فرويد في علم النفس والجنس منطلقا للسريالية فاتخذت منها ركيزة ثم جاءت الوجودية في المرحلة التالية بعد الحرب العالمية الثانية . (يتصرف عن عبد الله المدرس)

(٢)

يقول عبد الله المدرس (في كتاب عصر السريالية للدكتور والاس فاوولي) يلتقى أقصى اليمين بأقصى اليسار في توافق غريب ، وتتجاوز الاسرائيليات

البنية التي تبلغ حد السحر والأساطير والبدائية والطقوسية واللامعقولية مع التيارات الفكرية السارية التي تبدأ بتحطيم كافة القواعد والمؤسسات : اللغة ، العائلة ، الدين ، المجتمع ، الأخلاق ، الدولة منتهية إلى نزعة عنصرية لا تعرف سوى الهدم والتدمير ؛ وتنقل زعماء السريالين بين الشيوعية والليبرالية ، وبين موسكو وواشنطن .

كذلك فإن كتاب عصر السريالية محولات كيدات مستمرة على أهمية الفكر اليهودي في النظريات الغيبية : سريالية وغير سريالية وعلى دور اليهود في قيادة الحركات الغيبية والفكرية الجديدة في ريادة الحركات الفنية والفكرية الجديدة وعلى القيم الدينية اليهودية المنبثقة في حنايا الكتاب عبر الأطار السريالي (فوق الواقعى) ومن خلال أشد النزعات انكاراً للدين والصاها بالرفض والتلمل والإلحاد .

وأشار هبد الله المدرس إلى ما تلعب حركة السريانية من العنف والنزعة التخريبية للأجهاز على كل القواعد والقيم والعلاقات والمؤسسات اللغوية . والدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية حداً يجعلها أداة حسنة لتنفيذ بعض الأهداف اليهودية في نشر الفوضى والتفكك والإباحية الجنسية في أقصى حالاتها الشذوذية والخراب سواء عمل في إطارها اليمينيون أو اليساريون مادام (ماركس) و (فرويد) اليهوديين قد ضعفا بسبب نزوعهما الثورى العنيف ضمن قائمة السريالين . أى فوق الواقعيين .

ويكشف عبد الله المدرس من مراجع كتاب (عصر السريالية) لمولاس فأولى الجذور الحقيقية للسريالية المرتبطة بالشيوعية فهي تستخدم المعايير الماركسية في أكثر من موضع كقيم موضوعية ، وعبارات السريالية تذكرنا بعبارات بروتوكولات صهيونية وخاصة في مفهوم الحرية وسين تنظيم السريالين ماركس وفرويد اليهوديان في سلوكها تبدواله ورة واضحة ومكتملة فقد تحدثت البروتوكولات عنهما وعن نظريتهما كأدوات لسحق القيم وتدمير المجتمعات وتفكيك العلاقات الإنسانية قالت البروتوكولات :

لا تنصـوروا أن تصـريـحاتنا كـلمات جـوفاء ، ولا خـطـوا هـنا أن نـجـاح دارون
وماركس ونيـتـشه قد رتبناه من قبل والاثـر غير الاخلاقى لا تـجـاهات هـذه
العالم فى الفـسـكر الـامـمى (غير الـيـهودى) سـيـكون واضـحاً لنا بالـأكـيد ، والـكـتاب
يشير بوضوح وتأكـيد على الـيـهود الـذين يقفون مـبـاشـرة أو بـشـكل غير مـبـاشـر
وراء هـذه الحـركـة الـهـدمـية الـمـتـطـرفـة . قالوا فى البروتوكولات :

إننا نـسـخـر فى خـدمـتنا أناساً من جـمـيع المـذاهب والـأحزاب من رـجـال يـرـغـبون
فى إعـادـة المـلـكـيات واشـتراكيـن وشيوعـين وحـامـلـين بـكل أنـواع الطـويـيات
ولقد وضـعناهم جـمـيعاً تـحت السـرج .

إن السـريـالـية تـعـمـد على نظـريـة (الـلاوعى) الـتى بـدأها منـذ وقـت بـعـيد ثـلاثـة
من الـيـهود هم هـنرى برـسـون ، وانـدرىـه جـيد وفـرويد ، ولقد كـانـت نظـريـة
فـروـيد فى (الـلاوعى) هـى مـركـز النـشاط السـريـالى كـله ، ومـنـها تـشـم رايـحة الشـرق
إلى السـكـنـوت الإـسـرائـيلى وسـجـره وتـعـازيمه ، وفـروـيد كـما هو مـعـروف يـرد
كـل فـاعـليـات الإنـسـان إلى الجـنس ويرفع مـعـوله بـاسـم التـحـرز من العـقد والسـكـب
لـكى يـنـزل بـه على كـل القـيم المـدنيـة والعـلاقـات الأخلاقية والمؤسـسات الاجـتمـاعية
ولـكى يـدمـر الثـقة بالعـقل والمنطق والممارسات الواقعية .

هـذه المـطـرـوسـات الخـطـيرة فى أفق الـادب العربى بـترجمـات كـثير من القـصـص
السـريـالـية والعـدمية إلى اللـغة العربـية دون أن يـكون واضـحاً وجـتها أو مـفـهومها
أو تياراتها يدعوننا إلى الخـذر واليقظة فـهـذا منـطـلق لصـراع شـامـل تـقوم بـه القـوى
الـيـهودية الصـهـبـونية لـلـادب العالمـية كـلها وبـالطـبع يـتـسـرب إلى الفـسـكر الإـسـلامى
والادب العربى .

وهذا كـما يـقـول — عبد الله المـدرس — يـتـطـلب مـنا المـزيد من تـأصـيل
شـخصـيتنا فى عالم الفن والفـكر والادب تـمـاماً كما يـتـوجـب ذلـك فى عالم السـياسـة
والعقيدة والحرب .

وهذا التـأصـيل الـذى نـجـده مـنبثاً فى حـنايا كـتاب الله ونداءات رسـوله

عليه الصلاة والسلام وهو البديل الوحيد لمزيمتنا ، وأى اختيار غيره في عالم
الفكر والسياسة والعقيدة يحىء بمشابه انتحار أو تأكيد المزيمة على الأقل .

ومع ضيق الأفق والتعقيم ومحاولة حجب الحذور الذى تفرضه قوى
التغريب ، فاننا ننظر إلى هذه المصطلحات على انها كلمات أدبية ونغفل عما
وراءها من أهداف واغراض ويجرى كثير منا وراءها مخدوعين على أنها
مصطلحات عليه يمكن أن يتابعها الأدب العربى ليسكون عصريا مساوقا
للنهضة مع أن الحقيقة هى أن الأدب العربى حين تتابع هذه المصطلحات يوغل في
غرية شديدة ويخلع ثوب اصالته وينصهر في اتون الفكر الوافد المنحرف الذى
دمرت قيمه وقواه مؤامرة احيوائه في اطار الاباحيات والاساطير .

ويتصل بهذا ما يحاول دعاة التغريب اذاعته من الادعاء بأن الفكر
الاسلامى يتشابه مع الفكر الماركسى وأن منطلقات الفكرين واحد ومن ذلك
قولهم زورا بماركسيه بعض الصحابه الاجلاء أو أن الاسلام ثورة اجتماعية قادها
الأمير الاعظم محمد بن عبد الله ضد أغنياء قريش لصالح فقراتها ، وذلك كله
اتجاه مسموم بقصد تفريغ الاسلام من محتواه العقائدى والروحى في وتفريغ القرآن
من أنه وحى من عند الله ونفى صفة النبوة عن الرسول واعتبار أنه مجرد
مصلح اجتماعى لا أكثر .

(٣)

الفلسكور

وهناك الدعوة إلى الادب الشعبى : أو الفلسكور والاحتفاء به ورعايته
واحيائه وهو امتداد تطبقى للدعوة إلى استبدال الالهجات المحلية العامه مكان
اللغة الفصحى لتمزيق شمل العرب والمسلمين ، يقول الدكتور محمد محمد
حسين : أما الفلسكور فهو اصطلاح ظهر في أوروبا في منتصف القرن الميلادى
الماضى ليدل على الدراسات التاريخية التى تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم

وطقوسهم أو أمثال أو تراث أو أهازيج ، يدرس هذا كله من خلال الآثار والعاديات كما تستقضى آثاره الباقية في الجماعات البشرية المعاصرة ، وقد انصرفت هذه الدراسة عند نشأتها إلى المجتمعات المختلفة والمستعمرات يقصد التعمق في دراسة سكان هذه المناطق للتوصل إلى أمثل الطرق وأحذق الخطط للتمكين منهم واستغلالهم واستدامة عبوديتهم ، ثم امتدت إلى المجتمعات البشرية على مختلف المستويات ، واستخدمت في توجيه كثير من الفنون كالرقص والموسيقى والأناشيد وجهة قومية يتميز كل بلد عن غيره من البلاد والقوميات ولجملنا بأهدافها الحقيقية ولحب التقليد نقلنا (الفنون الشعبية) واتجه معنا إلى الدفاع عنها وتمجيدها والمحافظة عليها وكثر خلط المخلطين . وتهريج المهرجين باسم الشعب والشعبية ولا ريب أن تغذية هذا التيار وتنمية هذا الانحياز لا يساعد على تدعيم الوحدة الإسلامية أو الوحدة العربية التي هي بلاشك نواة الوحدة الإسلامية التي لا تصح بغيرها بل هي على العكس من ذلك تماماً فإنها تساعد على تفتيت الجامعة الإسلامية والجامعة العربية بما تحييه من نغرات عنصرية وطائفية كانت تجتمع على الإسلام وقيمة ولا عقيدة لها في سواه .

٢ — اتصال الفلاسكور بالدعوة إلى إحلال اللهجات العامة محل العربية الفصحى هذه الدعوة وجدت مواجهة عنيفة . وهي تستخفي حيناً لتظهر من جديد وقد حاول الداعون بها أن يوجهوا العناية إلى الخيال الفني الذي تمثله بعض الأمثال والقصص والأغاني التي يتداولها العامة .

وقد دونوا ما لم يكن مدوناً والقوا مزيداً من الأضواء على ما كان مدوناً بطريقة تكتيكية ملجؤه مثل ألف ليلة وغيرها . فلما برزت الدعوة إلى العناية بالفنون الشعبية (الفلاسكور) وتمسح الداعون بهذه الدعوة بين العرب بالشعبية والشعب زاعمين إن الاهتمام بهذا اللون من الفنون يرفع من العناية بالطبقات الفقيرة الكادحة وما يتصل بها من شئون ، نشط دعاة اللهجات العامة للتحمس لهذا الاتجاه ومساندته لأنهم وجدوا فيه منفساً لدعوتهم وبجلاً فسيحاً لتطبيقها : والفن في صورته العامة وسيلة من وسائل السمو

فوق الواقع المسف ، والفن الذى يستحق أن يجهد النقاد أنفسهم فى تذوقه هو الاثر الذى أجهد الفنان نفسه فى إنتاجه ، فالنقاد غير مكلفين يعفون خواطر البدو والعوام لأن عفون خواطر العوام لا يصلح إلا لهم أمثالهم من العوام ولا ينبغى أن يكون من أهدافنا التسفل بالاذواق الممذبة بل العكس تهذيب الاذواق الخسنة البدائية، ولقد كان هذا التهذيب من أثر الإسلام فى البدو فقد شملت آدابه مختلف نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ومناشطها من مأكل وملبس بل تغلغلت آدابه إلى أدق المعاملات فى معاشرة الرجل لزوجته وامتدت إلى أخفى الشئون فى خلوة المرأة لقضاء حاجته . والذين يدهون إلى الأدب الشعبى من منطلق ترويج العامة يزعم أنها لغة حية وأن الفصحى لغة ميتة مهجورة ينسون أن الأدب بطبعه متعة عقلية وروحية وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية ، وليست المشكلة مشكلة الألفاظ فحسب ، ولكننا مشكلة الأفكار والاختيلة التى تحتاج فى تذوقها إلى مستوى ثقافى معين ، فهما نعمل على تيسير الألفاظ وجعلها فى متناول عامة الناس فلن يستطيعوا آلا فهم ما يلائم عقولهم وثقافتهم من الآداب السطحية التى لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها والأدب الشعبى لا يتميز بلفظه فحسب بل يتميز أولاً وقبل كل شيء بسطحيته فى التفسير وبساطته التى تلائم السذج من البدائيين ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والمزاج الصافى الصقيل ، ومن هنا يتبين أن تشجيع ما يسمى بالأدب الشعبى ينطوى على ضرر بالغ من ناحيتين :

(أولاهما) : هى تمييز كل جماعة بطابع خاص بتعصب له بما لا يعين على تدعيم الوحدة المرجوة .

(ثانيهما) . لأنه يعين على تقطيع ما بين الأمة من وشائج فيصحبون لا يفهم بعضهم عن بعض والمسلمون والعرب لا يجتمعون على فهم شيء مما يذاع فى مختلف أجهزة البث ألا ما يذاع منه بالفصحى . وضرر آخر أنه يدعو إلى الانحدار الفنى بدل أن يأخذ الاذواق إلى الاسمى والافضل .

(٤)

الادب العربي في منظور الفكر الإسلامى ينبغي أن تخضع لمقياسين .

(الأول) : مقياس إسلامى يأخذ أصوله من التصور الشامل للسكون والحياة والإنسان وينطلق من كتاب الله وسنة رسوله .

(الثانى) مقياس فى يستقى أصوله من اللغة العربية وبلاغتها وسحرها الأخاذ وبغير هذين المقياسين يفقد الادب هويته ، وأهم ما يمثل الادب العربى النظرة الشاملة إلى الحياة لا كما صورتها النحل الزائفة والاهواء الجامحة ممثلة فى عدة عناصر :

١ - الشوق إلى الله لا بأسلوب التناسخ والحلول بل بأسلوب القرآن الذى يرفض ما يشيع اذن من أدب بعض الكتاب ممن تأثروا بالانجماوات المريبة .

٢ - الابتعاد عن فكرة تعدد الآلهة التى شاعت فى الادب الحديث نقلا عن الملاحدة والافاقين الذين ظهروا فى عهود الجاهلية أو الذين ظهروا فى كهوف الضياع الذى أخذ يطبق على العالم بعد أن فقد إيمانه وقدرته والتحرر من سيطرته (اللاوعى) الذى صار هذيانا فى كثير من الاعمال الادبية واتخذ طابعا يعوق الفكر ويعقد الإبداع ويصدره لا ينفع الناس وهو ما يرفض العقل السليم والذوق الرفيع .

٣ - الاستفادة من التصوير الغنى فى القرآن الكريم وما يتصل بالحياة الدنيا وبالحياة الاخرى [ليثبت القوة فى النفوس ويزرع الامل فى القلوب .

يقول الأستاذ أحمد مطلوب الذى نقلنا منه هذه الفقرات : إن المسلمين مدعوون إلى خلق أدب إسلامى جديد يعبر عن الإنسان وتطلعاته ويعلى أشواقه وآماله ويرسم صورة صادقة للأجيال التى تتخطفها العقائد الزائفة والمذاهب المؤدية بأهلها إلى النار ، ويقول : إن الادب العربى مدعو فى هذه الفترة التى تمر بها الامة فى نضالها ضد أعداء الإنسانية إلى الأخذ بالتصور الإسلامى فى

معالجة القضايا ليحقق الإنسان أهدافه في الحياة السعيدة ويصل إلى أرفع ما نصبو إليه وتحقيق الرسالة الخالدة وهي تقوم على الحق والخير والعدل والجمال، والأدب الذي يخدم هذه الأهداف هو الأدب الذي ينبثق من التصور الإسلامي الذي يشمل الكون والحياة والإنسان وهو تصور يعتمد أول ما يعتمد على إعلاء شأن الإنسان ورفع من الهوة التي تردى فيها حينما فقد الإيمان، وينبغي أن يبرز هذا الأدب حقيقة العقيدة الإسلامية بأسلوب فني يكون له تأثير نفسي عظيم إلى جانب صور ناطقة وأن يكون منطلقاً من القيم الإسلامية يهز النفوس هوأ رقيقاً ويشرح القلوب للإيمان، أما إذا أريد للأدب أن يكون إسلامياً فينبغي أن يأخذ العقيدة منطلقاً له لتحقيق الالتزام الذي ينبع من الإيمان الصادق والفكر العميق .

(٥)

الشعر الحر

أن أخطر تحول حدث بالنسبة للشعر هو نجاح مؤامرة التغريب التي عملت في القضاء على دوره الخطير الذي قام به خلال العصر الحديث في الدفاع عن الوطن والعقيدة ونقد المجتمع وحماية الخلافة والدود عن الوحدة الإسلامية ولذلك فقد أدخلت إليه فكرة الشعر الحديث الذي يعبر عن الذات والنفس الإنسانية الفردية وهو ماحل لوائه العقاد والمازني وشكري ومن قبلهما مطران فالمؤامرة على الشعر لم تكن في مرحلة الشعر الحر التي ظهرت في الستينات (عقد الخمسينيات) وإنما بدأها العقاد والمازني وشكري وأتمها صلاح عبد الصبور والبياتي والسياب فقد كانت تلك مرحلة ثم جاءت مرحلة أشد خطراً منها هي مرحلة الشعر المنشور أو قصيدة النثر ، وتلك الدعوى المسمومة التي حمل لوائها الماركسيون والشعوبيون لإخراج الشعر العربي من عاود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التي أثر بها في محيط الإسلام ومجتمع المسلمين .

وقد باضت المؤامرة وافرخت في فترة السكسة ، وقاد المؤامرة بدر شاكر السياب وعبد الرحمن الشرفاوى وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي

واودنيس ومن وراثهم كانت تدق طبول محمد النويهي ولويس عوض وغالى شكري ويوسف الخال ، ترمى لهدم نظام البيت القديم وبالتالي بناء القصيدة ، وتحول البيت إلى سطر غير محدد الطول يلتزم الوزن الشعري دون لجوء لحتمية القافية أو (متمرية التفاعيل) وبدأ التركيز على الوحدة العضوية .

وقد تبنت الحركة كثيرا من مفاهيم الشعر الاوربي كما عبرت عن طموح الإنسان الغربي وتطلعه إلى الخروج من الأخلاق والقيم ومواصفات المجتمعات الكريمة إلى الاساطير اليونانية والفرعونية والبابلية والفينيقية والاشورية . واستخدام الافئدة التاريخية ، فقد خضع هؤلاء الشعراء العرب الذين فرغت قلوبهم وعقولهم من الاصالاة الإسلامية والعربية فأدمنوا قراءة أجزاء من الكتاب المقدس خصوصا شعر الجامعة والامثال ونشيد الانشاد وادخلوا في الأدب العربي كلمات الصلب والخطيئة والفداء ، وسيطرت عليهم مفاهيم الفكر الغربي وأشعار لوركا وأرجوان وولت ویتمان وادجار الانبو وخليط من قصص تولستوى ودستوفسكي وفولتير وهيغو وابسن وسارتر وفيها عشرات من الوثنيات والماديات والاباحيات .

ولعل أخطر الشبهات المشارة حول الشعر الحر هو إدخال العامية على الشعر باسم شعر الشعب ، والشعب العربي يفهم القرآن وهو أعلى درجات البلاغة وهم يدعون الحديث باسم الشعب والشعب لا يعرفهم وهم إنما يتحدثون بلغة جيل . مرتد من أجياله ، ولقد تحققت هزيمة الشعر العامي ، وزيفت التجربة قولهم بأن العامية هي اللهجة التي تنقل الأحاديث الصادقة في يسر وسهولة ، والحقيقة أن العامية لا يستطيع أن تبلغ مشاعر الإنسان المثقف والممتاز ، وهناك من قال من أصحاب الشعر الحر بالخروج على مقررات اللغة ومقاييسها وإمدار أصولها بهدف هدم العمود ، مع سماحة العمود ويسره وسهولته ، وكل دعاواهم عن أن وجود القافية يحدد حجم القصيدة . هو من الباطل المدعى .

وقد تزعم هذه الدعاوى يوسف الخال (الماروني) الذي يعلن أنه يقوم بتجديد الشعر العربي كأنما قد تيمم هذا الشعر فلم يعد له نصير من أهله ، وهو

يقعهم في هذا الميدان بهدف تثبيت وجهة نظر توراتية مسيحية ، ويعتمد على الشخصيات المهزوزة في الأدب العربي والباريخ الإسلامي وهم يتناولون ذلك كله باحتقار شديد ولا يعلنون إلا أبي نواس والحلاج وقد تابعهم في هذه الهدوى محمد النويهي ولويس عوض وصلاح عبد الصبور وسقط فيها بعض من كنا نعدهم من أئدر رجال مدرسة الاصاله متابعه .

ولا ريب أن أصحاب الشعر الجديد — كانوا في فترة سابقة — تظاهروهم قوى النفوذ المماركى والغريب ، وكانوا واقمين تحت تأثيرات منافية لروح الثقافة الإسلامية العربية ، التي هي الروح المميزة لشخصيتنا الفنية على مدى العصور مما يجعل كتاباتهم مرفوضة ، ذلك لأنها تشيع في كياننا المعنوى عنصراً غريباً يهدم ولا يعمل على بنائه وذلك ميلهم الشديد إلى الاستعانة في التعبير بعناصر يستمدونها من ديانات أخرى غير العقيدة الإسلامية بل وما تأباه هذه العقيدة فضلاً عما يستبيحونه لأنفسهم بالنسبة للكلمة الإله طالما لا تزال هي عندهم كلمة بمعناها الوثني والمعروف أنها تتخذ في الإسلام معنى خاصاً يجب احترامه وتقديسه مهما كان السياق الذي ترد فيه .

ولقد كانت اللغة العربية هدفاً من أشد الاهداف التي يكونون حقداً لها ، ولقد استهانوا بها .

مع أن فن الشعر هو الفن الوحيد الذي يجعل صيانة اللغة جزءاً من كتابته لأن اللغة المتقاة هي نفسها جزء من الهدف المقصود كما يذهب إلى ذلك نقاد الشعر جميعاً على اختلاف مذاهبهم في التفكير وتباين مواطنهم وعصورهم فالعلاقة بين الشعر والعبارة المتقاة علاقة أساسية من جهة الأداء ومن جهة الروح القومية وإذا كان مجد اللغة الذي هو عماد المجد القومي مرهوناً بفن الشعر قبل أن يرتن بفن آخر كان واجباً على رعاة الشعر في بلد عربي ألا يفرطوا أقل تفريط في سلامة العبارة وصحة الصياغة (هذه الفقرة من مجلة الثقافة المصرية م ١٩٦٤) .

(٢)

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي : عندما ننظر إلى شعرنا العربي نجد أنه كان عموديا طيلة حياته التي تمتد أكثر من ألفي عام وأن كل التجديدات التي دخلت عليه في جميع العصور كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير في إطارها ، وإن هذا الشعر العربي الذي أصبح صورة فسر و ثرات و حضارة و امه و قد جماعنا اليوم من يدعون إلى التخلي عن هذه العمودية كلياً لتسير على نظام التفعيلة وحدها ولتبتعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك بل هناك من يدعون إلى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها في القديم والحديث والنظر على أنهم متخلفون لا يصح أن تسير على منوالهم وليس وجود شعراء يكتبون شعرهم على التفعيلة الواحدة معناه إلغاء الشعر العمودي كله قديمه وحديثه ونبذ هذا الشعر وتسفيه شعرائه ورميهم بالقصور والتخلف .

ويقول عمر أبو ريشه : موجه الشعر الحديث موجة منحسرة حتما وظاهرة مرضية ولا بد أن تكون الصهيونية وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هي مبتدعة البدعة والهرطقات في هذا المضمار وذآك لملء الفراغ عند الشباب ولمنعهم من العودة إلى التراث والأصالة ، كل الناس قرأوا التوراة والإنجيل والقرآن ولكن أشك في أن الكثيرين قرأوا التلمود وستجد فيه تفسيراً لهذه الرخاوة فاليهود وراء هذا النوع من الأدب .

(٣)

يقول الأستاذ نزيه خفاجي : يقصد بالشعر الجديد : ذلك الشعر العربي الحديث الذي يقوم على التفعيلة الواحدة ولا يتعين بعدد محدد من التفاعيل في كل بيت ويسمى الحر والمطلق والمرسل أو شعر التفعيلة .

وضعت لبنات هذا الشعر على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعمق محتواه صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي ضمن ركाम هائل من صخور الرفض والمعارضة والتحطيم المعنوي .

١ — اتهم هذا الشعر بأنه لا يراد به إلا تدمير البناء الثقافي للامة العربية وتخريب كل ما هو مضيء ومشرق في قيمنا وتراثنا .

٢ — الدعوة إلى تطوير مقاييس البلاغة العربية هي في صميمها أداة لهدم للعروبة وذلك عن طريق هدم عمادها اللغوي وما استعمل شعارات التقدمية والثورية والطلمية إلا مجرد ستار لأشكال شاذة ومضامين منحرفة .

٣ — الشعر الجديد حافل بالصور الملحدة والتفاهات والتقاليع التي تتركب كل موجه يدفع بها الغرب إلى شاطئ العرب .

٤ — إن رواده الذين يرفعون في مسيرتهم الشعرية هذه بنود التحرر إنما يقومون تحتها بمهاجمة الإسلام ، وقد اتخذوا الشعوبيون والمنحرفون عن الخط العربي الإسلامي قضية لتحقيق أغراضهم المشبوهة .

٥ — أنه حرب صليبية جديدة تعتمد على الاستعمار الجديد الذي يشجع الأباحية والفوضى والانقلاب في كل القيود والقيم والمثل الأخلاقية والقومية .

٦ — في الأساس دعوة هدامة خطيرة ترمي إلى إفساد البناء الشعري للشعر العربي كقائمة للقضاء على مقومات اللغة العربية باسم الثورة والتجديد والإنطلاق .

٧ — إن الذين يكتبون هذا النوع من الشعر لا يكتبونه عن قناعة حقيقية بمجدواه وتفوقه على الشعر العمودي القديم وإنما بمعجزهم عن امتلاك القدرة على النظم بالشكل التقليدي .

٨ — الغموض صفة أساسية فيه وهي غاية في حد ذاتها ومعظم أفكاره مبهمة لا معنى محدد لها ولا يتجاوز كونها ترهات بدون فائدة وطلسمات لا يعرف أحد لها حلا .

٩ — الشعر الجديد ليس شعراً جيداً أو رديئاً وإنما لا يبعد من الشعر على الإطلاق وذلك لخروجه التام على الصورة التقليدية للقصيدة العربية .

١٠ — إن الشكل الجديد لهذا الشعر يهدم الموسيقى الشعرية القصيدة العربية ويهيئ فساداً في أصول اللغة من اشتقاق وإعراب ويحول الشعر إلى نثر حقيقي عن طريق اعتماده على الإيقاع الموسيقي فقط ، لا الوزن العروضي كما هو مفروض .

١١ — قضية الشعر الجديد هي في الحقيقة موقف سياسي قومي وأداة دينته أخلاقية فإن من ورائه نزعات وأحزاب هدامة تريد تزيق أصالة وكيان العرب كمقدمة لضرب رسالة الإسلام .

١٢ — إن الأذن العربية تنفر من الالتقاء العام للقافية ، والمدرسة الرومانسية متهمة بالتصنع والميوعة والاسفاف ولاشك أن الخلط بين البحور في القصيدة الواحدة مما ينجو عنه السمع والذوق .

١٣ — عادت نازك الملائكة قراجعت عن موقعها وأملت أن الشعر الجديد مشحون بأخطاء الوزن والعروض وهو يفقد بإلغائه للقافية الواحدة من الآليات رنينه وموسيقاه ، وتدفعه الشعرى الرفيق ويضع في طريق هذا التدفق الجنادل والصخور التي تعكر صفوه ونقاؤه .

١٤ — إن الذين يدعون إلى نمذ القافية هم غالباً الشعراء الذين يحدثون الأخطاء النحوية واللغوية والعروضية ويؤخذ على الشعر الجديد خلطة بين تشكيلات مختلفة من أنواع القوافي في القصيدة الواحدة .

١٥ -- فساد دعوى النويهي بأن الشعر الجديد ينقذ الشعر العربي من العقم والاحداث ويفتح أمامه ميادين واسعة من النمو والتطور والاختصاص والحقيقة أن العناصر الأجنبية لم تقدم شيئاً ذا بال في الشكل والمضمون .

(٤)

يقول الأسناذ عبد السلام عباس : تتوالى الصيحات الداعية إلى الإصلاح والرافضة لحركة التجديد المشبوهة : وهي حركة التجديد في الشعر العربي الداعية إلى النخل — تحت ستار التحديث — عن خصائص الشعر العربي من حيث الشكل كالوزن والقافية والاسلوب والبناء اللفظي والموسيقى وقد غلبت موجة الشعر الحديث والشعر الحر على ما سواها ، ركيكة البناء هزيلة الأسلوب ، لافتقاد الأوزان والقوافي والقدرة على التأثير في العقول ، ولفقدان مقاييس الجمال والتصور والموسيقى والتجربة ومن ثم فإن قصيدة الشعر الحر : كلام منشور يستعصى على الفهم ويأباه الذوق ويرفضه العقل . وقد سمعت قصائد الشعر الحر إلى تثبيت مفاهيم وعادات غريبة وسارت في خدمة الغزو الفكري والتفريب المدمر والهدام الساعى إلى السخرية من الأخلاق والمبادئ والمعتقدات والمثل الإسلامية الأصيلة والنقية إلى إحلال مفاهيم وعادات غريبة تتناقض مع الدين والمعتقد الإسلامى .

٢ - وبعضها قدم تيارات فلسفية إلحادية سافرة من الدين داعية إلى التخلي عنه .

٤ - حركات غنوصية تسعى إلى أحياء التراث الجاهلى والحضارات القديمة كالفرعونية والفينيقية والاعتزاز بها : هذه المذاهب التي سعى الاستعمار إلى نشرها وأحيائها بين أبناء الأمة الإسلامية تمهيدا للانقسام والضباع ، ويبدو ذلك في كتابات (رواد الشعر الحديث أمثال (أدونيس — حجازى — نزار ، صلاح عبد الصبور — السياب)

٤ - في مجال أدب الحبس والإبادة والإنحلال والشعور وتحريض المرأة على الخروج على تعاليم الإسلام والسعى إلى تمجيد الإشادة بالمرأة المتحررة الرافضة للتقاليد الإسلامية المتجدية للقيم والمشجع لها أن تكون خائلة وعشقة .

٥ - دعوات التحلل والتحرر والحلاعة تحت شعارات براقعة .

وقد تابع هذا شعراء وكتاب في مختلف البلاد العربية أمثال عبد العزيز المقالح

في الين ، وتفتح الدوحة والعربي أبوابها لهذا الشعر ولرواده ، وقد نشرت الدوحة تجربة شعرية جديدة قالت إنها تفتح باب الاجتهاد في الشعر العربي لمغمور اسم (حسن طلبة) وما كان ينشره أدونيس في مجلة (مواقف) وما كان ينشره يوسف الخال في مجله شعر ، تجدد هذا التيار في مجلتي العربي والدوحة بقيادة المساركسيان الحادعان رجاء النقاش وأحمد بهاء ؛ ومعهم داعية التخريب في الفكر الإسلامي .

(٥)

ويقول الدكتور محمد محمد حسين :

الشعر الحر في أصل نشأته شعبة من اتجاه عام يدعو إلى تقليد الغرب في فكره وحضارته ، فإطلاق الشعر من القافية التي ظل يلتزمها طوال هذه القرون منذ عرفنا الشعر العربي دعوة تستمد حجمها ومبرراتها من الشعر العربي الذي لم يعرف القافية إلا في حدود ضيقة من آثار احتكاكه وتأثره بالأدب العربي في الأندلس ، ولماذا الحرص على تسمية هذا النوع من الأدب شعراً ، لئلا أنه أدب نثري ولم يقل أحد أن الأدب النثري يخلو من التصوير ومن التأثير والتأثير العاطفي ، بل إنه حين يخوض منهما لا يصح أن نعهه أدباً على الإطلاق . إن هذا الحرص على تسميته شعراً لم يجيء إلا من اعتباره شعراً عند الغربيين ، وهو على كل حال أخذ في التراجع والتقلص وقد بدأت موجته في الانحسار بعد أن بلغت ذروتها في العقدين السابقين من هذا القرن وكان كل مانركته من أثر هو ضعف هذا الجيل وعجز أكثره عن تذوق الشعر العربي الاصيل في تراثه الطويل ، وكان مما فتن به أصحابه ، أنهم تصوروا أنفسهم أنهم أصبحوا شعراء عالميين بعد أن ترجم بعض شعرهم للغات الأدبية كأنهم يكتبون للغرب ولا يكتبون لقومهم من العرب وكان شرطاً من شروط الأدب الجيد أن يكون مقبولا عند غير أهله (مافعله أمثال غالي شكرى من اهتمام كبير ومراجعة وبحث ودراسة لهذه التماهات) ولعل هذه الترجمات كانت وجهاً من وجوه المخطط الذي يغري بترويج هذا الاتجاه الذي ينتهي أن ينجح إلى قطع ما بين حاضرتنا الأدبية وبين تراثنا من صلات .

وأشد كان أصحاب هذا الاتجاه يدافعون عن مذاهبهم بحج أبرزها اثنتان:
أن القافية قيد يلتزم الشاعر على حساب عناصر الشعر الأخرى من فكر
وصور وعاطفة ، وأن إغلاق باب التجديد وتقييد حركة الفنان في ابتكار
ما يناسبه من قوالب وأساليب يشل انطلاقة وينتهى إلى حال من الركود
والجمود ، تخلف معها الشعر وتراجع ، والرد على الحجتين سهل يسير :
أما الحجة الأولى فهي نغمة الضعفاء الذين يعجزون عن التوصل بأعباء الشعر
من كل جوانبه وعناصره ، وقد نهض بها الفحول من الأقدمين فما رأينا في شعرهم
جورا على الفكر والصور بسبب التزام القافية ، وفن الشعر لقادريين عليه وفي
النثر متسع لغير القادريين والبعيد عن ميدان الأدب جملة أولى بالعاجزين .

أما عن دعوى التجديد وحرية الفنان فقد توافرا دائما على مدى القرون
وفي مختلف العصور والبيئات ، فجدد شعراء العرب وابتكروا وأضافوا
ما أضافوا في حدود طبيعة الشعر العربي ومع التزام مقوماته الأصلية فاختلقت
ألوانه باختلاف العصور والبيئات ، ومع ذلك فقد كان هذا الابتكار في أشكال
الشعر وقوالبه وقوافيه قضية العمر ولم يلبث الشعر أن عاد إلى النبع الأصيل .
وحين بدأت نهضة الشعر المعاصر بعد ركود طويل منذ ما يقرب من قرن عاد
رواد النهضة إلى النبع الأصيل يستقون منه ويسقون . ثم أن دعوى الحرية بلا
قيود في أي جانب من جوانب الحياة هي دعوى تقوم على سذاجة الداعى إليه
وسوء قصده فليس هناك حرية مطلقة للإنسان ولا لشيء من خلق الله وليست
الحرية المطلقة إلا الهوى .

[ولو انبع الحق إلهوهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن]
نعم ، لو كان للأرض إختيار فدارت كما تهوى ولو كان للشمس ولسائر
الكواكب إختيار فجرت على ما تهوى ، ولو كان للكائنات أن لا تخضع لسنن
الله الكبرى القاهرة من تجاوب وتنافر إختيار لفسد السكون وبطالت الحياة
ومن سنن الله الكبرى أن يكون الناس شعوبا وأما وأن يكون لسكل أمة لسانها
الخاص ومزاجها وتقاليدها وفنونها على اختلافها لها إتياء قومي ، وشرطها
الأساسي أن تجمل عند قومها أولا وقبل كل شيء وليس مهما بعد ذلك

أن تجعل أو تحسن عند غيرهم ، والكلام عن الإنسان في هذا المجال وعن العالمية ضار جداً وهادم لأسباب النهضة عند الأمم الضعيفة بنوع خاص لأنها لا تقوم لها نهضة إلا على مغارسها وأصولها الأولى والنهضة على غير هذا الأساس فناء لذات العنصر الأضعف في العنصر الأنوى .

(٦)

من هذا الاستعراض لأهداف غزوة الشعر الحر نجد هذه الحقائق :

أولاً : تأثر الشعراء ببعض المذاهب المنحصرة والآفة في أوروبا وخاصة في فرنسا وراحوا يكتبون شعراً بالغ الغموض وبعض صغار الشعراء أعجبهم هذه الطريقة لما فيها من استعراض وإرضاء للذات .

وقد جرى هؤلاء الشعراء وراء الغموض ووراء مفاهيم الباطنية والشعوبية والمجوسية ومتابعة أمثال السهروردي والحلاج ومن وراء إحياء هؤلاء الزنادقة أنوام من خدام الماسونية والتغريب أمثال ادونيس وتوفيق صايغ ولويس عوض وانسى الحاج ويوسف الخال وسعيد عقل ؛ الذين يروجون لمفاهيم الوثنية والإباحية والمادية ويستمدون من تراث الشعوبية والزنادقة القديمة مرجعاً لإحيائه وتجديده ، ويتصل هذا بنشيد الانشاد في التوراة ، ونثيше وجبران .

ثانياً : طابع هذا الشعر : إهمال الصياغة الفنية للشعر العربي والمبالغة في تقليد الشعراء الغربيين (المنحرفين) وهجر الأساليب العربية القديمة لأنها لا لائم العصر الحديث ويجرى الشعر الجديد على نحو من الحماسة والانفعال أكثر من الاعتماد على المنطق والأصالة .

ثالثاً : إن التحرر من الثقافة العربية مغامرة قد تودى بطابع القصيدة العربية وتقضى على أصالتها ، ولم يمنع الالتزام بالهافية الواحدة والوزن الواحد عمالة الشعر العربي من التعبير عن أدق المشاعر وأشق المعطيات .

رابعاً : بعد ثلاثين سنة من تجربة الشعر الحر أثبتت الدراسة التي أصدرتها جامعة هارفارد في الأدب المقارن أن شعرائنا (وفي مقدمتهم صلاح عبد الصبور) متأثرون بالتيارات الأوروبية في شعرهم ومسرحهم ، والتأثر البالغ بالشاعر ت. س. اليوت ؛ وهذه التبعية واضحة في الأداء والمضمون ولم يمنع هذا صلاح عبد الصبور من الاستطالة والغرور بقوله (١٩٨٠/٢/٢٧) إذا كانت هناك إلمارة للشعر أكون أول المرشحين لها ، إنني حين استعرض إنتاجي الشعري خلال ربع قرن بعين الناقد اجد أن ما فعلته كان لابد أن يترك أثراً واضحاً على خارطة الشعر العربي . وما اعتقد أن من حق أي شاعر أو كاتب أن يحكم على دوره ، وإنما يحكم عليه النقاد ، وهو ادعاء كاذب وباطل .

وتاريخ الأدب العربي المعاصر هو الذي يحكم على دور صلاح عبد الصبور الذي لا يعدو أن يكون تابعاً للتيار الغربي هابط وساقط ، وأنه متأثر بالفكر الغربي وخاصع لمفاهيم الفلسفة الغربية المادية وأنه قال أدب الباطنية والمجوسية ومصطلحات المسيحية حتى استحق من لويس عوض إلمارة الشعر . إلمارة الشعر الحر ، ومسرحيته عن الحلاج هي صفحة سوداء من صفحات الأدب المعاصر . وليس غريباً أن يقول صلاح عبد الصبور أن شعره قد ترجم إلى لغات غربية (وقال الذين ترجموه هذه بضاعتنا ردت إلينا) وورد اسمه في معجم لاروس وفي الموسوعة الألمانية على أنه أول من أفحم على الشعر العربي نمطا وافدا غريباً لم يستطع أن يمضي إلا في إطار التبعية الماركسية والوجودية المفروضة على آفاق الثقافة البلاد العربية وبمساعدة المدرسة المارونية التي تحتوى وتحتضن الحزب القومى الاجتماعى .

وصدق الدكتور حمدى السكوت عندما قال : أن الأدب الذي يكتبه أدباؤنا أدب مستورد ومقاييسه النقدية مستورده فكيف تنتظر إذن نظرية أدبية عربية وحتى الآن الأسف لم تكتب صفحات من الاصاله .

(٧)

يقول الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» :

وقد لبس عليهم إبليس — أي الشعراء — فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم ومن خصهم بهذه الفطنة ربما عفا عن زلتهم ، فتراهم يميمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإفراء بالفواحش وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوّه فيعطيه انتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين ، وجميع ذلك من جنس المصادرة .

وتوى خلقا من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير والكذب في المدح خارجا عن الجدد ، وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار ، وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تسبق أروافهم فتدروا أنهم مستحقين للنعم ، مستوجبين للسلام من البلاد ولم يفطنوا فيما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلّت فطنتهم في هذه الغفلة ، اهـ .

القصة

هناك دعوى عريضة عن الإبداع الفنى فى الآداب عن طريق القصة والرواية والمسرحية والمسلسلات واعتبارها هى النتاج الآدبى وحده ، ودونما سواه ، مع أنها هى العنصر الدخيل فى الآداب الحديث بعد أن ظلمت الكتابة على الفنون الأصلية كالترجمة الذاتية والرحلة والخاطرة . والواقع أن التركيز على القصة والرواية هى محاولة تغريبية فما كانت هذه من الفنون الأصلية فى الآداب العربى وقد انبثت الأيام والتجارب فسادها وفشلها فى أداء دور أصيل وهى فى طريقها إلى الانهيار والتلاشى حيث لا تبقى إلا تلك الفنون الأصلية القادرة على العطاء .

هذا وقد ثبت أن الآداب العربى غير قادر على العطاء فى هذه المرحلة لأنه خالف عن فطرته ولأن الآداب فى أوقات الأزمات لا يستطيع العطاء — وله تجربة سابقة فى أيام الحملة الصليبية والتتار — لأن الآداب يخطئ مرتين ، يخطئ حين يظن أنه مستعمل بنفسه مع أنه جزء من الفكر لا ينفك عنه ويخطئ حين تستعمل (القصة) وهى جزئية من الآداب الذى هو جزء من الفكر ويجب أن تسير فى فلكه وتخضع لوجهته الأخلاقية . ويشهد الكثير من القاد بأنهم فى الستينات انتشر وباء اسمه (القصة القصيرة) بمن زعموا أنهم قصاصون وصل عددهم إلى المئات ووصل الأمر ببعضهم بأن يقول إنه كان يخاف أن يزيح حجراً من الطريق خشية أن يجد تحته من يصرخ فى وجهه : إنه قصاص ، ولكن هذه الحماقة سرعان ما تناقصت وانحسرت أما لضعف الموهبة أو بفعل اليأس .

إن أبرز ما يدعو إلى سقوط القصة العربية هو مخالفتها للفطرة ، فهى نبت جديد وافد رزع فى تربه الآداب العربى وهو نبات لا جذور له ولن ينتج إلا الحطام ، لأنه معارض لطبيعة الآداب العربى ، وليس ضرورياً أن ينقل الآداب العربى هذا الفن الذى يتعارض مع طبيعته وله من فنونه ما يكفيه . إن الآداب العربى يتقبل الذكريات والرحلة والترجمة الشخصية . والترجمة الغيرية والتجربة الخاصة فى كل عمل ومكان .

وهناك القصة الحقيقية لا المختلقة ولا المترجمة من الآداب الأخرى ، والتي تصور مشاعر حقيقية ووقائع صادقة ، فضلا عن أن الإطار الذي تتحرك فيه القصة مصنوع أو مفتعل وليس طبيعياً هذا الإطار الذي تتحرك فيه توفيق الحكيم ونجيب محفوظ والذي لم يقرأه الناس إلا للتسلية وتزجية الوقت ، إن القواعد التي يعتمد عليها المحتوى الفني هي نظريات مادية غريبة قائمة على مفاهيم فرويد وما ركس وغيره .

وأبرز أخطاء القصة الوافدة الشكل والمضمون من الأدب الغربي : مفهوم العلاقة بين الإنسان والقدر ، وتباين مفهوم التفسير الغربي للمجتمع والمرأة والحياة عن مفهوم الفكر الإسلامى ، والفارق العميق بين وضع المرأة في المجتمع الإسلامى والمجتمع الغربى فالمسلم لا يقبل المسرحية التي تعالج مشكلة خيانة الزوجة بروح الاستهانة ، أو استسلام الرجل لإزاء العرض أو استهانة الرجل بصدق الأسرة ، وما يتصل بالرقص والغناء والاختلاط الشائن ، فقد اتخذت الماسونية القصة -- وعنها نقلت القصة العربية عن طريق قصاصين ليست لهم مفاهيم إسلامية أصيلة -- وسيلة لنقل مفاهيمها المسدومة إلى المجتمعات الإسلامية عن طريق ترجمة أعمال الإباحيين الغربيين مع تغيير أسماء الأبطال والبلاد والمواقع ، وليست صحيحة توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس بأن تعطى القصة حرية مطلقة في تغيير الواقع بإدخال الخيال الزائف ، لتحقيق هدف معين إلا تطبيقاً حقيقياً لمفهوم الأدب الإباحى ، فهم يرون أن القصة فن يجب أن يختلف من الصدق والواقع الذي يتمثل في المجتمع الإسلامى العربى ويرون أن القصة الفنية أرفع قدراً من القصة الطبيعية أو القصة التاريخية بل يدفعون إلى خطوة أشد عنفاً ، وهى دعواهم صاحب القصة التاريخية على ألا يتقيد بالنص أو يلتزم الصدق التاريخى ، وأن عليه أن يعيد تشكيل الواقع بحيث يتحقق عنصر الإنارة وبذلك تقدم القصة وضماً آخر غير الواقع القائم على الصدق والموضوعية ، وهم يفرقون بين الحقيقة الاجتماعية وما يسمونه الصورة الفنية .

ويرون أن القصة لا تنجح لو أنها حصرت نفسها في أحداث تاريخية أو وقائع
طبيعية وإن كاتب القصة له حرية كاملة في تجاوز هذه المواقف تحت اسم العمل
الفنى ، فهذا التجاوز من شأنه أن يدخل الفساد إلى القصة

وقد جرت محاولات واسعة لإظهار الرواية ودفعها إلى الإمام في أفق الأدب
العربي بالرغم من معارضتها ودفعها إلى الامام ولم تكن هي بطبيعتها قادرة على
افتقاد مكانها ، وكان من وراء ذلك قوى تريد أن تظهر هذا الفن في الأدب
العربي وهم المستشرقون ودعاة التغريب ولو تركت القصة لطبيعتها لسنقط منذ
اليوم الأول وهي في نظر جميع القراء ليست عملاً أدبياً أو فنياً بقدر ما هي
وسيلة للتسلية وتزجية الفراغ وإن كل المحاولات لجعلها شيئاً له أثر وقيمة هي محاولات
باطلة . وإن كتابات الاسماء اللامعة ليست إلا روايات غريبة غيرت أسمائها
ومواقفها ولكنها ما تزال تحمل عواطف ومشاعر واستجابات لا تمثل للمشاعر
التي يعرفها المجتمع الإسلامى والتي كونها الإسلام من الرحمة والسماحة .
والإخوة والغيرة على العرض .

والسؤال هو : لماذا يطلب من الرواية أن تصور فساد المجتمع
وتعيد مواقفه الخاطئة بصورة أشد جمالاً وتألقاً ، مع أن المجتمع
نفسه ينسکر هذه الصور الفاسدة ، ويدعو إلى التخلص منها ولماذا
تحول القصة الحالة الفردية إلى ظاهرة عامة . وتدخل فيها أهواء الكتاب
ورغباتهم في تدمير المجتمعات أو تحقيق شهوات خاصة ، أن الرواية لا تريد أن تقول
إلا وجهة نظر معينة مفروضة ، سواء أكانت ماركسية أو ليبرالية سواء أكانت
من أهواء النفس التي تكتبها ولكنها ليست على أى حال هي الحقيقة ،
أنها تعطى نفسها الحق في تزيف التاريخ فتقول أن الفن لا يخضع للحقائق التاريخية
وهي لا تخضع للأخلاقيات وتفرض لنفسها حرية العرض مهما كان ذلك معارضا
للفطرة أو لقيم المجتمعات . لا ريب أن ما يعارض الفطرة لا بد أن يتلائم أو
يموت ، فلا مستقبل في الحقيقة للرواية العربية لأسباب كثيرة منها أن الوجدان
العربي — الإسلامى الجوهر — غير متهيأ لقبولها في شكلها الحالى وأنها استنفذت
أغراضها كوسيلة للتغيير الأدبى ويوم تصل الثقافة العلمية والفكرية إلى مكانها
الصحيح سوف تنهار القصة نهائياً فإن القصة المعاصرة ليست إلا فتات الموائد

التي يروادها تلبية الشباب والمراهقين عن حقائق الحياة وعن فهم قيم دينهم وحياتهم، وهي نوع من الطبل الذي يندق ليصم الآذان عن معرفة الطريق الصحيح لهذه الأمة . وآية ذلك انهيار قصاصي العصر وانصرافهم إلى كتابات اليوميات الصحفية التي تمثل الخواطر السائبة التي ليست في حقيقتها عمل فني ، وهذا يؤكد أن القصة أو الرواية لم تكن أكثر من وسيلة للتسلية وازجاء الفراغ وقد استخدمت استخداماً سيئاً في تدمير القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية بما حملت من صور الإباحة والجنس والكشف، ولقد أذيع أن هناك ٣٠ ألف قصاص تستهلكهم الأجهزة الحديثة هم تجار الكلمة بكل معناها والتابعين لاهواء المنتج الذي يدفع والمخرج الذي يصنع ما تريده السوق أو تحتويه أهداف أبعد ، وما تزال القصة - وستظل طويلاً - عملاً موقوتاً مرتبطاً بأهواء الناشرين والإذاعات والمسارح، لأنها لا تمثل مفهوماً هقيقاً للمجتمع أو تستهدف حل مشكلة من مشاكل الناس ، فهي ما تزال تمثل هوى فردياً لصاحبها ورغبات مكبوتة وأهداف طامحه إلى الظهور ومن وراءها قوى توجيهها لتدمير المجتمعات ، وهناك تساؤل واضح : ما يفيد المجتمع من تصوير الواقع المر أو السئ أو القبيح المحصور المحدود، ولماذا تعاد صياغته بصورة فنية براقعة أشد عنفاً وأشد مرارة وأشد قبوحاً من الواقع نفسه وليعمم كأنه ظاهرة حقيقية ، أليس من رسالة الادب أن يؤدي دوراً كريماً يفتح أمام النفوس بوارق الأمل والرحمة والحنان والعفاف ؟

إن الذي يحول دون ذلك هو النفوذ الغربي الذي يتخذ من إدخال الفن الغربي وسيلة إلى إفساد الفطرة العربية الإسلامية وإفساد الذوق العربي الإسلامي ، ويرى أساندة الاستعمار الفرنسي أن الفن ليس كاللغة يمكن القضاء عليها بحجرة قلم وذلك بجعل اللغة الأجنبية هي اللغة الرسمية في التعليم والإدارة وجميع مظاهر الحياة ، ولا يستطيعون أن يفعلوا ذلك في الأغنية الجزائرية أو المغربية وإحلال الأغنية الفرنسية محلها وإنما الذي يستطيعون عمله هو التدني بالأغنية وبكلماتها والمسرح ولغته والموسيقى بأفغانها إلى

مستوى الرذالة حتى إذا ما شبت الأجيال الجديدة محبتها أذواقها وأنصرفت عنها إلى الأغنية الفرنسية وإلى المسرح الفرنسي ، بل أتاح أسانذة الاستعمار الفرص لفنانين عرب أن يغنوا بالفرنسية وهكذا نجحوا في خلق المدرسة الفنية الرديئة بالجزائر التي انحسر جمهورها إلى الشيوخ والكهول وبرزت تلاميذ المدارس اللئيسيات الفرنسية فحجبت أذواقهم فنون هذه المدرسة وانصرفوا إلى الفنون الفرنسية .

ومن ذلك انبعاث الاساطير الشعبية القديمة وانبعاث الفرعونيّات وتشجيع العبارة الاباحية في الأغنية والنخمة المثيرة للشهوات . والحقيقة أن القصة والمسرحية سيطرت في هذه المرحلة كوسيلة للتعبير ، صحيح أن هذا اللون من الأدب قد ظهر قبل ذلك بكثير ولكنه سيطر على الساحة الأدبية الآن . كان الجيل السابق يعتمد على المقالة فكان لابد أن يقدم فكراً عميقاً وإن يعتمد على ثقافة واسعة أما الآن فإن القصة والمسرحية هما القالب السائد في التعبير الأدبي جعلتا الكاتب يلتفت إلى الناس يرصدهم ويتابعهم ويعبر عنه في أدبه والخطورة هنا أن بعض الكتاب يظن خطأ أن القصة والمسرحية لا يحتاجان لثقافة واسعة ، وكذلك خسروا التحصيل والقيمة الأدبية وخسروا سلامة اللغة لأن الكتاب لا يهتمون بلغتهم ، لقد فقدنا القدرة على القياس وتصوّر كل من كتب قصة أو مسرحية أنه أديب عالمي ولو قرأ وعرف الأدب العالمي لربما خجل حتى من الكتابة وأسوأ ما في هذا الفن القصصى الهابط أن يعتمد الكتاب على التفسيرات الماركسية والمادية جرياً وراء القصص الغربي دون تقدير لدراسة المجتمع الإسلامي وجذوره وتياراته والقوى الدينية والروحية المؤثرة فيه ، وإن كانت بعض هذه العوامل محجوبة في الأوضاع المتردية الحالية ، ومن هذه الأخطاء تفسيرات نجيب محفوظ بأن سبب انحراف المرأة أنها تخضع للظروف المادية وأن حل المشكلة الاقتصادية تحول دون السقوط ، وهذا مفهوم زائف ، فالمرأة المؤمنة بالله لا تأكل بثدييها وبالحلة فسوف يسقط هذا التيار من القصة لأنها تخالف روح الأدب العربي وإصاليته وفطرته التي تقوم على الحقيقة الخالصة وستحيا فنون أخرى وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سذاجة كتاب القصة وعدم إلمامهم بأصول الأدب ولا بفلسفة

التاريخ أو تجارب الأمم : سذاجتهم في فهم الواقع المعاصر سياسياً واجتماعياً لذلك فهم سعين يكتبون تبدو سذاجتهم وبساطتهم وضعف تجربتهم لأنهم لم يقرأوا وإنما ترجموا واستغلوا العمل القصصى في أمرين : في تحقيق أهدافهم وفى الكذب المادى . فقد أقاموا أدبهم على الكذب والخداع والتويه وإدخال أهواء نفس الكاذب ومتابعة أحقاد الوثنيين والماديين والإباحيين والشعوبية فى تدمير مقدرات المجتمع الإسلامى الذى بناه القرآن واختفوا وراء شعارات براقة وكلمات موجهة فعلى شبابنا أن لاتخدعهم هذه المصطلحات الكاذبة .

الباب الثالث عشر

الحضرة

(١)

لابد أن يكون لنا نحن المسلمون موقف أزاء الحضارة الغربية العالمية ،
التي تنشر جناحيها على العالم كله ، وتحاول أن تحتوى الأمم بتقدمها المادي
ومفاهيمها القائمة وراء هذه الصناعات والاختراعات ، في محاولة لفرض
أسلوب عيشها الاستهلاكي الأباحي الوثني ، الذي وصل إلى درجة الانحلال
وفرض أزمة الإنسان المعاصر ، نعم : يجب أن لا نخضع نحن المسلمون لهذه
الحضارة ولا نستسلم أمام فلسفتها ، ذلك لأننا نحن المسلمون حضارة ولنا
مفهوم إسلامي عميق للحضارة والمجتمع قام على أساس القرآن ومنهج القرآن
منذ أربعة عشر قرناً ولا نستطيع أن نتخلى عنه ، وهو مفهوم مرن مفتوح
قابل للاستفادة من معطيات الأمم ومنجزات العلم ومن كل الجوانب
الإيجابية للمجتمعات ، ولكنه يتوقف عند ضوابط لا يمكن تجاوزها
تستمد إطارها من التوحيد الخالص وسلم القيم والالتزام الأخلاقي والمسئولية
الفردية ، كذلك فإن الحضارة الإسلامية تقوم على مفهوم أن عطاء الله هو
لل البشرية كلها وليس لامة معينة أو جنس معين وقد قدم المسلمون كل
ما وصلوا إليه من منجزات العلم للناس جميعاً وأعطوها الأوربيين عن طريق
الاندلس وكان مفهومهم لإسعاد البشرية غير أن الحضارة الغربية عندما
امتلكت أسرار العلوم والطاقة قصرتها على الجنس الغربي وحده وحالت
دون وصولها إلى الأمم الأخرى وجعلت الحضارة بمفهوم المدنية والرقى
والتقدم لاهلها وحدهم واعتبرت الأمم الأخرى أمم متأخرة ومتخلفة
وليست أهلاً إلا أن تكون تابعة مستعبدة ، تنهب ثرواتها وتفسر على
أن تظل ذليلة فقيرة بالرغم من أنها تملك الخامات ومصادر الثروات .

(٢)

لقد انفردت حضارة الإسلام بانبجاسها إلى الحياة دون سابق عهد
وانتظار وقد جمعت في فجر نشأتها كل المقومات الأساسية لحضارة مكتملة

شاملة فقامت في مجتمع واضح المعالم له نظراته الخاصة إلى الحياة ، وله نظامه التشريعي الكامل وله منهجه المحدد لعلاقات الأفراد بعضهم البعض داخل هذا المجتمع ، وكانت هذه الحضارة وليدة حادث تاريخي فريد هو تنزيل القرآن الكريم ، وكان مردها إلى رجل قد يستمد عظمته من أنه نبي مرسل من عند الله هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء الإسلام نظاما شاملا للحياة وافتتح حضارة جديدة حقا .

وقد انحدر عن الفكر الإسلامى ظهور مؤسسات أربع :

هى المسجد والجامعة والمستشفى والمرصد .

١ - المسجد لإشاعة الثقافة الشعبية وتربية جمهور مؤمنين في وحدة مذهبية أخلاقية .

٢ - الجامعة : للدراسة والبحث في ميادين المعرفة كالطب والحكمة والعلوم .

٣ - المستشفى : الممارستينات للعناية بالصحة العامة ومقاومة الأمراض .

٤ - المرصد الفلكى : لمتابعة سير النجوم ومعرفة مدارات الافلاك .

وعن هذه المرا كز تطور المسلسل الإنسانى في الحضارة البشرية وأخذت أوروبا عن الحضارة الإسلامية المغربية هندسة الجامعات والقاب العلماء ومضامينهم وللشعارات والاجازات (بكالوريا - عن كلة حق الرواية الفرد كيوم) كوليج - كليه .

ومن طبيعة الحضارة الإسلامية أن تصوغ الفرد صياغة عضوية بحيث يمتزج وجوده الفاعل بأسس هذه الحضارة وقيمها الخاصة والعامة ويجعل من العسير إن لم يكن من المستحيل إلغاء كيان الأفراد إلغاء تاما دون إلغاء وجودهم الحسى ذاته ، لذلك فكل مانجحت فيه الحضارة الغازية فيما يتعلق بالاشخصية المسلبه هو هذه الازدواجية التى نشاهدها فى حياتنا المعاصرة بين مظاهر خارجية

تُعكس أشكال الحضارة الغربية وبين مظاهر باطنية تعكس مرتكزات الحضارة القومية وينتجلى الصراع بين الدخيل والأصيل في ذلك التزق الذى تعانى به الشعوب المسلمة بين قيمها الموروثة وبين ما يهجم على حياتها من تيارات وافدة.

(٣)

عناصر الحضارة فى التصور الإسلامى أربعة :

١ - قاعدة إيمانية أخلاقية ٢ - ثقافة ومعرفة .

٣ - جمال وفن ٤ - تقنية صناعية

وكلها تدور فى إطار الإيمان والأخلاق (الثوابت) .

ولكل من التصور الربانى والتصور المادى متطلقا ونهجا وغاية تغاير الآخر ، وهما يشكلان قاعدتى تحرك إنسانى متباينين كلياً تبايناً ينتج عنه باستمرار اختلاف الحضارة كلها والسلوك البشرى فى ظلها ومردودها العام فى حياة الإنسان ولقد قامت الحضارة الإسلامية تعبيراً حياً وممارسة إنسانية للشريعة الإسلامية ، حضارة صراط مستقيم ، بدايته إسلام ومسيرته جهاد وحاضره سلام وقيمته حسن اليقين وقد تميزت بأنها تستمد قواعدها وأصولها من الوحي الإلهى الذى تتجلى فيه صفات الله تعالى الإيجابية .

أما الحضارة المادية بقسميها :

١ - المذهب الفردى أو الحر الديمقراطية الرأسمالى .

٢ - المذهب الشيوعى الثورى أو الاشتراكى العلمى أو الماركسى (الحضارة فى هذا التصور يجناحيها تقوم بالدرجة الأولى على المادة وترتبط بها الإنسان معتمدة على كشوفه العلمية والتكنية ، وترتبط بالظروف البشرية وملابساتها غير المستقرة سواء فى ميدان الحكم والسياسة أو فى ميدان العلم والتقنية حيث تبدل الأحكام والمعطيات العلمية والأخلاقية تبدل النظريات

وقواعد الانطلاق — وأبرز أخطار التصور المادى أنه يربط الإنسان بقوة علما
بديله لله تبارك وتعالى : هى الامة والعنصر والعلم والعقل والحزب والزعيم واللذة
والإنتاج وجعل منها آلهة تعبد . يقول الدوس هكسلى : إن للسفون الخمسون
الآخيرة تمثل تقهقراً كبيراً فى التوحيد واتجاهها نحو الوثنية فى عبادة آلهة
كالطبقة الاجتماعية والفرد والامة .

إن الأصل الاصيل الثابت هو = وجود الله + التصور الربانى للحياة
فالمعرفة الانسانية محدودة دائماً وغير قطعية الثبوت فهى قابلة لأن تتفتح منها مرة
بعد مرة آفاق جديدة . ولذلك فإن التصديق الإنسانى بالغيب الإلهى هو أساس
ثابت وهو مصدر سكينته النفس وسمو الغاية ، ومن شأن هذا أن يكون
حضارة إيجابية إيمانية بمثابة لىكل جوانب النفس الإنسانية مسعدة للبشرية ، لأن
موازين الخير والشر فيها وقواعد الأخلاق وضوابط الحياة الفردية والاجتماعية
مستقرة ، على مرونتها لأنها تصدر عن حقيقة واحدة ثانية كبرى : هى
الحقيقة الإلهية .

أما العالم اليوم فإنه يعيش الحضارة الضالة إشفاقاً وعجزاً أو تسلطاً وقهراً
أو غفلة وافتناناً غير متنبهين إلى انهيار المعنى الإنسانى فيها بحيث تزداد الجرائم
وتنحط الأخلاق وتنحل الروابط البشرية ويتفاقم القلق والمرض والانهيار
العصبى وادمان الخمر والمخدرات ورفض الحياة بالانتحار أو بالعيش الميت .

ولقد أدان الحضارة الغربية علماؤها وفلاسفتها . فهم يقرهون نوااميس
الخطر وينادون بضرورة إعادة إنشاء الإنسان من جديد فى ضوء نظام جديد
وليس بديلاً للنظامين اللذين يحكمان العالم إلا : الإسلام .

(محمد قطب)

(٤)

إن حضارة الغرب قد عجزت عن المحافظة على القيمة الإنسانية للحضارات
فهى قامت أساساً على المادية ومن ثم تطورت مفاهيمها فى ظل عوامل

ذات فاعلية إلى تغليب مفاهيم إطلاق الغرائز وتعزيز حيوانية الإنسان ،
وقد عبر عن هذا المعنى أكثر من باحث غربي :

١ - يقول لاسكى : لقد فقدت الحضارة ثقتها في نفسها وإيمانها العميق
بحيوية القيم الثقافية السائدة وعجزت عن تحقيق الوفاق بين عالم المنزل الأعلى
المتمثل في كتابات الإنسانيين وبين حقائق هذا الواقع الحافل بأهوائه
ومطامعه وخصوماته ، إن الحضارة تمر بمنحة من عن الشك والخوف
والإلحاد وتمييع المعايير الثقافية والقيم الأخلاقية بصورة تنذر بشر مستطير
من حياة الفرد وحياة الجماعة .

٢ - ويرى أرتولد توينبي أن أزمة الحضارة الغربية هي (الدين)
ويقول إن الحضارة الغربية المتدهورة لا يمكن إنقاذها إلا بالدين ، ذلك لأنها
مصابة بالخواء الروحي الذي يحول الإنسان إلى قزم مشوه يفتقد عناصر
وجوده الإنساني ويعيش الحد الأدنى من حياته ، وهو حد وجوده المادي
لحسب ، مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية ، وفقدان الهدف في كل ما يأتي
خواء روحي يحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف ، كما تركض القطعان
دونما تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء كما يضطر المدركون أحيانا إلى إعلان
انشقاقهم عليه ، ويرى توينبي أن الحضارة المتدهورة لا يمكن إنقاذها إلا
بالدين الذي يرسى التوازن بين النفس والمجتمع بقدر ما في طسافة البشر
وطبيعة الدنيا :

٣ - ويرى بعض الباحثين : أن تبعية الحضارة الحديثة لأخلاقيات
الحضارة الرومانية واليونانية في عبادة الجنس قد أسلمتها بمرور القرون إلى
حياة الاباحية وتحطيم العواطف التي لابد منها في توجيه الطاقة الجنسية إلى بناء
الحياة لاندмирها وقد عمق هذا الاتجاه عوامل كثيرة من أهمها موقف
مفسكري الكنيسة الأوائل من الجنس واعتباره خطيئة وقذارة يجب التسمي
عليها دون أى مراعاة لحقيقة وجود الدوافع الجنسية في الإنسان علمهم
بذلك يخففون نوعة عبادة الجنس في الشعوب الأوروبية التي ورثتها عن

الحضارات السابقة بحيث أدى إلى العكس وولد رد الفعل العنيف وذلك لعدم قدرة الإنسان على قتل غرائزه نتيجة للصراع العنيف داخل النفس الإنسانية ولقد انفجر السكت الجماعى فى صورة إباحية مستورة أحيانا متسرلة بسرائل التدين الظاهرى ومنها تخطيط اليهودية العالمية فى العصور الأخيرة لتقويض المجتمع الغربى المسيحى من الداخل وتفجيره جنسيا .

٤ — ويقول الدكتور الكس كاريل (الإنسان : ذلك المجهول) : إن الحضارة المصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لاتلائمنا . لقد أنهشت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم ، إن أهم سمات هذه الحضارة : «إن المادية البربرية التى تقسم بها حضارتنا لاتقاوم الصمو العقلى لحسب ، بل أنها أيضاً تسحق الشخص العاطفى والعائف والعفيف ، أولئك الذين يحبون الجمال ويبحثون عن أشياء أخرى ذير المال . ويقول عن سبب انحراف الحضارة ومصيرها :

يجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شئ ، ولكن الواقع غير ذلك فهو يرغب فى العالم الذى ابتدعه ، أنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لأنه لايملك معرفة عميقة تطبيقية ، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذى أحرزته علوم الجهاد على علوم الحياة هى إحدى الكوارث التى طالت منها الإنسانية فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة ، إننا قوم نساء لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا . إن الجماعات والأمم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هى على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة فى الضعف والتى ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها ولكننا لا ندرك ذلك إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التى شيدها العلم حولها ، وحقيقة الأمر أن مدينتنا مثل المدن التى سبقتها أوجدت أحوالا معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة لأسباب لاتزال غامضة .

أزمة الحضارة الغربية

وقد أجرى عدد من الباحثين تحليلاً واسعاً حول أزمة الحضارة الغربية
كان أبرزها :

أولاً : مضادتها للقطرة الإنسانية وإنما أهدرت خصائص الإنسانية كجنس
وفرد ونوع وقد بدأت في ظروف جعلتها تنفر من الدين مثل عاداته وحاربه
معاداة حاقدة وعبودته لذاته وشهواته وكان الصراع من السكتيسة ودعاة
الإصلاح في أوروبا والحكم بأن الدين لا صلة له بالعالم لذلك كانت (المادية)
أخص سمات الحضارة المعاصرة ولم يكن للقيم الإنسانية بمفهومها الشامل مكان
فيها فضلاً عن نهب ثروات الأمم المختلفة بعد استعمارها ومما أختلفت هذه النظم
والمبادئ قائمها ستلقى في قاعدة مشتركة هي النظرة المادية للإنسان وبجافة العقائد
الدينية وهذا منط صجرها عن تحقيق السعادة البشرية (دكتور محمد الدسوقي)

(ثانياً) أن الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الحضارة المعاصرة هي عزل العلم
عن القيم ومازال هذا الخطأ قائماً ومازال العلماء في الشرق والغرب لا يرون للقيم
مطلقاً عليهم أو مدخلاً في معاملاتهم ، ومن هنا يناهض الإسلام الحضارة
المعاصرة لأنها تجلت عن عبادة الله (تبارك وتعالى) وعبدت المادة والشهوات .

(ثالثاً) البشرية اليوم في أشد الحاجة عقيمة تنقذها بما هي فيه من ضلال
وإحراف عن سواء السبيل فقد أفلست كل النظم الوضيعة التي سادت في العصر
الحاضر فلم تكفل للناس حياة السلام والاستقرار وإنما جلبت عليهم الاضطراب
والصراع والتمزق وقد عارضت الحضارة المعاصرة القيم الدينية الصحيحة
وجرفت البشرية في بحار المادية والعنصرية وراقدة الدماء وأجدت فراغا عقائدياً
للمجتمع وقلقاً نفسياً .

(رابعاً) ايدولوجية الفكر الغربي يسودها الوجدان المتشائم بكل أبعادها
ومظاهرها في الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق والسياسة ، وأن هذه

الايولوجية السودادية المتشائمة (كما يقول سمير كرم) تنشر في أوسع نطاق في عالم الغرب افطار عن لا معقولة الحياة وعبث الوجود ، وقد أصبح المفكرون المتشائمون يشقون هججات هستيرية على فكر يؤمن بالتطور الانساني ومن هنا فإن الوجودية هي آخر صيحات الفلسفة التشاؤمية ويمد كثير من الباحثين مصدر التشاؤم إلى القول بالخطيئة التي تطارد كل انسان في الغرب .

(خامساً) اخفقت الحضارة الغربية في صنع الانسان أو تربيته أو تلمينه حاجاته فقد حرمته الراحة والتوازن ومنحته القلق والجشع وسحبت من تحته بسات الامن والاستقرار ، فتمن نجد أكبر نسبة للانتحار هي في اكثر الدول رقيا ماديا كالسويد وسويسرا ، ونرى الوجودية تشجع على الانتحار من الحياة التي هي عبث وسأم وغشيان ، وكان آخر مظاهر ذلك الانتحار الجماعي الذي صدم العالم ببشاعته حيث اشرق زعيم جماعة هيكل الشعب (جيمس جونز) على انتحار حوالي تسعمائة شخص من اتباعه بالسسم ثم اطلق الرصاص على صدغه وظهرت في بريطانيا جماعة أخرى شيعارها ، تخلص من حيالك بارادتك وبطريقه سهلة ، وتلقى هذه الجماعة رواجاً ضخماً ، فضلاً عن الرشوات وعصابات الاضرار والفضائح والجوايس والعصابات والطابور الخامس والمواد والمافيا ، والكلاكس لولان وعصابات المهربين وظواهر العنف في القتل والجريمة كجماعة الهيبين والردكوز ، ومن تجاوزاتها أنها لانتعاقب على الزنا ولا تعتبرها جريمة وفي الدول المتأثرة بقانون نابليون يقتصر جريمة الزنا المرأة المنزوجة ولا يحق للزوجة أن تطالب بالنفراق بينها وبين زوجها بسبب الزنا إلا لما ثبت وقوعه في بيت الزوجية أكثر من مرة ، والشارع الاوربي يعج بالمومسات والشاذين وحتى صاروا هم الاكثرية ، وقد أباح القانون الانجليزى العلاقات الشاذة ما لم تكن مع قاصر ، وكذلك صار للشاذين جمعيات ونقابات في المانيا وامريكا وبلدان كثيرة وقد أنشأ اليهود في (أورنيب برسي) كنيسة خاصة بالشاذين جنسياً في أحد أحياء نيويورك المعروفة بالكثافة اليهودية ، وقد اتسعت حركة الشاذين بفضل رعاية الصهيونية العالمية ويقدر عدد الشاذين في الولايات المتحدة ١٧ عشر مليوناً وقد عينوا حاخاما شاذاً للكنيس .

ونحتاج فرنسا وغيرها من الدول ثورة المومسات يطالبن بالاحترام الاجتماعى ووضع حد لاضطهاد رجال الامن لهم .

وفي نيويورك مليون ومائتا ألف شاذ والحركة الصهيونية تستخدم الشاذين بلجج التبرعات لإسرائيل وهذه أخطر علامة من علامات انحطاط الحضارة الاوربية وسقوطها المادى والمعنوى ، وقد كتب في سقوط الحضارة : كولن ولسن ونوبى وكامور وزجاروف وآخرون أثبتوا بانتحارهم خلال ماديتهم رغم وصولهم إلى أعلى المراتب منهم ستيفان زفابج ، ونيتشه وهمنجواى .

ولا ريب أن نظرة المقلدين الشرقيين لهذا السقوط الحضارى خطيرة ، فهم تهدف تحطيم الشخصية الإسلامية ليتحققوا مبتغاهم من الذوبان فى شخصية الغرب والانحراف فى تيارات الاستعمار .

(سادسا) ومن علاقات سقوط حضارة الغرب : (ظاهرة الهينز) ومغالاتهم التى تبلغ حد الشطط ودلائلهم على روح الانتفاص على المجتمع الغربى الفاسد وتصور هذه الظاهرة مدى ما تحدثه المجتمعات الغربية من أثر على العلاقات الجنسية تحت نير المجتمعات الرأسمالية ترتفع فيها صيحة الجنس والصراع الطبقي ، وقد كان سارتر فطرة بين الوجوودية والماركسية ثم جاء ماركوز ففطرة بين الماركسية والفرويدية .

(سابعاً) من أخطر ظواهر الحضارة الغربية : [ظاهرة انتحار العلماء المتفهمين فى الانتحار] وقد زاد اتساع هذه الظاهرة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة خصوصاً فى الوحدات الحضريّة الكبرى ، بل واتخاذها طابعاً وبائياً إلى حد ما لدى بعض الفئات لمجرد مثال : فنانى السينما وكذا لارتباطها ببعض الظواهر الأخرى وتداخلها معها ، كظاهرة الادمان على تعاطى المخدرات والجنس والجنر والميسر ، حتى ارتقاها لدى بعض فئات الجهة المفكرة السلبية فى المجتمعات الاستهلاكية إلى نوع من فلسفة (الخلاف) ودعوة بعض المثمنين من حيرة الحضارة المعاصرة وتأزمها وإفلاس بعض مناحيها إلى ما يشبه الانتحار الاجتماعى بإبرازهم للجوانب السلبية (ماركوز) وإصرارهم مع ذلك على السير فى نفس

المسيرة الاستلابية والعدوى والوباء لم يتوقف عند المرضى بل أنه تجاوزهم إلى المعالجين لها بمعنى انتحار العلماء المتخصصين في دراسة الانتحار وأحدث مثال يذكر انتحار أحد عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية في الولايات المتحدة .

إن المعرفة العلمية رغم عمقها لم تعطه الثقة في الحياة بقدر ما عمقه لديه دوا مل الشك فيها وفي قيمتها . إن الإنسان الذي اتخذ من ارضاء رغباته وإشباع غرائزه المادية هدفا لاشك سينتهى بانتهائه ، أما الإنسان الذي يرى أنه يعيش كما هو اسمى وإن معرفة مهما تعمقت ، وفاضت فهي قطرة في محيط للمعرفة الغائبة هو الإنسان المتوازن الذي استطاع أن يوازي بين رغباته وقيمه ويعادل بين غرائزه ودمله (دكتور رشدى فكار) .

إن وفاة علماء طب القلب بالقلب ، و وفاة الداعى إلى أن غسل النحل يطيل الحياة وهو في صدر شبابه ، هذا يقيم دليلا جديداً على أن الإنسان لم يؤت من العلم إلا القليل وإن أصله الحق هو في تواضعه مهما أعطى من المعرفة ، وأن هناك غائبة المعرفة الروحية ونسيبه المعرفة العلمية ، وإن هذا الفهم الإسلامى يقوم عليه وجود الإنسان ومآله ، فإن صدق الموقف لا يجدد إلا على مستوى غائبة المعرفة التى لم تدرك بعد والى هى رمز لعلم الله تبارك وتعالى وكأله العارف بكل شىء لأنه هو الخالق لكل شىء . أما أن الانطلاق من مستوى الجزئيات فى فهم بعض معطيات الوجود من خلال الاكتشافات والاختراعات فقد يدفع الإنسان إلى الكفر بخالقه وإحلال نفسه محله وعليه أن يعرف أنه أراد أو لم يرد ما زال مسيراً بقوانين الكون الخالده التى تلهم ذوى العقول الواعية الشاكرة عظمة الحوك والمسير لها :

(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) .

إنهيار الحضارة الغربية

إن الصورة التي تقدمها الحضارة الغربية بشعة غاية الشاعة في كل مجال من مجالاته:
في مجال إدمان الخمر، وإنهيار الأسرة ، وظاهرة الجريمة .

١ — إدمان الخمر هو المشكلة الأولى في الغرب وهو القصة الأولى في الدول الشيوعية والحكم الديكتاتوري هو سبب إقبال الناس على الكحول . فقد ارتفعت معدلات إدمان الخمر في البلاد الشيوعية ودول الشيوعية يشربون لأنهم مكبوتون نتيجة ديكتاتورية الحزب الشيوعي الحاكم ولأن الخمر هي السلعة الوحيدة المتاحة في السوق حيث يتفق البولنديون ١٨ ٪ من دخولهم على الكحول والإدمان .

٢ — موجه الانتحار الجماعي تعود إلى أوروبا (عن مجلة أورينو الإيطالية)
١٣ / ٥ / ٧٩ نشرت الاحصائيات الدولية أن مايزن على ألف شخص ينتحرون يوميا في العالم أجمع ، وأن الذين يحاولون الانتحار يبلغ حوالى عشرة آلاف شخص في اليوم الواحد ، ويعبر الانتحار من أعقد وأخطر المشاكل التي يعاني منها الناس وتحتل الولايات المتحدة رأس القائمة من الدول التي تسجل فيها نسبة الانتحار على معدلاتها وتمثل اليابان المركز الثاني .

٣ — طبيب إنجليزي يحلل أمر قومه وقيم أخلاقهم فيكتب مخدراً منذراً من (الانحلال الخفي) وتدهور القيم والمثل العليا ويقول ستصيب الجيل الجديد أمراض سرية لا أول لها ولا آخر تجعله عاجزاً عن متابعه حياته وعن الإبداع الفنى والعلمى ونسبة تلك الأمراض بين أطفال المدارس التي زادت ٧٠ في المائة عن العام السابق هي آفة خلقية كالسوس تنخر في كيان أمة كانت يوما من الأمم المظلمة تنهار مكانتها بين دول العالم ، وهكذا حدث للإمبراطورية الرومانية التي انحلت بخلقياً في أواخر سني ازدهارها حتى أصبحت الاميرات والنساء الثريات يشترين السبلن بأعلى الأثمان ثم تضمهن فيما يشبه الحريم ويقدمن لهم

أغفر الأظعمة ويوتدين أغفر الشباب ولا يعود لهؤلاء أشبهان من عمل سوى الأكل والنوم والرياضة لتربية عضلاتهم للمحافظة على لياقتهم البدنية حتى تستمع سيداتكم وهكذا حدث للإمبراطورية الأثيوبية التي أنهارت القيم فيها فأصبحت كلاب الإمبراطور تأكل في صحون من الذهب الخالص ، ولأننا كل سوى أعز مقاطع من اللحم يطعمها لها الإمبراطور بنفسه على حين يتضور الشعب جوعاً خارج أسوار القصر ، وهكذا حصل للإمبراطورية الأثيوبية التي أضحت فيها الدهارة عملاً شائعاً مشروعا يشرف على البيوت السرية الإمبراطورية نفسها ، بل يقال أنها هي التي كانت تمتلك البيوت فليس عليها الآلاف من الجهات فتفتح بيونا أخرى جديده حتى ضج الشعب وأنهارت حصون تلك الإمبراطورية النخرة على رهوس أصحابها .

٤ - ظاهرة الجريمة في أمريكا حديث كل من زار الولايات المتحدة ، قتل المارة بالرصاص والهجوم على البيوت، والمعتقد أن أول أسبابها انتشار البطالة أو المخدرات والأقراص بين الشباب والفتيات ، يقول إحصاء أن ثلاثين ألف شخص ينامون على أرصفة الشوارع ، أو مقاعد الحدائق في نيويورك لأنهم لا يستطيعون أن يدفعوا إيجار مساكنهم وهو عدد بشع في مدينة من أغلى مدن الدنيا انتشر السكوكا كين في أمريكا انتشاراً كبيراً يباع في بعض مدارس البنات .

٥ - إنهيار الأسرة الغربية (الصحف ٢٠ / ٢ / ١٩٧٣) .

أعلن الدكتور لويس هيلمان مخطط الأسرة الأمريكية إن العقم الذي يقصد به تحديد النسل يتزايد الاقبال عليه في أمريكا بسرعة مذهلة وإن ٢٠ في المائة من الأزواج والزوجات الأمريكان سوف يصبحون عقماء بحلول عام ١٩٧٥ وذكر أن تعقيم الرجال والنساء في مدن الساحلين الشرق والغربي قائمة على قدم وساق ولكنها تسير في ببطء في الولايات الوسطى وفي الجنوب وقد أجريت عملية مسح في سان فرانسيسكو أوضحت أن ٢٦ ٪ من الأزواج والزوجات الذين طلبوا تعقيمهم قد عقموا بالفعل ، والأمهات اللواتي بلغن سن ٣٢ قد أعلن

أسرهن بما يكفي من الأولاد والبنات . وبقي لهن ١٥ سنة تقريباً من الخصوبة والإنجاب وانهن يضعن ذرعا يتناول حبوب منع الحمل وتحسين أثار نسيان تناول الحبة يوماً ويؤمن بأن التعقيم مضمون جداً ، وقد بدأ بتعقيم النساء في أمريكا منذ سنوات أما تعقيم الرجال فقد بدأ ينتشر انتشاراً سريعاً منذ أربع سنوات هذا وقد أثبت علماء جامعة فلوريدا الأمريكية انخفاض معدل الخصوبة لدى الرجل الأمريكي وأثبتت الدراسات المتعددة انخفاض معدل الخصوبة لدى الرجل بوجه العام في الدول الصناعية .

٦ - سجلت الدكتورة إيرن هيكان استاذة علم النفس بجامعة كاليفورنيا بملاحظاتها الطبية أثناء قيامها بعلاج ثمانية آلاف من المرضى بالاضطراب النفسى ودونت تشخيصها لأسباب أصابه بعضهم بأمراض بدنية كقرح المعدة أو ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والحساسية والاضطرابات المعنوية وغيرها وارجعت ذلك كله إلى المبالغة في التطلعات ومتطلبات الحياة العصرية واقتناء الفاخر من السيارات والزوارق والادوات المنزلية وأجهزة الترفيه وأحدث الأزياء والطموح إلى تقليد الآخرين ممن هم على مستوى اقتصادى أرفع بنتيجة أنهم يستهلكون صحتهم ويردقون أعصابهم وأن ٩٠ ٪ من الأمراض النفسية الشائعة في العصر الحديث صدرها الهموم الناشئة من انشغال البال تجمع الكاليات .

٧ - وبعد الدكتور سالم نجم أن الخمرى معول تقويض الحضارات ، وأن الأدلة تشير إلى أن تعاطى الخمر ولو بكمية قليلة يؤثر تأثيراً سيئاً على قدرة الإنسان في الحكم على الأشياء وعلى مهارته اليدوية وأشار قانون سوفيتى إلى أن إدمان الخمر أدى إلى الإضرار بالاقتصاد القومى نتيجة انخفاض الكفاية الإنتاجية

٨ - في الولايات المتحدة الأمريكية تحيط الشباب في حياتهم التى فقدت كل ما يمت إلى الدين والمجتمع بصلة . وهذا ما دفع ما يقرب من المليون شاب وشابة إلى منظمات تتخذ الدين أو العقائد الجديدة ستاراً لأعمالها ومن أشهر هذه

المنظمات كنيديّة الوحدة يرأسها رجل هاجر من كوريا يطلق على نفسه اسم (ريفيدس مابح فون) أى الشمس مقدسة ، أيها الشيء القمري ، توجه هذه المنظمة نشاطها نحو الشيء الأمريكى ويقدر إتباعها بثلاثين ألف شاب أمريكى يطلقون على أنفسهم اسم القمريون ، وينتشرون فى مختلف أنحاء الولايات وتتنافس هذه المنظمات فيما بينها كما تواجه غضب أولياء أمور الشباب وسلطات البوليس والجهات المدنية والتقليدية ، ولذلك تعتمد هذه المنظمات إلى إستخدام غسيل الدماغ والسيطرة التامة على الشباب أو الشابة حتى يصبح تابعاً سهل الانقياد .

٩ - هناك جماعات تعلن عن نفسها أنها تقدم أفضل طريقة للانتحار ، هذه الجماعات تلقى رواجاً فى بريطانيا حيث يتضاعف عدد أعضائها وأصبح أربعة آلاف خلال شهرين ، والسؤال هو : المدنية الغربية إلى أين ؟

* * *

وقد أذان الحضارة الغربية كثيرون :

١ - أذاتها سولجستين العالم الروسى المعروف قال :

إن الأسباب المؤدية إلى إنفجار عالمنا تبدو واضحة للعيان وهى : إنقسامه إلى قوتين عظيمتين تملك كل منهما قوة كافية لتدمير العالم . هذا فى حين أن عالمنا تقسمه شروخ أكثر عمقا وأكبر عدداً مما يبدو هناك بما يسمى بالعالم الثالث .

والواقع أن هناك أكثر من ثلاثة ولسكنها لا تبين هذه العوالم جيداً لأننا بعيدون عنها جداً ، فكل حضارة أصيلة دامت قروناً طويلة واتسعت حتى شملت مساحة واسعة نسبياً من الأرض هى فى الواقع عالم قائم بذاته ملئ بالالغاز والمفاجئات التى لا تخطر للعقل الغربى : تلك مثلاً هى حالة الصين وحالة الهند وحالة العالم الإسلامى كله وصا إذا حسبنا إمتداداته فى إفريقيا . إن ما يسود الغرب من أوضاع تهدد بإتباعه ترجع إلى أن العالم الغربى منذ إنتهاء العصور الوسطى وبداية عصر النهضة أخذ يهجر الدين ، ويتمرد على القيم الروحية ، ويحط

من شأنها ، ويجعل القيم المادية هي أساس حياته ومحو أفكاره ، وبرهان تقدمه ومصدر شعاعاته . الرفاهية المادية في كل شيء ، طموح الفرد مادي ، وعود الرخاء مادية ، ثقافة الإذاعة والصحافة والتليفزيون مادية في مادة أكثر واستهلاك أكثر مقتنيات أكثر ، هذا التفكير المادي المنطلق يلتقي فيه الشرق والغرب ، فإذا كان الشرق ماديا ملحدا رسميا (الاتحاد السوفيتي) ويحكم فلسفة الدولة ، فالغرب يصل إلى نفس النتيجة عن طريق آخر: طريق الانغماس في المصلحة والمادة وحب الاقتناء والاستهلاك وحضارة شأنها البحث عن اللذة والاستمتاع والمزيد من الرخاء لا يمكن أن تكون حضارة سائخة تهاب : الموت وتكره التضحية ، فهي تتنازل أمام خصومها خطوة خطوة طلبا للسلام . إن الغرب كما هو الآن فاقد لصحته الداخلية مهما أخفت ذلك مظاهر القوة والرخاء ، وإن فلسفة الغرب تعتبر أن الإنسان خلق للسيادة وبالتالي فإن كل شيء يجب أن يكون لمصلحة الفرد ولكن الإنسان كما خلق للحياة فقد خلق للموت وبالتالي فلا بد له من الإيمان :

الإيمان بالله وبالقيم الروحية والمعنوية وبأن رسالة الإنسان هي الارتقاء إلى قيم أعلى وليست مجرد إقتناء أكثر .

٢ — ويتساءل السيد أبو الحسن الندوي : هل سعت الدنيا بالحضارة الأوربية ويقول أن الأوربيين قد فقدوا تعادل القوة والأخلاق — والتوازن بين العلم بظواهر من الحياة الدنيا — والدين ، منذ قرون فلم تزل القوة والعلم في أوربا بعد النهضة الجديدة ينموان على حساب الدين والأخلاق ، ولم يزل الأولان في إرتفاع وإرتقاء والآخران في إنخفاض وإنحطاط حتى بعدت النسبة بينهما ولشأ جيل كأي ميزان لصقت إحدى كفته بالرأى وهي كفة القوة والعلم ، وخفت كفة الأخلاق والدين . وبينما يترامى هذا الجيل للتناظر في خوارق الصناعة وعجائب الكون وتسخير المادة والقوى الطبيعية لمصلحه وأغراضه وكأنه فوق البشر إذ هو لا يميز في أخلاقه وأعماله ، وفي شرهه وطمعه وفي طيشه ونزقه وفي قسوته وظلمه عن البهائم والسباع ، وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة إذا هو لا يدري كيف يعيش وبينما هو قد بلغ النايات في الكماليات وفضول الحياة ، إذا هو لم يعرف المبادئ الأولية والبدهييات للحياة الإنسانية والمدنية والأخلاق

فتراه يريد أن يصعد إلى السماء ويريد أن يناطح الجوزاء وقد خولته العلوم الطبيعية قوة قاهرة وهو لا يحس إستعمالها كطفل صغير أو سفينة أو مجنون ملك أزمة الأمور ويؤتى مفاتيح الخزان فهو لا يريد أن يبعثه بالجواهر الغالية وبعثت في دماء الناس ونفوسهم . وهل انجبت حضارتها إلا عنصرية الجنس والقومية وهل خرجت إلا جماعات الخنافس والمهين وملأت العيادات النفسية والمصحات بضحايا الإدمان على المخدرات والضائعين .

٣ - ويقول باحث متمكن : ألم يعلموا أن الغرب يعاني اليوم من فراغ أخلاقي خطير نتيجة تحطم القيم الدينية ؛ كان يكنى هؤلاء هؤلاء الاطلاع على بعض الإحصائيات عن معدل الانتحار في السويد ؛ والسمم الكحول في بولندا مليون ونصف مليون طفل غير شرعي لفتيات غير متزوجات في أمريكا ؛ رسالة دكتوراه ١٩٦٣ تقول إن ٥٦٪ من المتزوجات في أمريكا يمارسن الجنس مع غير أزواجهن و ٦٠٪ من بنات الجماعات يعتبرن المعاشرة دون زواج ليست إنثما وإن الخنافس ليسوا مرحلة أو شكلا حضاريا واسكنهم ظهروا كرد فعل معاكس لأخلاقيات المجتمع المحافظة وسوء توزيع الدخل والاحتكارات وانقياد الطبقة الوسطى في خلاف رأس المال دون مبادئ وتعليق العربي للخنافس الأمريكي دون فهم لفلسفة السياسة عن سفه تعلمه من وسائل إعلام جاهلة تنقله الصورة دور المضمون ويقدمون لنا فئات من كلام وطبخات فجأة علينا أن نرددها ونفهمها على أنها حضارة الغرب ؛ والواقع أن كل حضارة تمر بمراحل نمو من الطفولة إلى الشيخوخة ثم الموت فهمل يحق أن يستخدم جزءاً غير مقبول من أخلاقيات هذه أو تلك ونسميه حضارة الغرب .

٤ - ويرد كثير من الباحثين انهيار الحضارة إلى (الترف) ويقول : عندما يتجه المجتمع المتحضر إلى الترف يفقد مبررات وجوده ويتجه إلى النهاية وإلى التدمير ليفسح مكانه لتجربة أخرى . وقد وصلت أعلى درجات الترف والنقى في بلد كالسويد يتمركز على رأس القائمة في احصائية الانتحار العالمية ، ذلك لأن غنى البطون قتل الأرواح الخاوية وخلق نوعا خطيراً من الانسحاب من الحياة أشنع من الانتحار وذلك عن طريق المويقات والأدمان على المخدرات .

ويرى آخرون أن (قلة "نذل") هي أقوى معاول هدم الحضارة وأن تناقص النسل خطر كبير على الاجتماع وكان منذ أقدم العصور من أسباب زوال الحضارات والامة الرومانية لما رفته أهلها ورغد عيشهم تناقص نسلهم وكان هذا التناقص من أسباب إنهيار حضارتهم .

ويرى من غيرهم أن (الاخلاق) هي من أهم العوامل المعنوية التي يتوقف عليها بقاء الحضارة أو زوالها ، فضلا عن ظاهرة إنتشار روح اليأس والتشكك والتمزق والتشاؤم ، وقد أشار الاجتماعيون إلى أنه عندما تضعف الاخلاق ويتمشى اللهو والفساد يبدأ نجم الحضارة في الاقوال وتظهر بوادر الانحطاط وترافق عوامل الضعف المعنوى عادة عوامل الضعف العقلي والجسمي معاً ، والشهوات إذا ذهبت بأمة ضعف بنوها جسمياً وعقلياً وأصبحوا لا قوة لهم على مواجهة الامراض .

وأن من أخطر مقاتل الحضارة الغربية ذلك الاستعلاء عن الحضارات وقد اتهم .

وقد إتهم روجيه جارودي الغرب الأوربي بعقدة نفسية أطلق عليها تسمية (مركب العظمة) الذي حال دون تفهم الإنسان الغربي للحضارات الإنسانية المغايرة لحضارته المختلفة عنها وخص بالذكر الحضارة الغربية فالأوربي لا ينظر للشرق العربي إلا نظرة المتكبر معتبرا نفسه ابن حضارة أثبتت تفوقها يتطور إلالة والتقنية .

ولقد حاول الغربيون أن يقدموا لحضارتهم ولفكرهم صورة براقة لامعة على أنها شيء مقدس لا يعتوره النقص أو الخطأ ، وهذه الصورة فيها مبالغة كبيرة وهي تستهدف انتقاص الإسلام وفكره وحضارته بتلفيق خيوط مختلفة ، ولا ريب أن هذه المحاولة المضللة لا يكتب لها البقاء لأنها لا تثبت أمام التحقيق العلمي .

[ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم

من خير من ربكم] فإن الفكر الغربي في حقيقته ليس إلا فكراً بشرياً انتزع نفسه من مفهوم الدين الحق وسار وراء أوهام الفلسفات ومفاهيم المادية والوثنية ، ومن هنا جاء ذلك التضارب والتعارض بين المدارس والإيدولوجيات .

تقول السيدة برجت هولي : كنت كسائر الغربيين أكن أحقاداً وشكوكاً وشبهات حول الإسلام وحدث تغيير مفاجيء عندما شرعت في قراءة فقرات من كتب الإسلام وتأثرت غاية التأثير بمنطق المناقشة التي تناولت فكرة الخالق والمخلوق ؛ والحياة بعد الموت .

إن القرآن نموذج هندسي بديع كامل يكمل كل جزء من أجزائه بقية الأجزاء الأخرى ؛ ويمكن سر جماله في إنسجام هذه الأجزاء وتلاؤمها وهذه الخاصية الإسلامية هي التي تمارس تأثيرها العميق في النفس الإنسانية فإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيه خير هاد لحياة إجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة ؛ فالمسلم يذكر اسم الله في مبدأ كل عمل ومن هنا يتم الترابط بين حياته اليومية ودينه فتزنف الحياة وتنسجم .

وقالت : إن الإسلام يستطيع أن يؤثر تأثيراً عميقاً في الحضارة الحديثة (إن العالم الغربي يعيش اليوم في ظلام ، وليس هناك أي بصيص من الأمل في قيام الحضارة الغربية يتوفر سبيل لتخليص النفس الإنسانية من حيرتها وآلامها فكل من يعرف الوضع الحقيقي للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق وهذه الحيرة العالمية التي تختفي خلف بريق التقدم والإبداع المادي والإنسجام اللطيف في الاسلام وبين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يحدث تأثيراً قوياً في أياضنا هذه وفي المستقبل .

مستقبل الحضارة الإسلامية

أن مستقبل الحضارة العالمية رهن بمستقبل الحضارة الإسلامية ؛ فالحضارة الغربية قد دخلت مرحلة المحاق ولم يعد في إستطاعتها أن تعطى شيئاً إيجابياً (غير مادياتها المترفة) والى تعطى معها القلق والتمزق وأزمات التدمير الاجتماعى والحلقى ، وفيه بات واضحاً أن الأمل معلق بالقوة القادرة على منع الإنسان مطامحه الروحية إلى جانب المعطيات المادية وأن المعطيات المادية نفسها لم ولن تكون قادرة على إسماعه ، فقد ارتفعت نسبة الدخول والموارد في بعض بلاد أوربا على النحو الذى جعلها في القمة وما زالت هذه الدول تقاسى أشد ألوان التمزق وفيها أعلى نسب للانتحار والقتل . إن الحضارة الغربية اليوم تقدم أبشع صورة للإنسان في محال التدمير والقتل ولما كانت (أخلاقية الحضارة) هى حجر البناء الأول فإنها إذا فقدت هذا الأساس فهما تطل بها الحياة فستظل الملايين القائمة بها مدمرة منهاره .

أما بالنسبة للمسلمين فإن أكبر الخطأ هو الاستسلام للنمط الغربى ؛ وأسلوب العيش الغربى ؛ ونسيان الهوية وفقدان الأصالة ؛ أن الهدف من الغزو التغريبى القائم هو أن تنصهر الحضارة الإسلامية في بوتقه الانمىة ؛ أن الانماط الحضارية الإجتماعية الغربية التى يراد إحتوائنا في داخلها فاسدة ؛ نحن نطالب بالعودة إلى المنابع ونوجب أسلوب العيش الغربى ، لقد كان الغربيون في أخذهم بالتجريب الإسلامى قادرين على الاختفاظ بأصالتهم . أن الشيوعيين مع الغربيين لهم استقلال أيولوجى ؛ واليابان لها مع الغرب استقلال منهجى فكيف يمكن لورثة أعظم الحضارات أن ينصهروا في حضارة الغرب الإبائية المادية الوثنية .

أن الحضارة الإسلامية هى وحدها التى تبقى الإنسان القادر الجامع بين العقل والقلب والمادة والروح والدنيا والآخرة . والمؤمن بالالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية والمجراة الأخرى .

وإن أوروبا اليوم حبلت بالإسلام : هذه الإعداد الكبيرة من المسلمين التي وفدت على أوروبا تبشر يقرب ميلاد قوة سياسية إسلامية عصرية ؛ لا هي بالعربية ولا بالفارسية ولا بالبربرية ولا بالتنزيه وبهل قوة أوروبية تراث هؤلاء جميعها وتجمعها بمن سبقها « إخوة الإسلام » ومناصرة الجسد الواحد وهي التي في تقديرى ستجمل عبء الدعوة إلى شعوب الغرب قياسا على ما سبق في التاريخ من موجات متزايدة الانساع كلما بعدت المراكز وهذا تقدير دعاء الإسلام من أمثال الدكتور عبد الحليم خفاجي

أما الحضارة الغربية فقد وقعت في أزمة الاقوال ؛ ولم تعد تملك إمكان حل أزمتها الخائفة ، وذلك يعود إلى عقم التربة التي تقف فوقها ، وفساد الهواء الذي يكتنفها وهي تقفز كالحبوس من التقيض إلى التقيض إلى أن وجدت أغرب حل حين اقترح « الدوس هكسلي » تعميم الخمار وجعله في متناول الجميع كالمشروبات الروحية والتبغ وذلك لأنه يغير منهج الإنسان الغربي ، وهكذا نرى .

فشل الدين وفشل الخروج من الدين ، وفشل الديمقراطية وفشل الدكتاتورية وفشل الرأسمالية وفشل الماركسية وفشل الليبرالية والاشعاعية والوجودية وقد تنبأ الكثيرون أن العالم سيشهد حضارة عظيمة تقوم على سواحل الباسفيك تفوق الحضارة القائمة الآن على سواحل الاندلتيك حضارة ملونه تحمل محل الحضارة البيضاء وستصبح الشعوب الملونة أكبر عدداً من الشعوب البيضاء التي ضمرت الآن .

يقول جيرالد هيرد في كتابة (القيمة الخلقية الثالثة) :

إن الغرب تعس ومتخلف بتحكيمة القانون العلمى في كل شيء ، حتى غدا الإنسان آلة قابلة للتحكيم والتحكيم ، ما دام كل شيء مأكية فكل شيء لا هدف له ولا أخلاق له ولا قيم له ، إن كل ما يملك الغرب هو القدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر .

لقد أدرك الغرب أن (مادتيه) تحمل عوامل فئاته ، ولذا تجد أهل الفكر في الغرب مشغولون بالبحث عن (سر) يحدد مجتمعاتهم حتى ينبض بالحياة لا في مستقبلها البعيد بل في حاضرها على الفور .

وهذا هو السر في الجمع بين المتناقضات : دعوى العلمانية التي ترفض كل ما ليس عقلانياً وقبول الأساطير والشعر والمماريشي والفكر الوثني الذي لا يقره العقل ، إن الغرب بعد أن فقد إيمانه بالأيديولوجيات الموجودة لديه ، عاد يذهب إلى الشرق ويبحث عن البوذية . والترقانا والمماريشي ، الذي يتأمله وهو رافع رجليه إلى فوق ، وبعد أن فشلت الوحودية دخولا إلى الهيبة تدخل الآن مرحلة المماريشي والتجرد وتصدرها للشرق ، وهو حين يبحث عن الدين الحق يتخذه (حركة الحوار) لتقنمه كذبا بأنه ليس هناك فوارق بين الأديان ، عن طريق القول بأن أساس الأديان واحد وهذا حق ولكن قبل أن يقع الانحراف والتغير بواسطة رؤساء الأديان .

٢ - وهناك الدعوة إلى العودة إلى بدائية الإنسان الأولى بين أحضان الطبيعة والغرائز هاريا كما جاء ، وهذا من ضلالات الماسونيه والمجوسيه والوثنية التلمودية التي لا تريد للإنسان الغربي أن يتقدم إلى الحق ، وفرق بين هذه الدعوى وبين الدعوة إلى (المطرة) التي جاء بها الدين الحق بعد أن عدت البشرية طور الطفولة ، وتخلصت من الآوثان والأساطير والسحر والخرافات ، لأن هذه الدعوة إلى العودة إلى البدائية التي يحمل لوائها طوائف الهيبة وغيرها من الفلسفات الرافضة التي ابتدعت نوعاً متطرفاً من الهواجس والقوالب الصاخبة .

الدعوة الأولى دعوة ضالة مصلية تدفع إليها الفلسفات الوجودية تحاول أن تجمض الدعوة الأصلية في العودة إلى الله . ومن عجب أن الذين كانوا دعاة الماديه يحملون الآن لواء الدعوة إلى مفاهيم غريبة هي أقرب إلى مفاهيم الباطنية والغنوصيه ، كأنهم انتقلوا من معسكر المادبة الصريف إلى معسكر الروحية الصريف ، وليس هذا هو مفهوم الدين الحق إنما مفهوم الأصالة هو التماس منابع

الوحى والإيمان بالله الواحد الأحد أن التلمودية اليهودية لا تريد أن تنجيه الثقافة العالمية إلى الله وإلى الإصالة ولذلك فهي تدفعها نحو البوذية والغنوصية حتى تحجبها عن نور الحق وقد دفع النفوذ الاجنبى واليهود الفكر التلمودى إلى أرض المسلمين تحت أسماء كثيرة : تحت اسم الفكر الحر وتحت اسم البهائية وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلمانية .

٣ — وبعد إفلاس الحضارة الغربية يبحث الأوروبيون عن طريق :

ونحن المسلمون نشعر أن لدينا هذا الطريق . أن فكرنا الأساسى قادر على أن يقدم لهؤلاء ما يبحثون عنه . إن هؤلاء القوم معذرون لأن طبيعة الدين المسيحى إنما جاء ليكمل القاموس لا ليقود الحياة قياده مستقلة ، وليكمل النقص الذى وجد فى بنى اسرائيل حين انصرفوا إلى المادة انصرفاً كاملاً ، حتى أنك لتقرأ التوراة المكتوبة بأيدي الاحبار فلا تجد فيها كلمة واحدة عن اليوم الآخر ، (سطره المادية) وبدون أن يرتقوا بالقوانين المادية إلى الآله ، حتى يرى الله جهره ، من أجل ذلك كان لابد أن يأتى ألا تحيل وليس به سوى الشحنة الدينية الروحية ، ليس له نظام حياة حتى تكمل النقص الذى بنى اسرائيل فلما انفصلت المسيحية لم تجد ما يكمل لها منهج الحياة فاضطرت إلى الايدولوجيات ثم جاء الإسلام يجمع بين أمور الحياة وشئون الروح ولذلك نجد أن القرآن ينص على أن بنى اسرائيل اهتموا القيم والروحانيات ويدعو إلى منهج جامع للبشرية .

هذا هو المنطلق الحقيقى للحضارة — يقول ارنولد توينبي : الآن يظهر أن التقليد الإسلامى فى أخوة الإنسان للإنسان هو مثل أهل يوافق حاجات العصر الاجتماعية وهو أفضل من التقليد الغربى الذى أدى إلى قيام عشرات الدول الصغيرة ذات السيادة على أساس الاختلاف القومى ، ومن المأمول أن يستطاع العالم الإسلامى (ونقول الإسلام) إيقاف انتشار هذا الداء السياسى الغربى ، وذلك عن طريق الشعور الإسلامى بالوحدة فالوحدة السياسية والاجتماعية فى هذا العصر الذى هي

ضرورة عاجلة لنا نحن بنى الإنسان أكثر من أى وقت مضى) ونحن نقول أنه ليس الاخاء الإنسانى وحده ولكن الإسلام يقدم للحضارة : العدل الاجتماعى والرحمة والاختلافات المحدودة بالحدود الآلهية . ولكنه يقدمها بشروطه : شروط لإسلام الوجه لله وإقرار الأمم بأن الله تبارك وتعالى هو الصانع والمخالق وهو الذى يدبر هذا السكون كله وأنه صاحب الفضل على الإنسان فيما منحه من علم وإن الإنسان لابد أن يقيم الحضارة على مفهوم الله وحسابه تبارك وتعالى وأن يقيم المجتمع الربانى أساساً ؛ أما إصرار الحضارة الغربية على تألية الإنسان وتقديس العقل واعتبار العلم بما أوتيته الإنسان بقدرته وله حق توجيهه إلى تدهير غيره والاستعلاء فى الأرض بوصفه الجنس الأبيض الذى صنع الحضارة فهذه كلها من الأباطيل التى تحول دون اسلام الحضارة والمجتمعات وجهها الله تبارك وتعالى .

ولقد كانت أهم نكبة أصابت المسلمين فى العصر الحاضر هو الفتور والتخلف عن الإمساك بمقائيد التقدم فى حضارتهم ثم فى شعورهم بعد بالنقص واعتقادهم أن طريق التقدم هو طريق التقدم الاعمى لما أتى به الغرب (المادى) من آراء ونظريات أن أخطر ما هناك هو التنكر السكلى لحقيقة الإسلام التى لا تثبت القدم إلا لخالق السكون . يقول مالك ابن بنى : إن الإسلام برىء مما وصل اليه المسلمون فى عصورهم الأخيرة من تخلف ولانما مرجع ذلك إلى تدهور أخلاق المسلمين وبناء حياتهم على هامش الدين بعيداً عن حقائقه ومن هنا استطاع خصومهم أن يلجوا عليهم ديارهم ويستعمروا أرضهم ويسلبوهم أعز ما يملكون ولقد كانت النظريات والأفكار المأهدة هى التى هزمت كثيراً من الديانات والملل والنحل وغزتها فى عقر دارها ولكتها وقفت حائرة أمام الإسلام فلم تستطع صرف اتباعه عنه بالرغم من أساليب القهر والعسف فلما لم تقبل القوى المناهضة ماتريد ، سددت سهامها إلى الحكم الإسلامى لإفساد نظمته .

٤ - وما يطلب منها اليوم للكشف عن جوهر الحضارة الإسلامية أن نعمل كما [يقول الدكتور فتحى عثمان] على :

(أولاً) إبراز الأصول الفكرية لهذه الحضارة بصقة خاصة وعدم الانحصار في سرد المنجزات الحضارية الجزئية المتتابعة مع التسليم بإمكان فصلها عن الجانب الفكري .

(ثانياً) ضرورة تحليل المقومات الحضارية في رسالة الإسلام ذاتها مثل تقرير كرامة الإنسان والدهوة لمهارة الأرض وعدم الانسحاب من الدنيا وتأكيـد واجب المؤمن في العمل والسكسب وابتغاء فضل الله بنعمته ؛ والتأسي الطيبات وأخذ التربية المشروعة وإقامة الدولة المنظمة وتحكيم الشريعة الماداه الثابتة وتقرير معنى الجماعة المتضامنة سياسياً واجتماعياً ، محلياً وعالمياً ؛ وتربية فكر المؤمن ووعيه إلى جانب إحساسه ووجدانه .

(ثالثاً) العناية بتأكيـد ارتباط المنجزات المادية والفكرية على السواء في تاريخ الحضارة الإسلامية بالقيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام ومن ذلك تـجـلـيـه الأصول الدينية التي قامت عليها منشآت حضارية متعددة .

١ — تعاليم الإسلام في النظافة أدت إلى الاهتمام بإنشاء موارد المياه في المساجد وإنشاء الحمامات العامة والخاصة .

٢ — وتعاليم الإسلام في رعاية الجائع والعطشان والضعيف قد أدت إلى تقرير حق الشفعة في أحكام الفقه ، وإلى إنشاء الأسبله ودور الضيافة والإيواء والأربطة .

٣ — وتعاليم الإسلام في شأن طلب العلم قد أدت إلى التعليم بالمساجد ثم بالمدارس وقيام مراكز البحث والثقافة والمكتبات .

٤ — تعاليمه في الرفق بالحيوان .

٥ — قدم نظام الوقف شواهد معبرة عن حضارة إنسانية نبيلة وتضامن اجتماعي متين .

(رابعاً) مكانة العقائد والفقه والأصول في الحضارة الإسلامية وأثارها

الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية من جهة وأثارها التنظيمية القانونية من جهة أخرى ، وأصل الأصول الذي قام عليه هذا التراث هو للكتاب والسنة ، وهما الأساس الذي قام عليه تاريخ الإسلام وحضارته ومفتاح فهمهما موضوعيا ومنهجيا ، ولقد كان للاجتهاد دوره الواضح في التجاوب مع الظروف المتغيرة والحاجات المتطورة .

(خامسا) بالنسبة لنظام الحكم في الإسلام : يترك الإسلام التفاصيل والأشكال لاختلاف الزمان والمكان ، ويعنى بوضع الأصول والمبادئ العامة تحت عنوان النظم الإسلامية (نظم الأسرة والمجتمع والتعليم والاقتصاد) مع ملاحظة ارتباط النظم الإسلامية عموما بالعقيدة فمنها تستمد أمالها وحضارتها وتميزها بالنسبة لطبيعة النظم وفعاليتها (الامامة - القضاء - الحسبة) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المظالم - الجهاد ، الزكاة - حقوق الفرد وحرياته الأساسية في الإسلام وعلى رأس هذه الأصول العامة عقيدة التوحيد وأثرها في تشكيل صورة الدولة ونظمها : وفي نفي الوهية البشر وتحريم مالم يأذن به الله الرضا في العقود وأثره السياسي ، والمساواة كبداً عام ، والشورى ، وحكم ووحدة الأمة الإسلامية والعدالة الاجتماعية) .

هـ - يقول أبو الحسن العامري في كتابه [الاعلام بمناب الاسلام] أحق الأديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين وما كانت تعاليمه توازن بين حقوق الحسبة وحقوق الروح ، وبين العمران المادى للأرض وبين العمران الروحى للإنسان كما توازن بين هذه الحياة والحياة الأخرى فتحرّم الزواج والحث على الفردية وترك طيبات الرزق وتشريع الانتحار لتطهير الروح وتخليصها من أنام الجسد وخطاياها ، وذلك باحراق الجسد أو إغراقه أو التردى في الجبل ، كل ذلك يقود لهلاك الحرث والنسل وخراب العمران ويتعارض مع الحضارة ومع الحياة ويحرمه الاسلام ، ويقرر العامري أن الإسلام يعطى أهمية كبرى للقوة المادية ، قوة المال وقوة السلاح وقوة الدولة كما يعطى أهمية كبرى للقيم الروحية فيجمل الاخلاق أساسا للتعليم كما يجعلها أساسا للسياسة وأساسا للحرب (وحرب الإسلام حرب أخلاقية) وإذا كانت اليهودية قد غالت

في تقدير القوة المادية وإذا كانت المسيحية قد غالت في تقدير القوة الروحية فإن الإسلام هو دين التوازن الحق بين الناحيتين على أساس أن كليهما عنصر أساسي في الطبيعة البشرية وإن كليهما ضروري لتقويم الإنسان ، كذلك فإن الإسلام يحرم الإنسان من العائق الطبيعي فلا يحكم على الإنسان باعتبار الطبقة الاجتماعية أو القبيلة — ويتميز الإسلام عن مجتمع الساسانيين والرومان الذي لا يسمح للفرد أن يرتقي من طبقة اجتماعية إلى طبقة أعلى منها .

إن هناك حقيقة واضحة هي أن هناك عالم مادي وراءه عالم غير مادي ، وإن هناك إنسان مادي داخله عالم غير مادي فأى دين أو مذهب أو نظام يهمل واحداً منهما أو يعلل أحدهما على الآخر فإنه ينقصه بذلك عنصر خطير من عناصر الحضارة وبدون هذا العنصر لا يمكن إحراز تقدم حقيقى والجانبان الروحى (العقيدة والعبادة والأخلاق والثقافة ومنها الآداب والفنون) والمادى (السياسة والاقتصاد جزء منها والقوة الحربية للدولة والعلوم المادية) هما متكاملان متماثلان لا يمكن فصلهما فى الإنسان أو فى المجتمع الإنسانى .

الباب الرابع عشر
الإفتصاد

11. 11. 11.

12.

13.

نحن المسلمون نؤمن بأن للإسلام منهج إقتصادي كامل : هو منهج الاقتصاد الانشائي ، ولذلك فنحن ننظر إلى النظريتين : الرأسمالية والاشتراكية : نظرة واحدة ، نحن لا نعتقد أن إحداها تصلح للمجتمع الاسلامي فضلا عن أنها أصبحت موضع شك وامتحان شديد في بيئتها وموطنها ، وقد جاءت الرأسمالية من خلال وضع اجتماعي معين عرفته أوروبا ثم جاءت الاشتراكية والشيوعية رد فعل للأخطاء التي وقع فيها النظام الرأسمالي ، ثم نقلت التجربة إلى مجتمعنا الإسلامي مع سيطرة النفوذ العسكري والسياسي الغربي الذي زحف إلى بلادنا بقصد نهب ثروتها واستغلال مواردها ، ومن ثم فقد فرض النفوذ الاستعماري هذا النظام على بلادنا لوضعها تحت سيطرته وحتى يحول دون تمكينها من امتلاك إرادتها ، والانطلاق باقتصادها وثروتها على النحو الذي يمكنها من الانتفاع بها ، ومن ثم سيطر الغرب على العالم الإسلامي ووضعه في قبضته وفرض عليه نظامه الربوي المعارض تمام المعارضة لمنهج الإسلام ومن ثم اختفى منهج الاقتصاد الإسلامي تحت ركाम الأحداث وذاق المسلمون ويلات النظم الربويه والنهب ووقوعهم تحت الفروض الثقيلة وهم أصحاب الخلفات التي تباع بأرخص الأثمان وعاشوا في مؤامرة البورصات والأسهم والسندات وحرموا من ثرواتهم بإيداعات الدول البترولية الكبرى لثرواتهم في مصارف أوروبا وأمريكا وجاءت بعد ذلك لعبة الذهب والعملات الورقية .

هذه هي القضية الكبرى التي يجب أن يعرف المثقف المسلم أبعادها :

١ - كيف يفعل النفوذ الاجنبي بمحاصرة الاقتصاد الإسلامي في داخل

العالم الإسلامي ؛

٢ - وكيف يضع ثروات العالم الإسلامي في مصارفه ويمنع وصولها

إلى أيدي المسلمين .

٣ - وكيف يستوعب الأموال التي يحملها بعض الثروة إلى أوروبا والغرب ويفتح لها أبواب المواخير ونواحي القمار في كان والريفيرا ولاس فيجاس وفي كل بلاد العالم فيحرم أهل البلاد من ثمارها وتصدر للأجانب : البلاد التي اشتهرت باللحوم والدواجن والمحاصيل الزراعية تصدر إلى جميع أنحاء العالم وبها ملايين المواطنين يعانون من الجوع، هذا على الرغم من أن ما تنتجه الأرض الزراعية يمكن أن يكفي حاجة هؤلاء المعدمين ويكفي للتصدير بكميات كثيرة للخارج ، وعلى حين تعاني الدول المتقدمة من التخممة والاسراف الاستهلاك في تعاني الدول الفقيرة من نقص المنتجات الضرورية لاعاشة مواطنيها .

(فمثلا ٨٠ في المائة من أطفال البرازيل لا يأكلون أبدا إلى حسد الشعب ولا يتناولون اللحم إلا نادراً في حين نجد أن دولة مثل فرنسا يستورد من اللحوم والدواجن ما يصل نسبة استهلاك الفرد منها أعلى نسبة في العالم ونفس الشيء في الولايات المتحدة) .

وفي بلاد كثيرة في العالم الإسلامي يوجد هذا المثل ، حيث تنحصر الثروة في طبقة محدودة جداً ، طبقة كبار الملاك ورجال الأعمال الذين يتمتعون بثراء فاحش نتيجة لسوء توزيع الثروة ولدى تحصل الحكومة على حصة تعمل على تصدير ثروتها الحيوانية والزراعية كالبن والسكر والكاكاو وتصدير البرنقال المجمد والدواجن) وهكذا فإن أي دولة مصدرة للمنتجات الحيوانية والزراعية تصبح بلداً للجوع والجفاف .

وفي إفريقيا حيث توجد الثروات المعدنية والكوبلت والمنجنيز وتوجد المجاعة والأمراض والتخلف يحصد السكان ، وحيث تنهب هذه الثروات المعدنية قسمه بين الرأسمالين والشيوعية تحت قناع المعاهدات الاقتصادية واحتلال الأسواق ، وتقديم الديون والقروض والجزاء وفي بلاد صغيرة من أفريقيا نهبت معادن ويفط بملايين الدولارات ، فضلاً عن أن الصادرات تشتري بها سلع من الأسواق وكالليات وتوف .

وهناك خطة تقسيم مناطق النفوذ بين الدول الكبرى ، المناطق الإسلامية

وحدها هي مركز الصراع ، وتباع أسعار البضائع على أساس التفويض والمبادلة بأرخص من أسعار السوق العالمية .

ولقد يحاول المعسكرين إعطاء صورة الصداقة والبذل والمعاونة في المشروعات بما يلقى في روع المناصرين لهذا المعسكر أو ذاك — كما يقول دكتور إبراهيم دسوقي بإباضه ، — إن هناك سباق شريف من أجل صداقة هذا العالم وخيرة ولكن الصورة الحقيقية تشير إلى أن هناك صراعا دمويا بين العملاقين على أرض الفقراء من أجل ثروة الفقراء ومن أجل السيادة على الفقراء وحقيقة هذا الصراع الدموي على أرض الفقراء توضح الأساليب الماكرة التي تصطنعها عناصر هذا الصراع الاستعماري هدفه في الحقيقة تجويع العالم الإسلامي وإيقاع المسلمين في مقام التخلف والانفكاك من روابط دينهم وقيمه وتعاليمه في فهم الحياة وفهم الترابط بين الدين والدنيا ، أن أوجب الواجبات على المسلمين أن يأخذوا بالوسائل التي تخلصهم من الفقر الاستعماري وتحررهم من العبودية الاستعمارية ، وأن العقيدة الإسلامية هي مصدر الطاقة التي تحرك في المسلم إرادة العقل ، وتعبه به من فراغ الجاهلية إلى مراتب الجهاد الأكبر وترسم له القيمة الحية التي هي الوفود الدائم للإرادة .

هذه هي الحقيقة التي تحفيها قوى كثيرة وراء مظاهر براقة كاذبة ، ترمى في الأغلب إلى إعطاء الناس مفهوما زائفا — قد يستمدونه من الإسلام والإسلام يرى منه يجعلهم يقيلون ويسلمون بوضع ثرواتهم تحت أقدام الاقتصاد الربوي العالمي وبينه وهذا واضحا وقويا اليوم حين بدأت الصحو الإسلامية تحقق تقدما نحو مفهوم إسلامي للاقتصاد عن طريق المصارف الإسلامية ، حيث نرى ذلك الانقضاء الشديد على هذا التيار وحزبه بعنف لحساب المصارف والربوية ، إبقاء للأموال والثروات الإسلامية في أيدي خصوم الإسلام ، ومن ثم نرى هذه الطائفة من الشعوب وأعداء أوطانهم وأمتهم الذين يحاولون تبييض الربا والنظام الاقتصادي المدخيل خدمة للدول الكبرى .

وقد وقع بعض العلماء في هذا المحذور تحت قناع الاجتهاد الباطل ، والادعاء بأن هناك متغيرات وهل هناك اجتهاد مع النص ، وهل من المميزات تجاوز حدود الله والهدف هو سد الطريق أمام المسلمين حتى لا يستطيعون أن يتخذوا طريقاً إسلامياً للاقتصاد فيتحروا من نفوذ النظام العالمي الذي أثبت فشله وفساده في بيئته الاولى حتى هلت الصيحة في العالم كله تطالب بنظام إقتصادي عالمي جديد ينقذ البشرية من ورطتها .

وليس هناك غير الإسلام ، أننا الآن نملأ خزائن أعدائنا بالبلايين فوق البلايين في حين أن أبسط ما تقضى به مقتضيات العقل أن تكون لنا مصارفنا ومؤسساتنا النقدية الخاصة فأعدائنا أن تسموا بغير أسمائهم فهم اتباع التلمودية أصحاب المعجل الذهبي ودولة الربا العالمية .

يقول الدكتور شاحت الألماني : د لانه بعملية رياضية يتضح أن جمع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل من المرائين ، ذلك إن الدائن يربح ذاتياً في كل عملية بينما المدين معرض للربح والخسارة ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد أن يصير إلى الذي يربح دائماً ، هذا هو الحال الذي عليه أصحاب النظام الربوي فتي ينتهي هذا الحال في البلاد الإسلامية ، والاستغلال الربوي هنا والاحتكار الاقتصادي هناك ونظام الفائدة مقرر ومعمول به في بنوك البلاد الإسلامية .

أولاً : فساد نظام الربا

نجن نعرف أن النظام الاقتصادي العالمي الذي يتحرك فيه العالم كله — بما في ذلك العالم الإسلامي — هو النظام الربوي الذي صنعه اليهود وأخضعوا له مختلف الأمم سواء أكانت لإشتراكه أم رأسمالية ، واليوم المسلمون يتطعمون إلى امتلاك إرادتهم يجب أن يلتزموا المنهج الإسلامي الاقتصادي لتحرير أنفسهم من هذا الطغيان المدمر ، فإذا استطاعوا ذلك قدموا منهج الإسلام إلى البشرية كلها بوصفه حامل السلامة الرحمة والعدل الحقيقي بعد أن استنزفت إمبراطورية الربا مختلف مصادر الثروات على نحو مسرف ، مما يهدد البشرية في غدها ، ويجري

هذا الاستنزاف في مجال الكماليات والترفيه والاحتلال الاجتماعي ، وذلك حتى يزداد أصحاب الملايين اليهود ثروة وتسلطاً ، وهو خطر يكاد يهدد إقتصادنا في العالم الإسلامي أجمع .

ولقد أبحه المسلمون منذ فجر حركة اليقظة الإسلامية إلى طرح قضية الربا والفائدة ومدى الأخطار التي تترتب عليها والآثار التي أنتجتها في إستنزاف ثروات الأمم الإسلامية وفتح باب الاستدانة للأمم والدول والأفراد مما نتج عنه ضياع هذه الثروات وانزاعها من أصحابها ، مثال ذلك ما حدث في السنوات العشر الأولى للاحتلال البريطاني لمصر ، حيث ظهر على رأس كل قرية رجل يوناني يبيع الخمر ، يقرض بالربا ، واضطر أصحاب الأراضي والأطيان تحت ضغط الخمر ودور البغاء والمسارح وغواية الراقصات إلى رهن أملاكهم والاقتراض عليها حتى كان أحدهم يشعل سيجارة لراقصة بوردة من ذات العشر جنبيات ثم تطورت فأصبحت ورقة من ذات المائة جنيه وجاء في الإحصاءات الرسمية أن (٢٠ في المائة) من الثروة المصرية تحولت في السنوات العشر الأولى إلى أيدي المرابين الأجانب ، ومن ثم فقد تعالت الصيحة حينذاك إلى الإنعاش (النظام الإسلامي) أساساً للاقتصاد ، ولكن نفوذ الاستعمار المتسلط استطاع أن يفرض هذا النظام الربوي على المسلمين جميعاً في مختلف أجزاء العالم الإسلامي ، كما خضع عدد من الباحثين المسلمين للأوضاع المتردية وأعلن قبول نوع من الربا ودفع نوع آخر إلى التفرقة بين الربا المحرم شرعاً وبين سعر الفائدة وعقدت في دار العلوم (١٣٢٦ - ١٩٠٨) ندوة دهامتها الشيخ (رشيد رضا) إلى إعلان أولى الأوامر البلاد في حالة الضرورات قد يتيح المحظورات .

وكان الشيخ محمد عبده قد خدعته إحدى الشركات الربوية بتقديم سؤال عن فوائد مدخرات البريد فأفتى بقبولها ثم تبين له من بعد خطأ ذلك فكان أن رفع الفتوى من الطبعة الثانية لكتابة (رسالة التوحيد) وقد اجتمعت الآراء (آراء المتخصصين في علم الاقتصاد والفقهاء على حقائق واضحة) في هذا الصدد ما زالت بين أيدي الباحثين اليوم حيث تجرى المحاولات مرة أخرى لإثارة والشبهات حول ربا الفضل وربا النسيئة وحول الفرق بين الربا والفائدة ، وقد أوضح فقيد الإسلام

الشيخ محمد أبو زهرة بجلاء فساد هذا كله وكيف أن الربا مجرم تحريماً تاماً ولا رجمه فيه بكل أنواعه وأن على المسلمين إتخاذ وسائل أخرى للتعامل الاقتصادي

— ٢ —

هناك رأى تكاد متفق عليه جميع وجهات نظر الباحثين المنصفين في عالم الاقتصاد بأن الاقتصاد العالمي اليوم : إقتصاد يهودى لانه يقوم على فائدة رأس المال أى الربا (فى خدمة الحضارة) والإسراف والترف والطور والحريير والاستهلاك . وذلك على أساس أن الحضارة الاستهلاكية التى يعيشها العالم اليوم هى حضارة يهودية ترفضها فلسفة لإباحية تدعو إلى الجنس والرقص والترف والانطلاق فيما يشبه الفوضى ، وقد دعا إلى الجنس والإباحية فرويد وجادل أن يقول أن الشهداء والقديسون والقادة والمصلحون إناس تدفعهم عقيدة الجنى إلى الشهوة وقد انتهى هذا إلى نوايا للعراه وإباحية فى العشق ولإحلال فى الرابطة الزوجية وقال كارل ماركس : ان الأديان والقيم التربوية والمخلقة أو هلاما وخرافات وأن القيمة الوحيدة فى العالم هى الصراع وما بدأته الثورة الفرنسية وأعلنته الثورة الروسية كلتا هما من نسج اليهود وكلاهما من القواعد الأساسية للاقتصاد العالمى : وفى أمريكا يتبين كيف صالح اليهود الحضارة الغربية من خلال سيطرتهم على الاقتصاد : حضارة القسوة والإجرام واللا دينية والمادية ، فاليهود يسيطرون سيطرة كاملة على وسائل الإعلام (من الصحافة إلى المسرح) تهدم بها سموة الحياة الأمريكية الحرة إلى حد الفوضى والإجرام ولإحلال كل القيم ؛ وإستنزاف الثروات الطبيعية وإهلاكها تحت أقدم الاستهلاك والترف . وتتمدد الخطوط الربا إلى كل مكان وزاوية ؛ وفى إمكان أى فرد الحصول على أى سلعة فورياً بعد توقيع صكوك القروض الربوية ، لباساً وفرشاً وإدابة موصلات ، كل الأشياء يمكن أن تقدم لك فى مقابل مبلغ زهيد شريطه أن يكتب بالباقي صكوك تدفع على مهل لمن على أقساط مضاف إليها الربا (الفوائد) هذا صك عبودية عالميه ، فالناجح الذى يبيع بالتقسيط لا يملك كل الاموال التى يقدم بها ما يبيع فهو يقترب من الحاجة إليه ويقدم هذه الكمبيالات والبنك الصغير يقترب من بنك أكبر بالربا

ويعيش المجتمع كله على كتاب الصكوك (السكبيالات) ودفع الفوائد ، وترتب على هذه الدورة المصطنعة أزمات أفراط الإنتاج وتعطل المصانع والبطالة والتضخم الذى يفتى بكل وسيلة توفر أوراق النقد دون أن توجد سلع فى مقابلها وينتهى ذلك بالكساد والبطالة فضلا عن الإفلاس الروحى والخلق وسيادة الجشع هذه هى نتيجة الاقتصاد اليهودى الذى طبقه اليهود فى أمريكا ومنها سرى إلى بقية العالم ، وتختلف هذا المفهوم العالمى للاقتصاد مع مفهوم الإسلام للاقتصاد الذى يقوم على البيع وتحريم الربا وفيه أن كل قرص جرم منعمة فهوربا ، فالقرض لوجه الله ، ليس له منعمة مادية سريعة وإنما هو ينتظر الثواب والمسكافاة من الله تبارك وتعالى الغنى القدير يوم الحساب وقد عاش المجتمع الإسلامى طويلا وازدهر وقامت التجارة الخارجية دون اعتماد على نظام الربا ، وإذا غرفت لأحدهم سفينه أو أفلس جمع لإخوانه له من المال ما يمكنه من استئناف مسيرته .

٢ - قطع الإسلام بتحريم الربا .

ورأى الإسلام أنه لايسمح لرأس المال أن يطفى على العمل وقد اعترض على الربا بأنه يعوق سير الأوضاع التجارية كما يعوق تنفيذ المشروعات الوطنية وفى التنظيم الاجتماعى للإسلام منع الإسلام الربا والتعامل معه ، وقد ازدهر النظام الإسلامى عدة قرون مع تحريم الفائدة ودون أن يحد من نموه مثل هذا التحريم بل قد ساعد على رقيه ونمائه .

وكان ذلك إيمانا بأن الربا يخلق الكسل عند المرابين لأنهم يرجحون من كد سواهم من الناس كما أنه يطوح بالمشاعر النبيلة كالشفقة والشعور بالواجب الاجتماعى نحو المحتاجين وهو ينطوى على الخداع والعبودية ولايحقق التجانس والمساواة بين أبناء الشعب ، والقرض يعنى استرداد الشيء المقرض نفسه أو مثله ، أى شئ مماثل له فى الجنس ، والبيع مبادلة ما بين متباينى القيمة يخضع تباينهما لقانون العرض والطالب واختلاف الرغبات فليس للقرض أن يسترد ماله الذى أقرضه عند حلول الاجل ، مع التسليم بتقرير التزام المقرض

بالخسارة إذا قرر حقه في الربح ومعناه قيام عقد ببذعي بمقد القراض أو المقارضة أو المضاربة وهو عقد يقوم على الاشتراك في الربح ويكون رأس المال فيه طرف والعمل من طرف آخر ولا بد فيه من بيان كل من المضارب ورب المال .

٣ — هذا والربا مضاد للانفاق ومضاد للزكاة ، ومضاد للمضاهفة وأنه محق والضدان لا يجتمعان فالذى يريد أن يكسب في درهما درهما آخر دون تعب من المستحيل أن يفضل التصديق به ، والربا ضد الصدقة ، فالصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك ؛ والربا عبارة عن طلب الزيادة على رأس المال مع نهي الله عنه ، والزيادة والنقصان في الحقيقة ظاهر الأمر وإلا فالزكاة — زيادة في المعنى والزيادة بسبب الربا نقصان في الحقيقة :

قال تعالى : « يحق الله الربا ويربي الصدقات » .

وفي الحديث : ما نقص مال من صدقه ، وقد نادى الله تبارك وتعالى المؤمنين وأمرهم بتقوى الله وأمرهم بترك الربا وحذرهم بالحرب إن لم يفعلوا : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) .

قال قتاده : أوعد الله أهل الربا بالقتل فجعلهم بهرجا أينما ثقفوا ولو أن أهل البلد اصطلحوا على الربا استحلالا كانوا مرتدين ، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالا جازما فللإمام محاربتهم ، قال ابن جرير رحمه الله : فإن قال قائل أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا وفي تجارته ولم يأكله استحق هذا الوعيد من الله قبل نعم . وليس المقصود من الربا في هذه الآية الأكل ، إلا أن الذين نزلت فيه الآية وهو قوله : لا تأكلوا الربا ، كانت طمعتهم وما كلبهم من الربا فذكرهم بصفتهن معظما بذلك أمر الربا ومقبحا إليهم الحال إلى هم عليها في مطاعهم وإن التحريم من الله كان لكل معاني الربا وإنه سواء العمل به وأكله وأخذه وعطاؤه ، وفي الحديث عن أبي هريرة برفعه : (الربا

إثنان وسبعون جرباً أدناها باباً بمنزلة الناكح لأمه). والربا المحرم في القرآن هو ربا النسيئة وهو الذي تجرى عليه معظم المصارف الآن ويتعامل به الناس، ثم جماعت السنن بتحريم ربا الفضل وقد أجمعت الأمة على تحريم ربا الفضل إلا ما ذكر عن ابن عباس وابن عمر ثم رجعا عن ذلك.

إن الإدعاء بأن الربا المحرم هو ربا الاستهلاك لا الاستغلال أو الإنتاج أو غيرها من أسماء فهو قول مردود.

٤ — والربا في تعريفه : زيادة أحد البدلين المتجانسين ، فقد فرضى عليه زيادة فيما أعطاه من دين يردّها عند الوفاء ، هذه الزيادة بلغت ما بلغت هي حرام ، إن القانون الآلهي يحرم الربا بينما يحيزه القانون الوضعي باعتباره صفقة تجارية ، إلى تجربة التاريخ تثبت صحة القانون الآلهي وبطلان القانون الوضعي فبسبب تحريم الربا استمر الاقتصاد الإسلامي لمدة ألف سنة بدون أن تظهر طبقة فاحشة الغنى وأخرى فاحشة الفقر والنظام الاقتصادي الحديث القائم على الربا هو أول نظام من نوعه أنشأ الوضع الاقتصادي التلقائي في المجتمع بتوزيع الثروات بطريقة غير عادلة : هذا النظام عاجز عن حل العصبية وإن عملية الربا هي الطريقة الوحيدة في التعامل الاقتصادي التي تجعل دورة الثروة تجرى في اتجاه واحد ، وإن هذه الخاصية في الربا هي التي جعلت النظام الاقتصادي نظاماً استغلاليًا وكان من نتائجه ظهور اثنين من أكبر مساويء القرن : وهما القهر الاشتراكي والحرب العالمية الثانية. إن ماركس وآخرين من المفكرين الاقتصاديين في القرن التاسع عشر الذين ادعوا أن سير العدالة الاقتصادية يمكن في إلغاء الملكية الفردية لم يدركوا أن الشيء الذي جعل من النظام الصناعي نظاماً استغلاليًا هو ارتباط ذلك النظام بالربا ، وليس الملكية الفردية ، ولو توصلوا إلى هذا السر لطلبوا إلغاء الربا لأنهم بمطالبتهم بإلغاء الملكية الفردية لم يحلوا المشكلة بينما تسببوا في وضع جزء كبير من الإنسانية في عذاب اقتصادي لا يخرجون منه لو أرادوا ، إلا أن (هتلر) قد شعر بمساويء الربا الشنيعة وسيطارة الرأسمالين اليهود على اقتصاديات ألمانيا والدول الأوروبية الأخرى قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد توصل هتلر إلى أن الربا هو أداة للغاية الاقتصادية اليهودية.

ولو ألغى الربا بالقانون لما تمت الرأسمالية مثلما يموت الجسد الذى يستخرج منه كل دمه ، ولكن جنون هتلر الانتقائى قاده إلى الحل العسكرى بدلا من الحل الاقتصادى فشرع فى أبشع حرب عرفها التاريخ لاستئصال اليهود من أوروبا ، ووصل بقايا اليهود إلى أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية وخلال السنوات الثلاثين الماضية تمكنوا من السيطرة على الاقتصاد الأمريكى بواسطة الاستيلاء على المؤسسات الربوية مثلما كانوا فى أوروبا ولذلك بدأ الاستياء الشعبى ضد اليهود فى أمريكا ، ويتنبأ بعض المراقبين بأنه لا عجب لو ظهر هتلر جديد ضدهم فى أمريكا .

وهذا الوضع تواجهه الدول النامية بصورة مختلفة فقد اضطرت هذه الدول للاستدانة من الدول المتقدمة لأجل برامج التنمية وقد حصلت هذه الدول على هذه الديون بشروط ربويه طبقاً للنظام الاقتصادى السائد ، وقد بلغت هذه الديون بسبب السحر الربوى مبلغاً اضطرت الدول المدينة إزائها للاستدانة مرة أخرى لأجل دفع الفوائد على الديون الأصلية ولو اضطرت معظم الدول النامية لدفع ديونها الخارجية دفعة واحدة أعلنت إفلاسها الكامل .

هـ — الربا تحرمه كافة الشرائع السابقة على الإسلام ويحرمه الإسلام وتحرمه كافة القوانين ولن يهتز الاقتصاد المصرى بالابتعاد عن الربا وأكبر شاهد على ذلك ازدهار وانتشار البنوك الإسلامية ، ولا يسلم أحد من المتخصصين بأن الربا فيه ضرورة لهذه الأعمال المصرفية ، ذلك لأن الله جل جلاله الذى حرم الربا لم يترك أمر الناس سدى بل شرع لهم من الحلال ما يضيئهم اللجوء إلى الحرام ؛ وفى المؤتمر القانونى الإسلامى بباريس (٧ / ٧ / ١٩٥١) تحدث الدكتور محمد عبد الله دراز عن قانون وضعه الملك بوخودريس من ملوك الفراعنة (الأمرة ٢٤) حرم فيه الربا وفى التوراة التى بين أيدينا (سفر التثنية) لا تقرض أخاك بربا وفى الإنجيل الذى بين أيدينا (انجيل لوقا) إفعولوا الخيرات واقترضوا غير منتظرين عائداً . وقد أجمع فقهاء الشريعة الإسلامية على أن قول الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) تفيد تحريم

ربا الفضل وربا النسيئة ، وربا النسيئة تأجيل دفع الدين إلى المدين بالثمن ، وقد نقل إلينا إجماع الفقهاء على تحريم ربا النسيئة فضلا عن تحريم ربا الفضل (صاحب المغنى ابن قدامة) وفي الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) يحق الله الربا ، لا يقبل منه صدقة ولا حبا ولا جهادا ولا صلة . ويرى الزمخشري في مؤلفه الكشف أن الآية في تغليظ أمر الربا إيذاناً بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين .

وإن علماء الاقتصاد يقررون أن الربا يفسد المجتمع بما يضعه عليه من مادية مسرفة خالصة بالفقر يفرط تحت ضغط الحاجة والغنى يشتري دن منصبه ماله الذي يتزايد فتتهون الأعراض وتنحل الأسر (أنديه سحفيد الفرنسي وأرثر لنك الأمريكى وأرثر ستريد وغيرهم كثيرون) اقرأ وضع الربا في البناء الاقتصادي للدكتور عيسى عبده .

وقد قرر مجمع البحوث (١٩٦٥) بشأن المعاملات المفرقة أن الفائدة على أنواع الفروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين وإن كان كثير الربا وقليله حرام لأن الاقتراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة .

وهكذا فإن الإسلام - كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة - يدعو إلى نظام اقتصادي يقوم على منع الربا ، لأن الربا من شأنه أن يحمل رأس المال منتجا من غير عمل عامل بل من يحمل تبعه العمل وإذا ساد وجدت طائفة من الناس يتخذون التعطيل سبيلا ويا كون ثمرات غيرهم ، وفي المسائل المتجددة فإن في مبادئ الشريعة الإسلامية ما يعني وبذلك يسد الباب أمام النظم الأجنبية بكافة المجالات التشريعية والسياسية والاقتصادية .

وقد أشار الدكتور عبد الناصر العطار في مؤلفه [نظرية الاجل في الالتزام] يقرر أن الفوائد الربوية بنوعها تتعارض مع الأصول القانونية

ولا تستقيم مع مبادئ العدالة ، ذلك أن الربا عقد على منافع موهومة وغير معلومة المقدار وإذا تم العقد على محل متحمل الوجود وغير معلوم المقدار أضحي باطلا وكذلك كان الربا .

وهناك الآن عدد من الكتب تتناول هذا الموضوع في وضوح :

تطبيق الشريعة الإسلامية : الدكتور صوفى أبو طالب .

النظرية العامة للقانون الدستوري : الدكتور رمزي الشاعر .

المشروعية العليا : الدكتور على جريشة .

السلطات الثلاث : سليمان الطهاوى .

مقال الرأى فى التشريع الإسلامى : عبد الوهاب خلاف (مجلة القانون والاقتصاد) .

مبدأ المشروعية : دكتور فؤاد النادى .

وكلها تقرر أن محور الدول الإسلامية هو القانون الإلهى وأن الدولة الإسلامية لها ذاتية خاصة تلزم بدورها بكفالة تطبيق القانون الإسلامى والالتزام بما أوجبه كلها الشارع من قواعد وأحكام .

(زكريا عامر البكرى)

٦ — إن النظام المصرفى يقوم على أساس السيولة والارباحية ومن هنا فإن التركيز على أحدهما دون الآخر يودى إلى فشل القيام بالعمل المصرفى ، فإذا ركز على السيولة أدى ذلك إلى الانخفاض المتزايد فى أرباحه مما يودى إلى عدم تحقيق هدفه الأساسى لمشروع اقتصادى (خدمات مصرفية) وإذا ركز على الارباحية كان ذلك على حساب السيولة مما يودى إلى عدم إمكانية الوفاء بالتزاماته قبل المودعين وبذلك يفقد الثقة من قبل المودعين مما يودى إلى إفلاسه ولكن الصيغة الإسلامية للعمل المصرفى تأخذ فى الاعتبار هذا

التوازن الإحساسى الذى يقوم على الفن المصرفى فهذه الصيغة تؤسس على جمع رأس المال والعمل فى تزاوج إنمائى مضطرباً ليس على أساس جمع رأس المال ورأس المال كما يتم بالنسبة للمصارف الربوية ، أما الصيغة الإسلامية فإنها تعمل وفق عقد المضاربة الإسلام أو القرآن فى صورة مشروعات استثمارية ، وفقاً لمبدأ الاشتراك فى المخاطر وفى الأرباح وفى الخسائر وبهذا لا تكون هناك أحقاد بين الطرفين المشتركين فى المشروع ولا توجد إضرار الربا الذى يقوم على إثراء الغنى من دم الفقير ولا أن يكون القرض الاستهلاكى بقصد الحصول على أكبر ربح ممكن من مشروعات مربحة بصرف النظر عن المشروعات ذات الصالح العام للجماعة مهما كانت مشروعات تحتاج إلى قروض استثمارية تمس حاجة الشعب الأساسية فإن القروض الاستثمارية لا تنظروا إلى الربح بل تنظر إلى المصلحة (الدكتور عبد الحميد الغزالى) .

ويقول الدكتور صوفى أبو طالب : إن النص بتحريم الربا قطعى فى ثبوته ودلالته بآيات القرآن الكريم فلا مصلحة البتة فى مخالفتها وليس لنا أمام قول الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) أن يقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فكلمة الله هى العليا وفوق كل علميا) .

ومن هذا يقين أن الفكر الربوى فكر ضد الإنسان وضد الدين والقانون وتظهر بوادر الخير فى المصارف الإسلامية (فى مصر) ، فقد تأكد أنها تجربه إسلامية ناجحة ومثلاً يحتذى فى الاقتصاد الإسلامى لأن الربا لا يدفع إلا من جيوب المستهلكين فيتوزع عبء الربا على كل فرد من أفراد الجماعة — هذ وقد طبقت باكستان نظم الاقتصاد الإسلامى بما فى ذلك الأعمال المصرفية بلا فوائد .

* * *

ونظرة إلى المشاكل التى تعاني منها حضارة العصر التى توشك أن تقذف بها إلى هاوية الدمار يرجع فى جوهرها إلى النظرة المادية التى تسيطر على نظام

الاقتصاد الغربي وهي النظرة التي أفرخت فلسفة الاشتراكية العلمية حتى لذهب في تفسيرها لتاريخ الإنسانية بأديانها وفلسفتها وعلمها وفكرها إلى قوة العامل الاقتصادي دائمة في توجيه حركته التاريخ بل أنها أقامت جوهر الاختلاف والفضائل على أساس من نزعة المنفعة وسيطرة الجانب المادي على حياة الفرد والمجتمع فارتدت بالمجتمع إلى طابع الغريزة في المجتمعات البدائية الأولى حيث يشترك المذهب الفردي ومذهب الاشتراكية العلمية في حافز المنفعة ويختلفان في الوسيلة فأروباب المذهب الفردي يرون في التنافس والتزاحم على الكسب وسيلتهم أما أرباب الاشتراكية العلمية فيرون شيوع الثروة فلا ملكية لأحد وصراع الطبقات هو السبيل الوحيد لسيادة الطبقة الجديدة أما الاسلام فقد أقام نظامه الاقتصادي على أساس من الرحمة وأدب النفس والمروءة . والتعاون والعدل والمغفرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأول ما تنكره قيم الاسلام : الربا أساساً للحياة الاقتصادية مع إنكار الابتداع والغش وحجب البضاعة عن المستهلك وأكل أموال الناس بالباطل ، والاسلام يعتبر القرض بالربا أقرب إلى الوحشية والحسد والدماء .

ولاريب أن من أبرز الوسائل لإقامة امبراطورية الربا : ذلك العمل المتصل في سبيل هدم الأسره المسلمه والأخلاق المسلمة ، فإن الاختلافات ، نقف أمام الخمر وأدوات التبرج وأمام المراهير والمراقص والملاهي ، وهذه كلها من صناعة (امبراطورية الربا) ولذلك شنت حرباً عنيفة على الأخلاق وكذلك القوانين الأجنبية كانت عاملاً خطيراً لفتح الباب أمام هذا الخطر الماحق . ولقد كانت القروض الربويه للدولة الاسلاميه مصدر هزيمتها واحتلالها (الخديوى اسماعيل والشاه) كانا أول من أدخل هذا الخطر ثم سارت فيه أجيال) ولانزال القروض التي تعطى للبلاد الإسلاميه مأخوذه من الأموال البترولية الإسلاميه المودعة في الغرب لخدمة الاقتصاد الغربي ، ثم تعرض للسلب لتستعبد لهم وكان أولى أن يقرض المسلمون من المسلمين وغالب الثروة الإسلامية (٨٠ في المائة تقريباً) مودعة في المصارف الأجنبية وقد حبل بين أصحابها وبين اتفاقها في مشروعات التنمية في البلاد الإسلامية ، وبينما تتوقف هذه الأموال عن أداء دورها الطبيعي

نجد الاستثمارات الأجنبية هي الغالبة والمسيطره وهكذا نجد أن الغرب يحتضن الثروة الإسلامية كلها ويدبرها على الوجه الذي لا يمكن المسلمين من إمتلاك إرادتهم ، ويبدو تبعية الاقتصاد الإسلامي للسياسة الغربية ، وقد تنازل المسلمون عن أنظمتهم وإرادتهم ونظامهم الاقتصادي والمالي وأصبحوا يدورون في فلك الاقتصاد الغربي ، وقد انتهت خيراتهم وثرواتهم الطبعية بكيفية فيها كل الغبن هليهم ، واضمحلت الصناعة وتراجعت الاجازات الضرورية في العالم الإسلامي وصارت البلاد الإسلامية كلما سوقا مفتوحة لتصريف المنتجات الأجنبية وخضع المسلمون للعاملات الربويه المحرمه في قانون الاقتصاد الإسلامي تحريماً باتاً : ذلك القانون الذي جاء بإصلاح عظيم في هذا الباب انقذ الإنسانية في وقت ما من تحكم أرباب رهوس الأموال واستغلال صيارفه اليهود وبدلاً من أن تقف المسلمون في وجهه التيار استسلموا له وبات كثير من قادتهم يعتقدون أنه لانمو ولا إزدهار إلا باصطناع نظام الغائب والربا المحرم .

(٣)

الدكتور عيسى عبده عاش خمسين عاماً من حياته متخصصاً في قضية الربا المحرم دراساته في مختلف بلاد العالم وكاشف عن أثاره على الاقتصاد والتجارة والنهضة وأثره في المجتمعات .

وقد ترك في هذا الشأن تجربة ضخمة تستطيع أن نوجزها في سطور :

والاقتصاد ليس الأجانب من جوانب النهضة لاي مجتمع يستمد من المثالية التي ارتضاها هذا المجتمع لنفسه يتفاعل معها مؤثراً فيها بقدر ما يتأثر بها وليست النهضة إلا مجموع محصلات هذه الجوانب الأربعة التي تعمل عملها مجتمعة في الفرد والمجتمع على السواء والتي تنبعث من المثالية ذاتها جاهدة في تحقيقها ، فإذا إنهدمت المثالية أو اختلفت لدى أفراد مجتمع ما انهدمت النهضة وانهدمت معالم تلك الجوانب الأربعة التي تشكل نشاط كل فرد في مجتمعه :

١ - الجانب الاجتماعى : علاقة الفرد بغيره من الافراد وسلوكه فى الجماعة .

٢ - الجانب السياسى : تنظيم علاقة الافراد المنعية على الحكم والى تمس الحقوق الطبيعية للإنسان .

٣ - الجانب الجمالى : الذى يرسى القيم التى تستتر فى ضمير الفرد وتؤثر فى حكمه على الاشياء .

٤ - الجانب الاقتصادى :

ولاخلاف فى أن المسلم خلق ليعبد الله وحده وللعبادة شقين :

١ - شعائر يؤديها المرء وهى علاقة مباشرة بين الإنسان وخالقه .

٢ - معاملات تتناول جوانب الحياة المعيشية الأربعة والشقان متكاملان

وعمد الاقتصاد الإسلامى : (الزكاة) التى هى ركن من أركان الخيرية السمحاء وأخطر ما يواجه الاقتصاد الإسلامى فى العصر الحديث هو (الربا) وقد أصبح المسلمون يتنقمون الربا حتى تخدرت أجسامهم وحين بعضهم الفقراء ، وتأخذهم العناية الإلهية بالقوارع لعلمهم يرجعون إذا بهذه الأجيال المضطربة من المسلمين تفرع إلى مزيد من القروض الربويه تصحبها ظاهرات الضنك والضييق منها البطالة والتصخم والانحلال الخلقى فلا تجد المفرع من الربا إلا إلى الربا من جديد مع التكرار القبيح الذليل كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ، أن (الفوائد) التى جاءت إلى البلاد الإسلامية مع ضعفها الراهن هى بعينها (الفوائد) التى جاءت مع غزوات رءوس الأموال الأجنبية للدول العثمانية وأطرافها - فالربا من خصائص الاقتصاد الرأسمالى النقدى الذى يزدهر فى ظل الرأسمالية والأعوام تمر متناقلة والربا آخن بخناق الأمة الإسلاميه وغضب الله على هذه الأجيال المعاصره يشتمد بما تكتسب ثم تغلب الرحمة وتخف الوطأه بعض الشئ لعلمهم يرجعون ولكن جذور المشكله أعمق من أن تعالج بالأسلوب السطحي الجزئى الذى جرى به العمل فى عشرات السنين لا يقل عن مائة عام مضت منذ أن تدهورت الأحوال

المالية في مصر والبلاد العربية بوجه عام قبيل الاحتلال البريطاني ، ومنذ أن انتشر الفساد في الائتمان والنظم النقدية في سائر أركان الدولة العثمانية ووفد الخبراء (لإصلاح الحال) وشدد الدائنون قبضتهم على مالية كل بلد عربي فواد الوهن في المقومات المالية للأمة الإسلامية ثم فقدت هذه الأمة ثقها في تراثها ونظمها وأصبحت تابعة في السر والعلن ، وإن كانت تتلمى بأعياد يقال لها أعياد الاستقلال وتعمل بالآمال الكذاب التي يقال لها تنمية وتطور أو يقال لها اكتفاء ذاتي وانغلاق يعقبه عجز وعوز وحرمان وهذه كلها تقتضي هدم الأسوار والدعوة إلى ما يسمى بالانفتاح على العالم الخارجي شرقه وغربه وما بينهما .

ليست المشكلة (الفائدة على رأس المال) ومحاددة الله جل شأنه وعصيانه بأكل الربا وتغليب بين الأفراد والجماعات والدول الإسلامية فيما بينهما والأمة الإسلامية في معاملاتها مع العالم ، ليست المشكلة في هذه السطحية وإن كانت جد خطيرة ، بل المشكلة أعمق وأخطر لأنها تتصل بموارد هذه الأمة الإسلامية كلها ، عبر الحدود السياسية الظالمة التي قطعت أوصال الجسد الواحد ، إنها مشكلة دقيقة وذات شعب ، إن المعاملات الربوية وإن كانت من الكبائر — ليست إلا جانباً واحداً من المنهج الخارجي على الكتاب والسنة ، إن الربا على فداحة وزره قد جر على المسلمين ما هو أخطر على الدين والدنيا جميعاً .

وهناك قضية خطيرة : هي تكلف التأويل أرضاء لحاكم أو فزعا من أن يقال أن الإسلام قد توقف عن مسيرة الحضارة المادية ، وهذا وهم أفرع فريقا من الكتاب فذهبوا كل مذهب انتطويح أحكام الشريعة لعلها تتسع للمعاملات المعاصرة ، ما كان منها خارجا على حكم الشرع في جراءة صارخة .

وقد كان (الربا) مصدر تمزق أرضها ونهب مواردها ، وما هما فيه من ذلة وهوان حتى أصبح المال الذي هو مالنا غريبا عنا وهو في أرضنا وحربا علينا والأصل أن يكون عدة لنا ، ففي دار الإسلام الآن — كما في دار الحرب سواء بسواء — يعتبر التعامل بالفائدة الربوية أمراً واقعا يقبل المتخصصون

عليه دراسة وتطبيقا وكأنهم لا يفعلون السكابر ، ونسمع إلى بعض خبرائنا ونقرأ للمحدثين من المثقفين ثقافة غربية خالصة فيخبل إليك أن (فضية الفائدة) قد استقرت وطويت ملفاتها منذ زمن مضى ، ومن ثم يكون الكلام فيها عبث والحق غير ذلك ، الحق أن الأوساط المالية التي نذل لها أعناق الجامعات الأجنبية لاتزال تبحث عن أساس علمي أو أساس قانوني تقوم عليه الفائدة وتطالب الباحثين بأن يتابعوا ومضى مائتا عام والبحث متصل والمراجع تصدر تباعا إلى يومنا هذا وليس فيها نصر واحد يقول بأن الفوائد ترتكز إلى قاعدة مسلمة .

وقد أعلن الفرنجة أنهم فشلوا في إرساء الفوائد على قاعدة علمية أيا كانت ونحن المتخصصين الذين تحمل عن الامة الإسلامية أمانة البحث نسكت عن الخوص فيها ، هذا الاطار الفكري المحكم الذي أخضع العقاية العلمية المعاصرة في البلاد الإسلامية لسكل ما هو خصم الإسلام حرب عليه حتى وصات بنا الحال إلى اعتبار البعد عن العبادات وعن النظر في التراث من علامات التضيغ العلمي ، وأن امتناع علمائنا المستغربين عن متابعة علماء الغرب في إعلان الحقيقة في أمر الفوائد مجرد خطأ يحرون إليه الشباب المثقف ، هذا الامتناع مجرد إقرار بسلامة النظام الربوي ، هذا الإقرار خطا ، لأنه يصطدم باعترافي علماء الفرنجة من عشرات الأعوام إلى وقتنا هذا . ومع الأسف فإن ذلك يقابل بأسراف الباحث العربي المسلم إلى إحلال المنهج الغربي والترقي بهذا الاحلال إلى ما يشبه التقديس . ومنهم من قال أن الإسلام عاجز عن تقديم نظرية متكاملة للنشاط الاقتصادي .

أن أكبر الخطر هو تمكن المرابي من أموال المسلمين بالإيداع عنده ابتداء فإذا علم المسلم الغيور على دينه أن أول الأثم وأكبره هو مجرد إيداع المال بين يدي خصوم الإسلام لأن هذا الإيداع في حد ذاته يجرّد المسلمين من أدوات النشاط الاقتصادي ومن القوة القاهرة في المبادلات ثم يضيّعها في أيدي المشتغلين بالربا وهم أول خصوم الإسلام ، ولو علم المسلم الغيور فداحة وزر الإيداع ما يتعين عليه أن يعلمه ما أغضض له جفن وأموال المسلمين بين أيدي اليهود

والذين أشركوا يستعينون بها على استنباط موارد الثروة وإقامة المصانع وأجهزة لا تقع تحت حمى وإنما تقع كلها بين يدي خصوم الإسلام لتسكون حرباً على المسلمين .

(٤)

وهذه مجموعة من الحقائق في هذا المجال :

(أولاً) هناك ربا الاستهلاك وربا الاستثمار . والحق أن الكل محرم والكل ربا ، لأن الربح فيه محدد النسبة وليس التعامل فيه قائم على الربح والخسارة وكما يقول الحق سبحانه وتعالى (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا) والبيع مثل الربا في أنهما يرجحان لكن البيع معرض للربح ، والخسارة خلاف الربا ومن أجل هذا قال الله تعالى (يمحى الله الربا ويؤتي الصدقات) ويقولون قولاً آخر : (إن الربا المضاعف هو المقصود بعملية التحريم) لأن الفائدة فيه مضاعفة وفيها استغلال وجشع ، لكن الربا غير المضاعف ليس محرماً) لأن الفائدة فيه قليلة وضئيلة ولا توصل الإنسان إلى الجشع والربح الفاحش والاستغلال للظروف ، هكذا يقول بعض المغرضين . والربا كله محرم ربا الفضل وربا النسيئة ، (ربا النسيئة الذي يتم بأن يبيع الرجل البيع إلى أجل فإن حل الأجل ولم يقبض الثمن ودفع فائدة على التأخير — وربا الفضل ويتم بأن يبيع الرجل الشيء بالشيء على سبيل المثال (تمرأ بتمر) والربا كله محرم ، الفائدة صغرت أو كبرت محرمة حفاظاً على قيمة العمل والسعى نحو البناء ، حيث أن ذلك يؤدي إلى وجود طبقة من المترفين والاعنياء بشكل غير عادي يصل بالجمتمع إلى الاحقاد والضغائن والحسد ، ولذلك حرم الله تبارك وتعالى الربا ولا بد من أن يعطى المسال لمن يعمل فيه ويتم بعد ذلك تقاسم الربح والخسارة .

يقول الدكتور يحيى الدرديري : إن الربا صغيره وكبيره حرام وإن حكم الشرع في ذلك صريح لا يقبل التأويل ، وقد أثبتت الحوادث صواب هذا الحكم ، لقد كان نظام الربا الذي تسير عليه أرباباً سبياً في المشاكل الخطيرة التي

نشأت بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال إذ يعتقد العمال أن الربا ما هو إلا سرفة لجهوداتهم في الإنتاج ، وقد تحوالت أموال الربا بين الحربين العالميتين إلى مدافع ودبابات وطائرات وبوارج وغواصات ، خلقت الخراب والدمار وقتلت النساء والأطفال ، وتحقق بذلك وعد الله تبارك ونعالى فيهم :

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .
فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .

ثانياً : ليس هناك فارق بين الربا المحرم شرها وسعر الفائدة من الوجهة الاقتصادية بحال وإن الاسلام يقرر قاعدة (الغرم بالغرم) وهي أن من أراد أن يغرم إذا ربح المال وجب عليه أن يغرم إذا خسر نفس المال المستعمل في التجارة .

والتعامل بالربا ليس بضرورة ملحة لامة تريد التحرر الاقتصادي فإذا لم تقلع الامة عن نظام الربا فلا تحرر يرجى لها وستظل رازحه تحت نير الاستعمار الاقتصادي الأجنبي والاقتراض بفائدة هو الربا بعينه وهو حرام ، أما الآية التي تقول بأن الضرورات تبيح المحظورات فليست قاعدة مطلقة وإذا ذكرت يجب أن يذكر ما بعدها (ومعنى الاضطراب الذي جاء في الآية) فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا أثم عليه) فهو الهلاك ، كأن يكون مسلم في بيداء وقد نفذ زاده حتى حشى الهلال في رفض الناس أفراضه إلا بالربا فله أن يقترض ما يخرج به من الهلال .

ثالثاً : الربا بنوعيه (ربا الفضل و ربا النسيئة) حرام وقد استند البعض في استحلال ربا الفضل إلى ما روى عن ابن عباس وابن مسعود من القول باباحته وقد صح رجوعهما عنه إلى ما عليه الجمهور ، وقال ابن المنذر : أجمع علماء الامصار مالك بن أنس ومن تبعه من أهل المدينة وسفيان الثوري ومن وافقه من أهل العراق والاوزاعي ومن قال بقوله من أهل الشام والليث بن سعد ومن وافقه من أهل مصر والشافعي وأصحابه ، وأحمد — على أنه لا يجوز بيع ذمب بذهب ولا فضة بفضة ولا بر ببر متفاضلا يبدأ بيد ولا نسيئة وأن من فعل

ذلك فقد أربى ، و البيع مفسوخ ، و روى التحريم عن العشرة المبشرين بالجنة
وإذا قيل لم كان سعر الفائدة حراما مع أنه نظير ما لو أجر لإنسان محرائه قلنا
أن هذا قياس مع وجود النص المحرم فلا يقبل ، إذ أن من القواعد المفق
عليها أن لا قياس مع وجود النص وإن الاجتهاد في مواد النصوص ممنوع
(محمد الحامد)

رابعاً : من الجائز صرف الزكاة إلى البنك الشرعى بمفهوم دفع الزكاة إلى
الغارم (الذى لزمته ديون لا يقدر على وفاتها) (آية : والغارمين) فإن للبنك
الشرعى أن يتناول من المزكين شيئاً لقاء أبرائه المدنيين الذين لم يستطيعوا
وفاء ما اقترضوا منه .

وأن الخطر الأكبر في الربا هو تمكين المرائي من أموال المسلمين بالايدياع
عنده ابتداء لأن هذا الايداع في حد ذاته يجرد المسلمين من أدوات النشاط
الاقتصادى وعن القوة القاهرة في المجادلات ، ثم يضمها في أيدي المشتغلين
بالربا وهم أول خصوم الإسلام ولو علم المسلم الغيور فداحة وزر الايداع
ما يتعين عليه أن يعلمه لما غمض له جفن وأمواله بين أيدي اليهود والذين
أشركوا يستعينون بها على استنباط موارد الثروة وإقامة المصانع وأجهزة
لانقع تحت حصر ؛ وإنما تقع كلها في يدي خصوم الإسلام فيكون حرباً
على المسلمين وأن البورصات نوعان : عمليات آجلة وهى عمليات وهمية
الغرض منها المضاربة فهى تدخل في باب الميسر ، وعلى ذلك فهى منكر
يجب القضاء عليه وإلغاء هذا النوع من العمليات .

أما عمليات البضاعة الجاهزة وفيها يتم التسليم والتسلم فلا غبار عليها
(عيسى عبده)

ثانياً: فساد علم الاقتصاد السياسي

والأمر الثاني الذي يجب أن يكشف زيفه المثقف المسلم هو ما يطلق عليه اسم علم الاقتصاد السياسي: يقول الدكتور عيسى عبده: هذا العلم الذي يقال له الاقتصاد السياسي لا يزيد علماً على مر الأيام إلا غموضاً وبعداً عن الحقيقة الاقتصادية فاجاء حيل إلا ليمتقص من وجود سابقه ، وما جاء إلا وله نظرية وفكر وسياسة ، ومن ثم كان الصراع بين درجات المجتمع الواحد وفيما بين القبائل والشعوب حتى إذا اختلف بعضهم من بعض فإن هذا الائتلاف يحمي جزئياً ويؤدي إلى ظهور معارضين له في الفكر والعمل ومن ثم كانت التكتلات والحروب الباردة والصدام المسلح كره بعد أخرى ، أما حصاد هذا الفكر المرهق المضطرب فهو زحام وركام ، وهو حصاد قليل العناء ومع ذلك لا مفر لنا نحن المسلمين من النظر في كل وافدة من هذا القبيل لأن دار الاسلام لم تعد معزولة أو محصنة في الثغور والحدود ، بل أصبحت كغيرها أرضاً تهب عليها رياح الفكر ونزوات الهوى على موجات الاثير وفي الصحف والمجلات والكتب وغيرها من وسائل الاعلام ، وكان لزاماً إذا أن ينتظر المسلمون وأن يوازنوا من الاصيل الذي عندهم في التراث وبين البديل الذي هو وافد بغير دعوة ولكنه وافد ثقيل مقيم ، ومن أجل دفعه ومطاردته يتعين علينا أن نعرف الشيء الكثير عنه ، وماصح عندنا أن (الاقتصاد) ليس علماً في كليته وتفصيلاته بل أقله علم وأكثره رأى وفكر إلى آخر ما هو معروف وأن الاقتصاد الاسلامي يجب أن يكون مهتمنا على كل ما عاده من الدراسات الاقتصادية والوضعية والدراسات التكميلية والعناية بدراسة فقه الأموال ليس في البلاد العربية بل في العالم الاسلامي كله ، والحاجة ماسة إلى التركيز على دراسة الاقتصاد من القرآن والسنة ويجب أن يكون البحوث مصفاة من المادة الدعائية التي تنشرها أجهزة أعلام شركات التأمين في البلاد الإسلامية بنامها الربوي . وقد دخل ميدان الدراسات الاقتصادية الإسلامية كثير من الباحثين الخلفيين في مقصدهم ولكن تبين أن المادة التي قدموها إما أن تكون من الروافد التي بقيت في القناة الرئيسية

لما يعرف بحق أنه اقتصاد إسلامي ، وأما أنها مناقشات سطحية لفكر
غربي وفكر شرقي مع تلمس عناصر صالحة للقياس بين ما هو منتشر في
العالم من اقتصاد سياسي منقطع عن الدين وبين ما هو اقتصاد مستمد من
كتاب الله والسنة .

وبالنسبة لبحوث (التأمين) فإنها تتردد بين أصول الفقه الإسلامي
وبين القوانين الوضعية وبين المادة الدعائية التي تنشرها أجهزة الإعلام في
شركات التأمين وهيئاته ، وقد اقتحم الباحثون هذه المواد المتناثرة في
مجرى الدراسات الاقتصادية الحاصلة مما يحجب أصول الاقتصاد الإسلامي
عن الدارسين .

لقد وقعت الأمة الإسلامية في العشرات الأخيرة من السنين في خطأ
شديد الخطورة عندما تأثر المثقفون بالنزعة العلمانية التي طغت على أوروبا
في القرن التاسع عشر لليلاد لخال بعض المثقفين من العرب المستغربين
والمستشرقين أن يقيس فصل الدين عن الدنيا في أوروبا على الأمة الإسلامية
برغم أن التقدم التكنولوجي ماصحبه من ثراء مادي في الغرب الرأسمالي
والشرق الاشتراكي إنما كان من ثمرات النزعة اللادينية التي بدأت بوجه
خاص من عهد نابليون ومعلوم أن هذا خطأ في الرأي بالغ الجسامه وما
زاد في خطورته أن طائفة من تقدم ذكرهم وصل إلى مركز السلطة وإلى
الجامعات وساعدوا في تعميق هذه النزعة ودعمها بأجهزة الإعلام ومناهج
العلم وبرامج التدريب ومن المشهور أن مناهج كليات الاقتصاد والتجارة
والإدارة في معظم البلاد الإسلامية خالية تماماً من دراسة الشريعة بأصولها
وفروعها على حين أن كليات الحقوق لانهى بدراسة علوم الدين إلا بما
يقرب من عشرة في المائة من مناهجها ، أما الكثرة الغالبة من دراساتها
فإنها تستمد أصولها وفروعها من فلسفة الأغريق وتشريع الرومان
وما كان بعد ذلك إلى النهضة التشريعية في فرنسا في القرن التاسع عشر
وسائر البلاد الأوروبية وقد صاحبت هذه التحركات الفكرية ثورات
صناعية وسياسية .

في القرنين ١٩ ، ٢٠ للميلاد فيما زاد في خطورة الوهم بأن الثراء والسلطان إنما توافراً للعالم الغربي بسبب الفصل بين الدين والدنيا وما دامت هذه هي مناهج التدريس وبرامج التدريب فليس عجباً أن يصطبغ النشاط الاقتصادي كغيره من وجوه النشاط بصيغة غريبة عن الإسلام ومن الضروري وقف هذا التيار الجارف .

إن قيام السوق الأوروبية المشتركة التي وقعت معاهدتها في مارس ١٩٥٧ لدى الفاتيكان لا لدى الأمم المتحدة هي من قبل البعث للرسالة التي بدأها شارلمان عام ١٨١٤ بتحويل أوروبا إلى قلعة صليبية تقف في وجه انتشار الإسلام والتي تابعت عملها في محاولة نابليون لتوحيد أوروبا وتجددت في عهد بسمارك والتي أخلص لها الأوروبيون طوال هذه القرون ومن أهداف السوق الأوروبية المشتركة استغلال أفريقيا بوصفها أغنى مستودع للموارد الاقتصادية والتكثيف الحقيقي للسوق ، أنها تسكتل في صورة مجتمع أوروبي موحد أي الصورة الحقيقية لما كان يطوف بخيال شارلمان والمعروف أن البابا دعا في فبراير ١٩٧٧ إلى عقد مؤتمر في روما يحضره كبار رجال الكنيسة للظفر فيها أطلق عليه (وجود الإسلام في أوروبا) وما يذكر أن عام ١٨٥٦ يسمى سنة الخاض لما يسمى بالقانون الدولي :

Imies ndliondl du

وما عرف من قبل شيء بهذه التسمية بل كان القانون المعمول به قبل ذلك مباشرة في المجال الدولي يعرف بتسمية قطاعية الدلالة وهي : (القانون العام للدول المسيحية) مثل هذا التطور التشريعي الذي صاحب ظهور علامات الضعف على الدولة العثمانية يساعد على تكوين فكرة صحيحة عما يسمى بالمنظمات الدولية الساهرة على إشاعة العدل والأمن كما يجب الانتباه إلى تطور الأساليب البشرية كما تحدث عنها شانليه وزويمر المثيران فالمدارس والمستشفيات الغنية برجالها ونسائها تستخدم كرا كز للتبشير . وكان البابا وفي بعض مراحل الحروب الصليبية يخرج على رأس الحملات العسكرية التي يراد بها غزو كل أرض انتشر فيها الإسلام .

وفي نطاق البحث عن فساد علم الاقتصاد السيامي يقول الاستاذ أحمد حسين المحامى : إن اليهود هم أصحاب الجريمة الكبرى فهم الذين ظلوا يعملون حتى جعلوا العالم كله يتعامل بالربا وتجحوا في إقناع الكافة بأن الدنيا ستخرب إذا لم يتعامل الناس بالربا وأنشأوا علماً سموه (علم الاقتصاد) وجعلوا الربا جوهرية ولبه ووضعوا على رأس الهرم البنوك ، التي تفرض على الكافة التعامل بالربا وتربع اليهود على عرش هذه البنوك ، وغنى عن البيان أنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من خديعة البشر إلا من خلال أوروبا وأمريكا وما انتهت إليه من كفر بالمعنويات (الدين) وعبادة للمادة فيستوى ذلك الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى ، والسر في هذا الاتفاق بين الشيوعية و عدوة رأس المال ، والرأسمالية و عابدة رأس المال ، أن الطرفين لهما إله واحد هو المادة ، وعندما كانت الحضارة الإسلامية هي المهيمنة والمسيطرة لم يستطع اليهود أن يطلوا برأسهم في دنيا المال والاقتصاد وليس إلا بعد أن فقد المسلمون سلطانهم وتفوقت عليهم أوروبا أن نجح اليهود في أن يصيحوا هم ملوك المال وأن يخضعوا الدنيا (بما فيها العالم الإسلامى لسلطانهم) بحيث أصبحت ترى شركات التأمين والبنوك تغمر العالم الإسلامى من مشرقه إلى مغربه دون أن يتصور الكثيرون أنهم بذلك يفرقون إلا إذا كان في خطيئة اشتبهت في الإسلام الكفر حيث توعد الله المرابين بحرب من الله ورسوله ، ولما شامت عناية الله عز وجل أن تجمل بلاد المسلمين تنفجر بالنفط وأصبحت الأموال تتدفق ببلايين الدولارات إلى أيدي المسلمين فيقول الاقتصاد اليهودى : أودعوا هذه الأموال في بنوكنا وخذوا ما شئتم من الفوائد : ٩ أو ١٠ فى المائة أو أكثر من ذلك .

ما الذى يعنيه هذا الامر ؟ أنه لا يعنى إلا أن يظل المسلمون نائمين غافين لا يعملون شيئاً إلا أن ينتظروا مجيء الفوائد . والله تعالى هو الذى يعلم إلى كم من الزمن ستنظر تجيء ، اللهم أن الدائن عندما يكون ضعيفاً والمدين هو القوى [والمدين هنا هو دول الغرب القوية] فإن الدائن سيقفل تحت رحمة المدين ، وذلك هو ما يدعو إليه الإقتصاد اليهودى ، وهذا هو الربا الذى أنذر الله بحرب من يقول به ، وعلى المسلم أن تحتار لنفسه ، أن الإيمان بالله والاختد بأسلوب العمل

والسمى وهو ما يدعو إليه الاقتصاد الإسلامى وأما أن يظل أسير الاقتصاد اليهودى الذى يقوم على أن تعمل الدنيا من أجلهم عن طرق الربا .

والآن نقسام : هل آن الاوان لعقول المسلمون للعالم أجمع أن توقن أن لدينا نظام خير من نظام الربا .

٣ - النظام الاقتصادى الإسلامى

أحسن أحد الباحثين حين وصف الاقتصاد الإسلامى بأنه : ليس فيه إفراط الرأسمالية ولا تفريط الشيوعية وأنه منهج ربانى مستقل له ذاتيته الخاصة المختلفة تماماً عن الايدلوجيتين ، يقوم على ثلاثة أعمدة :

١ - العمود الاول : (الزكاة) فقد فرضها على رأس المال بالذات ، رأس المال الذى بيد المالك يوهب للمجتمع خلال أربعين سنة وبذلك يحول الإسلام دون تضخم المال بين أيدي أفراد على حساب آخرين وبذلك نجد تحول المال في المجتمع المسلم كدوران الدائرة يمر بجميع الفئات شمولاً بعد استثناء ، لاستمرارية بغير استقرار .

٢ - العمود الثانى : (الارث) فقد شرع الله في الإسلام نظام الفرائض وجعل التوارث سبباً من أسباب توزيع الثروة وحائلاً دون التضخم المالى : نظام عجيب فريد ونسب حسابة المذكور والاثاث .

٣ - العمود الثالث : (تحريم الربا) السابيل الاول لتضخم الاموال بأيدي الافراد وجمع الثروات الضخمة على حساب الفقراء والضعفاء ، وهو الربا وأغنى أغنياء العالم هم المرابون .

٤ - العمود الرابع : (وتحريم الربح الفاحش) لكي تقضى على التضخم المالى وجعل الربح في حدود معقولة لكي تستمر العلاقات التجارية ويقوم البيع والشراء بمصالح الناس : [وأحل الله البيع وحرم الربا] والربح الفاحش هو الذى يبلغ ضعف القيمة ، وإن تحول الإسلام دون الارباح الفاحشة أبقي على

توازن الثروة بين الناس ، وتحريم الميسر الذى هو مصدر للربح غير المشروع .

٢ — ويقر الإسلام بنيانه الاقتصادى على هذه الدعائم التى تعمل متضافرة على أساس العدالة الاجتماعية وتحقيق التماثل الاقتصادى حيث يقر الإسلام الملكية الفردية وييسر الحصول عليها ويحميها ، ويقر العمل الإنسانى ويحميه ويصمى ثمرات الجهد والإنتاج فى الإسلام يساوى :

رأس المال والقوة الفردية والنفسية أى (العمل الإنسانى + الملكية الفردية ورأس المال) .

ويشجع الحافز الفردى أمام المنافسة والطموح وتحقيق تكافؤ الفرص بين الناس وإعطاء كل مجتهد جزاء جهده ومسيرة الطبيعة البشرية .

٢ — ويتمثل فيما يدخله الإسلام من تعرف المالك من قيود وما نضع على كاهله من أعباء تقيد تصرف الإنسان بقيود كثيرة للصالح العام وتخطر عليه كل تصرف فردى يؤدي إلى ضرر عام أو خاص ، لا يقيد تصرفه الإيجابى بل يقيد تصرفه السلبى ويخطر على المالك أن يعطل ملكيته . (المقصود بالاتفاق هو إعادة توزيع الرزق .

٣ — وقد أجاز الإسلام المعاملات التجارية بشرط أن تكون شرعية ونافعة ووصل إلى الاتفاق عن طريق عقد قانونى معروف بعيداً عن الغش والحجور والاحكار والربا .

٣ — إذا كانت القاعدة الكبرى فى الاقتصاد الإسلامى هى قاعدة الملكية ولها أصولها المعقبة والأخلاقية فالقاعدة الثانية هى حرية العمل والكسب المشروع ثم واجب الفرد ومسؤوليته الاجتماعية فيما قرره الشارع من الزكاة ، والصدقات وهى قوام التكافل الاجتماعى وفيما فرضه من الخراج والعشور وهى ما يقابل الضرائب فى الدولة الحديثة وفيما وضعه من أصول الميراث والكفارات ونفقة الأقارب والأهل واتفاق ما يزيد عن الحاجة وواجب بيت المال وفيما حدده وفيما كفله من تأمين مخاطر العوز والمرض والشيخوخة والامومة والطفولة (حسين فوزى النجار) .

٤ - ويقول الحبيب الشطى : إن النظام الاقتصادى الإسلامى أساسى لتقدم الأمة وقد قدمت البنوك الإسلامية البديل للنظمية الربوية ، وقد تبوأَت النظرية الاقتصادية الإسلامية مكانة عالية بين مختلف النظريات الاقتصادية السائدة ، ولما كانت الاشتراكية والرأسمالية تنقسمان الاقتصاد العالمى فإن النظامين قد أفلسا فى تحقيق الرفاه الاقتصادى المنشود ، والبلاد التى تقع تحت التأثير الماركسى فى وضع اقتصادى لا ينبعث على الارتياح وكذلك فى البلاد الرأسمالية حيث نشاهدان اقتصادهما فى تدهور كبير وهى تشكى التضخم المالى والبطالة وآفات اقتصادية كثيرة ، ومن هنا فقد كان على المسلمين السعى إلى إيجاد نظام اقتصادى إسلامى ، يعتمد على الشريعة الإسلامية التى تسكف الرفاة المادى والعدالة الاجتماعية للبشر ، وإننا كأمة إسلامية يجب أن يكون لنا نظام خاص بنا لاسيما وإن شريعتنا تحتوى على الدعائم التى يمكن لنا أن نبني عليها نظاماً مصرفياً جديداً ومهما يكن من أمر فإن (الربا) فى الاسلام حرام ولا بد آجلاً أو عاجلاً أن نعود إلى الشريعة الإسلامية وإلى إقامة نظام يأخذ بعين الاعتبار هذا التحريم وقد أثبتت (تجربة البنوك الإسلامية) أن هذا ممكن . وتنفع مشكلتنا من أننا مرتبطون فى معاملتنا الاقتصادية بالغرب ومرتبطون بالنظام النقدى العالمى وبالحركة التجارية العالمية وهذا له انعكاسات على اقتصادنا .

فالتضخم الحالى مثلاً نحن مضطرون أن نورده مع ما نورده من بضائع الغرب وكذلك الانحدار فى العملة مما يسقط العملة فى الخارج والمشكلة هى كيف نتوصل إلى نظام اقتصادى إسلامى متكامل ومنسق ومنسجم ليوافق هذه التأثيرات الواردة من الخارج فإذا توصلنا إلى هذا أمكن أن نحصى اقتصادنا من التأثيرات الخارجية . إن العالم الغربى فى حاجة إلينا أكثر مما نحن فى حاجة إليه فإذا اتحدنا وقتنا صفاً واحداً ونظمنا مواردنا ستجد أن هذا العالم على استعداد للتعامل معنا بما يحمى مصالحنا .

٥ - ويرى دكتور عبد العزيز حجازى إن الاقتصاد الإسلامى يجب أن ينتقل من مرحلة الاختكار المجردة إلى مرحلة التطبيق الفعلى ، ويقول أنه عندما كانوا يناقشون فكرة تأسيس شركة إسلامية للمضاربة مع رجال المصارف

الإيطالية والسويسرية في جنيف وواجهتهم صعوبة استعمال المرادف لكلمة (المضاربة) في اللغات الأربية كانوا يستعملون الكلمة العربية في المكاتبات ، ودخلوا معهم في مباحثات وأقنعوهم بالاشتراك معهم دون أن يطالبوهم بأن ينهوا أعمالهم أو يغلقوا مصارفهم لكي تتبعوا الشريعة الإسلامية ، ويقول : من واجبنا أن لانعوض في المفاهيم الفلسفية وأن نبدأ في إقامة مجتمع اقتصادي إسلامي ن خلال مناقشة المفاهيم الاقتصادية ونطويعها لأحكام الشريعة الإسلامية .

٦ - وفي ندوة الاقتصاد الإسلامي ثار سؤال أساسي :

هل نحن في حاجة إلى نظرية للاقتصاد الإسلامي .

وتعالت وجهة النظر التي تطالب بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية في معاملتنا الاقتصادية والمالية ، وأن تنهى البنوك التعامل بالمائدة على أساس أن الشريعة تعتبرها في حكم الربا وظهر أيضاً تطبيقاً لذلك بعض المصارف الإسلامية التي تتعامل وفقاً لأحكام الشريعة وقد بدأت بعض البنوك الربويه بإنشاء فروع لها خاصة بالمعاملات الإسلامية ، وفي الوقت الذي تعقد فيه في البلاد الإسلامية لقاءات وندوات تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المعاملات الاقتصادية ، يدور البحث في المراكز الاقتصادية في العالم وفي الأمم المتحدة بحثاً عن نظام اقتصادي جديد يحل المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد الدولي بعد أن تعددت مثل التضخم والبطالة وارتفاع أسعار الطاقة وقد أعلن أنه قد آن الأوان لأن ينضم نخبة من علماء مصر من أسانذة الاقتصاد وعلماء الشريعة في الأزهر الشريف ، وأن ينتج من هذا التزاوج خلق نظام اقتصادي يتواءم مع الشريعة الإسلامية ليس بهدف قياس الإسلام ببعض النظم ، وإنما أن ترجع هذه النظم إلى أصولها وأن يتم الوصول إلى التطبيق القيم للشريعة الإسلامية ولقد تبين للباحثين في هذه الندوات أن الاقتصاد الإسلامي موجود في القرآن والسنة ، وأن جميع أحكام الاستثمار وما نص عليه الاقتصاد الحديث موجود في الشريعة الإسلامية فالإقتصاد الإسلامي بهذا المعنى سبق الاقتصاد الحديث، إذ أن الاقتصاد الحديث

بدأ كعلم من العلوم التي لها منهج في القرن السابع عشر حين ألف (أدم سميث) كتابه (ثروة الأمم) أما الاقتصاد الإسلامي فهو موجود من ١٤٠٠ عام إذا اعتبرنا أن أصوله موجودة في القرآن والسنة ، فإذا نظرنا إلى الاقتصاد الإسلامي كتأليف وتدوين فقد وجد في (مقدمه بن خلدون) منذ ستائة عام وقد أوضح أحكام الشريعة في الصنائع والكسب والمعاش وكل طرق الاستثمار وما يجب على الأفراد . ولقد وضعت الشريعة الإسلامية من القواعد العامة لتنظيم استثمار المال والعمل ولم تترك عملية الاستثمار بلا قيود كما هو معروف في الاقتصاد الرأسمالي ، والربا هو القيد الأول الذي دعانا إلى إيجاد البديل في الشريعة وهناك لإقتصاد إسلامي يجب أن يحل محل الأساليب المتبعة في البنوك ، وقال البعض أنه بدون البنوك التي تتبع سعر الفائدة فمن يكون هناك استثمار وقد أخطأوا في ذلك ! فإذا تم استثمار المال وفقاً للشريعة الإسلامية فسوف يعود بنتائج أفضل وقد وضعت الشريعة حدوداً واضحة في هذا المجال فإذا كان البنك يستثمر الأموال في التجارة فللمودع نسبة من الأرباح وللبنك نسبة ، أما إذا عمل البنك بالأقراض فهو محرم في حكم الشريعة بالإضافة إلى أن الشريعة الإسلامية عرفت عدة أنواع من الشركات منها شركات الأموال وشركة الصنائع المفاوضة والمضاربة كما أن المصارف الإسلامية قامت بجميع أعمال البنوك ماعدا الأقراض بالفائدة وإنما عرفت نظام القرض الحسن .

٢ — أما الانتماء الذي يوجه الاقتصاديون الغربيون إلى الإسلام ويرون أنه سبب تحلف البلاد اسلاميه ، فالقول بأننا متخلفون لأننا مسلمون ليس صحيحاً وإنما نحن متخلفون لأننا أهملنا المبادئ التي نص عليها القرآن .
والسنة ويرجع هذا التحلف إلى عدة أسباب منها :

١ — محدودية الموارد كما وكيفا فالموارد المتاحة للدول المتخلفة رغم محدوديتها إلا أنها لا تستغل أفضل استغلال وبالتالي يوجد تبديد واضح في هذه المواد والدليل على ذلك أن جزء من هذه الموارد لا يستخدم في النشاط الإنتاجي الاقتصادي وقد توجد طاقة إنتاجية معطلة في بعض الخطوط

الإنتاجية ، كذلك فإن البيئة المحيطة بالعملية الانتاجية لا تتناسب والانتاجية المرتفعة ويقصد بهذه البيئة كل العوامل غير الاقتصادية (هبة الحيد الغزالي) .

٣ - وهناك التحديات التي تواجه الاقتصاد الاسلامى وأهمها :

١ - مشكلات التنمية والتخلف .

٢ - مشاكل الاقتصاديات المتقدمة مثل التضخم والبطالة ومشاكل الطاقة.

٣ - مشكلات عامة تتعلق بالعالم المتقدم والمتخلف ومنها النظام النقدي العالمى والفجوة بين الدول المتقدمة والنامية ، يقول دكتور سلطان أبو على : إن الشريعة الإسلامية تشتمل على كثير من القواعد والأحكام التى تعالج هذه المشاكل وأن البحث يجرى للوصول إلى تصور يحقق التوافق المرتقب بين الاقتصاد المعاصر والشريعة .

٧ - وفي الندوة القيادية العلمية للمعهد الدولى للبنوك والاقتصاد الاسلامى (القاهرة - ٤ / ٩ / ١٩٨١) حضرها ٧٢ أستاذاً وباحثاً من الدول الأوروبية والأمريكية والعربية والأفريقية الآسيوية أسفر البحث عن خطة ترمى للوصول إلى صيغة لإقامة نظام اقتصادى إسلامى عالمى يخلو من شرور الربا والظلم والاحتكار ويدفع بالاموال الحلال إلى مجالات الاستثمار النافع لرخاء الانسان فى إطار من المثل الخلفية الإلهية العليا وإلى تغيير مؤسسات المال والاقتصاد وفق منهج الاسلام ، والدعوة إلى أسلوب جديد للعمل فى المصارف المصرية بشأن ممارسات العمل فى هذه البنوك ، وإعداد السكواذر المدربة على أساليبها المغايرة لما يجرى فى المصارف الربوية والعمل على توفير المعطيات التى تمكن الشباب فى العالم الإسلامى ليتسلح بها على طريق المنهج الإسلامى ، وكذلك بلورة الفكر الإسلامى القرآنى لصباغة (منهج إسلامى) (وليس نظريه) يجب القوالب النظرية الفاسده الجاهزة التى حشأها الفكر الغربى عقولنا ، فقد قدمت

أوروبا لنا نظاماً مالياً واقتصادياً يقوم على النظام الربوى وسحق الإنسان وقد استسلم العالم كله لهذا النظام وكانت النتيجة أن حلت العملة الرديئة محل العملة الجيدة ، ولقد كان مقدم القرن الخامس عشر بادرة لنهضة قوية لتطبيق المنهج الإسلامى فى الحياة ، وقد بذلت جهود لتطهير المجتمع من القوانين والموروثات التى تتناقض مع تعاليم القرآن العظيم والمعروف أنه فى سبتمبر ١٩٧٤ استيقظ العالم على تخطيط النظام الاقتصادى العالمى وعلى الكساد والبطالة وتطلعت البشرية كلها إلى النظام البديل وقد أعلن الدكتور عبد الحليم محمود فى الندوة الدولية التى عقدت فى لندن ١٩٧٧ :

(المنهج الإسلامى المضاد للربا)

وحين بدأ تطبيق هذا المنهج مجدداً فى المؤسسات المالية الإسلامية أطمأنت نفوس الناس إلى المال الحلال وادركوا أن الربح الرقيق يأتى بركة من الاستثمار الجيد ، وقد بدأ العالم يدرك أن (الربا) ليس هو القاعدة الذهبية التى لاغنى عنها كما يظن الجاهل .

٢ - وإدخال مصطلح الاقتصاد الإسلامى فى الفكر الإسلامى لا يتجاوز ثلاثين عاماً وقد تركز فى السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع عشر ، والاقتصاد الإسلامى يتميز :

(أولاً) باقتصاد له ذاتيته الخاصة وبنأؤه المستقل .

(ثانياً) منهجه المتميز فى منطلقاته ووسائله وغاياته وهو ليس تجميعاً لآراء حول موضوعات اقتصادية مشارة فى الاقتصاد الوضعى .

(ثالثاً) للإسلام إزاء المشاكل الاقتصادية تصوره وتحليله الخاص لوسائل علاجها وحلها .

والاقتصاد الإسلامى ليس مطروحاً كواحد من الخيارات بين النظم الاقتصادية التى تبحث هذه الدول عن تطبيقها ، أو هى محاولات فردية متناثرة

تظهر على سطح الحياة الاقتصادية لبعض الدول الإسلامية ، فالمسلمون مازالوا وهم يواجهون مشاكلهم لما يصلوا لأن يطرحوا على أنفسهم التطبيق الإسلامى ، ولم يتم إجراء حقيقى بين الاقتصاد الإسلامى ككل وبين النظرية الاقتصادية الوضعيه بل إن الاقتصاد الإسلامى غير معروف تماماً عند من يشتغلون بالاقتصاد الوضعى .

وهناك ضرورة واضحة إلى معرفة كيف يستطيع التاجر المسلم أن يجعل تجارته حلالا وفق الاقتصاد الإسلامى وكذلك الصانع وصاحب رأس المال .

١ — ولذلك فإنه من الضرورى — كما يقول الاستاذ محمد العربى الخطاى — صياغة نظريه عامة للاقتصاد الإسلامى على ضوء الشريعة الإسلاميه ، إذ الإسلام كفىل بتقديم الحلول الملائمة لمختلف معضلات الاقتصاد اتى يواجهها العالم الإسلامى ، فالإقتصاد الإسلامى (علم اجتماعى) يبحث فى المشكلات الاقتصادية لمجتمع متمسك بالقيم الإسلاميه ، إننا فى الاقتصاد الإسلامى لاندرس الفرد الاجتماعى فقط ، ولكن ندرس أيضاً الإنسان بمعتقداته الدينيه بينما يهتم الاقتصاد الحديث بحياه الأفراد فى المجتمع ، وإن المشكلات الاقتصادية تنشأ من إجراء يقدر الحاجات وندره الموارد ، وهذه الموارد يشترك فيها الاقتصاد الإسلامى والحديث ولكن الفرق يظهر فى الاختيار . فالإقتصاد الإسلامى مؤسس على القيم الاسلاميه بينما الاقتصاد الحديث مؤسس على القواعد الاجتماعيه الرأسماليه التى تتحكم فيها ندوات الافراد .

وقد نظر كثير من علماء المسلمين القدامى فى شئون الاقتصاد والاجتماع والسياسه ، ولكن أول من توصل إلى النظرية القائلة بان العمل بتشء القيمه وإن ما يفيد الإنسان ويقننيه من المحولات — إن كان من البضائع فالمضاد المقتنى منه قيمة عمله — كان هو ابن خلدون ومن

النظريات التي توصل إليها قوله : الاجتماع الإنساني ضروري وأن توافر
الاقوات بالقدر الكافي لا يكون إلا بتعاون الأفراد وإجتماعهم .

وقد تناول علماء كثيرون قبل ابن خلدون شئون الاقتصاد غير
أن نظرياتهم اقتصرت على الجوانب الفقهية في هذه المواضيع ، مع مراعاة
ما يتطلبه ذلك من إستنباط الأحكام ومراعاة الواقع الاجتماعي في عصرهم
ومنهم أبو يوسف وأبو عبيد وقدامه بن جعفر والشرحسي والماوردي
وإن رشد الجد وابن حزم .

أما القول بأن ابن خلدون هو (رائد المادية التاريخية) فذلك قول
يجب أن نأخذه بكثير من التحفظ (إذا كان المقصود منه أن ابن خلدون
لم يدخل في حسابه العنصر الروحي الخلقى ، فضلاً عن أثار البيئة الطبيعية
والجغرافية في صراع الحياة البشرية) كيف وصاحب مقدمه عالم مسلم
مؤمن بربه مطلع على قوانين الشريعة الإلهية هارف بأسرارها .

وبما يذكر أيضاً أن ابن تيمية عرض في كتابه : الحسبة ، والسياسة
الشريعة طائفة من المسائل الاقتصادية الهامة مستلهماً أصول الشريعة
واجتهادات الفقهاء ، ولا شك أن الثروة العلمية التي خلفها السلف في مجال
الاقتصاد والأموال تؤلف مادة خصبة ومفيدة للباحثين المسلمين في مجال
الاقتصاد الذي أصبح علماً رياضياً يقوم على التحليل والإحصاء والتخطيط
ويستعين بعلوم أخرى كالجغرافيا والاجتماع وعلم البيئة . ولا شك أن
النظريات التي تصلح للمجتمعات الرأسمالية والشيوعية لا تقبل التطبيق
بصوره حتمية في المجتمع الإسلامى ولا بد من صياغة نظرية عامة
للاقتصاد الإسلامى .

وقد قرر مؤتمر مكة ١٣٩٤ - إن الإسلام نظام قائم بذاته يكفل
حل المشكلة الإنسانية بفضل ما اشتمل عليه من دعائم التكامل والتعاون
ورعاية كرامة الفرد وحرية داخل مجتمع قادر بتماسكه وإيمانه وتأخيه

على تحقيق التطور والنمو ، وأن الأمة الإسلامية تسعى إلى تجاوز حالة التخلف الاقتصادي ولا يمكنها أن تدرك الغاية المطلوبة إلا باتباع التعاليم الإسلامية وأنه لاخير لها في إفتقاء أثر المذاهب الاقتصادية الاشتراكية والرأسمالية وفي عام ١٣٩٦ حفلت ندوة (القيروان للنظام الاقتصادي) بالدراسات الجادة والآراء الناصحة ، وأظهرت الندوة أن الإسلام كفيل بتقديم الحلول الملائمة لمختلف معضلات الاقتصاد التي تواجهها العالم الإسلامي في عصرنا هذا وأن مجال البحث والنظر والمقارنة والإستنباط واسع في هذا الميدان وأن تطبيق منهج البحث العلمي على الاقتصاد الإسلامي كفيل بتوضيح مقاصده وييسر الاستفادة من أصوله ومصادره وأشار إلى عدد من المؤلفات الهامة في هذا الشأن :

١ - الاقتصاد الرأسمالي بين النظرية والتطبيق : دكتور محمد عناني (باكستان) ترجمة الدكتور منصور إبراهيم تركي :

٢ - الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية - : الضوابط الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي : دكتور محمود محمد بابلي (سوريا) .

٣ - التنمية الاقتصادية في الإسلام (جاك أوستري) ترجمة نبيل صبحي الطويل .

٣ - وهناك أبحاث واسعة للدكتور عيسى عهده ، الذي عمل على إنشاء شبكة من البيوت المالية والمصارف وأدوات الإدخار والاستثمار في دار الإسلام وقد أشار إلى إدخال الاقتصاد الإسلامي ضمن مناهج معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٠ وكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ١٣٨٥ وفي مناهج الحضارة الإسلامية بكلية الاقتصاد والتجارة بالجامعة الليبية (بنى غازي ١٣٩١) وكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٣٩٢ .

حيث تشهد الأمة الإسلامية في الفترة التي انقضت من نهاية الحرب

العالم الثانية إلى اليوم نشاطاً ملحوظاً ودائباً في كل مجالات الدراسات النظرية للاقتصاد الإسلامي وميادين التطبيقات العملية .

كما جرت محاولات مبكرة لإنشاء البنك الإسلامي في صورته جمعية تعاونية أو صورة شركة مساهمة (بنوك بلا فوائد — في كراتشي ١٣٨٦) وبيت التمويل الكويتي ١٣٨٨ — وبنوك أخرى منها بنك فيصل الإسلامي والبنك الإسلامي في دبي ١٣٩٥ وهو أول بنك باشر النشاط التجاري في دوائر الأعمال بأساليب تتفق وحكم الشريعة في معظم الحالات .

وقامت في المملكة السعودية منظمة للتأمينات للعمل وفقاً للشريعة الإسلامية بتطبيق العقد التبادلي الذي يجتمع فيه المؤمن والمستأمن في دائرة محكمه لا يشرب إليها الإستغلال المعروف في عقود التأمين التجاري وقد أخذت بعض البيوت المالية المتخصصة في الاستثمار في إنجلترا والولايات المتحدة في إنشائها وإدارتها ما يشبه إلى حد بعيد (عقد القراض الشرعي) وترجع نشأة هذه البيوت إلى ١٨٦٠م واستكملت تطورها عام ١٩٤٠ كما أن هناك عدد من الجامعات الغربية تتطلع الآن إلى دراسة الاقتصاد الراشد من مصادرة الاصلية (القرآن والسنة) منها جامعة سنانفورد ، بيريكى ، شيكاغو (الولايات المتحدة) جامعة جنيف ، معاهد هليا زيورخ ، جامعة أوزاكا ، جامعة طوكيو .

٤ — ويشير الدكتور عبدالله العبادي إلى المصارف الإسلامية وموقف الشريعة الإسلامية فيقول : أن المصارف الإسلامية هي البديل الشرعي للمصارف الربويه والفرق بين الربا والربح ، أن الزيادة الناتجة عن الربح هي زيادة مرتبطة بالعمل والجهد الذي يبذله العامل والذي يحول المال من حال إلى حال ، أما الزيادة الناتجة من الفائدة فقد جاءت منفصلة تماماً عن العمل بشكل يزداد المال نفسه (كما هو الحال في القرض) أو الشكل مبادلة الجنس بنفسه مع الزيادة (كما في ربا الفضل) أو الزيادة المقدرة بفرق الحلول عن الأصل (كما هو الحال في ربا النسبة) .

٧ — لقد تبين من الدراسات المستوعبة التي كتبها المنصفون إن جميع

النظريات والانظمة الاقتصادية الأخرى غير نافعة للإنسانية لدى مقارنتها
بمعالم الإسلام ، وأن ما يسمى (الظواهر الاقتصادية) عند مذهب
الرأسمالية المادية ؛ وما يسمى (الحتمية الاقتصادية) عند الاشتراكية
الماركسية ، هذان المذهبان هما الأصل في كل ما تعانيه الإنسانية في هذا
العصر من ويلات مدمرة وأزمات حارقة ، أما الحقيقة الاقتصادية
القادرة على تحقيق الرفاهية لكثرة من الناس بأقل التضحيات والتمكنة
من إقامة توازن إنساني بين الدول غير ملتزم بميزان للمدفوعات أو بحساب
جاري لا يوفر الأمن على المال والعرض والوارد وعلى جملة الحريات التي يستوى
فيها كل العباد . حيث يقدم الإسلام : الصدقة والمساعدة والتعاون والإخوة
والعدالة والمساواة ومشاركة الناس في الثروة وينص على أن الملكية المطلقة لله
تبارك وحده وأن الإنسان مستخلف في المال .

وهذه الحقائق لم يعد يرددها المسلمون وحدهم ولكنها أصبحت على لسان
علماء الغرب الاقتصاديين وهذا (جاك أوستري) أستاذ الاقتصاد بجامعة السربون
في باريس يقول : [إن النظاميين الاقتصاديين العالميين (الرأسمالي الحر والشبوعي
المقيد) قد عجزوا عن حل مشاكل العالم الاقتصادية إلا أن هذا الحل موجود في
النظام الإسلامي الذي جمع الخير لبني البشر وبقى على المسلمين أن يمسحوا الغبار عن
كنوزهم الثمينة وأن يحسنوا عرضها للناس لتصبح طريق تصحيح وهدف إنجاز]
وقد أعلن اللورد باودن في صحيفة المارديان أن على العرب ورأسه تطبيق
القانون الاقتصادي الإسلامي لأن فيه حلاً للمشاكل الاقتصادية التي يعانيها العالم
اليوم ، إن هذا النظام يطبق منذ ألف وأربعمائة سنة ؛ لما كان الإسلام يحرم
الربا فقد منع المسلمين من إقراض نفوذه بالفائدة ؛ والمهم أن الرجل لا يتوقع
أن تنقص قيمة دينه وليحافظ على قوته الشرائية .

وبه نظام الزكاة حيث تتحدد فيه قيمة الوحدات النقدية حسب الانصباء التي
يستخدمها الناس فعلاً ، ويصر النظام الإسلامي على أن لا يبيع أحد شيئاً لم يشتره
هو ويدفع ثمناً له فلم يكن يجوز لأحد أن يشترك في مضاربات تجارية كما يفعل
الناس في الغرب اليوم حتى بدون أن يملسكوا البضائع .

وكان المسلمون يسيطرون منذ ألف سنة على مناطق واسعة وكان نظامهم التجاري والمالي يستخدم من قبل إناس يتحدثون لغات كثيرة ويستخدمون عدة أنواع من النقود وقد ازدهرت التجارة والاقتصاد في أنحاء تلك المنطقة المسلمة لأنه كان يمكن الحصول على بضاعة في مكان ما ودفع ثمن نفس البضاعة في مكان آخر وذلك نظراً للثبات النسبي لقيمة النقد أو قوته الشرائية .

وقد حرص الإسلام على (إنصاف المرأة) ولا يمكن فهم هذا دون دراسة وافية لشقاء المرأة في ظل الاقتصاد الرأسمالي والاشتراكي والشيوعي والفوضوي في أرقى المجتمعات وأتمسها ، إلى حد أن بعض علماء الانثروبولوجيا ومنهم (مالمينوسكي) يرون بحق أن المعايير الإنسانية الرفيعة لكل من الطفل والمرأة إنما يتوافر لدى البدائيين الذين يوصفون بأنهم متوحشون . وإن تشغيل النساء واستخدامهن واستغلالهن للنشاط الصناعي وفي مجالات الخدمة المتممة للنشاط الاقتصادي قد هبط بقيمة المرأة إلى مستويات السلع أو اللعب التي يلعب بها الرجال .

٨ - وتتلحق الأحداث وبسرعة مذهلة في الدول الرأسمالية وتؤكد التطورات الآجرة إن النظام الرأسمالي يترنح تحت وطأة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأنه قد أخذ طريقه نحو الانهيار ، فالولايات المتحدة والدول التي تدور في فلكها تعاني من التضخم المصحوب بالركود والبطالة ، وانخفاض معدلات النمو والتلوث واضرب الموارد فضلاً عن الانحلال الخلقي وتفكك الروابط الأسرية والاجتماعية وانتشار الجرائم وأمراض العصر . وبإدارة السخط الواضح على الشعب الأمريكي بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية .

وقد فشلت الرأسمالية كما فشلت الشيوعية في تحقيق وعودها ولم تتحمل اقتصاديات الدول الرأسمالية عمليات السلب والنهب التي يمارسها طبقة الرأسماليين من أصحاب المصانع والمصارف والمؤسسات الاقتصادية ، وقد صدر الغرب إلى البلاد المختلفة الانحلال الخلقي لتعطيم قيمها الدينية والحضارية كي يفرض عليها البقاء في دائره الخلف . واضياع فيضمن بذلك أستمه - رار تبعيتها للدول

الرأسمالية فكرياً وإقتصادياً وسياسياً واجتماعياً. والنظام الرأسمالى كالنظام الشيوعى يحتضر ويلفظ آخر أنفاسه ولم تتمكن الدول الشيوعية والرأسمالية من أنفاذ إقتصادياتهما المنهارة فالشيوعية والرأسمالية نوأمان ؛ والاختلاف بينهما ظاهرى فقط ولكن جوهر المذهبين واحد ، فكلاهما لنظام طبقى يهدف إلى السيطرة السياسية والاقتصادية وسلب حقوق العمال والشعوب لصالح فئة من الانتهازيين إن ما تشبعة وسائل الإعلام من عداوين الشيوعية والرأسمالية كذب وتظليل فالوفاق بينهما قائم فى جميع الحالات ؛ وتجمع بينهما وحدة الهدف ؛ وحدة الجوهر ، وحدة الأسلوب والشيوعية والرأسمالية ودعاتهما لا يتورعون عن تغيير مبادئهم وإيدولوجياتهم كلها وجدوا أن التمسك بها يهدد النظام بالانهيار وقد تخلت الرأسمالية عن أهم مقوماتها وهو مبدأ (الحرية الاقتصادية) وأصبح الاقتصاد الرأسمالى موجهاً بدرجة كبيرة وتدخلت الدولة فى إدارة عملية النمو الاقتصادى كما تخلت الشيوعية عن مبادئها وأخذت بمفهوم أربح وقررت مكافآت للعمال وسمحت بالملكية الخاصة .

٩ - وقد عقدت منظمة الأمم المتحدة خلال دورتها ١٩٧٤ / ١٩٧٥ اجتماعات موسعة للبحث عن حلول سلمية لمشكلات المجتمع الغربى وجاء التصريح على هذا النحو :

« إن المشكلات العالمية الحاضرة لا أمل فى إيجاد حل لشيء منها فى ظل الأنظمة الاجتماعية السائدة اليوم فى العالم وخاصة النظام الإقتصادى الحاضر بكل شعب ولحاكمته وحده دون مراعاة مصلحة الآخرين ، أن البشرية قد تقدمت علمياً وثقافياً ، وإن التكنولوجيا المتطورة قد أزال الحدد فيما بينهم وأنه لم يعد يصلحهم ويليق بهم إلا نظام عالمى جديد يقوم على قواعد إنسانية جديدة ؛ قواعد تدعو إلى وحدة الأسرة البشرية من غير تفاصيل ؛ وتؤمن بحق المجتمع فى الحياة الكريمة من غير تمايز ؛ وتعتبر مصالحهم الإقتصادية واحدة ولا يجوز التفاضل والتمايز وأن تتخذ من العدل بين الجميع القاعدة الخيمية لهذا النظام العالمى الجديد . »

ونحن نقول لهم أمامكم الإسلام فإنه النظام الوحيد الذى يحقق هذه الغاية فالإسلام قابل للحياة أبداً إلى قيام الساعة وقابل للتطبيق فى واقع الأرض ، وإن ركب البشرية لم يفته ولا يستطيع أن يفوته لأنه نزل لهداية البشر وتحقيق أمنهم وأن البشرية التى تمنى اليوم الحيرة الشديدة فى كل أمورها لا فى الإقتصاد فحسب لن تجد غيره مخرجاً لها من الخلل المدمر المدلهم ؛ وأن هذا الاضطراب الذى تعيشه البشرية هو ما تثبته إحصاءات القوم من اضطرابات نفسية وعصبية وحالات قلق وجنون وإنتحار وغير ذلك من الأمراض النفسية والعصبية التى تدل لا محالة على هدم الاستقرار وإن على المسلمين أن يطبقوا منهجهم ليقدموه إلى العالم وأنه لا بد للبشرية أن تعرف إن الدين ليس منظم للعلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان فحسب ولكنه إلى ذلك منظم للعلاقة بين الإنسان والمجتمع ولا بد من تحرير المناهج العلمية التى سيطر عليها المستعمرون من هذا المفهوم الإنشطارى الضال ، وقد قصد بها أن يثبه المسلمون فى بقاء فلا يصلون إلى معرفة حقيقة الإسلام وتخرج أجيال لا تعرف الإسلام ، وأول ما يجب التخلص فيه مفهوم والطبيعة خلقت ، فالطبيعة مخلوقة لله تبارك وتعالى ، وهناك ذلك الإزدواج بين مفهوم الإسلام لمخلق الإنسان ومفهوم دارون ، وهناك عشرات الثغرات الموجودة فى المناهج الدراسية ، أن نظرية دارون قد أستخدمت فى كل أنحاء الأرض لزلزلة العقيدة فى القلوب التى تجرى فيها جوهر الإيمان ؛ إن دارون قدمها على أنها نظرية تخطئ وتصيب وليس حقيقة علمية ، فهى فرض للنظر ، فمن الخطأ أن ندرسها لابنائنا على أنها حقائق نهائية ، لأنها تزلزل إيمان الصبي والشاب الذى يؤمن بأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان من قبضة من طين الأرض ونفخ فيه الروح ودارون يقول باطلاً بأن الإنسان هو النهاية لسلسلة التطور الحيوانى وقد أثبتت الأبحاث الحديثة فساد هذا المفهوم وأكدت مفهوم القرآن من أن كل صنف من خلق الله خلق مستقلاً وإن الإنسان خلق مستقلاً عن كل الحيوانات ومن أنهار ما تحمل كتب المستشرقين دعواها إلى أن الإسلام عقيدة وليس حكماً ، وهذا مفهوم كنسى واحد ؛ وذلك إن المسيحية لم يكن لها منهج لأنها كانت متصلة بشريعة التوراة .

١٠ — واليوم ونحن على مطالع القرن الخامس عشر يقول مع القائلين:

• كل النظريات الوضعية تتراجع أمام الاسلام . •

إن كثيراً من المفكرين يجمعون على أن النظريات الوضعية ومنها النظرية الماركسية قد بدأت تنسحب أمام معضلات العصر الفكرية والاجتماعية — هذا التقهقر والتراجع هو الذى يطرح الآن أقطار الاسلام على الساحة الكونية ، لقد آن الاوان كما يقول دكتور رشدى فـسـكار (فيما يرويه سائى دياب) لأن نقدم لعالمنا المتعطش لمعطيات الإسلام جرعات شاقية بمن جوهر دين كل زمان ومكان وإنسان ، إذا كانت النظرية الماركسية شأن كافة النظريات الوضعية قد فشلت فى إيجاد علاج ناجع وحاسم لمشكلات العصر الاجتماعية والاقتصاديه فهل يستطيع الإسلام أن يقدم البديل ، هل يتوفر فى الإسلام الاجتهاد القادر على طرح الحلول الجذرية لهذه المشكلات ، والحق أن بروز الجانب الاجتماعى للإسلام كدين لا يختلف فيه أثنان وقد نص المنهج الاجتماعى للإسلام على القواعد الكلية تاركا التفصيلات والتطبيقات لآبناء كل عصر بما يجد فيه ، وإذا كانت النظرية الماركسية قد استهدفت فيما استهدفت تحقيق العدالة الاجتماعية فقد استهدفت المهبج الاجتماعى للإسلام تحقيق هذه العدالة بشكل أفضل وأقرب إلى الفطرة الإنسانية . أن العدالة الاجتماعية فى نظر الماركسيه هى مجرد مساواة فى الأجور تهدف إلى منع التفاوت الاقتصادى ، أما العدالة الاجتماعية كما يراها الإسلام فتمنى تعادل كافة القيم ومنها القيمة الاقتصادية . أن الماركسية عندما تنظر إلى الإنسان تنظر إليه من خلال حاجاته المادية فقط ، بينما ينظر الإسلام اليها باعتباره مزيجاً من المادة والروح ، أن العدالة الاجتماعية فى الاسلام تناول القيم المادية والروحية معا ، وأن الإسلام ليفرض الكفاية لكل إنسان بل يفرض له ما فوق الكفاية فى أحيان كثيرة ، أن الاسلام يرى الحياة تراحمًا وتكافلًا بينما تراها الماركسية صراعاً دائماً بين الطبقات من أبناء الوطن الواحد . وحتى تثمر العدالة الاجتماعية يحاول الاسلام أن

يجرر الانسان المسلم من شعور الخضوع لسوى الله أو الخوف على الحياة أو الرزق أو المنصب لأن مثل هذا الاحساس قد يدفع صاحبه إلى التنازل عن كرامته أو حقوقه ، وكما يحور الاسلام إنسانه وجدانياً ، يحوره أيضاً من ضغط الغافه وذل الحاجة بالتشريع الذى يقضى على أسباب هذه الحاجة ، أن الاسلام يمنح إنسانه الحق فى الكفاية ويفرض هذا الحق على الدولة والقادرين ، ولكى تثمر (العدالة الاجتماعية) بنص الاسلام على المساواة الانسانية ، ويقرر الإسلام مبدأ التكامل الاجتماعى بين الفرد والجماعة ، وعندما يقرر الإسلام حق الملكية الفردية يحوطه بقيود تجعل منه وسيلة لتحقيق صالح الجماعة والمملك معاً ، أن الملكية فى رأى الإسلام وظيفة اجتماعية والمالك وكيل عن الجماعة فيما يمتلك والمال حق للجماعة مستخلفة فيه عند الله وليس للمالك لى ينمى ماله أن يفس أو يحتكر بمزح ماله بالربا أو يظلم عاملاً فى أجره أو يستغل حاجة أخيه الإنسان ، وإقرار حق الملكية الفردية لا يحول بين أخذ الدولة نسبة من الربح أو جزء من رأس المال إذا استدعى ذلك صالح الجماعة بل يقرر الإسلام للدولة حق التدخل فى الاقتصاد إذا استدعت مصلحة الجماعة ذلك .

إن ظهور النظرية الاجتماعية الاقتصادية للاسلام تجعلنا نتعرف دلى الوجه الحقيقى للنهج الاجتماعى والاقتصادى لدينا كما يعالج فصوص النظريات الوضعية والمتجسد فى الفصل بين الجانبين المادى والروحى وسيحكم دلى أمور جدت واستحدثت من السير قياسها على أمور ولدت فى عهده ور سابقة وسيتصدى للتحديات التى تواجه عالمنا الإسلامى الآن .

١١ - ويقول الدكتور أحمد النجار : أن النظرية الإسلاميه ببعديها الاجتماعى والاقتصادى ، تطرح نفسها بعد أن أجمع المفكرون على أن النظريات الوضعية قد بدأت تنسحب أمام معضلات العصر الفكرية والاجتماعية وأكدوا على أن الإسلام هو القضية المطروحة على الساحة الفكرية العلميه كبدل لكل النظريات الوضعية . أن مأساة الاقتصاديين لدينا تتمثل

في ذلك العصر الذي لا يجدون منه فسكا كما فهم في جملتهم أثنان : أحدهما يطرح (العقيدة) خلف ظهره لا يبالي بها والثاني يختار من خلال رفضه الإلحاد والمادية مدرسة أخرى ونجد أن محاولاته تدور حول إمكان الموازنة بين بداية ترفض فيها الإلحاد وبين مدرسة يختلف بناؤها النظري وأرضيتها وتطبيقاتها عن عقيدته الأصلية .

والخطأ هو قبول القول بأن ما وجد من المناهج الاقتصادية (ماركسية أو رأسمالية) هو النهاية التي لا يمكن التقدم خطوة بعدها أو فتح طريق إلى جانبها ولو أنصف اقتصاديوننا لظفروا إلى القرآن والحديث والتراث وعرفوا من كل ذلك أن هناك منهجا إجتماعيا واقتصاديا للإسلام مغايرا للنظامين .

فالإسلام هو الذي أنشأ قاعدة الترابط بين القيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية وهو الذي قسم الإنفاق إلى استهلاك واستثمار ، فالمسلم يستطيع أن يستثمر ماله في الوجوه المشروعة ويلزم بأداء الزكاة لتغطية حاجات المجتمع كما يتفق المسلم في سبيل الله ، والإنفاق في سبيل الله فريضة أخرى غير فريضة الزكاة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن في المال حقا سوى الزكاة) كذلك يمنع الإسلام صاحب المال من استعمال ماله على نحو يلحق الضرر بالغير أو بمصلحة الجماعة كما يحرم تنمية المال عن طريق الربا ، كما حرم الاحتكار ومن دخل في شيء من أشياء المسلمين ليغلبها عليهم وقد توعد الله بالعقاب في جهنم كما نهى الإسلام عن التبذير والاسراف والقيود التي يفرضها الإسلام على المال ليست مجرد أحكام متفرقة ، بل هي نتيجة حتمية للنظرية الإسلامية في الملكية ، أن الأصل في المال أنه لله سبحانه وتعالى والناس عامة خلفاء الله في ماله ، من الطبيعي أن ياتزم المستخلف بالقيود التي يفرضها عليه من استخلفه ، فملكية الناس للمال ليست حقا مطلقا سواء كانت ملكية عامة جماعية مشتركة أو كانت ملكية فردية ، أنها مجرد خلافة لله تبارك وتعالى وهي خلافة مقيدة بأوامره ونواهيه في الإسلام ، إن (الملكية في الإسلام) وظيفة

اجتماعية دينية وليست حقاً مطلقاً سواء أكان المسلمون فرداً أو مجموعاً
وهي تزيل التناقض في الملكية الفردية في النظم الرأسمالية وبين الملكية الجماعية
في النظم الماركسية. وهذا لا ينافي مع ما ذهب إليه من أن النظم الرأسمالية والاشتراكية
نظريتان الاستحلاف [١] هي التي تميز المنهج الإسلامي عن النظامين الرأسمالي
والماركسي التي تقبني كل منهما نوعاً واحداً من الملكية وتقاوم النوع الآخر
ويربط المنهج الاقتصادي للإسلام بين العمل والقيم الأخلاقية، وللعمل في المنهج
الاجتماعي والاقتصادي للإسلام واجب على كل قادر تحقيقاً لمصلحة الفرد والجماعة
معاً، والإسلام يفتح أمام الإسلام طريقاً لبناء نظام اقتصادي واجتماعي يقوم على
العدالة بدلاً من النظم القائمة على السيطرة والغلبة.

١٢ - ومن ناحية أخرى يجرى الحديث عن البدائل الإسلامية لمازق
الاقتصاد العالمي - يقول الدكتور يوسف إبراهيم: إن السبب في الاختلاف في تحقيق
تنمية اقتصادية في العالم الإسلامي تشمل في اختيار منهج غير قادر على تحقيق
التنمية الاقتصادية في بلدان العالم الإسلامي، فالتنمية الاقتصادية في جوهرها
هي: (حلول لادخال عناصر الانتاج المملوكة للمجتمع في العملية الانتاجية
بصورة مثالية) وهذه العملية يجب أن يحكمها منهج معين، واختيار المنهج الملائم
هو بيت القصيد، والبلاد الإسلامية قد أخطأت المنهج الملائم لها القادر على أن
يحكم عملية استخدام الموارد بصورة مثالية، ولذلك فهي بعد حدة أعوزت من
جهود التنمية لم تولد منتجاً، والمخرج عن حمارق التخلف هناك ثلاثة مقومات
لا بد أن تتوفر في المنهج القادر على تحقيق التنمية الاقتصادية: (١) أن يكون
أولاً: أن يكون المنهج مسؤولاً بل نابعاً من الظروف الاجتماعية والاقتصادية
والبيئية. (٢) أن يكون المنهج قادراً على حشد جميع الطاقات وتوجيهها لصالح
تحقيق التنمية.

بذلك المنهج الاسلامى سنعتمد على ذاتيتنا وتفجر طاقاتنا الكامنة فالارادة البشرية هى أساس التنمية والتقدم ، ضرورة بناء التكنولوجيا والمنبثقة من واقعنا ولا يمكن للتكنولوجيا المستوردة أن تبني لنا تقدمنا فاستيراد التكنولوجيا لايجعل العالم الاسلامى تكنولوجيا فضلا عن ذلك فإن المنهج الاسلامى سيحقق الوحدة التضامنية فى العالم وسيجعلنا نستخدم مواردنا وطاقاتنا الاسلامية فى صالح شعوبنا . نحن نملك كل مقومات التقدم والفعالية والموارد ما يضمننا على طريق التقدم المادى الكبير .

نواة المدرسة الاقتصادية الإسلامية

هناك حقيقة أصبح معترفا بها هى إجماع المفكرين على النظريات الوضعية قد بدأت تنسحب أمام معضلات العصر الفكرية والاجتماعية ، وقد تأكد لهؤلاء العلماء أن الاسلام هو القضية المطروحة فى الساحة الفكرية كبديل لكل النظريات الوضعية .

أولا : النفوذ فى الاسلام ليست غاية بل وسيلة لتحريك السلع للإنتاج فالاتفاق الاستثمارى هو اتفاق الانتاج وهو توجيه من الله تعالى إلى المؤمنين فإذا انصرفوا عن ذلك كان توجيهها من الله ولى الأمر الذى يجب أن يشجع الناس عليه وللإسلام فى المال تكاليف واجبه هى :

أن يستثمر المالك ماله فى الوجوه المشروعة ، أن يلتزم المسلم بأداء الزكاة لتغطية حاجات الطبقة الفقيرة ، أن ينفق المسلم فى سبيل الله ، وقد منع صاحب المال من استعمال ماله على نحو يلحق الضرر بالغير أو بمصلحة الجماعة ، تحريم تنمية المال عن طريق الربا — أو عن طريق الاحتكار مع النهى عن التقيد والاسراف كذلك يربط المنهج الاقتصادى للمسلمين العمل والقيم الاخلاقية ، فالعمل عبادة وهو واجب على كل قادر تحقيقا لمصلحة الفرد والجماعة .

إن الذى تشكو منه النظم الاجتماعية المعاصرة هو (داء السيطرة) الذى هو أساس كل من الرأسمالية والشيوعية ، إن كلا منهما يقاوم سيطرة إحدى الطبقات لسيطرة طبقه أخرى ، وبذلك بقيت المجتمعات فريسة للطبقات الغالبة المسيطرة على السلطة والمجتمع هو الذى يدفع ثمن الصراع من وحدته واستقراره .

وهنا تظهر أهمية المنهج الاجتماعى للإسلام : أنه يفتح أمام الإنسان طريقاً لبناء نظام اجتماعى واقتصادى يقوم على العدالة بدلاً من النظم التى ترسّى على السيطرة والغلبة .

(أحمد النجار)

ثانياً : أن أول المبادئ التى بحث عليها المنهج الاجتماعى للإسلام ، محاربة الفقر ، فقد ضمن الإسلام لكل فرد سواء أكان مسلماً أو ذمياً فى المجتمع الإسلامى الحد الأدنى اللازم للمعيشة وهو ما يسمى فى الشريعة الإسلامية بمد الكفاف والزم المنهج الاجتماعى للإسلام الحكومة والفرد معا بهذا الضمان ، وفرض على الأغنياء أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إذا لم تقم الزكوات بهم فتقدم لهم ما ياكلون من طعام ولباس للشتاء والصيف ومسكن يقيهم المطر والشمس ، أما الفكر الماركسى فىرى أن يقوم العمل بشورة دموية ضد أصحاب رؤوس الأموال حتى ينتصروا ، وبالرغم من أن الفكر الماركسى ينادى بإعطاء كل فرد حسب حاجته والأخذ من كل فرد حسب قدرته فإن الفقر لا يزال موجوداً فى المجتمعات الماركسية وقد انتهت محاربة الفقر فى المجتمع الشيوعى إلى محاربة الحريات .

(عبد الجليل هويدى)

(ثالثاً) : الزكاة ضريبة إسلامية تسكمل العناصر الأربعة للحضارة الإسلامية وهى العدالة واليقين والملائمة والإنتاجية ، وأن الزكاة أكبر من حصيلة الضريبة لأن وعاء الضريبة هو صافى أرباح المنشأة بينما وعاء الزكاة هو صافى رأس المال العامل ، ولذلك فإن الزكاة تشكل حجر الزاوية

السابقة (كما تقول الماركسية) وإنما تتجسد هذه المشكلة في ظلم الانسان وسوء توزيع الثروة التي نتجت عن كفران النعمة بإهمال استثمار الطبيعة والموقف السلبي منها أو عدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله تبارك وتعالى بها على الانسان استغلالا تاما ؛ وقد عالج الاسلام كفران النعمة بما وضع للانتاج والتداول من أحكام كما عالج مصدر الظلم بما وضعه من على الاستهلاك من تعاليم ونظم ، وقد اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة وأوجب الاسلام اتفاق العمل والانتاج واعتبر ذلك أمانة ومسؤولية .

◊ ◊ ◊

الباب الخامس عشر

التربية والتعليم

مکتبہ اسلامیہ

جلد ثانیہ

[illegible]

تخضع المناهج التربوية والفنية لتمثيل قيمها الإنسانية ومبادئها - ٢

[illegible][illegible][illegible]

وحضارتنا لحسب بل مسح عقليتنا لدرجة، أن جعلنا نستهزئ بقرائنا العقائدي والحضاري، وقد قصر الاستعمار كل مجالات التقدم وفرص الرقي على الذين كانوا يتخرجون من هذا التعليم وهناك سياسة الاستعمار في استخدام المتخرجين، كانت تملأ أنه على قدر ما يكون المرء متجرداً من آثار الإسلام قدر ما يلقي إليه أرقى المناصب .

٢ - ويقول الشيخ محمد الحضر حسن : التعلّم في المدارس المصرية منذ عهد كرومر إلى يوم الناس هذا تعليم جاف لا يعنى بتكوين الإنسانية في الإنسان والإسلام في المسلم ولا الوطنية في ابن الوطن ولا الرحمة والرفق والتعاون في البر والتقوى في قلب الرجل المثقف ولا يصل حاضر الأمة بماضيها في طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، كما يجب أن تكون الأمة الأصلية التي تجعل لنفسها وللإنسانية أكرم أمانات الله وأثبتها .

ولا ريب أن سوء الاخلاق تنشأ عن زيف العقيدة تارة وعن طغيان الشهوات تارة أخرى فإن الإسلام دين ينير العقول بالحجة ويهذب النفوس بالحكمة .

٣ - وتحدث السيده مريم جميله عن تجربة الغرب من شباب الإسلام من طلاب البعثات فتقول : إن مواد الدراسة التي تهيأ لهم محرفة وموجهة إلى إحداث تطور في الطلبة فكراً وتصوراً ، مما كسب لاجتماعهم السابق ووطنهم لكي ينظروا إليه برؤية العدو ويقبلوا مقياسه للخير والشر ، هذه المناهج تخلق مركب النقص في أذهانهم والشعور بالتفوق فيما يتصل بالغرب ، وهناك فترة غسل الذهن وشحنه بأخطار جديدة وتصور جديد للحياة لا يترك الطلبة على راحتهم ليتعلموا النظريات والقيم الغربية كدروس إنما تفرض هذه القيم عليهم فتصبح جزءاً من أفكارهم ومعتقداتهم ، وهكذا تنقطع سائر الصلات القائمة بين الطلبة وبين القيم والمثل والأفكار التي توارثوها من ماضيهم الثقافي والاجتماعي فلا يتذكرون إلا تاريخ بلاد العدو ويعبدون أبطال العدو فيكونوا إبطاهم ويراعى العدو في إعداد مناهج الدراسة ونظام التربية في بلاده للوافدين أن يتخرج من مدارسها رجال تتغير أذهانهم

وثقطع صلتهم عن تراثهم وحضارتهم وبلادهم كلياً فيصبحون عملاء للعدو ويخدمون مصالحه ويؤدون المهام التي تستند إليهم والمسئوليات التي تلقى على عاتقهم في الجيش .

٤ - لقد صاع الغربيون فن التربية وفق معتقداتهم وأخلافهم فهي لاتصلح لنا أصلاً ، لذلك لابد أن تضع الأمة الإسلامية نظرية خاصة بها مستمدة من كتابها وتراثها وتجعل ولائها للإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ، وقد كان للمناهج الغربية أثرها في التعليم في البلاد الإسلامية فقد أدخل عليها :

١ - نظريات العلم المادى الفاسدة .

٢ - تفسر التاريخ الإسلامى تفسيراً مادياً .

٣ - إدخال المفهوم الديمقراطية الزائف للحياة السياسية وهو مجاف لمفهوم الشورى الإسلامية .

٤ - فصل الدين عن الدولة وحجب الشريعة واعتماد القانون الوضعى .

٥ - مسأله تحرير المرأة وإزالة الحجاب وإدخال المرأة ميدان العمل دون حصانة أخلاقية أو دينية كافية .

٦ - الإعجاب بالفنون الاباحية وزبالة الحضارة .

إنما ندهو التربية الإسلامية المسلم إلى بناء الانسان في إطار الهوية المتميزة من خلال فكر تربوى له معنيان لا ينضبان :-

(أولهما) معطيات العلوم الحديثة المتطورة في كافة مجالات الابداع

البشرى

و (ثانيهما) فلسفة حياة ثابتة أصلها في حضارة هذه الأمة وتراثها المجيد . المعين الاول يزودنا بالمعارف العلية وأساليب العيش والرفاه والنعيم الثانى يعطى جداول للعلم والأخلاق التي تحفظ للانسان اتزانة وانسجامه وتميزه وتحفظ له هويته التاريخية الاصيله .

(عبد السلام العمري)

ويعتقد محمد أحمد (التيوولوجيا قدامس) أن خطورة قبول المصلحين والمصلحات
التعليم الغربي فيقول: هناك جهل عتسمة في هذا النوع من التعليم فليس يمكن
إذا كان المسلمون قد أمهلوا فيما مضى البحث العلمي فإنهم لا يستطيعون
أنه ينتهزوا لإصلاح أحوالهم العقلية اليوم فمن فطون قبول التعليم الغربي من
غيره والواقع مما يؤيد ذلك أن كل ما في الغرب من العلوم وكل ما في الشرق من العلوم لا يخلو من
المصلحة التي تعينه على تطبيقها على النظام التعليمي العربي بحيث يقرضه الأساطير
الدينية والحكمة المتعة، فإذا لم يكن كذلك لكانت تهم فطنته في الإسلام على وأهلها فطنته فطنته
فيجب علينا أن نحذر من الجو الفكري الذي يمتد من الغرب إلى الشرق، وذلك الجو الذي
أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعاتنا وميولنا بتقليد عادات الغرب
وزيه في الحياة يصبح المسلمون تدريجياً مضطربين إلى الأخذ بوجه النظر
الغربي، ونحن نلاحظ أن المظاهر الخارجية للعلوم الحديثة هي على نطقها الميل إلى العقل
المصاحب لذلك .

ومن هنا نرى أن العلم قد أصبح عاملاً في حياة الإنسان .

(٢)

رأى أن الله قال لما بالعلم بالعلمة قال: الله، ربي ما له -
دخل التعليم الغربي البلاد الإسلامية عن طريق الأرساليات والمعاهد
التبشيرية ثم انتقلت مناهجه إلى المعاهد الوطنية مع تغييرات طفيفة ،
ولا يزال بمثابة الخنجر المسموم المزروس قريباً من القلب في الجسم
الإسلامي كله، والذين ينادون بالعلم لا يظنوا أنهم لا يستطيعون إلا أن يفتخروا من
خطره إلا بانزعاجه وعلى المسلمين أن يتنبهوا وأن يهتموا من نفس الخطورة التي
بدأت جنباً إلى جنبهم فليتمسكوا بمنهج التربية الإسلامية ليتموه ويملأوا بهجة
التعليم في إطار التربية الإسلامية ليجعلوا العلم الحديث كله في إطار العقيدة
والإيمان باقوا ويعلموا أن هذه العلوم كلها لها أصول إسلامية وأن المسلمين
هم الذين قدموا للتربية المنهج العلمي التجريبي الذي يقوم علمه الحضارة
الغربية، فلهذا نرى أن العلم لا يخلو من الخطورة على الإسلام، بل هو علم
لأن معطيات الإسلام هي وحدها القادرة على تخليق العلم الحديث والحضارة
الإسلامية (كثيولتها) وتتمتعها بقدرة ذاتية فائقة على مواجهة كل محاولات

الإدابة والتعريب التي تعرضت لها حضارة الإسلام . فهو كان شليل المستعمرين
مغالبة الشخصية الإسلامية المحكملة البناء باعتزاعها عن جذورها الثقافية عن طريق
إهمال هذه الثقافة الإسلامية . وإتجاه أسلوب جديد في تناول المعرفة يتجاوز
شمولية الثقافة الإسلامية ويحجمها مادة مفزولة محدودة كالحسنة قائمة بذاتها
لا أثر لها في بقية المعارف التي يدرسها المتلقي والتي تنطلق في معظمها من حاجته يرضى
في جلته إلى هدم الدين وتشكيك المسلمين في حضارتهم التي انفصلت في واقع
حياتهم عن الحياة المتجددة النشطة التي توجبها الحضارة المستعمرين وتدفعها
مؤسساتهم الجديدة . (١٣)

لقد استحوذت الدول الغربية بحراً تربوياً أجنبياً ليضعوا المناهج التربوية
لابناء أممنا ، وأرسلوا البعثات من شبابنا ليتعلموا في معاهد الغرب ، وفي كل الميادين
وقفت في الأحكام الخطيرة .

أما هؤلاء الجبناء فقد وضعوا أهدافاً محددة خططوا لتحقيقها ، وكان الهدف
تلك الأهداف تدوير الشخصية الإسلامية الإنسان المسلم ثم اتجهت قاعدة المناهج
التربوية لتشمل كل مرافق الحياة ووسائل الإعلام وأسس تعليم الأفراد ومخطوطة
الإسلام في المبادئ وقصص وأمر الدين على العبادات ، وإتاحة الفعالة للعبادة
الرافدة للسيطرة على مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة ومن ثم أخذوا النظر
الحقيقي يحدق بنا من كل مكان ، إذ أصبح الإعلام وكافة لهذين عابثين جداً
على مفهوم المسيحية في الغرب — وتوقف عمل الإسلام الحقيقي في بناء
المجتمع الإسلامي وله في الغرب .

لقد عمد النفوذ الأجنبي وسخر كل أجهزته وتأييده لتجريد المسلم من دعوته
الحقيقية ، وبذلك سيطرت العلمانية على معظم فروع المعرفة الانسانية ، أدى إلى
حجب القيم الإسلامية وكان لوجود نظامين التعليم في النظام الكاثوليكي والإسلامي في
الحقيقة والنظام الوافد الذي تماشاه وزارات التربية والتعليم أنه يحدث هذا

الأزدواجة تضارباً ثقافياً خطيراً وكان على المسلمين بعد تحررهم من النفوذ الأجنبي العسكري السياسي أن يعودوا إل مفهومهم الاصيل الجامع ؛ وأن نصبغ التعليم في جميع فروعه بصبغة إسلامية أصيلة بحيث يكون منهج الاسلام في الحياة واضحاً في جميع مناهج التعليم وما تزال قوى كثيرة تحول دون ذلك .

أما أبنائنا الذين إتجهوا إلى الغرب فقد واجهوا أخطاراً شديدة لأن خلفيتهم الاسلامية كانت قاصرة وناقصة ، ومن ثم إحتواهم المستشرقون اليهود المسيطرين الآن على الدراسات الاسلامية ، ومن عجب أن يسافروا أبنائنا إلى أوروبا وأمريكا ليتعلموا اللغة العربية والاسلام في السربون وهارفارد وبريستون التي تتمركز فيها عتائلة المستشرقين والمبشرين الذين يلبسون ثياب العلم ليحطموا في قلوب أبنائنا روح الايمان وليسيطرأ على أفئدتهم وعقولهم حيث نأخذ ديننا من أفواه أعدائنا ، وهناك يعلمونهم كثيراً من السموم فتنشأ في نفوسهم ظاهرة الفرور والاستهانة بالحق والتكبر على أمر الله تبارك وتعالى ويصبحون أداة طيعة للذين صنعوهم في بلادهم يحملون لواء نزعات التغريب وكراهية القرآن والاسلام واللغة العربية . وإمتهانها وتمتلاً نفوسهم بالزهر إزاء الغرب وبطولاته وحضارته ، ويعارضون طريقة الاصيل في العودة إلى مناهل الاسلام ومنابعه الاصيلة لنستمد منها أسلوب عيشنا الحقيقي بعد أن فسدت تجربة الاقتباس والتبعية والانتماء إلى الوافد الغريب بكل ما فيه من غربة وتمزق وشر وتلفيق .

ومن ناحية أخرى فقد جرت مؤامرة الاستشراق على تسكيف شبابنا المثقف في إطرورحانه أن يدرس موضوعات مسمومة يراد بها إعلاء جوانب ضعيفة وظواهر تافهة وقضايا مشبوهة زائفة ينزعونها من التاريخ الاسلامي أو الأدب العربي يراد بها إعلاء جوانب ضعيفة وظواهر تافهة وإحياء شبهات وأحققاد الباطنية والشعونية القديمة والتوسع في عرضها حتى تبدو وكأنها مظاهر حقيقية كالبحث عن الزنج والقرامطة ودعوات الحلول

والاتحاد ومحاولة أعلاء بعض المتأمرين والخونه الذين قتلوا جراء فتنهم كأنهم أبطال الحرية والعدل الاجتماعى أمثال الحلاج والسهورردى وغيرهما أو دراسة الهجرات الميتة أو الفرق الضالة المنقرضة أو أبحاث الباطنية ورجالها وكتبها التى لا تمثل إلا الاحقاد التى تملأ صدور أعداد الاسلام لتفسير ابن عربى ورسائل الإخوان الصفا .

(٤)

فإذا ذهبنا تراجع وجوه الايجابيات والسلبيات فى النظريات التربوية المطروحة وجدنا أفضله النظرية الاسلاميه على النظريات الأخرى :

(أولاً) إن خير ما فى النظريات التربوية التى قدمها فلاسفة التربية غير المسلمين من محاسن والتى يسمونها حديثه قد احتوتها الشيعة الإسلامية من قبل مثله فى القرآن الكريم والسنة النبويه .

(ثانياً) إن جميع هذه النظريات التربوية غير الاسلام قد نظر مفكروها إلى التريه من زوايه معينة مع إهمال بقية الجوانب .

١ - المذهب الطبيعى فى الدين (روسو) واتباعه يرى أن التربية الصحيحة هى أن تسمح لعقل الطفل وقدراته وميوله بالنمو دون أى تدخل أو إشراف ، فهو أساساً ينكر العقل وينكر أهميته وينظر إلى التعبير عن الذات فقط دون تدخل .

٢ - الفلسفة المثالية التى نادى بها روسو واتباعه والتى ترى أن التربية تنجح بالانسان إتجاهها سامياً يرتفع به عن العالم المادى فهى تنكر أهمية الجسم وتوجهه إلى كل ماله صلة بالعقل أو الروح ويعتبرونه أهم بكثير من الجانب المادى .

(ثالثاً) الفلسفة البرهمانية (النفعية) التى تستهدف الأعداد للحياة الحاضرة

فقط دون الاهتمام بالحياة المستقبلية ودون الاهتمام بما خلفته الاجيال الماضية من تراث ثقافي ذا قيمة في مجال التربية ، والتي تؤمن أيضاً بأن كل ماجر نفعاً مادياً فهو صواب وما عداه خطأ .

(رابعاً) النظريات التربوية غير الإسلامية تتصف بالتناقض والتناقض واختلافها في أغراضها لأنها تمثل أفكاراً بشرية جاءت نتيجة ظروف حياته فردية وجماعية ، أما الاسلام فلأنه من الحق سبحانه فقد جاءت نظراته التربوية شاملة ومتكاملة لجميع نواحي الحياة ، سواء بالتربية الفكرية أو الروحية أو الجسمية أو المادية بما يلائم الفطرة الانسانية فهو نظام كامل لجميع نواحي الحياة .

(خامساً) : النظرية الإسلامية : شاملة لكل مجالات الحياة وكافة جوانب النفس الانسانية إلى جانب ثباتها وصلاحيها لكل زمان ومكان وقد وضع الله (تبارك وتعالى) أسسها لجميع البشر ، هذا فضلاً عن تكامل الأهداف في التربية فإن هناك الاهتمام بتربية الفرد من جميع نواحيه كما تتم ببناء المجتمع المسلم القائم على الوحدة والمساواة والتعاون والشورى والأخلاق الحميدة . (عبد المعين عبد الغنى الحربي) .

(٥)

كشف الدكتور سليمان أسحق عن كتاب من التراث الاسلامي حول تعليم وتربية الاطفال .

[تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال]

المؤلف ابن حجر الهيتمي المتوفى ٩٧٤ هـ ١٥٦٧ م

وخلاصة رسالته رد على سؤال موجه اليه من أحد معلمي الاطفال عن مشكلات تربية وتعليم تلاميذه - قال الدكتور سليمان أسحق : لقد وجدت أن عالمنا الإسلامي بن حجر الهيتمي قد سبق عصره بخمسة قرون ووصل إلى النظريات والمبادئ التي انتهت إليها ووصل اليها علماء وخبراء التربية في أمريكا وأوروبا

الغربية بعد ذلك في القرن العشرين فقد دعا إلى تكافؤ القرض في التعليم عن طريق التعليم الإجبارى والحجافى ، وقد طالب بالطريقة الفردية في التعليم التى تعطى كل تلميذ عملاً يناسب مستواه وميوله وأعباءه . وهو صاحب الفكرة التى تقول أن المجتمع غير المحمود هو الذى يضع الحواجز الداخلية والخارجية للحيولة دون نقل الخبرة وتبادلها وهى النظرية التى قال بها بعد أربعائة سنة جون ديوى . كذلك فقد نادى بتحرر التلميذ من سيطرة المعلم . وقد نبه الهيشمى إلى أمرين هامين : الحد من العقاب الجسدى — مع وضع شروط وقيود وحدوده وتكلم عن خطورة الانحراف على الطفل وهذه كلها نظريات يتبناها علماء التربية الحديثة . كما نادى الهيشمى بوصل المدرسة بالبيت ونقل البيت إلى المدرسة .

(٦)

من علمانية التعليم إلى إسلامية التعليم

إن إحتواء التعليم فى إطار التغريب قد حقق مجموعة من الاهداف فى وقت واحد :

(أولاً) القضاء على « الذاتية الإسلامية » المستمرة بأخلاقها وإيمانها بالله وصدق الوجهة ، فى التعرف على الحقيقة الأساسية ، وهى : إن الله تبارك وتعالى هو الخالق وأنه جل شأنه من وراء كل معطيات الحضارة ، وليست الطبيعة وليست القوانين الجبرية التى يدعى الماديون أنها تحكم مسار الكون دون تغيير .

ثانياً : القضاء على « الفصاحة العربية » التى أوجدتها منابع البلاغة العربية ممثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك بعد أن استطاعت وسائل التعليم الحديث أن تقطع الشباب المسلم عن تراثه جميعه .

ثالثاً : القضاء على « الاحساس بعظمة العطاء الذى قدمته الالة الإسلامية » للبشرية حين قدمت اليها منهج الحضارة الذى حرر الإنسان من عبودية الإنسان وحرر العقل البشرى من العبودية للوثنيات والخرافات والاساطير وأعظم هذه المعطيات إنشاء المنهج التجريبي الذى قامت عليه الحضارة الغربية المعاصرة .

(وإبماً) القضاء على تمثل دور التاريخي الذي قام به الإسلام، حين نشر عقيدة التوحيد في العالمين، فأخرج هذا العالم من ظلمات الوثنية والإباحية والرهبانية إلى مفهوم الحرية والكرامة والعمل والسعي في الأرض .

كذلك وما كان لأبطال الإسلام من دور في تقديم الإسلام للبشرية، وحمله إلى أقصى الأرض بروح الإيمان واليقين والصدق والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله .

لقد استطاع إحتواء المناهج التعليمية الوافدة القائمة على النظرية المادية المنكرة للدين والأخلاق وبناء الفرد على القيم والمثل، هذا الإحتواء للمدرسة الإسلامية بفرض مناهج الغرب، كان له أبعد الأثر في تدمير الشخصية الإسلامية الناشئة وحرمانها من التعريف على حقيقتها ودورها وهدفها .

وفي هذا يقول مستر نيروز أحد رؤساء الجامعة الأميريكية في بيروت : « لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في خلال سعيهم لتنصير سورية ولبنان، أن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً » .

وما يتحدث عنه المبشر الأمريكي ليس قاصراً على سوريا ولبنان واسكنه منبث في أنحاء العالم الإسلامي من أرخبيل الملايو والجزيرة الهندية إلى تركيا إلى مصر إلى شمال أفريقيا إلى الجزائر والمغرب .

فإن خطة السيطرة على المناهج التعليمية التي قام بها النفوذ الأجنبي (وورثها لمن جاء به من حكومات وقيادات نشأت في إطار الإيمان بالغرب والإعجاب به والتسليم له) قد شملت مختلف الميادين من السلوك الفردي والآداب الاجتماعية إلى الآداب والفنون .

وقد تحولت الأساليب من التبشير المباشر إلى التبشير الخفي الذي يتصل

بالثقافة والصحافة - حيث يقوم الكتاب التفريريون بأداء دور خطير في تحويل الأهداف الماسونية إلى حقائق مطبقة .

وقد أسهمت المنظمات الدولية في هذا المجال بما في ذلك الأمم المتحدة واليونسكو ، والتركيبة الأساسية على وجه الخصوص التي تعتبر امتداداً لمخططات ترمي إلى فصل الدين عن الدولة وتخريج شباب متميع منهزم خاضع للاهواء والشهوات .

وقد استعانت على ذلك بالمرسح والسينما والاذاعة والتلفزيون بما يحيط بالعقل والقلب من كل أقطاره ويسيطر عليه ويفرض عليه سمومه وبذلك استطاع النفوذ الاجنبي المستخفي اليوم وراء هذه المنظمات والمؤسسات تطويع برامجنا التعليمية لكثير من أهدافه وأغراضه .

ولم تستطع الدول المحتلة - بعد الاستقلال - أن تحرر إرادتها أو تحقق وجهتها في التماس أساليب التربية الإسلامية ذلك لأن النفوذ الاجنبي قد أسلم قيادة الثقافة والصحافة والتعليم في مختلف أغلب بلاد الإسلام إلى مجموعة من أهل الولاء للغرب - بشقيعه الشيوعي والرأسمالي - فهم مستغربون أكثر من الغربيين لأنفسهم يوم يقدمون سمومهم تحت اسم التجديد والعصرية والتقدمية ..

ومن أجل مواجهة هذا الخط فقد أوصت مؤتمرات عديدة ، عقدت في السنوات الأخيرة ، لدراسة هذه التحديات بإنشاء هيئة علمية على مستوى العالم الاسلامي ، تعمل على التحرر من الاستعمار الفكري والثقافي وصيانة المناهج التعليمية وفقاً للمقيدة الإسلامية .

ولاريب أن هناك ثلاث تحديات خطيرة تواجه الأمة الإسلامية في هذا المجال :

(أولاً : منهج علماني قومي في البلاد :

(ثانياً) الارساليات المنشورة في البلاد العربية تلتقط أبناء المسلمين .

(ثالثاً) شبابنا المسافرين في بعثات إلى الغرب .

أما العلماني القومي : فإنه ميراث قديم تشكل أبان الاحتلال الأجنبي للبلاد الإسلامية (١) ثم لم تتمكن هذه البلاد بعد استقلالها من التحرر منه ، وقد قام أولاً :

على الاقتباس من مناهج الارساليات ومدارس التبشير التي كانت قد شكلت منهجها على أساس إنعراج شباب المسلمين من دينهم ، ثم جاء المبشرون الفرنسيون والانجليز والهولنديون . فسيطروا على مناهج التعليم الإسلامية التي كانت مبثوثة في المدارس القومية فأزالوا منها كل ما يتصل بالدين والأخلاق والتاريخ وعظمة الاسلام والأمة الإسلامية واللغة العربية .

وفي بعض البلاد أعدمته هذه الكتب السابقة لعهود الاستعمار حتى لا يبقى لها أي أثر في دور الكتب القديمة كتراث يمكن الرجوع إليه أو التعرف على وجهة هذه المناهج أو يقيم مقارنة بينها وبين ما صنعه الاستعمار . (وهذا ما حدث في مصر بعد الاحتلال) .

وقد اعتمدت المدرسة الوطنية بعد الاحتلال على مناهج الإرساليات مع تعديلات يسيرة ، ثم جاءت موجة مذهب ديوى وتشكلت معاهد التربية التي فرضت على المعلمين أن يتخرجوا منه ، فانداحت تلك الفكرة المسمومة الخبيثة في مجالات التعليم في العالم الإسلامي وهي حجب الإسلام أو مفهوم الدين والأخلاق عن هذه المناهج .

ويبقى الخطر الثالث قائماً : وهو المتمثل في أبنائنا الذين تتلقفهم مؤسسات التبشير والاستشراق في عواصم العالم الغربي لتشكيلهم كما تشاء ، حتى يكونوا على ولاء لأهدافها وهم يتابعونهم بعد عودتهم بالمناصب والمؤتمرات والجوائز والنياشين ويردون عنهم أي خطر يهددهم حتى يحققوا أهداف التغريب في مجال التعليم على النحو المنشود .

أما المنهج الغربي الذي إعتمدته المناهج المدرسية ، فهو شيء مختلف تماماً

عن منهج الإسلام في التربية وفي الحياة ، فالتعليم الغربي يحمل روحاً مستقلة ، ويعبر عن أفكار أهل الغرب ومجموع أقدارهم وقيمهم ، فإذا طبق في بلاد مسلمة أو مجتمع إسلامي فإنه يحدث صراعاً عقلياً يتدرج ثم يتدرج إلى تدمير العقيدة وإلى خلق الردة الفكرية والدينية .

يقول الأستاذ محمد أسد (المعروف باسم ليوبولد فايس) : أن الإسلام والمدنية الغربية يقومان على فكرتين في الحياة متناقضتين تماماً ، لا يمكن أن يتفقا ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة أحداث المسلمين على أسس غربية ؛ تلك التنشئة القائمة في مجموعها على التجارب الثقافية الأوروبية ، وعلى مقنناتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادي للإسلام . أن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا ، أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم يمثلوا الحضارة الربانية الخاصة التي جاء بها الإسلام ، وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين المتوسمين الذين نشأوا على أسس غربية .

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه بمراجعة المناهج التي تدرس للمسلم في المدارس الإعدادية والثانوية نجد الآتي :

أوروبا (٣٧٠ صفحة) .

الحضارة الإسلامية ٢٥٠ صفحة .

الثورة الفرنسية ٣٥ صفحة .

الدعوة الإسلامية ٢٣ صفحة .

لابليون ١٦ صفحة .

عمر بن عبد العزيز صفحة واحدة .

فإذا ذهبنا تبحث عن مضمون الحضارة الإسلامية ، وجدتها كلها تنصب على القول بأن المسلمين أخذوا فكر أرسطو وأفلاطون ، وأنه مصدر فكرهم الإسلامي ، وأن المعنوية والفلاسفة هم الذين

أنشأوا الحضارة الإسلامية ، وأن هذه الحضارة لم تلبث أن أيزمت عندهما سقطت
المتعزلة وجاء أمثال الغزالي وابن تيمية .

هذا ما يقال عن فكرنا وحضارتنا ويتعلمه أبنائنا ، وهكذا تمشي مناهج
التعليم الإسلامي لتقدم التاريخ الإسلامي لأبنائنا على صورة جماعة من المغامرين
المنذفعين إلى الصراع والقتل والتآمر .

وقد أدرك أعداء الإسلام أن النظام التعليمي والتربوي له أثره الفخال في
توجيه حاضر الشعوب الإسلامية ومستقبلها نحوه المصير ، نجد ذلك في مؤتمرات
اليهود في بازل عام ١٨٩٧ حين أكد حكام صهيون أن أفضل طريقة لتحقيق سيطرتهم
على الشعوب الأخرى هو التأثير على النظام التعليمي والتربوي بتدريس الناشئة
التاريخ القديم ، المشتمل على المثل السيئة أكثر من إشتماله على المثل الحسنة ، وعلى
ضرورة طمس العصور الماضية في ذاكرة النشء الجديد التي قد تكون معارضة
لخططات اليهود وأمانهم في تحقيق السيطرة على العالم .

وليس اليهود فقط هم الطامعون في تزيف أهداف التعليم الإسلامي ، وإنما
يشترك في ذلك النفوذ الغربي القائم على مفهوم التبشير والتضييق والاندثار
الذي يطمح دائماً في تصوير الإسلام على أنه دين عبادة وليس ديناً ودولة .

ويجري مغالطاته على محاولة تزيف منهج الإسلام الاجتماعي والسياسي وذلك
بإقامة القانون الوضعي بدلا للشرعة الإسلامية وإقامة منهج الربا في الاقتصاد
الإسلامي ، ومنهج التعليم العلماني بدلا عن التعليم الإسلامي .

وقد جاءت موجة الغزو الماركسي لتحمل معها مفاهيم مصوغة للثقافة والتعليم
ترمي إلى تفسير يقوم على المقاييس المادية ومحاولة القول بأن الفتح الإسلامي كان
بهدف البحث عن الطعام .

تزيف مناهج التعليم

وهكذا تتكاثف القوى الغاشقة على تزيف مناهج التعليم والتربية والثقافة في العالم الإسلامي ، وذلك كله إنما يهدف إلى تخرج شباب غير مؤمن بوطنه أو دينه أو تاريخ أو قيم أو أجداد أمته .

وقد احتقر هذا المنهج الوجود والتاريخ الاسلامي كله ، بينما عرفه عن الغرب وأبطاله ومواقفه وخاصة الثورة الفرنسية أكثر مما يعرف عن الدعوة الإسلامية ، وعن بابليون أكثر مما يعرف عن خالد ابن الوليد .

وما نوال كتب التاريخ المقررة في مدارسنا تحوى كثيراً من هذه السموم حيث تركز على المواقع التي تتعرض للخلاقات والخصومات والحركات المضادة للإسلام ، مع أن هذه الصفحات كلها لا تصل إلى جزء من ألف جزء من معطيات الإسلام وإيجابياته وجنارته وثمراته الباذخة ، ولكنها محاولة لتصوير التاريخ الإسلامي بصورة سوداء قائمة في نفوس الشباب المسلم ، وكيف لا ؟ إذا كان الذين يدرسون له هذه المائة ماركسيون أو دؤولاء فرنسي أو بريطاني أو يهودي أو كانوا هم في ذاتهم غير مسلمين .

وفي دراسات الجغرافيا تجد أن ما كتب عن الولايات المتحدة متضاعف من مجموع بلاد الوطن الإسلامي .

ويمتد هذا المخطط الهدام إلى مجالات الكيمياء والفيزياء والرياضيات فلا ذكر في هذه الدراسات للدور الهام والخطير الذي قام به المسلمون منشئو المنهج العلمي التجريبي ، وإنما يبدأ البحث من المرحلة التي تولاها الغربيون وتبدو المسألة غاية في الصعوبة والغرابة حين يكون معروفاً للعالم كله وباعتراف المنصفين من كتاب الغرب في العصر الحديث (دابر - هرنكه - جوستاف لويون . . الخ) أن علم الفيزياء إنما أوجدته للمسلمون . فالخمين بن الهيثم هو واضع علم البصريات وكثير من مكتشفاته لم يصف إليها العلم الحديث أى شيء .

وفي المساهج الأخرى عن الرياضيات والفلك والتقدم العلمي لا يذكر مطلقاً أية منجزات للحضارة الإسلامية مما سبقت فيه الغرب بقرون .

ولا يذكر مثلاً أن (ابن النفيس) هو الذي اكتشف الدورة الدموية الضغري قبل ولادة (وليم هارفي) الذي يقترن اسمه باكتشافها بثلاثة قرون .

ولا يعلم الطالب المسلم أن (الرازي) هو الذي أجرى أدق العمليات الجراحية للميون بأدوات جراحية دقيقة تثير الدهشة والإعجاب .

ولا يوضح أن ابن حزم في كتابه ، الفصل في الملل والنحل ، قد أثبت كروية الأرض بدلائل من الكتاب والسنة قبل تسعة قرون .

ولا يدرس طلبة الجغرافيا إن قطر الأرض ومحيطها قد قيسا على عهد المأمون على أيدي محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر .

هذا جزء يسير مما حاول خصوم العرب والمسلمين طمسه ، بتزييف مناهج التعليم في المدارس الوطنية ، مما لا يزال كثير منه قائماً إلى الآن في الكتب ، وذلك في محاولة لتفريغ عقول الناشئة من أجداد أمتهم ، وحتى يؤمنوا بأن الغرب هو الذي صنع هذه العلوم .

ومن هنا يتكشف للباحث المتعمق أن : القول بدراسة الدين في المدارس وحتى الجامعات هو إنجاز هام ، فإن حركة اليقظة الإسلامية تتطلع إلى أن يصبح الاسلام كل ما تقدمه المناهج من المدرسة الابتدائية إلى أرقى درجات التعليم الجامعي ، وأنه لا يمكن فصل الاسلام عن دراسات :

(١) اللغة .

(٢) التاريخ والجغرافيا .

(٣) العلوم والتكنولوجيا .

(٤) علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والاقتصاد والسياسة والتربية .

فضلا عن المناهج الوافدة لعزل دور المسلمين الايجابى والاساسى فى بناء هذه المناهج ، فإنها تصوغ الفكرة فى أغلب هذه الدراسات على عزل روح الاسلام ووفق مفهوم الفلسفة المادية التى تقوم على المحسوسات والطبيعة ، وليس فيها روح الايمان بالله خالق كل شئ والقائم على نواميس السكون وسننه ، والقادر على تحويلها كذلك ، فى علوم النفس والأخلاق والاجتماع والنقد الأدبى فإن نوع الانسان يدرس على أنه حيوان يضطرم بشهوى البطن (الماركسية) والجنس (الفرويدية) وهما اللذان يتحكمان فى كل تصرفاته ، فردا وجماعة سلما وحرباً وتقدماً وهزيمة .

بينما نرى المفهوم الاسلامى يختلف عن ذلك إختلافاً كبيراً ، ويجعل للروحانيات والمعنويات وللعقيدة الدينية والأخلاق أثراً كبيراً فى تفسير الاحداث والوقائع وتحولات المجتمعات وهزيمة الامم وسقوط الحضارات .

وفى مجال العلوم الاجتماعية : يجرى المنهج الذى تدرسه جامعاتنا ومدارسنا على مفهوم غربى خاطئ بالنسبة لعقيدتنا وقيمنا ، وأن كان مقبولا فى الغرب ، وهو أن المجتمع ظاهرة متطورة يصنع مبادئه بنفسه ، ولا يأخذها من الله تبارك وتعالى وعلى هذا الاساس تكون الأخلاق من صنع المجتمع غير مفروضة عليه ، ولا يكون لها مفهوم ربحى ، ويكون عمل عالم الاجتماع أن يسجل الواقع المتطور للمجتمع ، وقد تقدم لهذا المجتمع قواعد للسلوك مستمدة ، من القواعد التى يمنحها العلم .

ووفق هذا الاتجاه فليس من المنطق العلمى أن يقال : أن الواقع صحيح أو خطأ أو صالح أو سئ .

كما يصبح (الدين) مجرد ظاهرة من ظواهر المجتمع ، تملأ فراغاً فى نفس نفس الفرد ، وهو قابل للتطور مع التطور الاجتماعى ومع متطلبات العقل البشرى .

هذا المفهوم المادى كله مضاد لمفهوم الإسلام فى علم الاجتماع ، الذى يقوم على

أساس المفهوم القرآني للإنسان وعلاقته بالآخرين ، وعلى أساس النظر إلى السلوك نظرة واقعية يفرق فيها بين الصحيح والخطأ ، وعلى أن يوجه المجتمع إلى الطريق الصحيح .

والمعروف أن الاخلاق في الاسلام جزء من بنائه لها ثباتها وليست من صنع المجتمع ، ولذلك فهي لا تتطور وهي أمر من أمر الله وليست ظاهرة تتغير بتغير الزمان أو المكان .

وفي المفهوم الاسلامي لعلم الاجتماع لا يمكن فصل التطور الاجتماعي عن المسؤولية الاخلاقية ، والفرد في الاسلام لا يخضع لأوضاع المجتمع إذا انحرفت ولكن عليه أن يغير هذا الواقع بالتقاس مفهوم الاسلام الصحيح .

وفي دراسة العلوم الطبيعية والجغرافيا والتاريخ : يجب أن تكون ووح القرآن واضحة على أساس أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والصانع وأن الكون في قبضته تبارك وتعالى . وأن الحياة في هذه المجتمعات يجب أن تقوم على أمره ، وأن يسعى الإنسان في الكون لاقامة المجتمع الرباني ، وأن يلتزم بالمسؤولية الفردية والجماعية والاحلاقية التي تقرر الجزاء الاخرى والبعث والحساب بعد الموت .

ولابد أن تقوم دراسات الحضارة والتاريخ على أن الله تبارك وتعالى سندا ، لا تتغير ، وأن الحياة الامة وتقدمها وكيوتها قانوناً حاسماً . وأن كل أمة تفرق في الترف والتحلل وتفعل عن المراقبة والقيام على حدود الله ، بالأعداد والتأهيل للجهاد ومكافحة الاعداء ، لابد أن تعاقب بالسقوط والهزيمة .

ولابد أن تنهج العلوم الطبيعية لتكون أداة لإثبات قدرة الله وتوحيد مفهومه ، هكس ما تراه اليوم مطبقاً في مناهج التعليم .

وليس إرتباط مناهج التعليم بعبقيرة الآلة ونظرتها العامة بالأمر المستغرب ، أو أنه مطلب جديد ، بل هو ما تفعله كل أمة .

فالإبان البوذية والهند البهيمية وروسيا الشيوعية وإسرائيل الصهيونية ، وكل

أمة قد جعلت التعليم والثقافة مضطربان بصيغتها الخضرية وفلسفتها العقائدية ،
فلماذا بعد المسلمون وخدمهم عن عقيدتهم ، ولماذا هم الخاضعون للمناهج الواحدة
ماركنسية أو غربية ، وهم يملكون أعظم المناهج وأرقاها وأصلحها
لسعادة البشرية .

في روسيا : لم تأخذ بمبدأ التعليم والتربية من حيث هو مبدأ إنساني
عالمى ، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم من خارج المعسكر الشيوعى ،
ولا بادخال العلوم أو الآداب التى نشأت فى حضارة الليبراليين أو الرأسماليين ، خوفا
من أن تضعف مفاهيمهم ونزعاتهم العقيدة الشيوعية أو تشكك فيها .

لقد أخضعت روسيا جميع العلوم والآداب النظرية فيها والتطبيقية ، حتى
علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية ولنظريات قادتها وهويسى
دعوتها (ماركس ، و إنجلز ولينين) وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك
القادة وباطا وثيقا مقدسا على حد عبارة المكاتب الذى نقلبا عنه هذا النص —
فهى تغار عليه غيرة المؤمنين القدامى على عقائدهم وحرماهم يقول « جوردين ،
الطالم الطبيعى السوفيتى :

« أن العلم الروسى ليس قسما من أقسام العلوم العالمى ، أنه قسم منفصل قائم
بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف فإن سمعة العلم السوفيتى الأساسية
أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة . . إن التحقيقات العلمية لا تزال فى حاجة
إلى أساس وإن أساس علومنا الطبيعية : الفلسفة المادية التى قدمها ماركس وإنجلز
ولينين وستالين . إننا نريد أن نخوض وفى أيدينا هذه الفلسفة فى معرك
العلم الطبيعى . ولصارح جميع التصورات الأجنبية التى تناهض فلسفتنا المادية
والماركسية بكل حزم وقوة . »

وبذلك استطاعت المناهج التربوية والتعليمية الروسية أن توفق بين العلوم

التي احتاجت إليها والمبادئ التي أمنت بها ، وجعلت منها وحدة متناقضة ولم تترك فجوة بين الحياة التي تعيشها أو تسعى إليها وبين المبادئ التي تؤمن بها ، وتدعو إليها في حماسة فسلمت من الاضطراب الفكري الذي يسود في عالم تنوزعه القوى المتناقضة ويسوده النفاق والتناقض .

وكذلك لإسرائيل بعد الاتحاد السوفيتي تقيم منهج التعليم من أصل دهم نظرية الصهيونية . وتقوم على أساس إحياء لغة مائت منذ ألف سنة تقريبا في كافة المواد . والعناية بالدراسة الدينية — لاثبات الباطل في العقل الباطن — ورغم اختلاف الأحزاب فهي تلتقي جميعها في الفسكرة الأساسية ، ويرى بعضهم أن التقاليد اليهودية هي التبراس الذي ينبغي أن تستهدى به نظم التعليم وتحتّم بعضها على المعلمين أن يحرصوا على التقاليد اليهودية حتى صدقهم العالم رغم خرافة المنهج (١) .

وبعد : أليس من الأهداف الهامة أن يكون التعليم في جميع العلوم باللغة العربية . وهناك تجربة صادقة منذ سنوات طويلة في إحدى الجامعات العربية (هي الجامعة السورية) .

فعلى الجامعات العربية أن تنطلق من هذا البدء لبناء الحضارة الإسلامية التي لابد أن تقدم العلوم والتكنولوجيا فيها من خلال اللغة العربية ، وهذا لا يعني عدم معرفة اللغات الأجنبية ، ولكن إيماننا بأن اللغة العربية هي لغة الحضارة والثقافة كانت ولا زالت من أقوى لغات العالم في قدرتها على النمو والاشتقاق والتعريب والتصريف ، وقد ثبت بالحجة الدامغة بها كلية طب دمشق منذ زمن بعيد نجاح التجربة ، وأوردت ما يفهم المعارضين وما يوضح أن لغتنا الحبيبة قادرة على الاطلاع بأعباء التعليم الطبي والعلوم الأخرى .

(١) لقد كان الهدف من هذا المنهج ، إيجاد رمز للولاء ، فسكان الولاء القومي بدلا من الولاء الديني ، وهذا الولاء الديني كان المدور الحقيقي والعقبة الراسخة ، أمام ترسيخ الولاء القومي محله ، فقد عنصر الولاء العقيدى للدين الذي قصر العبودية لله ، ونهى عن عبادة وثن أو فرد أو شكل حاكم .

(٢) السلامة ظاهرية واضحة في مظهريتها ، لأن يد القهر المادى تسيطر على كل خلجات الحركة الاجتماعية والاقتصادية ، حتى أصبح الافراد مجرد آلات تتحرك فى نطاق خرائزها ، دون تحكيم لعقولها أو قلوبها . وعندما يفترق أى فرد أو أكثر من غيبوبة التسلط يرى التناقض أمامه واضحا ، وهندئذ يسميه النظام الماركسى منشقا ويسارع إلى عزله أو نفيه والامثلة بين الأدباء والعلماء أكثر من أن تحصى « المجلة » .

* * *

الكتاب السادس عشر

قضايا عامة

- ١ - الترجمة .
- ٢ - الأخلاق .
- ٣ - النفس .
- ٤ - الآثار والعمارة .
- ٥ - الفن .
- ٦ - المسرح .

أولاً : الترجمة

الترجمة من الآداب الأجنبية لها قوانين وأصول ، تحمى تراث الأمم
التي تترجم الجديد بحيث لا يؤثر على قيمها الأساسية ومفاهيمها وتراثها
فلابد أن تصنع الأمم خطه دقيقة محكمة للترجمة من آداب الأمم الأخرى
خاصة الأمة الإسلامية التي لها مقومات أصيلة تختلف عن مقومات الأمم الغربية
والتي تمر بمرحلة تجعلها أكثر حفاظاً على ذاتيتها من أن تنهار أو تنصهر ، وهي تضع
نصب عليها دائماً أنها أمة صاحبة رسالة وأن دليها أن يحافظ على هذه الرسالة
في جوهرها الاصيل وأن تعمل على تبليغ للناس ، الذين هم الآن في أشد الحاجة
إليها ، فضلاً عن أنها تمتلك أعظم منهج وأقوى أسلوب ، في مجال السياسة
والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والدين بحيث أنها لا تحتاج إلى أساليب
الأمم الأخرى الجزئية الانشطارية التي تقوم على الفكر البشري القاصر ، الذي
لا يستطيع أن يوازي ذلك العطاء الرباني الفيض الذي يحمله الفكر الإسلامي
والذي لا يحتاج معه الأمة الإسلامية من الأمم الأخرى إلا إلى الأساليب الحديثة
والوسائل المستحدثة والاطر التي تحرك فيها فكرها الاصيل .

ومن شروط الترجمة أن لا تترجم إلا ما يضيف جديداً في مجال العلم
والتكنولوجيا والمعطيات البشرية ، أما ما يتصل بالفس والأخلاق والاجتماع
والمطامح الذاتية والآداب الانسانية والدراسات المتعلقة بالعائدات والشرائع والقيم
والأخلاق فإن تلك لا نحتاج إليه إلا للتعرف على أوضاع الأمم الأخرى ،
ولذلك فإن الأمانة تقتضي أن نقدها على هذا النحو وأن نكشف جوهرها
أمام القارئ المسلم ونكشف علاقتها بعصرها وبيئاتها ، ومفارقتها لعصرنا
وديننا ، وأن نعرض مفاهيمها على القيم الإسلامية العليا الاصيلية .

ولا ريب أن حركة الترجمة في العصر الحديث قد تجاوزت هذه الضوابط
فإن الاسراف في ترجمة القصص المكشوف (بوداير وأرسكار وايلد

وتنبشه وأزهار الشر وعشيقه اللورد شترلي) قد ترك أثاراً بعيدة المدى على أخلاق الأمة . ما حاجتنا إلى ترجمة هذه الألوان الصارخة وهي لا تمثل مجتمعنا ولا ثقافتنا ولا قيمنا ولا أخلاقنا . إن غاية ما تعطينا هذه الترجمات أن تسم عقول أبنائنا وتحطم قلوب فتياتنا وتقيم حججاً ببننا ومن أيماننا الخالص بالله تبارك وتعالى وتحاول أن تلقى من نفوسنا تقبلاً للاباحية والشر والهدارة .

٢ - إن الدعوة إلى الترجمة إلى اللغة العربية اليوم تركز على ترجمة العلوم والمواد العلمية لتكوين رصيد من شأنه أن يبنى قاعدة أساسية للعلم والتكنولوجيا في إطار لغتنا العربية لتضاهي بمفهوم الإسلام في الحضارة والعالم وهو مفهوم يختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن مفهوم العلم في الغرب .

وقد جرى خلال العقود الأربعة الماضية ترجمة عدد كبير من المصطلحات الحديثة بالجامع اللغوية في مصر وسوريا والعراق ولكن الخطوة الأولى في كسر قيد الدراسات الأجنبية في الجامعات ما زالت لم تتحقق بعد ، بالرغم من التجربة الرائدة التي تحققت في جامعة دمشق بتدريس الطب باللغة العربية منذ خمسين عاماً .

أما ترجمة الأدب بمعناه الفني (القصص والمسرحيات والشعر) :

فذلك أمر نحن في غنى عنه ويمكن ما ترجم التغريبون والاستشراقيون والشيوعيون وأفسدوا به مفاهيم الأدب العربي الأصيلة . وهذه هي خطة النفوذ الأجنبي الحريص على حجب العلوم الحديثة عن الأمة الإسلامية ، والحيولة دون ولوج المسلمين ميدان العلم الحديث والتقنية لأنهم لا يريدون لهذه الأمة أن تمتلك إرادتها .

٢ - الأخلاق

رفض الغرب الأخلاق واعتبرها من التقاليد المتغيرة وليست من الأصول الثابتة وقد غاب عن العلم أن القيم والأخلاق وجهان متلازمان بالضرورة للبناء الحضارى لأن العلم بلا أخلاق تحريل لقدرة الإنسان نحو الشر والباطل والأخلاق بلا علم تحويل لقدرة الإنسان إلى سراب حضارى قائم على الفقر والمعجز وقد أخذ الغربيون علوم المسلمين وتركوا أخلاق الإسلام ومناهج الوجودية والفرويدية إلا محاولة لهدم الأخلاق :

مفهوم الفلسفة الأخلاقية الغربى المطروح الآن فى أفق الفكر الإسلامى مفهوم مادى مستمد من الفلسفة اليونانية الوثنية ولا يعبر عن أخلاق القرآن .

ولقد جرى وراء هذا المفهوم كثير من الباحثين المسلمين فى مرحلة الترجمة شأنهم فى ذلك شأن العلوم الأخرى ، ومن هؤلاء الذين أقاموا مذاهبهم فى الأخلاق على أساس من الفلسفة اليونانية : السكندى والفارابى وإخوان الصفا وابن مسكويه وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن عربى ، وأبرز أنطوائهم القول بأخلاق السعادة أو نظرية الوسط ويقول محمد إقبال: أن هذا الأساس الاجنبى هو الذى حجب أنظار المسلمين عن فهم القرآن ، ولذلك لم يبرز مفهوم القرآن للأخلاق فى هذه الدراسات ، ولما جاء الصوفية وعرضوا للأخلاق كان مفهومهم أيضاً غير كامل (المحاسبى والتسترى) وأن أفلت من التأثر بالفلسفة اليونانية غير أن روح الأخلاق الإسلامية لم تبرز فى منهجهم ، ويبدو أن تأثيرات رهبانية تسربت إلى مفاهيم الزهد والأخلاق وانضمت عندهما وكانت لها آثار ضارة تمثلت فى تشددهما البعيد الذى يتنافى مع يسر الإسلام واهتباره لطاقت الإنسان المحدودة ، ويقول الأستاذ أحمد عبد الرحيم إبراهيم :-

أن أبرز مؤلفات الغزالى فى علم الأخلاق كتاب (ميزان العمل) وأن أخطر مناقص الغزالى اعتماده على نظرية النفس لدى أفلاطون وتقسيماته

لقواها ، وللفضائل تبعاً لذلك ثم قبوله المطلق لنظرية ، الوسط الارسطية فكلام الغزالي حسب تعبير ابن تيمية برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة وبما يؤخذ على الغزالي التوفيق بين أفلاطون ونظرية النفس والفضائل وبين فضائل القرآن ، كذلك فقد خضع لنظرية أرسطو بالوسط الارسطى القائلة بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين وحاول أن يثبت ذلك بتأويل آيات القرآن وعلى الرغم من إدراك الغزالي للتعدد الواسع للفضائل الإسلامية وتجاوز عددها للتقسيم الرباعي الأفلاطوني الضيق فإنه تمسك بذلك التقسيم بشدة بل أن هناك من المستشرقين من يقول أن الغزالي تأثر بالنصرانية والآداب السلبية التي نادى بها الانجيل . ويقول محمد يوسف موسى أن الإمام الغزالي حاول أن يطبع ما أخذه من اليونان والمسيحية بطابع إسلامي صوفي ، وأن تلك المحاولة كان أقرب إلى روح الإسلام من إتجاه الفلاسفة العرب . وبالجمله فإن الفلسفة الاخلاقية اليونانية قد نقلت جاهزة إلى المحيط الثقافي الإسلامي العربي قبل تبلور علم أخلاقي إسلامي أصيل فجمدت أنظار المفكرين المسلمين وخاصة الفلاسفة إلى المضامين الاخلاقية للقرآن والسنة .

ولعل الدكتور محمد هبة الله دارز هو أول من أفصح عن مفهوم الإسلام الاخلاقي فقد طاف بالنظريات الغربية : الفلسفة والصوفية منذ اليونان واليهودية والمسيحية مقارنا بنظرية الاخلاق في القرآن وكانت جولاته من أكبر أسباب اقتناعه بأن نظريه الاخلاق في القرآن تفوق كل نظريه اخلاقية عند غيره . ومن كل هذه البحوث مجتمعة وذلك في قواعد أربع :

١ - الإلزام = الاخلاقي ، هو أصل كل مذهب أو نظرية في الاخلاق فلا مسئولية بلا إلزام ، وإذا عدت المسئولية فلا يمكن أن تسود العدالة وحينئذ تنفشي الفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية لا في مجال الواقع لحسب بل في مجال القانون أيضا .

٢ - المسئولية ، وتولدها من الإلزام فلا معنى للإلزام إلا أن الإنسان مكلف بأن يقوم بأشياء وأن يقدم حسابا عنها وهذا في حدود فكرة

المسئولية الإنسانية ، لا يسأل الإنسان عن عمل غيره ولا عما لا يعلم أنه مكلف به ، ولا عن أعماله غير الإرادية ولا عما أكره عليه .

٣ - الجواز : الرابطة بين الالتزام والمسئولية والجزاء ثلاث ميادين : أخلاق وقانوني وآلهي .

٤ - النية والدوافع : الإنسان مكلف وهو كائن ناقص ولكنه في الوقت نفسه قابل للسكال فلا بد من العمل وهو مشرل عن عمله ، ووجودنا صراع دائم ضد كل الشرور ، ولكن إلى جانب الجهد الطبيعي الذي تفرضه الغريزة جهداً آخر يقتضيه العقل من أجل مثل أهلى .

وهكذا يقيم الإسلام منهجه الاجتماعي على ، الالتزام الأخلاقى ، ويمنح البشر الحرية فى أن يختاروا بين السهر قدما فى طريق الأخلاق أو التراجع والنكوص ومهمة الأخلاق تضمن تأديب النفس وتعودها النظام والطاعة كما تضمن السيطرة على الشهوات وتنظيم الإرادة فى السعى وراء مثل أعلى وهذا يتطلب جهوداً متجددة يقوم بها الأفراد والجماعات داخل دائرة الأخلاق وأبرز ما يقرره الإسلام أن الأخلاق ثابتة وليست نسبية على نحو ما يقول الفسكر المادى الغربى ومعنى ثبات الأخلاق أن الصدق والشجاعة والشهامة والعفة هى فضائل دائمة خالدة لا يمكن أن يأتى اليوم الذى توصف فيه بأنها رذائل .

وقد اهتم الدكتور محمد عبد الله دراز فى منهج الأخلاق الإسلامية على القرآن وحده ، إذ ليست أخلاق الإسلام إلا أخلاق القرآن ولم يكن خلق النبى إلا القرآن ، أما ما عدا ذلك من عنعنات الجماعات الإسلامية وآراء الباحثين المسلمين فإنها تقاس بالقرآن وقد رد الدكتور دراز على أخطاء الأخلاقين الذين نسبوا إلى الإسلام ما ليس منه ، وعندنا أنه هو أول من حرر مفهوم الأخلاق فى الإسلام (ومع التحفظ على كتابات الامام الغزالى وابن مسكويه فى هذا الشأن) .

وقد أشار الدكتور دراز إلى أن كتابات الفلاسفة المسلمين قامت على تقسيم الفصيلة غالباً على وفق النموذج الأفلاطوني أو الأرسطي مثل تهذيب الأخلاق لابن مسكويه أو من جمع بين المنهجين مثل كتاب الذريعة للأصفهاني أو أحياء علوم الدين للغزالي .

وترتبط الأخلاق في الإسلام بالعقيدة ارتباطاً الجزئياً بالكل ، فالأخلاق ثابتة بثبات العقيدة وغير قابلة للتغير تبعاً لنزوات شخص أو إنحراف مجتمع أو مرور زمن ، مصدرها مصدر الدين ومنبعها منبعه وهو الله سبحانه وتعالى ولا بد لاستقرار المجتمع أن تكون الأخلاق ثابتة وأن يكون الفرد محملاً على التزامها من نفسه ومن قلبه والمحاولات لفصل الأخلاق عن الدين قديمة ، منذ حاول اليونان فصل الأخلاق عن الدين وربطها بالإنسان أو ربطها بالمصور والبيئات ومن هنا يحى خطأ القول بأن الإنسان سيد الأخلاق والمتحكم فيها والمكيف لها لتلائم مع ملذاته وشهواته وهذا هو إلتباع ماتهوى النفس أن يحل الإنسان لنفسه أتيان كل ما يحقق له اللذة : منحرقة أو مسرفة ، إيجابية أو سلبية ، لقد ربط الإسلام الأخلاق بالإنسان الفردي لا بالإنسانية ويمتاز الإنسان بخاصية أسمها الإنسانية تمتاز بالضبط والارادة وحرية الاختيار بين الدوافع وعدم الخضوع المطلق لدفعة الغريزة فالحیوان في الواقع لا يملك معايير ثابتة ولا مقياساً للأخلاق . هذه العملية « الضبط » هي الإنسانية .

٢ — وبالجملۃ فإن القرآن صحيح الحكمة القديم وأكمل ما فيها من نقص ونزع من الشرائع السابقة ما فيها من تطرف في ظاهر الأمر ، إفراطاً أو تفريطاً وخلق التعادل في ميزانها ودفعها جميعاً في جانب واحد .

٣ — النفس

إن محاولة بناء علم نفس إسلامي هي إحدى المنجزات التي عملت حركة اليقظة الإسلامية على القيام بها وقد شارك فيها كثير من الباحثين وفي مقدمتهم محمد قطب الذي كان أول من ألف كتاباً في نقد فرويد ومفاهيمه فيما نعلم ثم توالى الأبحاث وفي السنوات الأخيرة ويولي الدكتور حسن الشرفاوي جهداً وافراً في هذا المجال:

يقول : إن دراسة النفس تكليف قرآني ، إذا كان القرآن دعوة صريحة لأهل السكون فإنه بنفس القدر دعوة مباشرة لتأمل النفس .

(أو لم يتفكروا في أنفسهم) .

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) .

(وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

وهذا تكليف مباشر في القرآن والهدف من دراسة النفس : التعرف على آيات الله في خلق الإنسان ، كما أن هدف دراسة العلوم الطبيعية التعرف على آيات الله في خلق السكون وآيات الله وهي علامات قدرته في خلقه وبهذا يصبح العلم كله مستسلماً لله تبارك وتعالى . وقد عبر الحق تبارك وتعالى عن علامات قدرته في خلق السكون والإنسان بأنها آيات ، آيات الله متلوة في القرآن ومجلوة في مخلوقاته) هذا الرباط الوثيق بين آيات الله في القرآن وآياته في السكون . أما هدف العلم عامة ومنه علم النفس أن يكون وجهاً من وجوه المجاز القرآن ، بالإضافة إلى آيات القرآن في مجال الفلك والفيزياء والإحصاء وإذا كان القرآن بإعجازه اللغوي يتحدى العرب فإنه يتحدى العالم بالعلم ، وحين يصبح العلم سبيل الإنسان للتعرف على آيات الله في مخلوقاته فإنه من خلال العلم ذاته تكتشف حدوده التي لا يتعداها مهما أحرز من تقدم وهذه الحدود تتمثل في تهديدين : تهدي المخلوق وتهدي الغيب — سأعطيتم العلم وأريكم آياتي في الآفاق ولكنكم لن تخلقوا ذباباً ولو اجتمع كل علماء الأرض في كل العصور ، وتهدي الغيب : إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام .

ويرى الدكتور حسن الشرقاوى إن محاولة بناء علم نفس إسلامى فى إطار المصطلح والمصطلحات الصوفية وحدها لا يمكن ، ذلك أن التصوف فى جوهره نزعة روحية تسعى للوصول إلى الله ، وفى سبيل ذلك اهتم المتصوفة المسلمون بتحليل النفس البشرية تحليلاً عميقاً ، وشرحوا آداب المريد فى علاقته بالشيخ وما يجب أن يتحلى به من الخصال السامية ، كالصدق والإخلاص والقناعة والزهد ، ورسموا لهذا المريد وسائل النجاة (مثل التوبة والندم والتقوى والورع والصمت والتأمل والمخافة والاعتكاف) .

والواقع أن الاتجاه الصوفي فى الإسلام كنزعة روحية متطرفة قد لا تتفق خاصية التوازن فيه والتي تشمل جميع جوانبه سواء فى الاعتقاد والتصوير أو العبادة والتسك أو الأخلاق والآداب والتشريع والنظام . توازن الإسلام بين الروحية والمادية وبين مطالب الدنيا والآخرة وقد كتب فى ذلك السكندى والفارابى وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، وكان ابن سينا أكثر هؤلاء اهتماماً بالمسائل التى تعد نفسية بالمعنى الحديث ، ولذلك نجد أحد رواد الجيل الثانى فى علم النفس فى مصر وهو الدكتور محمد عثمان نجاتى يهتم بمسألة الإدراك الحسى عند ابن سينا من منظور سيكولوجى معاصر ، كما يهتم الالهوائى ببعض المسائل النفسية عند ابن سينا خاصة فكرة الشعور وموضوع الصلة بين النفس والبدن والمسألة الأخيرة اهتم بها الفارابى قبل ابن سينا ، وهناك رسالة حى بن يقظان وقد اهتم بها الدكتور عبد الحميد الهاشمى .

والمدينة الفاطمية للفارابى (وعندنا أن هذا التراث كله فى تقدير ميزان الإسلام خليط بين الفكر اليونانى والفكر الإسلامى فهو ليس متحرراً بما فيه الكفاية) وهناك إغاثة اللمغان من مصائد الشيطان لابن القيم فى إطار علم النفس المرضى والأكليسى . والمقاييسات فى ضوء علم النفس التجريبي ، هذا التراث الفلسفى — من هؤلاء الفلاسفة قد تأثر بأرسطو وغيره من فلاسفة اليونان لذلك قد نجد فيما يكتبون أثرأ لما يمكن أن يسمى علم نفس يونانى يتصل بنظرة فلاسفة اليونان هؤلاء إلى الإنسان والكون والتي لا تمت بصلة إلى التصور الإسلامى .

وقد يصدق ما قلنا هنا على الاتجاه الصوفي أيضاً خاصة إذا علمنا أنه توجد مؤثرات خارجية عديدة أثرت في التصوف الاسلامي مثل الرهبانية المسيحية والرهبانية الهندية والمناوية الفارسية (وكلها تختلف عن خصائص التصوف الاسلامي للكون والانسان) ومن ذلك ما كتبه محمد خاف الله أحمد في محاولته السيكولوجية لكتاب الاذكياء لابن الجوزي ، وهناك دراسة جديدة لكتاب تعليم المتعلم طريقة التعلم لبرهان الدين الزرنوحي وقد استفاد منها في مفاهيم سيكولوجية التعليم الحديثة .

والأزمة الحديثة التي يواجهها علم النفس الحديث في ضوء التشخيص الاسلامي هي أزمة المعرفة كلها في حضارة الغرب والتي يمكن أن نلخصها في عدم التوازن المعرفي فالتقدم والانجاز يعودان الترشيدي حتى صار التحلل سمة العصر سواء من الوجهة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية وأكبر الخطر في الفكر المعاصر : صراع العلم والدين وتقدم التكنولوجيا ونحلف الايدلوجيا .

وفي الاسلام كلمة العبادة التي من أجلها خلق الانسان في هذه الحياة هي السير في الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق خلافة عن الله في الأرض ، ومن لوازم هذا بعد الايمان بالله الضرب في الأرض والتعاون مع الغير وإداء الواجب والمحافظة على حقوق الآخرين ومن مهمة العلم الذي هو عبادة — الكشف عن سنن الله ، ويؤدي بالباحث إلى التعرف على آيات الله في الكون والانسان . فسيبيل العلم الكشف عن سنن الله في مخلوقاته ، وسنة الله هي ما جرى به نظامه في خلقه ، وسمى العلوم من أجل ذلك علم الكشف عن سنن الله في الكون وفي علم النفس يكون هدفنا الكشف عن سنن الله في سلوك الانسان .

٤ - الآثار والعمارة

ما يزال ميدان الآثار والعمارة الإسلامية مجال بحث واسع من حيث أن علم الآثار قد اتخذ النفوذ الأجنبي وسيلة لاجراء النزعات القديمة التي كانت سائدة قبل الاسلام وإن كثيراً من الأبحاث التي جرت اعتمدت على التوراة المكتوبة بالام الاحبار والتي تهدف إلى غايات واضحة والتي لم تقدم التاريخ الصحيح للبشرية ، إنما جاء الاسلام مصححاً لهذه التعديلات ثم جاءت الحفريات مؤيدة القرآن وفي مقدمة ذلك ما جرى أخيراً من ثبوت القرآن في أمور تاريخية كثيرة منها مسألة غرق فرعون وغيره من الاخبار .

ولقد كشف كهف قرآن فيما أطلق عليه مخطوطات البحر الميت حقائق كثيرة تؤكد ما جاء في القرآن عن نبي الله عيسى ورسائله وتناقض ما جاء في كثير من الكتب القديمة في هذا الشأن .

ولقد ادعى بعض الباحثين أن حادث الطوفان ليس سوى أسطورة خرافية غير أن اللوحات الفخارية التي أكتشف في جنوب العراق أكدت حادث الطوفان فإن السير ليونارد وولي وبمشتته الأثرية عام ١٩٢٩ أكتشفت ببراهن قاطعة لا يقبل الجدل أن طوفاناً حدث في جنوب العراق حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ولم يكن الطوفان عاماً كما تخيله كتاب التوراة ولم يقض على البشر كلهم بل أصاب منطقة معينة هي بلاد قوم نوح الذين أرسل الطوفان عقاباً لهم وليكونوا آية للناس (سورة الاعراف) وقد أشار القرآن إلى أن قوم عاد جاءوا بعد قوم نوح وأن بلدم كانت في نفس موقع بلده (وإذ جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح الاعراف) .

وأشارت البعثات الأثرية في العشرينات من القرن إلى أن مدينة (أور) وكانت تحريفاً للإسم الحقيقي (إرم) عاشت زمنين فصل بينهما الطوفان وكانت في أيامها الأخيرة مزدهرة ازدهاراً لم يشهد له مثيل في عصرنا إذا أصبحت عاصمة دولة السومريين القوية البأس التي سيطرت على معظم بلاد ما بين النهرين ، واكتشفت في بقايا المدينة وثائق وكتابات متعددة منقوشة بالسورية على ألواح فخارية (ألم تركيف فعل ربك بعاد ، إرم ذلك العباد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد) وفي سورة أخرى يوضح الحق جلاله ماذا فعل بها (فأما عاد فاستكبروا في الأرض

بغير الحق وقالوا من أشد مناصرة) فصلت - (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (والذاريات) إنما أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر (القمر) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عانية (الحاقة) وقد ظلت اللوحات الشعرية مدفونة في آثار المدينة خمسة آلاف عام أو يزيد ولم تظهر إلا في بداية هذا القرن وبما أظهرته البعثات والنصوص المكتشفة من عظمه مدينة (إرم) وطغيان أهلها في الأرض لا يترك مجالاً للشك إنها هي المقصودة بآيات الله المبينات . إن أهل نوح عاشوا في تلك البقعة إلى أن أهلكهم الطوفان وبعد زوال آثار الطوفان قامت في الموقع نفسه سطوة أهل عاد إلى أن استحققت غضب الله فأهلكها .

وهكذا أيدت الكشوف الأثرية ما جاء بالقرآن ، يقول الأستاذ لوى عجان : كان علماء أوربا الذين دونوا تاريخ الشرق القديم قبل إنتشار البعثات الأثرية وتحليل نتائجها العلمية كانوا غالباً يستندون إلى نصوص التوراة ، بالرغم مما في هذه النصوص من تناقضات واضحة وقد بانث هذه التناقضات بعد ظهور المكتشفات الأثرية في مناطق كثيرة من البلاد السورية وما بين النهرين . وقد لمّضح أن هناك هوة واسعة بين الحقيقة التاريخية وبين ما تخيله الذين عملوا في نقل التوراة وتخوير نصوصها لغايات سياسية ، وكان القصد الرئيسي منها الحط من مكانة الشعوب المعادية لبنى إسرائيل وتزوير الأحداث لصالح الشعب الاسرائيلي وهم لم يأنفوا من السطو بشكل واسع على نصوص عديدة من أساطير العراق القديم ورأس شمر وغيرها ثم ضمها إلى كتابهم المقدس على أنها من صلب تاريخهم .

وهذا بالنسبة للآثار أما بالنسبة للعمارة الإسلامية فقد حاول النفوذ الأجنبي فرض نموذجه الأجنبي على المباني في العالم الإسلامي كمحاوله لتغريب المجتمع الإسلامي وقد تصدى لذلك كثير من دعاة الاصاله في مقدمتهم المهندس حسين فتحي الذي يقول : إن هناك خلط بين العمارة العربية والعمارة الإسلامية وإن الإسلام نبع في البلاد العربية وهي ذات مناخ خاص حار جاف ، أنتجت عمارة خاصة بها كما أرادا في عمارات نجد ، هذه العمارات تختلف عن العمارة الإسلامية التي نبعث في إيران وسوريا ومصر وبلاد المغرب ، قبل عهد التصنيع وقبل الاغتراب والتفرج ، إن عمارة كل من هذه البلاد كان لها طابعها الخاص ولكنها تشترك في الروح الإسلامية المتميزة عن العمارة الأخرى اليهودية أو المسيحية والصفة الإسلامية تعود

إلى عدة عوامل سيكولوجية وطبيعية واجتماعياً ، إذ أن معظم البلاد الإسلامية تقع بين خطى ١٠ / ٣٥ شمالاً وهم متشابهة في الجو والبيئة مما نتج عنه أن أصبحت تفاعلات الرجل المسلم متشابهة أيضاً فيما يتعلق بالمقيدة وفيما يتعلق بالتأثر بالبيئة ومع وجود الاختلافات بالطبع في بعض النواحي غير الأساسية ، لهذا تحمل العمارة الإسلامية وحدة ملامح الإسلام مع التنوع كما يحمل الرجل الهندي ملامح للعنصر والجنس الهندي بصفة عامة .

وقد أشار أحد الباحثين في ندوة المدينة العربية الذي عقد بالمدينة المنورة (مارس ١٩٨١) إلى أن أهم عقبة تواجه مدنتنا الآن هي تخلفها عن طابعها العربي الذي يعتبر أساساً لبيتنا وتقاليدنا الإسلامية ، من حيث الحفاظ على الخصائص الأصلية للمدينة العربية ، والحفاظ على الخصائص العمرانية الأصلية لمدنتنا الذائخة بالمعالم الحضارية والثقافة .

وأشار الباحث إلى كيف توقف اليوم التطور في فن العمارة والتخطيط العمراني الإسلامي اليوم أمام استيراد الأنظمة العمرانية الغربية عن بيتنا ومطالبتنا الحياتية ، والمطلوب هو خلق جو مناسب لتقوية القيم والثقافة الإسلامية في المجتمع ، والاختذ بمنهج شامل لحماية الشخصية الإسلامية من الضياع ، من أهم مقومات شخصيتنا الإسلامية : الاهتمام بالحضارة الإسلامية الرائعة في فن المعمار وتخطيط المدن .

وأشار كيف استعدي الاستعمار على المدن العربية وفرض أنظمة غريبة عليها في شؤون السياسة والاقتصاد وفي حياة المجتمع ، كما شجع على الاحباط من الاسهام الحضاري للمدينة العربية مما أدى في فترة ما بين الحربين إلى انتقال كثير من العائلات إلى أطراف المدن حيث الفيلات والمباني ذات الشكل الأوروبي والطرز المعمارية التي لا تنبع من واقع البيئة العربية الأصلية .

ولما كان من الضروري تحديد خصائص المدينة العربية (أى الإسلامية) والحفاظ على تراثها الحضاري ، والعودة إلى التراث واستخدام الطابع المعماري الإسلامي في مدنتنا العربية وتعديل الفكرة السائدة عن الطابع المعماري الإسلامية

في أنه عبارة عن أشكال هندسية ونماذج زخرفية فقط بينما هو في الواقع تراث ضخم وتناج العصور متوالية وقيم إسلامية أصيلة ، يكون انعكاساً واضحاً للمناخ والموارد التي تنتجها بيئتنا . ويكون في نفس الوقت نابهاً من عقيدتنا السمحاء وهادئاً وتقاليدينا العربية الأصيلة ، ولذلك فإنه يجب على المخططين والمهندسين في البلاد الإسلامية والعربية مراعاة قيمنا الإسلامية وتراثنا الحضاري عن تصميم المدن والمساكن من مثل : منع كشف الجار ، وبناء الحارات المتجمعة التي تضم كل منها مجموعة متقاربة من البيوت التي تنفتح على فناء داخلي وتربطها فيما بينها شوارع ضيقة مما تؤدي إلى ترابط أسر الحي والجماعة في المناخ فضلاً عن أن هذا النسق يمكنهم من الاستفادة بالشمس طوال اليوم ويمكن للأطفال من اللعب بسهولة دون التعرض لأخطار السيارات.

٥ - الفن

يختلف الفن في المفهوم الإسلامي اختلاف العصور الإسلامي عن التصور الغربي للحياة حيث يبدأ التصور الإسلامي من الله تبارك وتعالى إلى الوجود في كل صورة وكائناته ، تصور فيه حب الله تبارك وتعالى صاحب الفضل على الخلق والرزق : هذا الحب القائم على مخافة الله تبارك وتعالى وتقواه ومراقبته . بينما يقوم التصور الغربي على الموروث الأغريقي الذي يصور الآلهة في صراع من البشر أو صراع فيما بينها والإنسان في صراع مع السكون جماده ونباته وحيوانه بينما تقوم صلة المسلم بالكائنات على المودة والقربى والتعاطف والتعاون وفق سنن الله تبارك وتعالى فالإنسان في مفهوم الإسلام قبضة من الطين ونفحة من روح الله فلا هو بالحيوان الصرف كما ترى الدارونية ولا يمكن أن يكون ملاكاً كما تسعى إلى ذلك الهندوكية والبوذية بالرهابية وتقدير الإسلام أهمية التوازن في كيان الإنسان ، مع الاعتراف بتكوين الإنسان لمزدوج يسمى الإسلام لترقيته بالتهذيب وطاب العمل المستطاع وقبول الذوبة الصادقة فيه .

والإنسان - كما يقول الأستاذ قطب - قد يهبط حيناً ويرتفع حيناً ولكنه ليس هابطاً دائماً وليس كل الناس من الهابطين في كل زمان ومكان كما تزعم الواقعية الغربية فهناك أبطال وأنبياء وعلماء ومصلحون وشهداء إلى جانب الآخرين .

(ومن هنا يتبين خطأ (الواقعية الغربية) القائمة على مفهوم دارون الحيواني ومفهوم ماركس المادى) ومن هنا يبدو خطأ التسليم بما هو كائن ، فإن فطرة الإنسان سليمة ويمكن أن تنطلق إلى الخير ، أما الواقعية فهي تلج على الجانب المظلم ولا تصور الواقع بجانبيه .

فليس الجنس هو كل شيء في الحياة وليس الحب هو الجنس وحده ، وليس القدر هو الثوب الفاجع وحده ، ولكنه أيضاً العطاء وإكرام الإنسان ، وقد عاجلته الفنون البشرية منذ القدم في ثوبه الفاجع العنيف ولا سيما الأدب اليونانى .

والجمال عنصر من عناصر الكون التى تدفع إلى الإيمان بعظمة الله تبارك وتعالى وليس الجمال الجسدى وحده .

والفن الإسلامى يعنى بحقيقة الشمول والتكامل فى النفس البشرية فلا يجب أن نعرض الجانب المادى من الإنسان وحده ، بمعزل عن الجانب الروحى ولا يجب أن نعرض الصراعات الاقتصادية والطبيعية كأنها الحقيقة الكاملة للحياة البشرية وتغفل بجانبها القيم المعنوية والروحية والأشواق الإنسانية العليا لأن ذلك يتر للحقيقة البشرية وتشويه لصورتها .

وقد فهم الفن الإسلامى على حقيقة كثير من الباحثين الغربيين ومن هؤلاء بوركارت فى كتابه الفن الإسلامى حيث يرى أن وحدة الفن الإسلامى هى السمة العجيبة التى تميزه عن بقية الفنون العالمية وهى نابعة من روح الدين الإسلامى : دين الوحدةانية والتوحيد الآلهى وقد كان تحطيم الأصنام عند فتح مكة هو أمثلة الوحدةانية ، أى الوعى بأن لا إله إلا الله ، وهكذا أصبح تحريم المنور دعامة من دعائم الاسلام .

ويقول بوركات ، أن التجريد ، هو سمة أساسية في الفن الإسلامي ، والتجريد الإسلامي يختلف عن التجريد في الفن الأوروبي الحديث الذي أراد تجريد الإنسان من قوالب الحياة الآلية الجامدة ، فانطلق إلى آفاق اللامعقول . فالتجريد في الفن الإسلامي يختلف عن إسفاف اللامعقول من حيث أنه رؤية روحية للأشياء .

(٢)

وقد كتب عن الفن الإسلامي كثيرون ولكن من خير ما كتب هذا البحث المركز :

١ - يعبر الفن الإسلامي عن التماسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية ، وحين يمجّد بطولة الإنسان وإيجابيته إزاء الأحداث وقدرته على تشكيل مصيره (وهذا هو خير ما في الرومانتيكية الحديثة) .

٢ - يعبر عن أعماق الإنسان الإيماني وتجاربه الشعورية الضخمة التي تنبثق من الإيمان بالله والحب العظيم الذي يتفجر عن هذا الإيمان لكل الناس وكل الأشياء (وهذا خبر ما يوجد في مذهب الرومانسية) .

٣ - أنه واقعي حين يعلن ثورته الجذرية على كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم وعلى كل الطواغيت التي لاتقرها وحدانية الله ويأبأها التحرر الوجداني للإنسان المسلم وهو واقعي حين يصرخ في وجوه القوى الملهمة التي تعذب الأنسا بالظلم الاجتماعي وبالنافض الطبيعي .

٥ - لا حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد (سارتر) ولا تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهي دائماً بالضياح ولا تجد لحظات الضعف البشري وقوم على إطفاء العرائز لا إقادها ، والاستغفار عن الخطأ والعزم على عدم العودة والمحبة الواسعة لكل خلق الله .

٦ - الأطار الفني يجب ألا يكون مخالفاً للمطره ولا لما حرم الله .

- ٧ — الإيمان بخالق الكون وراهب الحياة وإسلام النفس له وتقبل قدره وعدم الخضوع أو الذل للبشر ورد كل شيء إليه .
- ٨ — السعى في الأرض والإيمان بأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن لا نذر وازرة وذر أخرى .
- ٩ — الالتزام الأخلاقي وتقديم الأخلاقى على الجمالى .
- ١٠ — التكامل بين مظاهر الحياة لا التناقض ، والحوار لا الصراع ، بين الأجيال .
- ١١ — مفهوم التقدم الجامع بين المعنوى والمادى وعدم تصحبة المعنوى من أجل المادى .
- ١٢ — الالتزام الاخلاقى والمسئولية الفردية والجزاء الاخرى .
- ١٣ — التعبير عن الله تبارك وتعالى بالمعظم الخالق ، الذى يهر بالزهرة الجميلة الموتقة فى ألوانها ورسمها وعطرها ، وعن جمال السماء والسحب والاصباح والامساء والمطر من خلال النظرة الشاملة للكون والحياة والإنسان .

أخطاء الفن الغربى

فإذا ما راجعنا مفاهيم الفن الغربى وجدنا هناك مجموعة من الأخطاء أهمها . —

- ١ — العجز عن الارتباط بين السماء والأرض وإنكار إرادة الله فهى تعرض الإنسان فى صورة مشوهة مبتورة إذ تعرضه من جانبه الأرضى وحده ومن جانب الضرورات القاهرة ، والواقع المادى الغريب المحسوس ولا تعرضه من جانبه الروحى والعالى .

وهذه واقعية زائفة لأنها تسكر الأقدار واقفظة: هذا الواقع بكل ما يشتمل عليه من سنن حتمية هو جزء من إرادة الله الحرة الطليقة التي تملك تغيير هذا الواقع . ذلك أن الواقع في بيئته خاصة لا يعتبر الواقع الأبدى ، وإنما هو مرحلة من مراحل البشرية في طريقها الصاعد وهناك مرحلة صاعدة ومرحلة متكسرة ولكن الطريق صاعد أبداً والإسلام حذاء إلى الصعود . والفن الإسلامي أحد الموجهات القوية للنهوض والحركة والصمود - والخطأ في الفن الغربي هو أن يحل لحظة الضعف تشغل مساحة اللوحة الفنية كلها وتجب بقية اللحظات فذلك بجافة للواقع فإن الإسلام يعطف على لحظة الضعف البشري ولكنه لا يجعل منها بطولة تستحق الإشارة والإعجاب . الإسلام قائم على التكامل في كل المناهج .
(محمد قطب)

٦- المسرح

هناك حقائق إسلامية أساسية في مواجهة مؤسسة المسرح :
أولاً : أن يكون الفن في خدمة الإسلام وفي خدمة قيم هذا المجتمع .
ثانياً : الالتزام الحلقى للفن . وهو الالتزام لا يقيد به بل يضعن سموه وخلوده واستمراره ويقصد بأ-لافية الفن أن تنزع إلى ترقية الآذواق وتهذيب السرك وتوسيع الأفق .

ثالثاً : إن الإسلام لا يقر مفهوم الدراما ولا المأساة .
والمقصود بالدراما إن الإنسان يعبر عن إنفمال أو مأساة أو ما شابه ذلك لأن المسلم يؤمن بالإرادة الالهية ويقر بأمر الله ويقرر دكتور مناف منصور: أن إنعدام المأساة الاغريقية في آدابنا العربية يرجع إلى واقع المواقف العربية (أى الإسلامية) من الموت . إن المسلم لا يعتبر الموت نهاية نهائية للحياة فقد كان الموت في مفهوم العرب والمسلم طريقاً إلى حياة ثانية وإلى نشور وإلى بعث آخرين ، ولم يكن منفذاً إلى طريق مسدود . وهكذا كان الموت مثل الولادة مرحلة أخرى في قاموس

الحياة ، فالعرق لا يدرك طعم الفاجعة لأنه في أحلك لحظاته يدرك أن الفرج والامل لابد أن يحل محل واقعه السكيب (الفرج بعد الشدة) ومن هنا لم يستطع الموت أن يوحى بالصراع الضروري ، وبالتوتر الحاد بين الحياة والموت اللذين نجدهما في المأساة ، ففي مفهوم الفسك الاسلامي أن هناك إيمان بالموت وبحشر الأجساد بالذات بعد الموت .

فعند كتاب المأساة : إن الانسان وحده يتحمل مسؤولية ما يقرره هو نفسه أما المسلم فإنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالله . وليس لعبد الله إلا أن يتقبل إرادة الله التي ليس لها رد (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، وهذا يعني إن المسلم رغم تأكيده شخصيته وذاته في الوجود لا يملك إلا أن يحقق ما تمليه إرادة الله تعالى وله في هذا التحقق ثمة عزاء وأنس فليس قبول المسلم بالمصيبة بمحمد لإرادته هو ما يقدر ما يعبر عن تأكيده خضوع المسلمين لإرادة الله وهنا تفقد المصيبة طعمها الدرامي القائم بحيث يتجمد الصراع بين الذات والقدر أو بين الارادة والواقع .

رابعاً : لا يقر الاسلام كشف الأجسام والعورات ، ولا يقر الحوار النازل الذي لا يعترف بالاصول القائمة بين الآباء والابناء والازواج والزوجات والذي يصور اللقاء المحرم على أنه شيء طبيعي مشروع ، ولا يقر تصوير عالم الدين في وضع منفرد مختصر . أو إراز حرية المرأة على نحو لا يقره الاسلام لها أو عرض الرزيلة بصورة واسعة في سبيل خداع المشاهد بمجلة إعتراض في النهاية بعد أن قدم كل التفاصيل المغرية لقبول الجريمة واستيعابها .

خامساً : إن إشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المسرحي يشتمل على منكرات محرمة منها ظهورها متبرجة ككشفة ما لا يحل كشفه من أعضاءها كالرأس والحنجر وأعلى الصدر والذراعين والعضدين ومنها الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال ليست من لوازم العمل الفني ولكنها مقحمة عليه لاشاعة الرزيلة كالمعانقة والمخالصة والملامسة بغير حائل ومنها غير ذلك من المنكرات التي نشتمل عليها بعض القصص

كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام والمحبة بما فيها من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها مدخل إلى المحرم ذاته .

(٢)

يقول دكتور عبد الحميد محمد إبراهيم : إن فكرة الدراما قد ارتبطت بمفهوم القضاء والقدر منذ البدايات الأولى للنشاطات المسرحية ومفهوم القضاء والقدر يختلف من عقيدة إلى أخرى ومن مبدأ إلى آخر حسب التصور الذي ينبني على المبدأ ففكرة القضاء والقدر هي عنصر من عناصر الدين الذي أنزله الله تبارك وتعالى لهداية الانسان ، والدراما أو المسرح هي وسيلة من وسائل إشباع غريزة التدين التي فطر عليها الانسان ، ولكن لأن تصور الاغريق للمبدأ والعقيدة قام على أساس غير سليم من خلال تصورات بشرية ، فقد جاء مفهوم القضاء والقدر عندهم على أنه [الصراع بين الالهة والبشر] وهذا المفهوم كان يشكل جوهر التراث الاغريقي والمسيحي بأكمله .

وهو يتعارض مع مفهوم الإسلام كفكرة القضاء والقدر فإن الإسلام يرفض هذا التراث المسرحي جملة وتفصيلاً .

وقد استخدم المسرح الدرامي نظرية (الاندماج) مع البطل حتى لحظة التطهير من الانفعالات الضارة ، وقد استغل المبدأ الرأسمالي نظرية الاندماج هذه لما لها من مقدرة فائقة على تمويه الواقع والسيطرة على مشاعر المتفرجين وتقبيح الحسن وتحسين القبيح ، الأمر الذي جعل من المسرح تحت النظام الرأسمالي سلعة كباقي السلع الاستهلاكية .

هذه النتيجة وصل إليها المسرح في ظل النظام الرأسمالي وهي تعتبر نتيجة حتمية إذا ما نظرنا إلى التصور الكامل لمبدأ النظام الرأسمالي الذي بنى عقيدته على فكرة (الحل الوسط) وفصل الدين عن السياسة ، ولما كان هذا المبدأ يتعارض مع مبدأ الإسلام فإننا نرفض رفضاً تاماً التراث المسرحي الذي جاء معبراً عن الافكار الرأسمالية .

٢ — ومن ناحية أخرى فإن المبدأ الاشتراكي أو الشيوعي مبدأ يقوم على الإلحاد الكامل الذي لا يعترف إلا بالمادى وبالتالي فإنه يرفض مفهوم القضاء والقدر بالتصور الذي وضعه الأغريق والنظام الرأسمالى وحتمًا بالتصور الذى بالتصور الذى وضعه الأغريق والنظام الرأسمالى وحتمًا بالتصور الذى وضعه الاسلام . فقد صور المسرح الاشتراكي الانسان على أنه هو الاول والآخر فى الكون فالانسان هو الذى يصنع أقداره وهو الذى يحدد مصيره داعياً إلى تغيير المجتمع حتى يتغير الكون والانسان وقد إستخدم المسرح الاشتراكي نظرية (الاغراب) لتحقيق هذا التغيير المطلوب ونظرية الاغراب تعنى بأن تجمل من الواقع الذى يراد تغييره شيئاً غريباً حتى يثور الإنسان ضده وحتى تؤدي هذه الثورة إلى التعبير المطلوب إنطاقاً من النظرة التى تقول : إن الإنسان يثور على كل شيء غريب عليه .

٣ — والإسلام يرفض هذا المسرح الذى يتناقض تعاليمه تناقضاً تاماً ، لأنه يقوم على المبدأ الاشتراكي الملحد إذ تحول مفهوم القضاء والقدر فى المسرح الاشتراكي إلى مفهوم الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان متأثراً بالنظرية الماركسية حول استغلال النظام الرأسمالى للشعوب الفقيرة والطبقة العاملة .

ويرى الاسناد الطاهر حسن دفع الله : إن ما نقده المسارح فى البلاد العربية إما إنعكاساً للمسرح الاشتراكي (برشت) أو المسرح الرأسمالى (شكبير أو برناردشو) وغيرهما من كتاب النظام الرأسمالى ، وحتى المسرحيات العربية التى يكتبها كتاب عرب نجدها مستمدة من أفكار الرأسمالية أو الشيوعية .

أما بالنسبة للمسرح الإسلامى ، فإن الإسلام دين التوحيد الخالص الذى يرفض كل إشارة تدل على التقيص من ذلك الأصل الحاسم فهو لاسمح بالتأثر أو التأسى بانقص أو الخرافات أو الأساطير الجاهلية .

ولما كانت فكرة الدراسة أو المشرح مرتبطة بمفهوم القضاء والشرع
نشأتها الأولى ولما كان مفهوم القضاء والقدر في ظل النظامين إرأسالي
والشيعي هو الصراع بين الإنسان والإنسان فإن ذلك معارض لمفهوم
الإسلام .

ومفهوم القضاء والقدر في الإسلام يحدد أن الإسلام يعيش في دائرتين :
أحدهما تسيطر عليه والآخرى يسيطر عليها ، أما الدائرة التي تسيطر
عليه فإنه يقع في نطاقها وتقع ضمن هذه الدائرة الأفعال التي لا تدخل له
بها سواء وقعت منه أو عليه ، والأفعال التي تقع في هذه الدائرة والتي
لأشأن له بوجودها قسمان :

١ - قسم يقتضيه نظام الوجود ولذلك فهو يخضع له ويسير سيرا
جبرياً لأنه يسير مع الكون والحياة طبقاً لنظام مخصوص لا يتخلف
ولذلك تقع الأعمال في هذه الدائرة على غير ما أراد الإنسان وهو
فيها مسير وليس بمخير .

٢ - وقسم لا يقتضيه نظام الوجود ، تقع فيه الأفعال التي ليست في
مقدور الإنسان ولا قبل له بدفعها ، وهذه هي الأفعال التي تحصل .
الإنسان أو عليه جبراً عنه ولا يملك دفعها مطلقاً .

فهذه الأفعال كلها والتي تحصل في الدائرة التي تد
التي تسمى (قضاء) لأن الله تبارك وتعالى و-
لا يمارس العبد هذه الأفعال مهما كان
أو كراهية حسب تفسير الإنسان
يعلم الخير والشر في هذه
عنها ولا عن كنه
الإنسان أن

فيها للتمرد والعصيان للذات. ثانياً الصراع بين قضاء الله وقدره ، وبين إرادة الإنسان الأمر الذي توهمته المبادئ الملهدة ، وقامت على جوهره فكرة الصراع الدرامي التي تشكل المضمون المسرحي على غرار ما كان سائداً في عصر الاغريق: عصر النشاطات الأولى للمسرح الإنساني .

أما الدائرة التي يسيطر عليها الإنسان فهي الدائرة التي يسير فيها مختاراً بفعل مختاراً ويمتنع عن الفعل مختاراً ، ولذلك فهو يسأل عن الأفعال التي يقوم بها ضمن هذه الدائرة . وإن كانت خاصيات الأشياء وخاصيات الغرائز والحاجات العضوية التي قدرها الله تعالى فيها وجعلها لازمة لها ، هي التي كان لها الأثر في نتيجة الفعل ولكن هذه الخاصيات لا تحدث هي عملاً ، بل الإنسان حين يستعملها هو الذي يحدث العمل بها . وعلى هذا الأساس يحاسب على هذه الأفعال التي تقع في الدائرة التي يسيطر عليها فيثاب ويعاقب عليها لأنه قام بها مختاراً دون أن يكون إجباراً .

هنا فقط يمكن عنصر الصراع الدرامي للعمل المسرحي في الإسلام ، لأن العلاقة في هذا الدين بين الإنسان وربه ، هي علاقة إستسلام لأجبال فيها للتمرد على النظام الذي فرضه الله تعالى ، وإن العلاقة بين الإنسان والإنسان هي علاقة سلام ، قائمة على المودة والمحبة والتآخي المبني على المفهوم الكامل لمضمون الإسلام ، ولكن العلاقة بين الإنسان ونفسه الأماره بالسوء والمدعومه بإغواء الشيطان هي المجال الوحيد الذي يمكن أن يقوم على جذرائه دراما إسلامية أو مسرح ديني إسلامي يدعو إلى الفصيلة ويقبح الرزيلة .

كما تبين طبيعة الصراع بين المادة والروح وبين الإنسان والشيطان .

فإذا أردنا أن نكون لنا مسرح إسلامي متميز ، له شكله الخاص ومفهومه المتفرد المستمد من تعاليم الإسلام ، فعلينا أن نركز مجهوداتنا في مجال الصراع بين الإنسان والتمسك البشرية (لا يبرازه في صورة مقنعة تستمد شرعيتها من نظام الإسلام كحقائقه .

ومن الضروري تغيير جميع المصطلحات الفنية والمسرحية المتعارضة في وضوح كامل مع الاسلام ، والانيان بمصطلحات مسرحية جديدة تواكب التطور الحضارى ولا تخرج عن روح الإسلام .

والكاتب المسرحى يجب أن يكون فنانا مستسلماً لله تعالى ولا يؤمن بما يطلقه بعضهم على الفنانين من صفات يختص بها الآله مثل الفنان المبدع والفنان الخلاق بل يجب عليه فقط أن يؤمن بأن القوة الوحيدة التى تخلق من العدم هى قوة الله (تبارك وتعالى) ودور الكاتب إرشاد الجمهور إلى عظمة هذا الخلق الإلهى ، وأن يقوم بدور المفسر البارز والعاكس للحقيقة التى خلقها الله فى هذا الوجود ، مؤكداً أن الصورة التى أوجدها الله تبارك وتعالى للحقيقة والكون والحياة والإنسان صورته فريده لا تنكسر ولا يمكن تقليدها .

(٣)

ويرى الدكتور محمد كاظم الظواهري (فى أطروحته عن المسرح) أن أكثر من خمسين فى المائة من النصوص المسرحية المعروضة مستورده مترجمة أو مقتبسة بل وصلت إلى مائة فى المائة فى أحيان كثيرة خاصة فى سنوات الركود فهناك تناسب فردى بين الاستيراد والركود وقد أدى ذلك إلى إستيلاء الآداب الأجنبية على العاملين فى هذا الحقل وما يتبع ذلك من تشبع القلوب والعقول بمضامينه وأشكاله . بل إن كثيراً مما قدم وسمى مسرحاً هو قمامة لنسب وبائس وخير الأعمال المعروضة بضاعة مستوردة وأغلب جوانبه الفكرية إسقاطات أيولوجية وسموم عقائدية .

وهو خال من الأصالة المطلوبة لفن أمه آخذة فى النمو والازدهار ولا يمثل روح الفن العربى الإسلامى ، وعنده أن الانتاج المسرحى فى جملته صور شائبة لاتصل إلى مستوى الآداب الغربى فى فنيته ولا فى أصالته ولا تمثل مفاهيم أممنا العربية الإسلامية وقد حرص الغربيون على

طمس ما كان للمسرح من سحر وسلطان بايهاهم أمتنا أن الفن شيء والفكر والاخلاق شيء آخر ، وقد ردد هذا كثيرون من أدبائنا ومن أخطار المفاهيم الوافدة ذلك القيد الذى قرض على الاخلاق والمثل والقيم كيلا تنفذ من خلاله إلى المسرح مع فتح الباب على الادب المكسوف وكل ما يناقض القيم والمفاهيم الاسلامية مما يعرض ويضر به منه المسرح .

وهي ظاهرة خطيرة : ذلك الفصل التعسفى بين الفن والاخلاق — والادب المسرحى الغربى الذى تأثر به كتابنا منى على فقدان الثقة بالخالق عز وجل وعلى عدم الايمان بحدوى الوجود والحياة وعدم الايمان بمقولية العقل ومنطقية الفسك وأنه يزخر بروح تشاؤمية مغرضة نتيجة عدم الايمان ، وقد غلب الطابع المسرحى الماركسى خلال فترة حكم عبد الناصر ، وأن النص المسرحى فى مصر يتنكر لشخصية مجتمعه ومعتقداته وأخلاقه وذوقه وفنه .

وقد استطاع الغرب أن يفرض علينا توائمه الادبى ونجح فى إقناع الأمم المبهورة به بعالمية هذا التراث ووضع نصب أعيننا نماذج من أعمال كبار كتابه عبر التاريخ وأن القول بعالمية هذه الآداب والنماذج حكم قضى به غيرنا وسلبنا به ، وأن هذه الآداب لا تخلو من مأخذ تؤخذ هليها وأمور يختلف عن الفنا من عادات وتقاليده وحس جمالى وفقى ولا تخلو من لمحات كثيرة تسوء علينا ، وإن هذه النماذج مهما كانت جودتها فإننا نملك فى تراثنا الادبى ما هو أعظم منها .

(٤)

ولما كان القرآن هو نموذج المثل الاعلى للفن الاسلامى ، فإن النظرية المثل فى علم الجمال وقواعدها وقوانينها يسهل استنباطها من إعطافه . أن شموخ وجلال الفن فى النص الربانى لا يحول بينه وبين أن تصبح مثلاً أعلى لحوا البشر فى آدابهم ولذلك يدعو الدكتور الطواهرى إلى وضع

الاصول العامة للجمال الفني في القرآن وبيان للسمات المضطردة الى تميز هذا المجال عن سائر ماعرفته اللغة العربية وغيرها من أدب . وتفسير الإعجاز الفني تفسيراً يستمد من تلك السمات المنفردة في القرآن الكريم ، كذلك فيجب الافادة من القرآن الكريم الى أبعد مدى في وضع حجب الاساس لصرح نقدي فريد تنبع قواعده من مصدر غير ذى هوى ، ومن ذلك البحث عن مقومات اللغة للحوار المسرحى متعقباً في ذلك الآداب الاجنبية والادب العربى ومستفيداً من كل جهد في هذا المجال .

(٥)

يقول الدكتور الظواهري في أطروحة عن المسرح في ضوء القرآن :
أن القصة العربية تفقد التصور الاسلامى لمعنى الفن ووظيفته في الحياة ، وعلى الكاتب المسلم أن يعى خصائص للتصور الإسلامى لكل شيء ومقوماته ثم يطبقها على الفن وفى يسر متناه ، يجد نفسه ، وقد خرج من هذا التيه بالحقيقة المطلقة التى عنها (جوهر) بقوله :

(ليس المسرح بلد الواقع ولكنه بلد الحقيقة)

والواقع أن الحقيقة لا يستطيع بشر أن يتوصل إليها بمعزل عن الوحي الآلى ، لقد بذل الإنسان أقصى جهد فلم يعدر بمجوده على تخرصاب تخطىء أكبر مما نصيب ، فكان من نتاجها المذاهب المادية فى العلم : كنظرية دارون وفى الفلسفة (نيتشه) وكانت ، وفى المجتمع والتاريخ والاقتصاد كنظرية ماركس ووجودية سارتر وفى النفس كنظرية فرويد ولكن أحدا لم يستطع قط أن يتوصل الى الحقيقة الكاملة كما صنع الاسلام إذ فسر لانس لغز الحياة المخير ، وعرفهم الغاية من خلقهم وهى عبادة الله تعالى بمعاملة الواسع الذى يشمل الحياة كلها فى إطار من الصلاح والاصلاح والسعى الى مرضاة الله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) - الزاريات - إن العمل المسرحى ليس نسخة

(٦)

ويرى الدكتور الظواهري : أن المسرح قد أوجد مشكلة ضخمة هي مشكلة الصراع بين الفصحى والعامية ، وأن النص المسرحي هو المجال الأرحب لتزويد العامة بأغزر تراث مكتوب لم يكن تحلم به .

وأن الدافع الأول والرئيسي للدعوة إلى العامة هو الحق على الإسلام والقرآن الكريم وأن المحرض الذي دفع إليها وأغرى ببذل الجهد في سبيل نشرها هم ورثة الصليبية من المبشرين أما من النصارى أو من اليهود أو من المخدوعين بحضارة أوربا وبمراجعتها وزين لهم سوء عملهم . وأن أول من تولوا كبر هذه الدعوة إلى العامة كانوا من المهتمين بالمسرح وأن المسرح كان منذ وجد في بلادنا ، وما يزال هو المجال الأرحب الواسع الصدر لهذه الدعوة ، ولقد كان المسرح محضنا لكل دعوة هدامة ويقول : أن قوى أرفع قعود الصراع لصرة العامة على الفصحى في سائر المجالات وخاصة المسرح .

• أعداء الإسلام من المستعمرين وعملاتهم .

• حركة التصير باسم الوطنية .

• حركة التصير باسم الفرعونية .

• الهازلون .

ولم يقف في ساحه هذا الصراع من أنصار الفصحى إلا إفراد من رجال الفكر والأدب (محمد عبده — علي يوسف — حافظ إبراهيم — مصطفى صادق الرافعي) وهؤلاء لم يكونوا على علم بأسلحة أعدائهم وأرسلها المسرح وربما لم يكونوا على علم بأهدافه . وأنها كانت دائما بعيدة المساحة التي ينفور فيها ولهذا استشرى هذا الداء في التأليف المسرحي ، وأصبح الشغل الشاغل لماؤا في المسرح من اتباع هذه الدعوة تحقيق غاية كبرى وأمل منشود هو محاولة داءية بتراث مكتوب ودعامة تكون عموداً فقرياً لها .

ولما كانت اللغة العربية تمثل في كيان امتنا الإسلامية معالم شخصيتها لا آداء ،

جاء في الامم الاخرى ان فطن الاعداء إلى هذا فحاربوا الإسلام في
شخصه. وقد قرأنا في تاريخ هشتر الهجرى تأجج نيزان الحق على الإسلام
بهذا الاسلوب الحديث قام به عدد من المستشرقين والمبشرين ومنهم لويس عوض
وسلامه موسى ، ولقد كان كتاب لويس عوض طعنة دامية للغة العربية
ومحاولة تجديد الدعوة إلى نبد اللغة العربية واستبدال لغة أوربية بها ، وأن
حروفها لاتينية أو على الأقل لإحلال العاميات العربية محلها لتفتيت وحدة العرب
وحسبهم عن قرائهم وتفريق المسلمين أشتات.

ومن هنا فان قصة الفصحى والعامية هي قضية إسلامية في المقام الاول .
ولقد كان النص المسرحى هو المجال الأرحب لتزويد العامية بأغرز تراث
مكتوب لم يكن يحلم به وكتاب المسرح لهم دوافع قد تتفق أو تختلف
في تفضيلهم الكتاب بالعامية ، وقد جاد عليهم العامة بزاد طيب من القفشات
والنكات والتوريات التى لها فى ذهن السامع خلفية تزود من جرعة الإضحاك
المبتغاة على حساب القيم الإسلامية والفن .

وقد أوغل جماعة الماركسين فى هذا الجبال ، واتخذوا من العامية شعاراً للغة
الشعب والطبقة العاملة وهؤلاء جميعاً يدعون إلى أن العامية تستطيع أن تقوم
بمتطلبات الفن وشئون الحياة وأنها لغة شاعرة .

هذا وبالله التوفيق ؟

فهرس هجائي للمصطلحات التي تضمنها البحث

(س)	(ث)	(ا)
٥٧ سنن الله	١٤٣ الثورة	٢٨ الاستشراق
١٢٩ السلفية	١٧٥ الثقافة والفكر	١١٣ الاستعمار
١٢٢ السامية	١٨٤ التربية	١٢٨ الأفليمية
٢١٦ السريالية		١٤٧ الايدولوجيات
	(ح)	١٦٢ انروبولوجيا
(ش)	الحكومة لثيوقراطية ١٢٠	١٦٣ الأسطورة
٣٨ الشريعة الإسلامية	٣٤٥ الحضارة	الإجتماع والعلوم
١١٩ الشعبية	٣٦٥ الحضارة الإسلامية	١٦٨ الاجتماعية
٣٢٧ الشعر الحر		١٩٥ الاجتماع الاسلامي
	(د)	٢٠٩ الانفجار السكاني
(ص)	الديمقراطية ١٥٥	٣٠١ الادب العربي
١٣٨ الصهيونية	١٥٣ الدارونية	الاقتصاد
١٢٩ الصورة الفنية		٢٧٣ الاخلاق
	(ر)	٤٥٣ الآمار
(ط)	٦٥ الروح	(ب)
١١٦ الطائفة	١١٤ الرأسمالية	١٦٠ اليهائية
	١٥٧ الروحية الحديثة	٢٠٧ البطولة
(ع)	١٥٨ الروتاري	(ت)
٣١٤ العروبة	٢٠٧ روح مصر	١٩ التغريب
١٢٢ العلمانية	٤٨٧ الربا	٢٣ التبشير
٤٦٠ العمارة		٤٨ التوحيد
		٦٦ تجديد الدين
		١٤١ التقدم
		١٦٢ التطور
		٢١٧ التاريخ الإسلامي
		٥٢٤ التربية والتعليم
		٤٥١ الترجمة

(ن)	(ق)	(غ)
النبوة ٥٤ النفس ٤٥٧	٦٩ ١٢١ ٣٢٩	الغيب (ف)
(و)	(ل)	الفطرة ٥٦
الوثنية ٥٢ وحدة الدين ٥٣ الوجودية ١٦٥	اللغة العربية ٢٢٧	الفكر السياسي الإسلامي ١١١ الفرعونية ١٦١ الفرويدية ١٥٤ الفكر الإسلامي ١٧٧ الفلسفات ٢٤٧ الفيلسوف ٣٢٣ الفن ٤٦٣
(و)	(م)	
	المنهج الرباني الجامع ٤٥ المذاهب الوافدة ١٤٥ الماضي ٢٠٦ المسرح ٤٦٧	

أبواب الفهرس العام

الباب الثامن : الاجتماع الاسلامي ١٩٥ الباب التاسع . التاريخ الاسلامي ٢١٧ الباب العاشر : اللغة العربية ١٣٧ الباب الحادي عشر : الفلسفات ٢٤٧ الباب الثاني عشر : الادب العربي ٣٠١ الباب الثالث عشر : الحضارة ٢٤٥ الباب الرابع عشر : الاقتصاد ٣٧٣ الباب الخامس عشر : التربية ٤٢٤ الإسلامية الباب السادس عشر : قضايا عامة ٤٩	الباب الاول : (مخاطر في وجه الإسلام ١٧ الباب الثاني : أصول الاسلام ٤٤ الباب الثالث : القرآن الكريم ٦٩ الباب الرابع : الشريعة الاسلامية ٨٣ الباب الخامس : الفكر السياسي الاسلامي ١١١ الباب السادس : المذاهب الوافدة ١٤٥ الباب السابع : مفهوم الاسلام في الشريعة والفكر ١٧٥
---	--

رقم الايداع ٣٢٦٠ / ٨٣ رقم المرحلي ٤ / ٠٢٦ / ١٤٢ / ٩٧٧

أنور المجتدي

نصيح المفهيم

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

دار الأحياء



نَصِيحُ الْمُفَهِّمِ

فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

دارالاعتصام

نصيح المفهيم

في ضوء الكتاب والسنة

موسوعة ميسرة جامعة

تقدم :

أولا : مفاهيم الاسلام في :

التوحيد	الغيب	النبوّة
أصول الاسلام	الفن الاسلامي	وحدة الدين
الفترة	سنن الله	الروح
الاجتماع الاسلامي	الاقتصاد الاسلامي	الحضارة الاسلامية
القرآن الكريم والسنة	الفكر السياسي الاسلامي	الشريعة الاسلامية
التربية الاسلامية	الفصحى لغة القرآن	التاريخ الاسلامي

ثانيا : وجهة نظر الاسلام في القضايا الآتية :

التفريب	الاستفراق	التبشير
الاستعمار	الديمقراطية	أتراسمالية
الطائفية	الحكومة الثيوقراطية	الشعوبية
الفاشية	العروبة	القومية
الاقليمية	السامية	السلفية
العلمانية	التقدم	الصهيونية
الايدولوجيات	الفرويدية	الدارونية
الروحانية الحديثة	الفرعونية	البهائية
الانثروبولوجيا	الأسطورة	التطور
الوجودية	الانفجار السكاني	الشعر الحر
الفلكلور	أزمة الحضارة المعاصرة	فساد نظام الربا
الاقتصاد	الاجتماع والعلوم السياسية	القصة